من كتب سليمان خواجه

مجاني الأدب

في

حدائق العرب

جمع

الاب لويس شيخو اليسوعي

الجزء الخامس

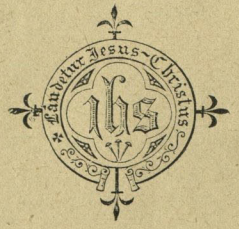

الطبعة الخامسة مصححة

في مطبعة الاباء اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٩٩

بيروت معارف هيئتي طرفندن نشرينه رخصة النمشدر

حقوق طبعهِ محفوظة للمطبعة

أَلْبَابُ ٱلْأَوَّلُ
فِي ٱلتَّدَيُّنِ

عظمة الخالق وجبروته والاخلاص لهُ تعالى

١ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْعَظِيمِ شَأْنُهُ ٱلْقَوِيِّ سُلْطَانُهُ . ٱلظَّاهِرِ إِحْسَانُهُ . ٱلْبَاهِرِ حُجَّتُهُ وَبُرْهَانُهُ . ٱلْمُحْتَجِبِ بِٱلْجَلَالِ . وَٱلْمُنْفَرِدِ بِٱلْكَمَالِ . وَٱلْمُتَرَدِّي بِٱلْعَظَمَةِ فِي ٱلْآبَادِ وَٱلْآزَالِ . لَا يُصَوِّرُهُ وَهْمٌ وَخَيَالٌ . وَلَا يَحْصِرُهُ حَدٌّ وَمِثَالٌ . ذِي ٱلْعِزِّ ٱلدَّائِمِ ٱلسَّرْمَدِيِّ . وَٱلْمُلْكِ ٱلْقَائِمِ ٱلدَّيْمُومِيِّ . وَٱلْقُدْرَةِ ٱلْمُمْتَنِعِ إِدْرَاكُ كُنْهِهَا . وَٱلسَّطْوَةِ ٱلْمُسْتَوْعِرِ طَرِيقُ ٱسْتِيفَاءِ وَصْفِهَا . نَطَقَتِ ٱلْكَائِنَاتُ بِأَنَّهُ ٱلصَّانِعُ ٱلْمُبْدِعُ . وَلَاحَ مِنْ صَفَحَاتِ ذَرَّاتِ ٱلْوُجُودِ بِأَنَّهُ ٱلْخَالِقُ ٱلْمُخْتَرِعُ . وَسَمَ عَقْلَ ٱلْإِنْسَانِ بِٱلْعَجْزِ وَٱلنُّقْصَانِ . وَأَلْزَمَ فَصِيحَاتِ ٱلْأَلْسُنِ وَصْفَ ٱلْحَصَرِ فِي حَلْبَةِ ٱلْبَيَانِ . وَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ ٱلْكَرِيمِ أَجْنِحَةَ طَائِرِ ٱلْفَهْمِ . وَسَدَّتْ تَعَزُّزًا وَإِجْلَالًا مَسَالِكَ ٱلْوَهْمِ . وَأَطْرَقَ طَامِحُ ٱلْبَصِيرَةِ تَعْظِيمًا وَإِجْلَالًا . وَلَمْ يَجِدْ مِنْ فَرْطِ ٱلْهَيْبَةِ فِي فَضْلِ ٱلْجَبَرُوتِ مَجَالًا . فَعَادَ ٱلْبَصَرُ كَلِيلًا . وَٱلْعَقْلُ عَلِيلًا . وَلَمْ يَنْتَهِجْ إِلَى كُنْهِ ٱلْكِبْرِيَاءِ سَبِيلًا . فَسُبْحَانَ مَنْ عَزَّ مَعْرِفَتُهُ لَوْلَا تَعْرِيفُهُ . وَتَعَذَّرَ عَلَى ٱلْعُقُولِ تَحْدِيدُهُ وَتَكْيِيفُهُ . ثُمَّ أَلْبَسَ قُلُوبَ ٱلصَّفْوَةِ مِنْ عِبَادِهِ مَلَابِسَ ٱلْعِرْفَانِ . وَخَصَّهُمْ مِنْ بَيْنِ عِبَادِهِ بِخَصَائِصِ ٱلْإِحْسَانِ . فَصَارَتْ ضَمَائِرُهُمْ مِنْ

مَوَاهِبِ الْأُنْسِ مَمْلُوَّةً . فَتَهَيَّأَتْ لِقَبُولِ الْأَمْدَادِ الْقُدْسِيَّةِ . وَاسْتَعَدَّتْ لِوُرُودِ الْأَنْوَارِ الْعَلَوِيَّةِ . وَاتَّخَذَتْ مِنَ الْأَنْفَاسِ الْعَطِرَةِ بِالْأَذْكَارِ جُلَّاسًا . وَأَقَامَتْ عَلَى الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ مِنَ التَّقْوَى حُرَّاسًا . وَأَشْعَلَتْ فِي ظُلَمِ الْبَشَرِيَّةِ مِنَ الْيَقِينِ نِبْرَاسًا . وَاسْتَحْقَرَتْ فَوَائِدَ الدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا وَأَنْكَرَتْ مَصَايِدَ الْهَوَى وَتَبِعَاتِهَا . وَامْتَطَتْ غَوَارِبَ الرَّغَبُوتِ وَالرَّهَبُوتِ . وَاسْتَفْرَشَتْ بِعُلُوِّ هِمَّتِهَا بِسَاطَ الْمَلَكُوتِ . وَامْتَدَّتْ إِلَى الْمَآلِ أَعْنَاقُهَا . وَطَمَحَتْ إِلَى اللَّامِعِ الْعَلَوِيِّ أَحْدَاقُهَا . وَاتَّخَذَتْ مِنَ الْمَلَإِ الْأَعْلَى مُسَامِرًا وَمُحَاوِرًا . وَمِنَ النُّورِ الْأَغَرِّ الْأَقْصَى مُزَاوِرًا وَمُجَاوِرًا . أَجْسَادٌ أَرْضِيَّةٌ بِقُلُوبٍ سَمَاوِيَّةٍ وَأَشْبَاحٌ فَرْشِيَّةٌ . بِأَرْوَاحٍ عَرْشِيَّةٍ . نُفُوسُهُمْ فِي مَنَازِلِ الْخِدْمَةِ سَيَّارَةٌ . وَأَرْوَاحُهُمْ فِي فَضَاءِ الْقُرْبِ طَيَّارَةٌ . مَذَاهِبُهُمْ فِي الْعُبُودِيَّةِ مَشْهُورَةٌ . وَأَعْلَامُهُمْ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ مَنْشُورَةٌ . يَقُولُ الْجَاهِلُ بِهِمْ فُقِدُوا وَمَا فُقِدُوا . وَلَكِنْ سَمَتْ أَحْوَالُهُمْ فَلَمْ يُدْرَكُوا . وَعَلَا مَقَامُهُمْ فَلَمْ يُمْلَكُوا . كَائِنِينَ بِالْجُثْمَانِ . بَائِنِينَ بِقُلُوبِهِمْ عَنْ أَوْطَانِ الْحِدْثَانِ . لِأَرْوَاحِهِمْ حَوْلَ الْعَرْشِ تَطْوَافٌ . وَلِقُلُوبِهِمْ مِنْ خَزَائِنِ الْبِرِّ إِسْعَافٌ . يَتَنَعَّمُونَ بِالْخِدْمَةِ فِي الدَّيَاجِرِ . وَيَتَلَذَّذُونَ مِنْ وَهَجِ الظَّمَإِ بِظَمَإِ الْهَوَاجِرِ . سَلَوْا بِالصَّلَوَاتِ عَنِ الشَّهَوَاتِ . وَتَعَوَّضُوا بِحَلَاوَةِ التِّلَاوَةِ عَنِ اللَّذَّاتِ . يَلُوحُ مِنْ صَفَحَاتِ وُجُوهِهِمْ بِشْرُ الْوِجْدَانِ وَيَنِمُّ عَلَى مَكْنُونِ سَرَائِرِهِمْ نَضَارَةُ الْعِرْفَانِ . لَا يَزَالُ فِي كُلِّ عَصْرٍ مِنْهُمْ عَلَّامُونَ بِالْحَقِّ . دَاعُونَ لِلْخَلْقِ . مُنْحُوا بِحُسْنِ الْمُتَابَعَةِ رُتْبَةَ الدَّعْوَةِ

وَجُعِلُوا لِلْمُتَّقِينَ قُدْوَةً فَلَا يَزَالُ تَظْهَرُ فِي الْخَلْقِ آثَارُهُمْ . وَتَزْهَرُ فِي الْآفَاقِ أَنْوَارُهُمْ . مَنِ اقْتَدَى بِهِمِ اهْتَدَى . وَمَنْ أَنْكَرَهُمْ ضَلَّ وَاعْتَدَى . فَلِلَّهِ الْحَمْدُ عَلَى مَا هَيَّأَ لِلْعِبَادِ . مِنْ بَرَكَةِ خَوَاصِّ حَضْرَتِهِ مِنْ أَهْلِ الْوِدَادِ

(عوارف المعارف للسهروردي)

٢ قَالَ أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ فِي الْخَالِقِ سُبْحَانَهُ :

إِلَهُ الْعَالَمِينَ وَكُلِّ أَرْضٍ ... وَرَبُّ الرَّاسِيَاتِ مِنَ الْجِبَالِ

بَنَاهَا وَابْتَنَى سَبْعًا شِدَادًا ... بِلَا عَمَدٍ يُرَيْنَ وَلَا رِجَالِ

وَسَوَّاهَا وَزَيَّنَهَا بِنُورٍ ... مِنَ الشَّمْسِ الْمُضِيئَةِ وَالْهِلَالِ

وَمِنْ شُهُبٍ تَلَأْلَأُ فِي دُجَاهَا ... مَرَامِيهَا أَشَدُّ مِنَ انْتِصَالِ

وَشَقَّ الْأَرْضَ فَانْبَجَسَتْ عُيُونًا ... وَأَنْهَارًا مِنَ الْعَذْبِ الزُّلَالِ

وَبَارَكَ فِي نَوَاحِيهَا وَزَكَّى ... بِهَا مَا كَانَ مِنْ حَرْثٍ وَمَالِ

فَكُلُّ مُعَمَّرٍ لَا بُدَّ يَوْمًا ... وَذِي دُنْيَا يَصِيرُ إِلَى زَوَالِ

وَيَفْنَى بَعْدَ جِدَّتِهِ وَيَبْلَى ... سِوَى الْبَاقِي الْمُقَدَّسِ ذِي الْجَلَالِ

وَسِيقَ الْمُجْرِمُونَ وَهُمْ عُرَاةٌ ... إِلَى ذَاتِ الْمَقَامِعِ وَالنَّكَالِ

فَنَادَوْا وَيْلَنَا وَيْلًا طَوِيلًا ... وَعَجُّوا فِي سَلَاسِلِهَا الطِّوَالِ

فَلَيْسُوا مَيِّتِينَ فَيَسْتَرِيحُوا ... وَكُلُّهُمُ بِبَحْرِ النَّارِ صَالِي

وَحَلَّ الْمُتَّقُونَ بِدَارِ صِدْقٍ ... وَعَيْشٍ نَاعِمٍ تَحْتَ الظِّلَالِ

لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَمَا تَمَنَّوْا ... مِنَ الْأَفْرَاحِ فِيهَا وَالْكَمَالِ

صفاتهُ تعالى

٣ هُوَ اللهُ الظَّاهِرُ بِآيَاتِهِ. الْبَاطِنُ بِذَاتِهِ. الْقَرِيبُ بِرَحْمَتِهِ. الْبَعِيدُ بِعِزَّتِهِ. الْكَرِيمُ بِآلَائِهِ. الْعَظِيمُ بِكِبْرِيَائِهِ. الْقَادِرُ فَلَا يُمَانَعُ. وَالْقَاهِرُ فَلَا يُنَازَعُ. وَالْعَزِيزُ فَلَا يُضَامُ. وَالْمَنِيعُ فَلَا يُرَامُ. وَالْمَلِيكُ الَّذِي لَهُ الْأَقْضِيَةُ وَالْأَحْكَامُ. الَّذِي تَفَرَّدَ بِالْبَقَاءِ. وَتَوَحَّدَ بِالْعِزَّةِ وَالسَّنَاءِ. وَاسْتَأْثَرَ بِأَحَاسِنِ الْأَسْمَاءِ. وَدَلَّ عَلَى قُدْرَتِهِ بِخَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ. كَانَ وَلَا مَكَانَ وَلَا زَمَانَ وَلَا بُنْيَانَ. وَلَا مَلَكَ وَلَا إِنْسَانَ. فَأَنْشَأَ الْمَعْدُومَ إِبْدَاعًا. وَأَحْدَثَ مَا لَمْ يَكُنْ إِنْشَاءً وَاخْتِرَاعًا. جَلَّ وَتَعَالَى فِيمَا خَلَقَ عَنِ احْتِذَاءِ صُورَةٍ وَاسْتِدْعَاءِ مَشُورَةٍ. وَاقْتِفَاءِ رَسْمٍ وَمِثَالٍ. وَافْتِقَارٍ إِلَى نَظَرِ قِيَاسٍ وَاسْتِدْلَالٍ. فَفِي كُلِّ مَا أَبْدَعَ وَصَنَعَ وَفَطَرَ وَقَدَّرَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ بِلَا ظَهِيرٍ وَالْقَادِرُ بِلَا نَصِيرٍ. وَالْعَالِمُ بِلَا تَبْصِيرٍ وَتَذْكِيرٍ. وَالْحَكِيمُ بِلَا رُؤْيَةٍ وَتَفْكِيرٍ. وَالْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَبِيَدِهِ الْخَيْرُ. وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. رَفَعَ السَّمَاءَ عِبْرَةً لِلنُّظَّارِ. وَعِلَّةً لِلظُّلَمِ وَالْأَنْوَارِ. وَسَبَبًا لِلْغُيُوثِ وَالْأَمْطَارِ. وَحَيَاةً لِلْمَحْلُولِ وَالْقِفَارِ. وَمَعَاشًا لِلْوُحُوشِ وَالْأَطْيَارِ. وَوَضَعَ الْأَرْضَ مِهَادًا لِلْأَبْدَانِ. وَقَرَارًا لِلْحَيَوَانِ. وَفِرَاشًا لِلْجُنُوبِ وَالْمَضَاجِعِ. وَبِسَاطًا لِلْمَكَاسِبِ وَالْمَنَافِعِ. وَذُلُولًا لِطُلَّابِ الرِّزْقِ وَأَرْبَابِ الصَّنَائِعِ. وَأَشْخَصَ الْجِبَالَ أَوْتَادًا رَاسِيَةً وَأَعْلَامًا بَادِيَةً. وَعُيُونًا جَارِيَةً. وَأَرْحَامًا لِأَجِنَّةِ الْأَعْلَاقِ حَاوِيَةً. وَجَعَلَ الْبِحَارَ مَغَايِضَ لِفُضُولِ الْأَنْهَارِ. وَمَغَايِرَ لِسُيُولِ

الْأَمْطَارِ. وَمَرَاكِبَ لِرِفَاقِ التُّجَّارِ. وَمَضَارِبَ لِمَصَالِحِ الْأَمْصَارِ. وَمَنَاجِحَ الْأَوْطَارِ. تَحْوِي مِنَ الدُّرِّ وَالْمَرْجَانِ نَبَاتًا. وَتُنْبِعُ مِنْ بَيْنِ الْمِلْحِ الْأُجَاجِ عَذْبًا فُرَاتًا. وَتَقْذِفُ لِلْآكِلِينَ لَحْمًا طَرِيًّا. وَتَحْمِلُ لِلَّابِسِينَ جَوَاهِرَ وَحُلِيًّا. وَاسْتَخْلَفَ عَلَى عِمَارَةِ عَالَمِهِ مَنِ انْتَخَبَهُمْ مِنْ خَلْقِهِ وَآثَرَهُمْ بِإِلْهَامِهِ. وَدَبَّرَهُمْ بِأَوَامِرِهِ وَأَحْكَامِهِ (لابي نصر العتبي)

٤ قصيدة ابي محمد بن السيد البطليوسي في التوحيد

إِلَاهِي إِنِّي شَاكِرٌ لَكَ حَامِدٌ ... وَإِنِّي لَسَاعٍ فِي رِضَاكَ وَجَاهِدُ

وَإِنَّكَ مَهْمَا زَلَّتِ النَّعْلُ بِالْفَتَى ... عَلَى الْعَائِدِ التَّوَّابِ بِالْعَفْوِ عَائِدُ

تَبَاعَدتَّ مَجْدًا وَادَّنَيْتَ تَعَطُّفًا ... وَحِلْمًا فَأَنْتَ الْمُدَّنِي الْمُتَبَاعِدُ

وَمَا لِي عَلَى شَيْءٍ سِوَاكَ مُعَوَّلٌ ... إِذَا دَهَمَتْنِي الْمُعْضِلَاتُ الشَّدَائِدُ

أَغَيْرَكَ أَدْعُو لِي إِلَاهًا وَخَالِقًا ... وَقَدْ أَوْضَحَ الْبُرْهَانُ أَنَّكَ وَاحِدُ

وَقَدْمَا دَعَا قَوْمٌ سِوَاكَ فَلَمْ يَقُمْ ... عَلَى ذَاكَ بُرْهَانٌ وَلَا لَاحَ شَاهِدُ

وَبِالْفَلَكِ الدَّوَّارِ قَدْ ضَلَّ مَعْشَرٌ ... وَلِلنَّيِّرَاتِ السَّبْعِ دَاعٍ وَسَاجِدُ

وَلِلْعَقْلِ عُبَّادٌ وَلِلنَّفْسِ شِيعَةٌ ... وَكُلُّهُمُ عَنْ مَنْهَجِ الْحَقِّ حَائِدُ

وَكَيْفَ يَضِلُّ الْقَصْدَ ذُو الْعِلْمِ وَالنُّهَى ... وَنَهْجُ الْهُدَى مَنْ كَانَ نَحْوَكَ قَاصِدُ

وَهَلْ فِي الَّذِي طَاعُوا لَهُ وَتَعَبَّدُوا ... لِأَمْرِكَ عَاصٍ أَوْ لِحَقِّكَ جَاحِدُ

وَهَلْ يُوجَدُ الْمَعْلُولُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ ... إِذَا صَحَّ فِكْرٌ أَوْ رَأَى الرُّشْدَ رَاشِدُ

وَهَلْ غِبْتَ عَنْ شَيْءٍ فَيُنْكِرَ مُنْكِرٌ ... وُجُودَكَ أَمْ لَمْ تَبْدُ مِنْكَ الشَّوَاهِدُ

وَفِي كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاكَ دَلَائِلٌ ... مِنَ الصُّنْعِ تُبْدِي أَنَّهُ لَكَ عَابِدُ

وَكُلُّ وُجُودٍ عَنْ وُجُودِكَ كَائِنٌ ... فَوَاجِدُ أَصْنَافِ الْوَرَى لَكَ وَاجِدُ
سَرَتْ مِنْكَ فِيهَا وَحْدَةٌ لَوْ مَنَعْتَهَا ... لَأَصْبَحَتِ الْأَشْيَاءُ وَهْيَ بَوَائِدُ
وَكَمْ لَكَ فِي خَلْقِ الْوَرَى مِنْ دَلَائِلٍ ... يَرَاهَا الْفَتَى فِي نَفْسِهِ وَيُشَاهِدُ
كَفَى مُكْذِبًا لِلْجَاحِدِينَ نُفُوسُهُمْ ... تُخَاصِمُهُمْ إِنْ أَنْكَرُوا وَتُعَانِدُ

لأُمَيَّة بن أبي الصلت النصراني في الكمالات الالهية

لَكَ الْحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْمُلْكُ رَبَّنَا ... فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَأَمْجَدُ
مَلِيكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيْمِنٌ ... لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ
عَلَيْهِ حِجَابُ النُّورِ وَالنُّورُ حَوْلَهُ ... وَأَنْهَارُ نُورٍ حَوْلَهُ تَتَوَقَّدُ
فَلَا بَصَرٌ يَسْمُو إِلَيْهِ بِطَرْفِهِ ... وَدُونَ حِجَابِ النُّورِ خَلْقٌ مُؤَيَّدُ
مَلَائِكَةٌ أَقْدَامُهُمْ تَحْتَ عَرْشِهِ ... بِكَفَّيْهِ لَوْلَا اللهُ كَلُّوا وَأَبْلَدُوا
قِيَامٌ عَلَى الْأَقْدَامِ عَانِينَ تَحْتَهُ ... فَرَائِصُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ تُرْعَدُ
وَسِبْطٌ صُفُوفٌ يَنْظُرُونَ قَضَاءَهُ ... يُصِيخُونَ بِالْأَسْمَاعِ لِلْوَحْيِ رُكَّدُ
أَمِينُ لِوَحْيِ الْقُدْسِ جِبْرِيلُ فِيهِمِ ... وَمِيكَالُ ذُو الرُّوحِ الْقَوِيُّ الْمُسَدَّدُ
وَحُرَّاسُ أَبْوَابِ السَّمَاوَاتِ دُونَهُمْ ... قِيَامٌ عَلَيْهَا بِالْمَقَالِيدِ رُصَّدُ
فَنِعْمَ الْعِبَادُ الْمُصْطَفَوْنَ لِأَمْرِهِ ... وَمِنْ دُونِهِمْ جُنْدٌ كَثِيفٌ مُجَنَّدُ
مَلَائِكَةٌ لَا يَفْتُرُونَ عِبَادَةً ... كَرُوبِيَّةٌ مِنْهُمْ رُكُوعٌ وَسُجَّدُ
فَسَاجِدُهُمْ لَا يَرْفَعُ الدَّهْرَ رَأْسَهُ ... يُعَظِّمُ رَبًّا فَوْقَهُ وَيُمَجِّدُ
وَرَاكِعُهُمْ يَحْنُو لَهُ الدَّهْرَ خَاشِعًا ... يُرَدِّدُ آلَاءَ الْإِلَهِ وَيَحْمَدُ
وَمِنْهُمْ مُلِفٌّ فِي الْجَنَاحَيْنِ رَأْسَهُ ... يَكَادُ لِذِكْرَى رَبِّهِ يَتَفَصَّدُ

مِنَ الْخَوْفِ لَا ذُو سَأْمَةٍ بِعِبَادَةٍ ... وَلَا هُوَ مِنْ طُولِ التَّعَبُّدِ يَجْهَدُ
وَدُونَ كَثِيفِ الْمَاءِ فِي غَامِضِ الْهَوَا ... مَلَائِكَةٌ تَنْحَطُّ فِيهِ وَتَصْعَدُ
وَبَيْنَ طِبَاقِ الْأَرْضِ تَحْتَ بُطُونِهَا ... مَلَائِكَةٌ بِالْأَمْرِ فِيهَا تَرَدَّدُ
فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَعْرِفُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ ... وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ
وَمَنْ لَمْ تُنَازِعْهُ الْخَلَائِقُ مُلْكَهُ ... وَإِنْ لَمْ تُفَرِّدْهُ الْعِبَادُ فَمُفْرَدُ
مَلِيكُ السَّمَاوَاتِ الشِّدَادِ وَأَرْضِهَا ... وَلَيْسَ لِشَيْءٍ عَنْ قَضَاهُ تَأَوُّدُ
هُوَ اللهُ بَارِي الْخَلْقِ وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ ... إِمَاءٌ لَهُ طَوْعًا جَمِيعًا وَأَعْبُدُ
وَأَنَّى يَكُونُ الْخَلْقُ كَالْخَالِقِ الَّذِي ... يَدُومُ وَيَبْقَى وَالْخَلِيقَةُ تَنْفَدُ
وَلَيْسَ لِمَخْلُوقٍ مِنَ الدَّهْرِ جِدَّةٌ ... وَمَنْ ذَا عَلَى مَرِّ الْحَوَادِثِ يَخْلُدُ
وَنَفْنَى وَلَا يَبْقَى سِوَى الْوَاحِدِ الَّذِي ... يُمِيتُ وَيُحْيِي دَائِبًا لَيْسَ يَهْمُدُ
تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الْجَوَانِحُ فِي الْخَفَى ... وَإِذْهِيَ فِي جَوِّ السَّمَاءِ تُصَعِّدُ
وَمِنْ خَوْفِ رَبِّي سَبَّحَ الرَّعْدُ فَوْقَنَا ... وَسَبَّحَهُ الْأَشْجَارُ وَالْوَحْشُ أَبَّدُ
وَسَبَّحَهُ النِّينَانُ وَالْبَحْرُ زَاخِرًا ... وَمَا ضَمَّ مِنْ شَيْءٍ وَمَا هُوَ مُقْلِدُ
أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الْمُقِيمُ عَلَى الْهَوَى ... إِلَى أَيِّ حِينٍ مِنْكَ هٰذَا التَّصَدُّدُ
عَنِ الْحَقِّ كَالْأَعْمَى الْمُمِيطِ عَنِ الْهُدَى ... وَلَيْسَ يَرُدُّ الْحَقَّ إِلَّا مُفَنِّدُ
وَحَالَاتِ دُنْيَا لَا تَدُومُ لِأَهْلِهَا ... وَبَيْنَا الْفَتَى فِيهَا مَهِيبٌ مُسَوَّدُ
إِذِ انْقَلَبَتْ عَنْهُ وَزَالَ نَعِيمُهَا ... وَأَصْبَحَ مِنْ تُرْبِ الْقُبُورِ يُوَسَّدُ
وَفَارَقَ رُوحًا كَانَ بَيْنَ جَنَانِهِ ... وَجَاوَرَ مَوْتَى مَالُهُمْ مُتَرَدَّدُ
فَأَيَّ فَتًى قَبْلِي رَأَيْتَ مُخَلَّدًا ... لَهُ فِي قَدِيمِ الدَّهْرِ مَا يَتَوَدَّدُ

وَمَنْ يَبْتَلِيهِ الدَّهْرُ مِنْهُ بِعَثْرَةٍ ... سَيَكْبُو لَهَا وَالنَّائِبَاتُ تَرَدَّدُ
فَلَمْ تَسْلَمِ الدُّنْيَا وَإِنْ ظَنَّ أَهْلُهَا ... بِصِحَّتِهَا وَالدَّهْرُ قَدْ يَتَجَدَّدُ
أَلَسْتَ تَرَى فِيمَا مَضَى لَكَ عِبْرَةً ... فَمَهْ لَا تَكُنْ يَا قَلْبُ أَعْمَى يُلَدَّدُ
فَكُنْ خَائِفًا لِلْمَوْتِ وَالْبَعْثُ بَعْدَهُ ... وَلَا تَكُ مِمَّنْ غَرَّهُ الْيَوْمَ أَوْ غَدُ
فَإِنَّكَ فِي دُنْيَا غُرُورٍ لِأَهْلِهَا ... وَفِيهَا عَدُوٌّ كَاشِحُ الصَّدْرِ مُوقِدُ

٦ وسيلة الى الله تعالى لعبد الرحيم البرعي

لِي فِي نَوَالِكَ يَا مَوْلَايَ آمَالُ ... مِنْ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ الْأَهْلُونَ وَالْمَالُ
أُوصِي إِلَيْكَ لِعِلْمِي أَنَّ لُطْفَكَ بِي ... دُونَ الْوَرَى لَمْ يَحُلْ عَنِّي إِذَا حَالُوا
فَأَرْضِ عَنِّي خُصُومِي وَاقْضِ يَا أَمَلِي ... دَيْنِي فَإِنَّ حُقُوقَ الْخَلْقِ أَثْقَالُ
وَلَمْ يَضِقْ بِي مِنْكَ الْعَفْوُ إِنْ خُتِمَتْ ... لِي بِالشَّهَادَةِ أَقْوَالٌ وَأَفْعَالُ
كُنْ لِي إِذَا أَغْمَضُوا عَيْنِي وَانْصَرَفُوا ... بَاكِينَ أَسْمَعُ مِنْهُمْ كُلَّ مَا قَالُوا
وَامْنُنْ بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ عَلَيَّ إِذَا ... ضَاقَ الْخِنَاقُ فَهَوْلُ الْمَوْتِ أَهْوَالُ
وَجَاءَنِي مَلَكُ الْمَوْتِ الْمُوَكَّلُ بِي ... وَبِالنُّفُوسِ فَلِلْأَعْمَارِ آجَالُ
وَاسْتَخْرَجَ النَّفْسَ أَمْلَاكٌ مُطَهَّرَةٌ ... لَهَا إِلَى لُطْفِكَ الْمَأْمُولِ تَرْحَالُ
جَاؤُا إِلَيْكَ بِهَا يَا رَبُّ يُقْدِمُهَا ... لِحَضْرَةِ الْقُدْسِ جِبْرِيلٌ وَمِيكَالُ
ثُمَّ انْثَنَتْ عَنْ قَرِيبٍ نَحْوَ مُغْتَسَلٍ ... فِي حَيْثُ بُرْجُوكَ مَغْسُولٌ وَغَسَّالُ
وَلَيْسَ لِي وَلِمِثْلِي غَيْرُ جُودِكَ يَا ... مَنْ لَا يُدَانِيهِ أَشْبَاهٌ وَأَمْثَالُ
أَصْبَحْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ الْيَوْمَ مُطَّرِحًا ... وَلِي بِنَفْسِي عَنِ الْأَغْيَارِ إِشْغَالُ
فَأَوْلِنِي يَا غَفُورُ الْعَفْوَ مِنْكَ فَلَا ... يَبْقَى عَلَيَّ مِنَ الْأَوْزَارِ مِثْقَالُ

وَإِنْ نَزَلْتُ إِلَى بَيْتِ الْخَرَابِ وَلَا ... أَبٌ هُنَاكَ وَلَا عَمٌّ وَلَا خَالُ
أَلْهِمْنِي يَا خَالِقِي ذِكْرَ الْجَوَابِ فَفِي ... ذَاكَ الْمَقَامِ جَوَابَاتٌ وَتَسْآلُ
هُنَاكَ لَا أَمَلٌ يُرْجَى وَلَا عَمَلٌ ... يَجْزِي وَلَا حِيلَةٌ عِنْدِي فَأَحْتَالُ
فَافْتَحْ لِرُوحِي إِلَى الْفِرْدَوْسِ بَابَ رِضًا ... يُهْدِي رِيَاحَ رِيَاضٍ ظِلُّهَا ضَالُ
وَالْطُفْ وَرَائِي بِأَطْفَالٍ وَأُمِّهِمِ ... إِنْ كَانَ خَلْفِي أُوَيْلَادٌ وَأَطْفَالُ
حَتَّى إِذَا نُشِرَ الْأَمْوَاتُ وَارْتَعَدَتْ ... فَرَائِصُ الْخَلْقِ مِنْ بَعْضِ الَّذِي نَالُوا
وَعَادَتِ الرُّوحُ فِي الْجِسْمِ الضَّعِيفِ وَقَدْ ... تَفَرَّقَتْ مِنْهُ أَعْضَاءٌ وَأَوْصَالُ
فَجُدْ عَلَيَّ وَلَاطِفْنِي بِعَفْوِكَ عَنْ ... ذَنْبِي فَشَأْنُكَ إِنْعَامٌ وَإِفْضَالُ
وَقُلْ كَفَيْتُكَ يَا عَبْدَ الرَّحِيمِ أَذَى الدَّا ... مِ رَيْنِ فَانْزِلْ حِمًى مَا فِيهِ إِهْمَالُ
يَا وَاسِعَ اللُّطْفِ قَدْ قَدَّمْتُ مَعْذِرَتِي ... إِنْ كَانَ يُغْنِي عَنِ التَّفْصِيلِ إِجْمَالُ
جَنِّبْنِي الْعُجْبَ وَالشُّحَّ الْمُطَاعَ وَمِنْ ... نَفْسِي تُخَالِفُ هَوَاهَا فَهْوَ قَتَّالُ
وَعُدْ عَلَيَّ بِنُورٍ مِنْكَ مُبْتَهِجٍ ... يَزْكُو بِهِ بَصَرِي وَالسَّمْعُ وَالْبَالُ
وَارْحَمْ بَنِيَّ وَآبَائِي وَحَاشِيَتِي ... يَعُمُّهُمْ يَا إِلَهِي مِنْكَ إِقْبَالُ
مَاذَا أَقُولُ وَمِنِّي كُلُّ مَعْصِيَةٍ ... وَمِنْكَ يَا سَيِّدِي حِلْمٌ وَإِمْهَالُ
وَمَا أَكُونُ وَمَا قَدْرِي وَمَا عَمَلِي ... فِي يَوْمٍ تُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ أَعْمَالُ
لَكِنْ أَبِيسُ مِنْ رَوْحِ الْإِلَهِ فَدَى ... عَبْدٌ عَلَيْهِ مِنَ الْإِيمَانِ سِرْبَالُ
رَبَّاهُ رَبَّاهُ أَنْتَ اللَّهُ مُعْتَمَدِي ... فِي كُلِّ حَالٍ إِذَا حَالَتْ بِيَ الْحَالُ

٧ وله في التوحيد

تَجَلَّتْ لِوَحْدَانِيَّةِ الْحَقِّ أَنْوَارُ ... فَدَلَّتْ عَلَى أَنَّ الْجُحُودَ هُوَ الْعَارُ

وَأَغْرَتْ لِدَاعِي الْحَقِّ كُلَّ مُوَحِّدٍ ... بِمُقْعَدِ صِدْقٍ حَبَّذَا الْجَارُ وَالدَّارُ
وَأَبْدَتْ مَعَانِي ذَاتِهِ بِصِفَاتِهِ ... فَلَمْ يَحْتَمِلْ عَقْلُ الْمُحِبِّينَ إِنْكَارُ
تَرَاءَى لَهُمْ فِي الْغَيْبِ جَلَّ جَلَالُهُ ... عِيَانًا فَلَمْ يُدْرِكْهُ سَمْعٌ وَأَبْصَارُ
مَعَانٍ عَقَلْنَ الْعَقْلَ وَالْعَقْلُ ذَاهِلٌ ... وَإِقْبَالُهُ فِي بَرْزَخِ الْبُحْثِ إِدْبَارُ
إِذَا هَمَّ وَهْمُ الْفِكْرِ إِدْرَاكَ ذَاتِهِ ... تَعَارَضَ أَوْهَامٌ عَلَيْهِ وَأَفْكَارُ
وَكَيْفَ يُحِيطُ الْكَيْفُ إِدْرَاكَ حَدِّهِ ... وَلَيْسَ لَهُ فِي الْكَيْفِ حَدٌّ وَمِقْدَارُ
وَأَيْنَ يَحُلُّ الْأَيْنُ مِنْهُ وَلَمْ يَكُنْ ... مَعَ اللهِ غَيْرُ اللهِ عَيْنٌ وَآثَارُ
وَلَا شَيْءَ مَعْلُومٌ وَلَا الْكَوْنَ كَائِنٌ ... وَلَا الرِّزْقَ مَقْسُومٌ وَلَا الْخَلْقَ إِفْطَارُ
وَلَا الشَّمْسُ بِالنُّورِ الْمُنِيرِ مُضِيئَةٌ ... وَلَا الْقَمَرُ السَّارِي وَلَا النَّجْمُ سَيَّارُ
فَأَنْشَأَ فِي سُلْطَانِهِ الْأَرْضَ وَالسَّمَا ... لِيَخْلُقَ مِنْهَا مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ
وَزَيَّنَ بِالْكُرْسِيِّ وَالْعَرْشِ مُلْكَهُ ... فَمِنْ نُورِهِ حُجْبٌ عَلَيْهِ وَأَسْتَارُ
فَسُبْحَانَ مَنْ تَعْنُو الْوُجُوهُ لِوَجْهِهِ ... وَيَلْقَاهُ رَهْنَ الذُّلِّ مَنْ هُوَ جَبَّارُ
عَظِيمٌ يَهُونُ الْأَعْظَمُونَ لِعِزِّهِ ... شَدِيدُ الْقُوَى كَافٍ لِذِي الْقَهْرِ قَهَّارُ
لَطِيفٌ بِلُطْفِ الصُّنْعِ فَضَّلَنَا عَلَى ... خَلَائِقَ لَا تُحْصَى وَذَلِكَ إِيثَارُ
يَرَى حَرَكَاتِ النَّمْلِ فِي ظُلَمِ الدُّجَى ... وَلَمْ يَخْفَ إِعْلَانٌ عَلَيْهِ وَإِسْرَارُ
وَيُحْصِي عَدِيدَ النَّمْلِ وَالْقَطْرِ وَالْحَصَى ... وَمَا اسْتَتَمَّتْ نَجْدٌ عَلَيْهِ وَأَغْوَارُ
أَضَاءَتْ قُلُوبُ الْعَارِفِينَ بِنُورِهِ ... فَبَاحَتْ بِأَحْوَالِ الْمُحِبِّينَ أَسْرَارُ
وَشَقَّ عَلَى أَسْمَائِهِمْ مِنْ عَلَا اسْمُهُ ... عَلَى الْأَصْلِ فَهُوَ الْبِرُّ وَالْقَوْمُ أَبْرَارُ
فَذَاكَ الَّذِي يُلْجَا إِلَيْهِ تَوَكُّلًا ... عَلَيْهِ وَيُعْصَى وَهُوَ بِالْحِلْمِ سَتَّارُ

فَأَدْنَى الرَّجَا لِلْخَلْقِ مِنْ بَابِ فَضْلِهِ ... لِتُمْحَى إِسَاءَاتٌ وَتُغْفَرَ أَوْزَارُ
تُسَبِّحُ ذَرَّاتُ الْوُجُودِ بِحَمْدِهِ ... وَيَسْجُدُ بِالتَّعْظِيمِ نَجْمٌ وَأَشْجَارُ
وَيَبْكِي غَمَامُ الْغَيْثِ طَوْعًا لِأَمْرِهِ ... فَتَضْحَكُ مِمَّا يَفْعَلُ الْغَيْثُ أَزْهَارُ
فَيَا نَفْسِ لِلْإِحْسَانِ عُودِي فَرُبَّمَا ... أُقِلْتِ عِثَارًا فَابْنُ آدَمَ مِعْثَارُ
إِلَهِي أَذِقْنِي بَرْدَ عَفْوِكَ وَاهْدِنِي ... إِلَيْكَ بِمَا يُرْضِيكَ فَالدَّهْرُ غَرَّارُ

٨ قصيدة علي بن ابي طالب في الابتهال الى الله

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَى ... تَبَارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إِلَهِي وَخَلَّاقِي وَحِرْزِي وَمَوْئِلِي ... إِلَيْكَ لَدَى الْإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْزَعُ
إِلَهِي لَئِنْ خَيَّبْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي ... فَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْجُو وَمَنْ أَتَشَفَّعُ
إِلَهِي لَئِنْ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيئَتِي ... فَعَفْوُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وَأَوْسَعُ
إِلَهِي لَئِنْ أَعْطَيْتُ نَفْسِي سُؤْلَهَا ... فَهَا أَنَا فِي رَوْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ
إِلَهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي ... وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُزِغْ ... فُؤَادِي فَلِي فِي بَابِ جُودِكَ مَطْمَعُ
إِلَهِي أَجِرْنِي مِنْ عَذَابِكَ إِنَّنِي ... أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ
إِلَهِي فَأَنْسِنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي ... إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوًى وَمَضْجَعُ
إِلَهِي لَئِنْ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حِجَّةٍ ... فَحَبْلُ رَجَائِي مِنْكَ لَا يَتَقَطَّعُ
إِلَهِي إِذَا لَمْ تَرْعَنِي كُنْتُ ضَائِعًا ... وَإِنْ كُنْتَ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أُضَيَّعُ
إِلَهِي إِذَا لَمْ تَعْفُ عَنْ غَيْرِ مُحْسِنٍ ... فَمَنْ لِمُسِيءٍ بِالْهَوَى يَتَمَتَّعُ
إِلَهِي لَئِنْ قَصَّرْتُ فِي طَلَبِ التُّقَى ... فَلَسْتُ سِوَى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ

إِلٰهِي أَقِلْنِي عَثْرَتِي وَامْحُ حَوْبَتِي ... فَإِنِّي مُقِرٌّ خَائِفٌ أَتَضَرَّعُ
إِلٰهِي لَئِنْ خَيَّبْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي ... فَمَا حِيلَتِي يَا رَبِّ أَمْ كَيْفَ أَصْنَعُ
إِلٰهِي حَلِيفُ الْحُبِّ بِاللَّيْلِ سَاهِرٌ ... يُنَاجِي وَيَبْكِي وَالْمُغَفَّلُ يَهْجَعُ
وَكُلُّهُمُ يَرْجُو نَوَالَكَ رَاجِيًا ... لِرَحْمَتِكَ الْعُظْمَى وَفِي الْخُلْدِ يَطْمَعُ
إِلٰهِي يُمَنِّينِي رَجَائِي سَلَامَةً ... وَقُبْحُ خَطِيَّاتِي عَلَيَّ يُشَنِّعُ

٩ من قصيدة للبرعي في الرجاء

إِلَيْهِ بِهِ سُبْحَانَهُ أَتَوَسَّلُ ... وَأَرْجُو الَّذِي يُرْجَى لَدَيْهِ وَأَسْأَلُ
وَأُحْسِنُ قَصْدِي عَنْ خُضُوعِي وَذِلَّتِي ... لَهُ وَعَلَيْهِ وَحْدَهُ أَتَوَكَّلُ
وَأُصْحِبُ آمَالِي إِلَى فَضْلِ جُودِهِ ... وَأُنْزِلُ حَاجَاتِي بِمَنْ لَيْسَ يَبْخَلُ
فَسُبْحَانَهُ مِنْ أَوَّلٍ هُوَ آخِرٌ ... وَسُبْحَانَهُ مِنْ آخِرٍ هُوَ أَوَّلُ
وَسُبْحَانَ مَنْ تَعْنُو الْوُجُوهُ لِوَجْهِهِ ... وَمَنْ كُلُّ ذِي عِزٍّ لَهُ يَتَذَلَّلُ
وَمَنْ هُوَ فَرْدٌ لَا نَظِيرَ لَهُ وَلَا ... شَبِيهَ وَلَا مِثْلٌ بِهِ يَتَمَثَّلُ
وَمَنْ كَلَّتِ الْأَفْهَامُ عَنْ وَصْفِ ذَاتِهِ ... فَلَيْسَ لَهَا فِي الْكَيْفِ وَالْأَيْنِ مَدْخَلُ
تَكَفَّلَ فَضْلًا لَا وُجُوبًا بِرِزْقِهِ ... عَلَى الْخَلْقِ فَهُوَ الرَّازِقُ الْمُتَكَفِّلُ
وَلَمْ يَأْخُذِ الْعَبْدَ الْمُسِيءَ بِذَنْبِهِ ... وَلٰكِنَّهُ يُرْجِي لِأَمْرٍ وَيُمْهِلُ
حَلِيمٌ عَظِيمٌ رَاحِمٌ مُتَكَرِّمٌ ... رَؤُوفٌ رَحِيمٌ وَاهِبٌ مُتَطَوِّلُ
جَوَادٌ مَجِيدٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ ... جَلِيلٌ جَمِيلٌ مُنْعِمٌ مُتَفَضِّلُ
لَهُ الرَّاسِيَاتُ الشُّمُّ تَهْبِطُ خَشْيَةً ... وَتَنْشَقُّ عَنْ مَاءٍ يَسِيحُ وَيُخْضِلُ
وَأَنْشَأَ مِنْ لَا شَيْءَ سُحْبًا هَوَاطِلًا ... يُسَبِّحُ فِيهَا رَعْدُهَا وَيُهَلِّلُ

وَأَحْيَا نَوَاحِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا ... بِمُنْسَجِمٍ غَيْثٍ مِنَ السُّحْبِ يَهْمِلُ
يُحِيطُ بِمَا تُخْفِي الضَّمَائِرُ عِلْمُهُ ... وَيَدْرِي دَبِيبَ النَّمْلِ وَاللَّيْلُ أَلْيَلُ
فَيَا غَافِرَ الزَّلَّاتِ وَهْيَ عَظِيمَةٌ ... وَيَا نَافِذَ التَّدْبِيرِ مَا شَاءَ يَفْعَلُ
أَجِبْ دَعْوَتِي يَا سَيِّدِي وَاقْضِ حَاجَتِي ... سَرِيعًا فَشَأْنُ الْعَبْدِ يَدْعُو وَيُعْجِلُ
وَلَا يَرْتَجِي مِنْ عِنْدِ غَيْرِكَ رَحْمَةً ... وَلَا يَبْتَغِي فَضْلًا لِمَنْ يَتَفَضَّلُ
فَحَقِّقْ رَجَائِي فِيكَ يَا غَايَةَ الْمُنَى ... فَأَنْتَ لِمَنْ يَرْجُوكَ حِصْنٌ مُؤَمَّلُ
وَإِنْ فُتِحَتْ جَنَّاتُ عَدْنٍ لِدَاخِلٍ ... فَقُلْ يَا عِبَادِي هٰذِهِ الْجَنَّةُ ادْخُلُوا
فَجُودُكَ يَا ذَا الْكِبْرِيَاءِ مُؤَمَّلٌ ... وَحَبْلُكَ لِلرَّاجِينَ بِالْخَيْرِ يُوصَلُ

١٠ وله ايضاً في الرجاء من قصيدة

عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللهُ عَاجِلًا ... يُسَرُّ بِهِ الْمَلْهُوفُ إِنْ عَمَّهُ اللَّهَفُ
فَمِنْ مِحَنِ الْأَيَّامِ قَلْبِي مُعَذَّبٌ ... أَلَمَّ بِرُوحِي قَبْلَ حَتْفِ الْفَنَا حَتْفُ
فَكَمْ هَمَّ صَرْفُ الدَّهْرِ يَصْرِفُ نَابَهُ ... عَلَيَّ فَجَاءَ الْغَوْثُ وَانْصَرَفَ الصَّرْفُ
وَلَمْ أَعْتَصِمْ بِاللهِ إِلَّا وَمَدَّ لِي ... مِنَ الْبِرِّ ظِلًّا فِي رِضَاهُ لَهُ وَكْفُ
وَإِنِّي لَمُسْتَغْنٍ بِفَقْرِي وَفَاقَتِي ... إِلَيْهِ وَمُسْتَقْوٍ وَإِنْ كَانَ بِي ضَعْفُ
فَكَمْ رَاحَ رَوْحُ اللهِ فِي خَلْقِهِ وَكَمْ ... غَدَا قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ لِلنَّاظِرِ الطَّرْفُ
بِقُدْرَةِ مَنْ شَدَّ الْهَوَا وَبَنَى السَّمَا ... طَرَائِقَ فَرْقَ الْأَرْضِ فَهْيَ لَهَا سَقْفُ
وَأَلْقَى الْجِبَالَ الشُّمَّ فِيهَا رَوَاسِيًا ... فَلَيْسَ لَهَا مِنْ قَبْلِ مَوْعِدِهَا نَسْفُ
وَأَلْبَسَهَا مِنْ سُنْدُسِ النَّبْتِ بَهْجَةً ... مِنَ النَّبْتِ مَا صِنْفٌ يُشَابِهُهُ صِنْفُ
وَسَخَّرَ مِنْ نَشْرِ السَّحَابِ لَوَاقِحًا ... إِذَا انْتَشَرَتْ دَرَّتْ سَحَائِبُهَا الْوُطْفُ

وَكَمْ فِي غَرِيبِ ٱلْمُلْكِ وَٱلْمَلَكُوتِ مِنْ ... عَجَائِبَ لَا يُحْصَى لِأَيْسَرِهَا وَصْفُ
وَلَمْ تُحِطِ ٱلسِّتُّ ٱلْجِهَاتُ بِذَاتِهِ ... فَأَيْنَ يَكُونُ ٱلْأَيْنُ وَٱلْقَبْلُ وَٱلْخَلْفُ
إِلٰهِي أَقِلْنِي عَثْرَتِي وَتَوَلَّنِي ... بِعَفْوٍ فَإِنَّ ٱلثَّائِبَاتِ لَهَا عَنْفُ
خَلَعْتُ عِذَارِي ثُمَّ جِئْتُكَ عَامِدًا ... بِعُذْرِي فَإِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي فَمَنْ يَعْفُو
وَأَنْتَ غِيَاثِي عِنْدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... وَكَهْفٌ إِذَا لَمْ يَبْقَ بَيْنَ ٱلْوَرَى كَهْفُ

١١ ومن قصيدة لهُ في الدعاء

لَكَ ٱلْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا أَنْتَ أَهْلُهُ ... عَلَى كُلِّ حَالٍ يَشْمُلُ ٱلسِّرَّ وَٱلْجَهْرَا
إِلٰهِي تَعَمَّدْنِي بِرَحْمَتِكَ ٱلَّتِي ... وَسِعْتَ وَأَوْسَعْتَ ٱلْبَرَايَا بِهَا بِرَّا
وَقَوِّ بِرَوْحٍ مِنْكَ ضُعْفِي وَهِمَّتِي ... عَلَى ٱلْفَقْرِ وَٱغْفِرْ زَلَّتِي وَٱقْبَلِ ٱلْعُذْرَا
وَصُنْ مَاءَ وَجْهِي فَٱلسُّؤَالُ مَذَلَّةٌ ... وَعَنْ جَوْرِ دَهْرٍ لَمْ يَزَلْ حُلْوُهُ مُرَّا
وَلَاطِفْ أُطَيْفَالِي وَإِخْوَتَهُمْ فَقَدْ ... رَمَتْهُمْ خُطُوبٌ مَا أَطَاقُوا لَهَا صَبْرَا
وَهُمْ يَأْلَفُونَ ٱلْخَيْرَ وَٱلْخَيْرُ وَاسِعٌ ... لَدَيْكَ وَلَا وَٱللهِ مَا عَرَفُوا شَرَّا
رَبَوْا فِي رُبَى رَوْضِ ٱلنَّعِيمِ وَظِلِّهِ ... فَجَدِّدْ لَهُمْ مِنْ جُودِكَ ٱلنِّعْمَةَ ٱلْخَضْرَا
وَبَعْدَ حَيَاتِي فِي رِضَاكَ تَوَفَّنِي ... عَلَى ٱلْمِلَّةِ ٱلْبَيْضَاءِ وَٱلسُّنَّةِ ٱلزَّهْرَا
وَفِي ٱلْقَبْرِ آنِسْ وَحْشَتِي عِنْدَ وَحْدَتِي ... فَإِنَّ نَزِيلَ ٱلْقَبْرِ يَسْتَوْحِشُ ٱلْقَبْرَا
وَإِنْ ضَاقَ أَهْلَ ٱلْحَشْرِ ذَرْعًا لِمَوْقِفٍ ... بِهِ ٱلْكُتْبُ تُعْطَى بِٱلْيَمِينِ وَبِٱلْيُسْرَى
فَقُلْ فُزْتَ يَا عَبْدَ ٱلرَّحِيمِ بِرَحْمَتِي ... وَمَغْفِرَتِي لَا تَخْشَ بُؤْسًا وَلَا ضُرَّا

١٢ ولهُ في الدعاء ايضًا

مُقِيلَ ٱلْعَاثِرِينَ أَقِلْ عِثَارِي ... وَخُذْ لِي مِنْ بَنِي زَمَنِي بِثَارِي

وَجَمِّلْنِي بِعَافِيَةٍ وَعَفْوٍ ... مِنَ ٱلْأَمْرَاضِ وَٱلْعِلَلِ ٱلطَّوَارِي
وَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَاءَ وَٱنْظُرْ ... إِلَيَّ بِرَحْمَةٍ نَظَرَ ٱخْتِيَارِ
فَقَدْ هَتَكُوا حِمَايَ وَعَانَدُونِي ... عَلَى نِعَمٍ تَدِرُّ عَلَى دِيَارِي
وَإِنَّ تَضَرُّرِي وَعَنَايَ مِنْهُمْ ... نَظِيرُ تَذَلُّلِي لَكَ وَٱفْتِقَارِي
فَإِنْ يَخْسَرْ بِسُوقِهِمِ ٱتِّجَارِي ... فَفَضْلُكَ سُوقُ أَرْبَاحِ ٱلتِّجَارِ
وَإِنْ يَكُ عَقَّنِي صَحْبِي وَجَارِي ... فَجُودُكَ بِٱلَّذِي أَرْجُوهُ جَارِي
فَأَنْتَ بَنَيْتَهَا سَبْعًا شِدَادًا ... يُزَيِّنُ جَوَّهَا شُهْبٌ سَوَارِي
وَمَهَّدْتَ ٱلْأَرَاضِيَ مِنْ نُجُودٍ ... وَغَوْرٍ أَوْ عِمَارٍ أَوْ قِفَارِ
وَسَخَّرْتَ ٱلْبِحَارَ ٱلسَّبْعَ تَجْرِي ... بِهَا ٱلْأَفْلَاكُ مِنْ غَادٍ وَسَارِ
سَخَرْتَ ٱلشَّمْسَ خَلْفَ ٱلْبَدْرِ تَسْعَى ... كَسَعْيِ ٱللَّيْلِ فِي طَرَفِ ٱلنَّهَارِ
وَتُمْسِكُ فِي ٱلْهَوَاءِ ٱلطَّيْرَ بَسْطًا ... وَقَبْضًا فِي رَوَاحٍ وَٱبْتِكَارِ
وَتَكْفُلُ كُلَّ وَحْشٍ فِي ٱلْبَرَارِي ... وَتَرْزُقُ كُلَّ حُوتٍ فِي ٱلْبِحَارِ
إِلٰهِي عَافِنِي وَأَصِحَّ جِسْمِي ... وَصِلْ وَٱقْبَلْ بِرَحْمَتِكَ ٱعْتِذَارِي
وَطَهِّرْ قَالَبِي وَتَغَشَّ قَلْبِي ... بِأَنْوَارِ ٱلسَّكِينَةِ وَٱلْوَقَارِ
وَإِنْ كَرَّرْتُ مَسْئَلَتِي فَكَمْ لِي ... إِلَى كَرَمٍ يَفِيضُ بِلَا ٱنْحِصَارِ
فَتَحْتَ يَدَيْ أُطَيْفَالٍ صِغَارٍ ... فَهَبْنِي لِلْأُطَيْفَالِ ٱلصِّغَارِ
أُجَاهِدُ فِيكَ مُحْتَسِبًا عَلَيْهِمْ ... وَأَبْذُلُ فِيكَ جَهْدِي وَٱقْتِدَارِي
وَتَيْسِيرُ ٱلْأُمُورِ عَلَيْكَ دُونِي ... فَفَرِّجْ هَمَّ عُسْرِي بِٱلْيَسَارِ

أَلْبَابُ الثَّانِي
فِي الْخُطَبِ وَالْمَوَاعِظِ

نخبة من كتاب اطباق الذهب لعبد المؤمن المغربي الاصبهاني

المقالة الاولى

١٣ يَا أَرْبَابَ الْقُوَّةِ وَالطَّاقَةِ . انْظُرُوا بِعَيْنِ الْإِفَاقَةِ . إِلَى أَهْلِ الْفَاقَةِ . وَيَا رُكْبَانَ النَّاقَةِ . رِفْقًا بِضُعَفَاءِ السَّاقَةِ . وَيَا حَمَلَةَ الْأَوْزَارِ وَخَزَنَةَ الْمَالِ الْمُسْتَعَارِ . لَا تَجُرُّوا ذَيْلَ الِافْتِخَارِ عَلَى أَرْبَابِ الِافْتِقَارِ . فَقُلُوبُهُمْ خَيْرٌ مِنْ قُلُوبِكُمْ . وَمَطْلُوبُهُمْ أَعَزُّ مِنْ مَطْلُوبِكُمْ شُغْلُكُمُ التَّجَوُّلُ بِالْأَسْوَاقِ . عَنْ تَنَسُّمِ قُبُولِ الْأَشْوَاقِ . وَأَلْهَاكُمْ حُبُّ الرِّزْقِ عَنِ الرَّزَّاقِ . وَيَا عُمَّارَ الْخَرَابِ وَشُرَّابَ الشَّرَابِ لَا تَعْمُرُوا هٰذِهِ الْقَرْيَةَ الْجَلْحَاءَ . وَلَا تَسْكُنُوا هٰذِهِ الْمُهْلِكَةَ الْفَيْحَاءَ . لَا تَتَّخِذُوا الدُّنْيَا الْفَانِيَةَ سُوقًا . إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا

المقالة الثانية

١٤ إِبْنُ آدَمَ عُجِنَ مِنَ الصَّلْصَالِ . ثُمَّ تَاهَ بِشَرَائِفِ الْخِصَالِ . وَمَا دَرَى أَنَّ الْخِصَالَ الْحَمِيدَةَ مِنْ مَوَاهِبِ الرَّحْمٰنِ . لَا مِنْ مَكَاسِبِ الْإِنْسَانِ . مَا الْعَقْلُ إِلَّا عَطِيَّةٌ مِنْ عَطَايَاهُ . وَمَا النَّفْسُ إِلَّا مَطِيَّةٌ مِنْ مَطَايَاهُ . فَإِنْ شَاءَ زَمَّهَا بِزِمَامِ الْهُدَى . وَإِنْ شَاءَ تَرَكَهَا سُدًى . فَمَنْ يَسْتَطِيعُ لِنَفْسِهِ خَفْضًا أَوْ رَفْعًا . قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضُرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا

المقالة الحادية عشرة

١٥ أَلْعَاقِلُ قَصِيُّ مَرَامِي النَّظَرِ . فَسِيحُ مَوَامِي الْعِبَرِ . عَلِيُّ مَرَامِ الْخَطَرِ . يَقْرَأُ مَكْتُوبَ أَسْرَارِ الْغَدِ مِنْ عُنْوَانِ الْيَوْمِ . وَيَقْطِفُ ثِمَارَ الْغَيْبِ مِنْ صِنْوَانِ النَّوْمِ . يَرَى مَوْعُودَ اللهِ نَاجِزًا . وَمَكْنُونَهُ بَارِزًا . فَكُنْ يَقِظًا حَاذِرًا . وَمَثِّلِ الْغَيْبَ حَاضِرًا . وَإِذَا مَلَكْتَ فَاذْكُرِ الْقَادِرَ وَقُدْرَتَهُ . وَإِذَا بَغَمْتَ فَاذْكُرِ الصَّائِدَ وَفِتْرَتَهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَسَرَّاتِ الْأَيَّامِ مَقْرُونَةٌ بِالْغَمِّ . وَحَلَاوَةَ الدُّنْيَا مَعْجُونَةٌ بِالسَّمِّ . وَأَلْحِ الدَّهْرَ بِعَيْنِ الذَّكَاءِ . وَإِذَا ضَحِكْتَ فَأَجْهِشْ لِلْبُكَاءِ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَقْنَعَ مِنَ الْعُلُومِ بِالْقُشُورِ . وَمِنَ الرَّقِّ الْمَنْشُورِ بِالدَّوَائِرِ وَالْعُشُورِ . أُولٰئِكَ قَوْمٌ نَزَلُوا هٰذِهِ الثَّنِيَّةَ . وَغَفَلُوا عَنِ الْمَرْحَلَةِ الثَّانِيَةِ . وَشُغِلُوا بِالدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ . عَنِ الْقُطُوفِ الدَّانِيَةِ . فَهُمْ فِي مَهَابِطِ الْغَيِّ سَافِلُونَ . وَفِي مَبَاذِلِ الْعَيْشِ رَافِلُونَ . يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ غَافِلُونَ

المقالة الخامسة عشرة

١٦ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَسْتَطِيبُ رُكُوبَ الْأَخْطَارِ وَوُرُودَ التَّيَّارِ . وَلُحُوقَ الْعَارِ وَالشَّنَارِ لِأَجْلِ الدِّينَارِ . وَيَسْتَلِذُّ سَفَّ الرَّمَادِ وَنَقْلَ السَّمَادِ . لِأَجْلِ الْأَوْلَادِ . وَيَصْبِرُ عَلَى نَسْفِ الْجِبَالِ . وَتَجَشُّمِ الْأَهْوَالِ لِشَهْوَةِ الْمَنَالِ . يَبْذُلُ الْإِيمَانَ بِالْكُفْرِ . وَيَحْفِرُ الْجِبَالَ بِالظُّفْرِ لِلدَّنَانِيرِ الصُّفْرِ . وَيَلِجُ عَرِينَ الْأُسُودِ . لِلدَّرَاهِمِ السُّودِ . لَا يَكْرَهُ صُدَاعًا . إِذَا نَالَ كُرَاعًا . وَيَلْقَى النَّوَائِبَ بِقَلْبٍ صَابِرٍ . فِي طَاعَةِ الشَّيْخِ أَبِي جَابِرٍ . يَأْبَى الْعِزَّ

طَبِيعَةً . وَيَرَى ٱلذُّلَّ شَرِيعَةً . وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَخْتَارُ ٱلْعَفَافَ . وَيَعَافُ ٱلْإِسْفَافَ . يَدَعُ ٱلطَّعَامَ طَاوِيًا وَيَذَرُ ٱلشَّرَابَ صَادِيًا . وَيَرَى ٱلْمَالَ رَائِحًا وَغَادِيًا . يَتْرُكُ ٱلدُّنْيَا لِطُلَّابِهَا . وَيَطْرَحُ ٱلْجِيفَةَ لِكِلَابِهَا . لَا يَسْتَرْزِقُ لِئَامَ ٱلنَّاسِ . وَيَقْنَعُ بِٱلْخُبْزِ ٱلنَّاسِ . يَكْرَهُ ٱلْمَنَّ وَٱلْأَذَى . وَيَعَافُ ٱلْمَاءَ عَلَى ٱلْقَذَى . إِنْ أُثْرِيَ جَعَلَ مَوْجُودَهُ مَعْدُومًا . وَإِنْ أُقْوِيَ حَسِبَ قِفَارَهُ مَأْدُومًا . جَوْفٌ خَالٍ . وَثَوْبٌ بَالٍ . وَمَجْدٌ عَالٍ . وَثَوْبُ أَسْمَالٍ . وَرَاءَهُ عِزٌّ وَجَمَالٌ . وَعَقِبٌ مَرْزُوقٌ . وَذَيْلٌ مَفْتُوقٌ . يَجُرُّهُ فَتًى مَغْبُوقٌ

لِلّٰهِ تَحْتَ قِبَابِ ٱلْعِزِّ طَائِفَةٌ أَخْفَاهُمُ فِي رِدَاءِ ٱلْفَقْرِ إِجْلَالَا
هُمُ ٱلسَّلَاطِينُ فِي أَثْوَابِ مَسْكَنَةٍ إِسْتَعْبَدُوا مِنْ مُلُوكِ ٱلْأَرْضِ أَقْيَالَا
غُبْرُ مَلَابِسِهِمْ شُمٌّ مَعَاطِسُهُمْ جَرُّوا عَلَى قَلَلِ ٱلْخَضْرَاءِ أَذْيَالَا
هٰذِي ٱلسَّعَادَةُ لَا ثَوْبَانِ مِنْ عَدَنٍ خِيطَا قَمِيصًا فَصَارَا بَعْدُ أَسْمَالَا
تِلْكَ ٱلْمَنَاقِبُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا
هُمُ ٱلَّذِينَ جُبِلُوا أَبْرَاءً مِنَ ٱلتَّكَلُّفِ . يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ

المقالة الحادية والعشرون

١٧ يَا مَنْ يَسْعَى لِقَاعِدٍ وَيَسْهَرُ لِرَاقِدٍ . وَيَا مَنْ يَحْرُسُ لِرَاصِدٍ وَيَزْرَعُ لِحَاصِدٍ . وَيَبْخَلُ لِبَاذِلٍ . وَيَجْمَعُ لِآكِلٍ . تَبْنِي ٱلْإِيوَانَ وَعَنْ قَلِيلٍ يَنْهَدِمُ رُكْنَاكَ . وَتَبْسُطُ ٱلرِّوَاقَ وَفِي ٱلْجَدَثِ سُكْنَاكَ . قَلْبُكَ كَقُلُوبِ ٱلْكُفَّارِ وَحِرْصُكَ كَحِرْصِ ٱلْقَارِ . يَنْقُبُ بِٱلْأَظْفَارِ وَلَا يُبْقِي عَلَى ٱلْمَأْدُومِ وَٱلْقَفَارِ . قُلْ لِي إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ . وَقُرِعَتِ ٱلْقَارِعَةُ . وَأُزِفَ لَكَ

ٱلرَّحِيلُ . وَٱجْتَمَعَ ٱلطَّبِيبُ وَٱلْعَلِيلُ . وَٱخْتَلَفَ ٱلْغَسَّالُ وَٱلْغَسِيلُ . وَٱلْعَائِدُ يَغْمِزُ عَيْنَيْهِ وَٱلطَّبِيبُ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ . حَتَّى إِذَا ٱنْقَطَعَ نَفَسُكَ . وَخَفِيَ جَرْسُكَ . أَيَنْفَعُكَ حِينَئِذٍ حَلَالٌ أَصَبْتَهُ . أَمْ حَرَامٌ غَصَبْتَهُ . أَمْ نَشَبٌ حَرَثْتَهُ . أَوْ وَلَدٌ حَضَنْتَهُ أَوْ رَبْعٌ أَسَسْتَهُ أَوْ نَبْعٌ غَرَسْتَهُ . أَوْ حُطَامٌ حَرَسْتَهُ أَوْ قِفْرٌ حَرَثْتَهُ . أَوْ وَفْرٌ أَوْرَثْتَهُ . كَلَّا لَا يَنْفَعُكَ فِيهِ قَدْ غَنِمْتَهُ . وَلَا يَضُرُّكَ شَيْءٌ عَدِمْتَهُ . وَلَا يُنْجِيكَ إِلَّا خَيْرٌ أَمْضَيْتَهُ . أَوْ خَصْمٌ أَرْضَيْتَهُ . فَأَنْتَبِهْ يَا نَائِمُ . وَٱسْتَقِمْ يَا هَائِمُ . لَقَدْ تِهْتَ فِي بَادِيَةٍ لَا يَبْلُغُكَ نِدَائِي . وَتَرَدَّيْتَ فِي هَاوِيَةٍ لَا يَبْلُغُهَا دِدَائِي . تَعِسَ هَوَاؤُكَ وَسَيُصْحِي . حِينَ لَا يَنْفَعُكَ نُصْحِي . وَلَا تَعْصِ ٱللّٰهَ فِي أَوْلَادِ سَوْءٍ إِذَا حَضَرَكَ ٱلْمَوْتُ غَابُوا . وَمَا حَزِنُوا لَمَّا أُصِيبُوا بَلْ فَرِحُوا بِمَا أَصَابُوا . وَإِنْ تَدْعُهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكَ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا

من ديوان خطب الامام ابرهيم بن بدوي النحّاس

الخطبة الاولى لشهر محرّم

١٨ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ قَسَّمَ ٱلزَّمَانَ أَعْوَامًا . وَقَسَّمَ ٱلْأَعْوَامَ شُهُورًا وَأَيَّامًا . عَلَى مَا ٱقْتَضَتْهُ ٱلْحِكْمَةُ وَٱلتَّدْبِيرُ . وَٱفْتَتَحَ كُلَّ عَامٍ بِشَهْرِهِ ٱلْمُحَرَّمِ . وَجَعَلَهُ بِيَوْمِ عَاشُورَاءَ ٱلْمُجَلَّلِ ٱلْمُعَظَّمِ . ٱلَّذِي فَضْلُهُ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَٱلْإِسْلَامِ شَهِيرٌ . أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَسْتَعِيذُ بِهِ وَأَسْتَجِيرُ . أَمَّا بَعْدُ فَيَا عِبَادَ ٱللّٰهِ هٰذَا عَامٌ جَدِيدٌ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ فَأَكْرِمُوا نُزُلَهُ . وَحُلَّ فِيكُمْ بِجَلَالِ ٱلْإِيقَاظِ فَٱلْبَسُوا حُلَلَهُ . فَإِنَّهُ لَكُمْ

مُوقِظٌ وَنَذِيرٌ. مَا مِنْ يَوْمٍ يَمُرُّ إِلَّا وَهُوَ يُنَادِيكُمْ بِلِسَانِ حَالِهِ. هَا أَنَا مُؤْذِنُ كُلَّ رَاحِلٍ بِقُرْبِ ارْتِحَالِهِ. فَلْيَتَأَهَّبْ لِلْمَسِيرِ. إِلَى دَارِ الْمَصِيرِ. يَا أَيُّهَا الْمَسْرُورُ بِتَجْدِيدِ الْأَعْوَامِ. الْمَغْرُورُ بِقُدُومِ الْأَهِلَّةِ وَتَتَابُعِ الْأَيَّامِ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهَا تُقَصِّرُ عُمُرَكَ الْقَصِيرَ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ تَتَابُعَ الْمَلَوَيْنِ. وَتَعَاقُبَ النَّيِّرَيْنِ. لَمْ يُبْقِيَا مِنْ عُمُرِكَ إِلَّا الْيَسِيرَ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فِي تَصَرُّمِ الْأَيَّامِ بِالْغَفْلَةِ وَالْمَنَامِ أَشَدَّ حِرْمَانٍ وَتَحْسِيرٍ. أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فِي انْقِرَاضِ الْأَعْمَارِ بِمُرُورِ الدُّهُورِ وَالْأَعْصَارِ أَعْظَمَ عِبْرَةٍ وَتَذْكِيرٍ. أَتَظُنُّ أَنَّ غَيْرَكَ الرَّاحِلَ عَنِ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْمُقِيمُ. أَوْ أَنَّ مَنْ أَخَذَ غَيْرَكَ يَتْرُكُكَ فِي كُلِّ وَادٍ تَهِيمُ. لَا وَاللهِ بَلْ لَا بُدَّ يَوْمًا أَنْ تُسْلَكَ فِي سِلْكِهِمْ وَيَلْتَحِقَ النَّظِيرُ بِالنَّظِيرِ. فَانْتَبِهْ يَا مِسْكِينُ فَالدُّنْيَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ. وَدَارُ الْفَنَاءِ لَا تَصْلُحُ لِلْمَقَامِ. وَكَأَنَّكَ بِهَا وَقَدْ كَسَفَ بَدْرَهَا الْمُنِيرُ وَاعْتَبِرْ بِغَيْرِكَ فَالْعَاقِلُ مَنْ بِغَيْرِهِ اعْتَبَرَ. وَتَزَوَّدْ مِنَ التَّقْوَى لِطُولِ السَّفَرِ. فَإِنَّهُ وَاللهِ سَفَرٌ خَطِيرٌ وَذَرِ الْمَحَارِمَ وَقُمْ عَلَى أَقْوَمِ سَنَنٍ. وَشَمِّرْ عَنْ سَاعِدِ الْجِدِّ فِي أَدَاءِ الْفَرَائِضِ وَالسُّنَنِ. وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ وَالتَّقْصِيرَ وَقَدِّمْ صَالِحَ الْأَعْمَالِ بَيْنَ يَدَيْكَ. وَاجْعَلِ الْمَوْتَ دَائِمًا نُصْبَ عَيْنَيْكَ. وَلَا تَنْسَهُ فَإِنْسِيَانُهُ ضَلَالٌ كَبِيرٌ. وَاعْبُدِ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ أَوْ يَرَاكَ. وَإِيَّاكَ إِيَّاكَ وَأَنْ يَرَاكَ حَيْثُ نَهَاكَ. فَيَشْتَدُّ عَلَيْكَ النَّكِيرُ. وَهُوَ وَإِنِ اسْتَتَرْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْكَ. وَأَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ. أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا. وَمَا يَنْزِلُ

مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ عَنْهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ

خطبة لشهر صفر

١٩ أَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي عَمَّ الْوُجُودَ بِرَحْمَتِهِ. وَأَفَاضَ عَلَى كُلِّ مَوْجُودٍ سِجَالَ نِعْمَتِهِ. وَغَمَرَ الْأَنَامَ. بِبَحْرِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ الْمُتَلَاطِمِ. سُبْحَانَهُ لَا نُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْهِ. إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ مِنْهُ وَإِلَيْهِ. لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَحْكَمُ حَاكِمٍ وَأَرْحَمُ رَاحِمٍ. أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَأَشْكُرُهُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ مِنْ جَمِيعِ الذُّنُوبِ وَالْمَآثِمِ. أَمَّا بَعْدُ فَيَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا أَجْهَلَكَ بِنِعَمِ مَوْلَاكَ وَأَنْسَاكَ. مَعَ أَنَّكَ غَرِيقٌ فِي لُجَجِ بَحْرِهَا مُذْ أَوْجَدَكَ وَأَنْشَاكَ. وَلَوْ تَدَبَّرْتَ الْوُجُودَ لَرَأَيْتَهُ سَاعِيًا فِي مَصَالِحِكَ كَالْخَادِمِ. أَخْرَجَكَ مِنْ خِسَّةِ الْعَدَمِ إِلَى شَرَفِ الْوُجُودِ. وَغَمَرَكَ فِي تَيَّارِ بِحَارِ الْفَضْلِ وَالْجُودِ. وَأَنْتَ تَعْلَمُ ذَلِكَ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالْيَقِينِ الْجَازِمِ. ثُمَّ مَا زَالَ يُرَبِّيكَ وَيُحْسِنُ إِلَيْكَ بِرِزْقِهِ الْمُتَزَايِدِ. وَأَنْتَ تَشْكُوهُ لِخَلْقِهِ شِكَايَةَ الْمُضْطَرِّ الْفَاقِدِ. كَأَنَّكَ مِنْ وِرْدِ مَنْهَلِهَا غَيْرُ شَرِيبٍ أَوْ أَنْتَ لَهَا عَادِمٌ. وَالْعَجَبُ أَنَّكَ تَعُدُّ النِّقَمَ وَالْمِحَنَ. وَتَنْسَى مَا لِلهِ عَلَيْكَ مِنَ النِّعَمِ وَالْمِنَنِ. وَرُبَّمَا كَانَتِ الْمِحْنَةُ مِنَّةً عِنْدَ الْفَهِيمِ الْعَالِمِ. كَمْ فِي الْفَقْرِ مِنْ أَجْرٍ وَكَمْ فِي الضُّرِّ مِنْ تَكْفِيرِ وِزْرٍ. فَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ بَلْ عَدْلٌ فِي كُلِّ مَا هُوَ بِهِ حَاكِمٌ. فَأَدِيمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ شُكْرَ الْمُنْعِمِ بِخَالِصِ التَّقْوَى وَصَالِحِ الْعِبَادَةِ. وَأَحْسِنُوا فَإِنَّ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةً.

وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ

(من ديوان خطب الشيخ زكريا الانصاري)

خطبة لربيع الآخر

٢٠ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي عَزَّتْ مَعْرِفَتُهُ فَلَا يُدْرَكُ بِالْمَعْقُولِ خَافِيهَا. وَجَلَّتْ صِفَتُهُ فَلَا يَتَكَدَّرُ بِالْمَنْقُولِ صَافِيهَا. وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ فَلَا يُرَدُّ حُكْمُ قَاضِيهَا. وَدَامَتْ أَزَلِيَّتُهُ فَمَنْ ذَا يُضَاهِيهَا. أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي لَا يُمْكِنُ تَنَاهِيهَا. أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَدْرِكُوا مَا فَاتَ مِنْ أَعْمَارِكُمْ بِالتَّوْبَةِ فَالدُّنْيَا كَمِثْلِ الْمَنَامِ. وَحَصِّلُوا التَّوْبَةَ فَقَدْ قَرُبَ الرَّحِيلُ وَالِانْصِرَامُ. فَمَا أَسْعَدَ مَنْ بَادَرَ بَقِيَّةَ عُمْرِهِ بِالِاغْتِنَامِ. وَمَا أَحْسَنَ مَنْ دَعَاهُ مَوْلَاهُ فَأَجَابَهُ بِالذُّلِّ وَالِاحْتِشَامِ. وَمَا أَبْرَكَ مَنْ خَلَعَ عَلَيْهِ خِلَعَ الْقَبُولِ وَالْإِنْعَامِ. وَمَا أَشْقَى مَنْ ذَهَبَتْ فِي الْبَطَالَةِ شُهُورُهُ وَالْأَيَّامُ. وَكَتَبَ عَلَيْهِ الْمَلَكَانِ الْقَبَائِحَ وَالْآثَامَ. وَمَا أَقْسَى قَلْبَ مَنْ عَصَى الْمَلِكَ الْعَلَّامَ. يَسْمَعُ الْمَوَاعِظَ فَكَأَنَّهَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ. وَتَمْضِي عَلَيْهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ. وَهُوَ مُصِرٌّ عَلَى الْآثَامِ. وَيَطْمَعُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ وَقَدْ ضُرِبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا بِسُورٍ لَهُ بَابٌ. وَيَتَصَنَّعُ بِعِمَارَةِ ظَاهِرِهِ وَبَاطِنُهُ خَرَابٌ. وَيَتَعَفَّفُ عَنِ الْقَلِيلِ وَهُوَ لِلْكَثِيرِ نَهَّابٌ. فَمَا عُذْرُ هٰذَا إِذَا اجْتَمَعَتِ الْخَلَائِقُ. وَتَحَقَّقَتِ الْحَقَائِقُ. وَوُزِنَتِ الْأَعْمَالُ بِالدَّقَائِقِ. وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا شَهِيدٌ وَسَائِقٌ. وَوُضِعَ الْكِتَابُ. وَنُوقِشَ الْحِسَابُ. وَلَمْ يَدْرِ

مَا الْجَوَابُ. وَأَحَاطَتْ بِهِ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ. يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ عَمِلَهَا. وَتُسْأَلُ عَنْ قَوْلِهَا وَفِعْلِهَا. يَوْمَ يُسْأَلُ الْعَالِمُونَ عَنْ عِلْمِهِمْ. وَالْحَاكِمُونَ عَنْ حُكْمِهِمْ. يَوْمَ تَظْهَرُ الْأَسْرَارُ. وَتَنْكَشِفُ الْأَسْتَارُ. وَيَتَجَلَّى الْمَلِكُ الْجَبَّارُ. فَكَيْفَ تَعْصُونَ اللهَ وَقَدْ أَقْرَرْتُمْ بِرُبُوبِيَّتِهِ. وَكَيْفَ تَسْخَطُونَهُ وَقَدْ عَلِمْتُمْ كَمَالَ عَظَمَتِهِ. فَيَا عِبَادَ اللهِ أَطِيعُوا اللهَ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَعْطِفْ عَلَيْكُمُ الْقُلُوبَ. وَاجْتَنِبُوا مَعَاصِيَ اللهِ فَالْوَعِيدُ غَيْرُ مَكْذُوبٍ

خطبة له لجمادى الاولى

٢١ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ مُظْهِرِ الْحَمْدِ وَمُبْدِيهِ. وَمُنْجِزِ الْوَعْدِ وَمُوفِيهِ. وَمُسْعِدِ الْعَبْدِ وَمُشْقِيهِ. وَمُرْسِلِ السَّحَابِ وَمُنْشِيهِ. الَّذِي يُجِيبُ دَعْوَةَ دَاعِيهِ. وَيَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَاصِي وَإِنْ كَثُرَتْ مَعَاصِيهِ. أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَمْدًا يُوَافِي إِنْعَامَهُ وَيُكَافِيهِ. أَيُّهَا النَّاسُ دَارِكُوا مَا فَرَطَ مِنْ أَيَّامِ الْبَطَالَةِ. فَسَيَلْقَى كُلُّ عَامِلٍ مِنْكُمْ أَعْمَالَهُ. يَوْمَ يَسْتَقِيلُ فَلَا يُجَابُ إِلَى الْإِقَالَةِ. يَعَضُّ أَنَامِلَهُ عَلَى الضَّلَالَةِ. يَوْمَ تُحْشَرُ فِيهِ لِلْعَرْضِ. عَلَى دَيَّانِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. يَوْمَ تَزْدَحِمُ فِيهِ الْخَلَائِقُ قَوِيًّا وَضَعِيفًا. وَدَنِيًّا وَشَرِيفًا. وَيَصِيرُ عَلَى كُلِّ قَدَمٍ أَلْفُ قَدَمٍ فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ عَنْ نَفْسِهِ دَفْعًا وَلَا تَخْفِيفًا. وَتُنْشَرُ الدَّوَاوِينُ. وَتَطِيرُ الصُّحُفُ وَتُنْصَبُ الْمَوَازِينُ. وَالْمَلَائِكَةُ قَدْ حَفُّوا بِالْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ. وَقَدْ خَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمٰنِ. وَقَدْ تَجَلَّى الْمَلِكُ الدَّيَّانُ. هُنَالِكَ تَشِيبُ الْأَطْفَالُ. وَتُوضَعُ فِي الْأَعْنَاقِ الْأَغْلَالُ. وَيُقَادُ الْمُجْرِمُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَأَهْلُ الضَّلَالِ. فَهٰذَا مَأْخُوذٌ

بناصيته. وهذا مسحوب على جبهته ووجهه وهذا قد سامحه ربّه ونجّاه. وهذا يقول وافضيحتاه واسوءتاه. وهذا ألف غشّ في الحساب. وهذا يدعو فلا يجاب. وهذا رحمه الملك التوّاب. وهذا قرّبه ربّ الأرباب. وهذا أبعده وانقطعت عنه الأسباب. فكيف حال العاصي قليل الأعمال. كثير الجهل والضلال. في هذا اليوم الشديد النكال. الكثير الأهوال. فيا عباد الله توبوا إلى الله وقدّموا الأعمال الصالحات. وأقلعوا عن الذنوب والسيّئات. والتبسوا بين يدي الله تكريمًا وتشريفًا. ولا تتّبعوا كيد الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفًا

نخبة من ديوان خطب ابن نُباتة

خطبة لشهر صفر

٢٢ الحمد لله الرقيب على عباده. القريب من أهل صحبته ووداده. القاهر من حاربه من عباده. القامع من نازعه ودافعه عن مراده. أحمده سبحانه وتعالى على ما أولانا من مننه وإمداده. إبن آدم كم لله عليك من نعمة أنت لها كاتم. وكم له لديك من نقمة أنت مع موجدتها كاظم. لو تفكّرت في أحوالها لرأيتها مشحونة بالعظائم. ولو تدبّرت في الوجود لرأيته ساعيًا في مصالحك كالخادم. فواعجبًا تعدّ النقم. وتنسى النعم. وربّما كانت النقمة نعمة عند فهم الذكيّ العاقل العالم. كم في الفقر من أجر وكم في الضرّ من تكفير سيّئة ودفع مأثم. فما ربّك بظلّام للعبيد بل هو عادل في كلّ ما هو به حاكم. فيا مشغولًا

بالإعراض عن مولاك أفق فإنّك في الحساب غالط وفي دعواك ظالم. إن أحرمك مرّة فكم من مرّة أعطاك. وإن أسقمك يومًا فكم من أيّام عافاك. فوالله لولا رحمته ما دفع عنك المآلم. ولا أوصل إليك المكارم. كم عاملك ربّك بالإحسان. مع مقابلتك بالعصيان. وهو مطّلع عليك وعالم. فكيف إذا عبدته بالأركان. ومجّدته باللسان. ووحّدته بالجنان. وكنت في محبّته كالهائم. فوالله ما عزّ شيء إلّا وهان. ولا تمّ أمر إلّا وأخذ في النقصان. وما أطاعه عبد مع الإخلاص إلّا وغمره ببحر جوده المتلاطم

وله من خطبة في الصلاة

٢٣ تارك الصلاة إذا وضع في قبره وأهيل عليه التراب بالمسحاة يخاطبه القبر بلسان فصيح وألفاظ معربات. لا أهلًا بك ولا سهلًا يا من ضيّع في الدنيا حقوق ربّ المخلوقات. يا طول ما مشيت على ظهري وتركت الصلوات. وسهوت عنها بالشهوات واللذّات. اليوم تنظر مني عذابًا لا تطيقه الجبال الراسيات. فيضمّه القبر ضمّة واحدة. فتصير أضلاعه مختلفات. فاتّقوا الله حقّ تقواه في جميع الأوقات

وله من غيرها

٢٤ أيّها الناس قرب الرحيل وأنتم عن الطاعة غافلون. وانقضت الآجال وأنتم على المعاصي عاكفون. وترادفت الأهوال وأنتم في طغيانكم تعمهون. فهل أنتم على ثقة من الحياة والقرار. أم بينكم وبين

ٱللهِ عَهْدٌ عَلَى ٱلْبَقَاءِ فِي هٰذِهِ ٱلدَّارِ . كَلَّا وَٱللهِ إِنَّكُمْ مِنْهَا رَاحِلُونَ وَلِنَعِيمِهَا مُفَارِقُونَ أَمَا تَعْتَبِرُونَ بِمَنْ مَضَى مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ . أَمَا تَخَافُونَ مِنَ ٱلْعَرْضِ عَلَى رَبِّ ٱلسَّمَاوَاتِ . أَمَا تَرَوْنَ أَهْوَالَ ٱلْقِيَامَةِ وَقَدْ تَوَارَدَتْ . أَمَا تَرَوْنَ ٱلْقُلُوبَ مِنَ ٱلْحَسَدِ عَنْ بَعْضِهَا تَنَافَرَتْ . أَمَا تَرَوْنَ ٱلْفَوَاحِشَ وَقَدْ أَصْبَحَتْ ظَاهِرَةً . أَمَا تَرَوْنَ ٱلْهِمَمَ عَنِ ٱلْخَيْرَاتِ قَاصِرَةً . أَمَا تَرَوْنَ أَنَّ ٱلْبِدَعَ قَدْ كَثُرَتْ وَعَمَّتْ . أَمَا تَرَوْنَ ٱلْفِتَنَ غَلَبَتْ وَطَمَّتْ . أَمَا تَرَوْنَ ٱلْأَمَانَةَ قَدْ ذَهَبَتْ وَضَاعَتْ . أَمَا تَرَوْنَ ٱلْخِيَانَةَ قَدْ كَثُرَتْ وَشَاعَتْ . فَكَأَنِّي بِكُمْ وَقَدْ طَرَقَكُمْ طَارِقُ ٱلْمَنُونِ . وَأَخَذَكُمْ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ . فَتَنَبَّهُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ قَبْلَ هُجُومِ ٱلْمَوْتِ . وَتَزَوَّدُوا لِآخِرَتِكُمْ قَبْلَ ٱلْفَوْتِ . قَبْلَ ٱلْعَرْضِ عَلَى ٱلْمَلِكِ ٱلْجَبَّارِ . قَبْلَ كَشْفِ ٱلْأَسْرَارِ . قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِصَاصِ . قَبْلَ تَعَذُّرِ ٱلْخَلَاصِ . قَبْلَ دُنُوِّ ٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلرُّؤُوسِ . قَبْلَ هَلَاكِ ٱلْأَرْوَاحِ وَٱلنُّفُوسِ

خطبة لابن رندقة الطرطوشي

٢٥ يَا أَيُّهَا ٱلرَّجُلُ (وَكُلُّنَا ذٰلِكَ ٱلرَّجُلُ) أَلْقِ إِلَيَّ سَمْعَكَ وَأَعِرْنِي لُبَّكَ فَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي مَتَى ٱلْمَوْتُ فَٱعْلَمْ بِأَنَّكَ لَا تَبْقَى إِلَى آخِرِ ٱلدَّهْرِ

أَيْنَ آدَمُ أَبُو ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ . أَيْنَ إِبْرٰهِيمُ خَلِيلُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ . أَيْنَ ٱلْأُمَمُ ٱلْمَاضِيَةُ . أَيْنَ ٱلْمُلُوكُ ٱلسَّالِفَةُ أَيْنَ ٱلْقُرُونُ ٱلْخَالِيَةُ . أَيْنَ ٱلَّذِينَ نُصِبَتْ عَلَى مَفَارِقِهِمِ ٱلتِّيجَانُ . أَيْنَ ٱلَّذِينَ ٱعْتَزُّوا بِٱلْأَجْنَادِ وَٱلسُّلْطَانِ . أَيْنَ أَصْحَابُ ٱلسُّطُوَةِ وَٱلْوِلَايَاتِ . أَيْنَ ٱلَّذِينَ خَفَقَتْ عَلَى رُؤُوسِهِمُ ٱلْأَلْوِيَةُ

وَٱلرَّايَاتُ . أَيْنَ ٱلَّذِينَ قَادُوا ٱلْجُيُوشَ وَٱلْعَسَاكِرَ . أَيْنَ ٱلَّذِينَ عَمَرُوا ٱلْقُصُورَ وَٱلدَّسَاكِرَ . أَيْنَ ٱلَّذِينَ أَعْطُوا ٱلنَّصْرَ فِي مَوَاطِنِ ٱلْحُرُوبِ وَٱلْمَوَاقِفِ . أَيْنَ ٱلَّذِينَ ٱقْتَحَمُوا ٱلْمَخَاطِرَ وَٱلْمَخَاوِفَ . أَيْنَ ٱلَّذِينَ دَانَتْ لَهُمُ ٱلْمَشَارِقُ وَٱلْمَغَارِبُ . أَيْنَ ٱلَّذِينَ تَمَتَّعُوا فِي ٱللَّذَّاتِ وَٱلْمَآرِبِ . أَيْنَ ٱلَّذِينَ تَاهُوا عَلَى ٱلْخَلَائِقِ كِبْرًا وَعُتِيًّا . أَيْنَ ٱلَّذِينَ رَاحُوا فِي ٱلْحُلَلِ بُكْرَةً وَعَشِيًّا . أَيْنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَلَانُوا ٱلْمَلَابِسَ أَثَاثًا وَرِئْيًا . وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَاثًا وَرِئْيًا . أَيْنَ ٱلَّذِينَ مَلَأُوا مَا بَيْنَ ٱلْخَافِقَيْنِ عِزًّا . أَيْنَ ٱلَّذِينَ فَرَشُوا ٱلْقُصُورَ خَزًّا وَقَزًّا . أَيْنَ ٱلَّذِينَ تَضَعْضَعَتْ لَهُمُ ٱلْأَرْضُ هَيْبَةً وَهَزًّا . أَيْنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَذَلُّوا ٱلْعِبَادَ قَهْرًا وَلَزًّا . هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا . أَفْنَاهُمْ وَٱللهِ مُفْنِي ٱلْأُمَمِ . وَأَبَادَهُمْ مُبِيدُ ٱلرِّمَمِ . وَأَخْرَجَهُمْ مِنْ سَعَةِ ٱلْقُصُورِ . وَأَسْكَنَهُمْ فِي ضَنْكِ ٱلْقُبُورِ . تَحْتَ ٱلْجَنَادِلِ وَٱلصُّخُورِ . فَأَصْبَحُوا لَا تُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ فَعَاثَ ٱلدُّودُ فِي أَجْسَامِهِمْ . وَٱتَّخَذَ مَقِيلًا فِي أَبْدَانِهِمْ . فَسَالَتِ ٱلْعُيُونُ عَلَى ٱلْخُدُودِ . وَٱمْتَلَأَتْ تِلْكَ ٱلْأَفْوَاهُ بِٱلدُّودِ . وَتَسَاقَطَتِ ٱلْأَعْضَاءُ وَتَمَزَّقَتِ ٱلْجُلُودُ . فَلَمْ يَنْفَعْهُمْ مَا جَمَعُوا وَلَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا . أَسْلَمَكَ ٱلْأَحِبَّةُ وَٱلْأَوْلِيَاءُ . وَهَجَرَكَ ٱلْإِخْوَانُ وَٱلْأَصْفِيَاءُ . وَنَسِيَكَ ٱلْقُرَبَاءُ وَٱلْبُعَدَاءُ . فَأُنْسِيتَ وَلَوْ نَطَقْتَ لَأَنْشَدْتَ قَوْلَنَا عَنْ سُكَّانِ ٱلثَّرَى . وَرَهَائِنِ ٱلتُّرْبِ وَٱلْبِلَى :

مُقِيمٌ بِٱلْمَحُونِ رَهِينَ رَمْسٍ ... وَأَهْلِي رَائِحُونَ بِكُلِّ وَادِ

كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ لَهُمُ حَبِيبًا ... وَلَا كَانُوا ٱلْأَحِبَّةَ فِي ٱلسَّوَادِ

فَعُوجُوا بِالسَّلَامِ فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَأَوْمُوا بِالسَّلَامِ عَلَى بِعَادِ
فَإِنْ طَالَ الْمَدَى وَصَفَا خَلِيلٌ سِوَانَا فَاذْكُرُوا صَفْوَ الْوِدَادِ
وَذَاكَ أَقَلُّ مَا لَكَ مِنْ حَبِيبٍ وَآخِرُهُ إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ
فَلَوْ أَنَّا بِمَوْقِفِكُمْ وَقَفْنَا سَقَيْنَا التُّرْبَ مِنْ مُهَجِ الْفُؤَادِ

ولهُ ايضًا

٢٦ (يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ) اعْتَبِرْ بِمَنْ مَضَى مِنَ الْمُلُوكِ وَالْأَقْيَالِ. وَخَلَا مِنَ الْأُمَمِ وَالْأَجْيَالِ. وَكَيْفَ بُسِطَتْ لَهُمُ الدُّنْيَا وَأَنِسَتْ لَهُمُ الْآجَالُ. وَأُفْسِحَ لَهُمْ فِي الْمُنَى وَالْآمَالِ. وَأُمِدُّوا بِالْآلَاتِ وَالْعُدَدِ وَالْأَمْوَالِ. كَيْفَ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْمَنُونُ. وَاخْتَدَعَهُمْ بِزُخْرُفِهِ الدَّهْرُ الْخَؤُونُ. وَأَسْكَنُوا بَعْدَ سَعَةِ الْقُصُورِ. بَيْنَ الْجَنَادِلِ وَالصُّخُورِ. وَعَادَ الْعَيْنُ أَثَرًا. وَالْمُلْكُ خَبَرًا. فَأَمَّا الْيَوْمَ فَقَدْ ذَهَبَ صَفْوُ الزَّمَانِ وَبَقِيَ كَدَرُهُ. فَالْمَوْتُ تُحْفَةٌ لِكُلِّ مَرْءٍ كَأَنَّ الْخَيْرَ أَصْبَحَ خَامِلًا وَالشَّرَّ أَصْبَحَ نَاضِرًا. وَكَأَنَّ الْغَيَّ أَصْبَحَ ضَاحِكًا وَأَدْبَرَ الرُّشْدُ بَاكِيًا. وَكَأَنَّ الْعَدْلَ أَصْبَحَ غَائِرًا وَأَصْبَحَ الْجَوْرُ عَالِيًا. وَكَأَنَّ الْعِلْمَ أَصْبَحَ مَدْفُونًا وَالْجَهْلَ مَنْشُورًا. وَكَأَنَّ اللُّؤْمَ أَصْبَحَ بَاسِقًا وَالْكَرَمَ ذَاوِيًا. وَكَأَنَّ الْوُدَّ أَصْبَحَ مَقْطُوعًا وَالْبُغْضَ مَوْصُولًا. وَكَأَنَّ الْكَرَامَةَ قَدْ سُلِبَتْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَنُوجِيَ بِهَا الْأَشْرَارُ. وَكَأَنَّ الْخُبْثَ أَصْبَحَ مُسْتَيْقِظًا وَالْوَفَاءَ نَائِمًا. وَكَأَنَّ الْكَذِبَ أَصْبَحَ مُثْمِرًا وَالصِّدْقَ قَاحِلًا. وَكَأَنَّ الْأَشْرَارَ أَصْبَحُوا يُسَامُونَ السَّمَاءَ وَأَصْبَحَ الْأَخْيَارُ يَرِدُونَ بَطْنَ الْأَرْضِ. أَمَا تَرَى

الدُّنْيَا تُقْبِلُ إِقْبَالَ الطَّالِبِ. وَتُدْبِرُ إِدْبَارَ الْهَارِبِ. وَتَصِلُ وِصَالَ الْمَلُولِ. وَتُفَارِقُ فِرَاقَ الْعَجُولِ. خَيْرُهَا يَسِيرٌ. وَعَيْشُهَا قَصِيرٌ. وَإِقْبَالُهَا خَدِيعَةٌ. وَإِدْبَارُهَا فَجِيعَةٌ. وَلَذَّاتُهَا فَانِيَةٌ. وَتَبِعَاتُهَا بَاقِيَةٌ. فَاغْتَنِمْ غَفْوَةَ الزَّمَانِ. وَانْتَهِزْ فُرْصَةَ الْإِمْكَانِ. وَخُذْ مِنْ نَفْسِكَ لِنَفْسِكَ. وَتَزَوَّدْ مِنْ يَوْمِكَ لِغَدِكَ. وَلَا تُنَافِسْ أَهْلَ الدُّنْيَا فِي خَفْضِ عَيْشِهِمْ. وَلِينِ رِيشِهِمْ. وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى سُرْعَةِ ظَعْنِهِمْ وَسُوءِ مُنْقَلَبِهِمْ

من خطبة للسان الدين ابن الخطيب في ذمّ الكسل

٢٧ أَلْكَسَلُ مَزْلَقَةُ الرِّبْحِ. وَمَسْخَرَةُ الصُّبْحِ. إِذَا رَقَدَتِ النَّفْسُ فِي فِرَاشِ الْكَسَلِ اسْتَغْرَقَهَا نَوْمُ الْغَفْلَةِ. لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ. اَلنَّدَامَةُ فِي الْكَسَلِ. كَالسُّمِّ فِي الْعَسَلِ. اَلْكَسَلُ آفَةُ الصَّنَائِعِ. وَأَرَضَةٌ فِي الْبَضَائِعِ. اَلْعَجْزُ وَالْكَسَلُ. يَفْتَحَانِ الْخُمُولَ وَلَا تَسَلْ. اَلْفَلَاحُ إِذَا مَلَّ الْحَرَكَةَ. عَدِمَ الْبَرَكَةَ

ظَهْرَانِ لَا يُبْلِغَانِ الْمَرْءَ إِنْ رَكِبَا بَابَ السَّعَادَةِ ظَهْرُ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ

وَفِي اغْتِنَامِ الْأَنَامِ مَنْ أَضَاعَ الْفُرْصَةَ. تَجَرَّعَ الْغُصَّةَ. إِنْ كَانَ لَكَ مِنَ الزَّمَانِ شَيْءٌ فَالْحَالُ. وَمَا سِوَاهُ فَمُحَالٌ. تَارِكُ أَمْرِهِ إِلَى غَدٍ. لَا يُفْلِحُ لِلْأَبَدِ. اَلْإِنْسَانُ ابْنُ سَاعَتِهِ. فَلْيَحْطَهَا مِنْ إِضَاعَتِهِ. اَلتَّسْوِيفُ سُمُّ الْأَعْمَالِ. وَعَدُوُّ الْكَمَالِ. لَمْ يُحْرَمِ الْمُبَادِرُ. إِلَّا فِي النَّادِرِ. مَا دَرَجَتْ أَفْرَاخُ ذُلٍّ إِلَّا مِنْ وَكْرِ طَمَاعَةٍ. وَلَا بَسَقَتْ فُرُوعُ نَدَمٍ إِلَّا مِنْ جُرْثُومَةِ إِضَاعَةٍ. اَلْعَزْمُ سُوقٌ. وَالتَّاجِرُ الْجَسُورُ مَرْزُوقٌ. مَنْ وَثِقَ بِعَهْدِ الزَّمَانِ.

عَلِقَتْ يَدَاهُ بِحَبْلِ الْحِرْمَانِ. اَلرِّبْحُ فِي ضِمْنِ الْخَسَارَةِ. وَالْمُضَيِّعُ أَوْلَى بِالْخَسَارَةِ (نفح الطيب للمقري)

خطب للخلفاء

خطبة ابي بكر عند ما بويع بالخلافة

٢٨ أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ وُلِّيتُ عَلَيْكُمْ وَلَسْتُ بِخَيْرِكُمْ. وَالضَّعِيفُ فِيكُمْ قَوِيٌّ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ. وَالْقَوِيُّ مِنْكُمُ الضَّعِيفُ عِنْدِي حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ. لَا يَدَعْ أَحَدٌ مِنْكُمُ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ. فَإِنَّهُ لَا يَدَعُهُ قَوْمٌ إِلَّا ضَرَبَهُ اللهُ بِالذُّلِّ. وَلَا تَشِيعُ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ إِلَّا عَمَّهُمُ اللهُ بِالْبَلَاءِ. وَإِنَّمَا أَنَا مُتَّبِعٌ وَلَسْتُ بِمُبْتَدِعٍ. فَإِنِ اسْتَقَمْتُ فَتَابِعُونِي. وَإِنْ زِغْتُ فَقَوِّمُونِي. وَإِنَّكُمْ تَرِدُونَ وَتَرُوحُونَ فِي أَجَلٍ قَدْ غُيِّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ. فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا يَمْضِيَ هَذَا الْأَجَلُ إِلَّا وَأَنْتُمْ فِي عَمَلٍ صَالِحٍ فَافْعَلُوا. وَإِنَّ اللهَ لَا يُقْبَلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَّا مَا أُرِيدَ بِهِ وَجْهُهُ. فَأَرِيدُوهُ بِأَعْمَالِكُمْ. وَإِنَّ مَا أَخْلَصْتُمْ لِلهِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ فَطَاعَةٌ أَدَّيْتُمُوهَا وَخَطَأٌ ظَفِرْتُمْ بِهِ وَضَرَائِبُ أَدَّيْتُمُوهَا وَسَلَفٌ قَدَّمْتُمُوهُ مِنْ أَيَّامٍ فَانِيَةٍ لِأُخْرَى بَاقِيَةٍ لِحِينِ فَقْرِكُمْ وَحَاجَتِكُمْ. اِعْتَبِرُوا عِبَادَ اللهِ بِمَنْ مَاتَ مِنْكُمْ وَتَفَكَّرُوا فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَيْنَ كَانُوا أَمْسِ وَأَيْنَ هُمُ الْيَوْمَ. أَيْنَ الْجَبَّارُونَ. أَيْنَ الَّذِينَ كَانَ لَهُمْ ذِكْرُ الْقِتَالِ وَالْغَلَبَةِ فِي مَوَاطِنِ الْحُرُوبِ. قَدْ تَضَعْضَعَ بِهِمُ الدَّهْرُ وَصَارُوا رَمِيمًا. قَدْ تُرِكَتْ عَلَيْهِمُ الْقَالَاتُ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ. وَأَيْنَ الْمُلُوكُ الَّذِينَ أَثَارُوا

الْأَرْضَ وَعَمَّرُوهَا قَدْ بَعُدُوا وَأَنْسَى ذِكْرُهُمْ وَصَارُوا كَلَا شَيْءٍ. أَلَا وَقَدْ أَبْقَى اللهُ عَلَيْهِمِ التَّبِعَاتِ وَقَطَعَ عَنْهُمُ الشَّهَوَاتِ. وَمَضَوْا وَالْأَعْمَالُ أَعْمَالُهُمْ وَالدُّنْيَا دُنْيَا غَيْرِهِمْ. وَبَقِينَا خَلَفًا بَعْدَهُمْ. فَإِنْ نَحْنُ اعْتَبَرْنَا بِهِمْ نَجَوْنَا وَإِنِ اغْتَرَرْنَا كُنَّا مِثْلَهُمْ. أَيْنَ الْوِضَاءُ الْحَسَنَةُ وُجُوهُهُمُ الْمُعْجَبُونَ بِشَبَابِهِمْ. صَارُوا تُرَابًا وَصَارَ مَا فَرَّطُوا فِيهِ حَسْرَةً عَلَيْهِمْ. أَيْنَ الَّذِينَ بَنَوُا الْمَدَائِنَ وَحَصَّنُوهَا بِالْحَوَائِطِ وَجَعَلُوا فِيهَا الْأَعَاجِيبَ قَدْ تَرَكُوهَا لِمَنْ خَلَفَهُمْ. فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ خَاوِيَةٌ وَهُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْقُبُورِ. هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا. أَيْنَ مَنْ تَعْرِفُونَ مِنْ أَبْنَائِكُمْ وَإِخْوَانِكُمْ قَدِ انْتَهَتْ بِهِمْ آجَالُهُمْ. فَوَرَدُوا عَلَى مَا قَدَّمُوا فَحَلُّوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا لِلشَّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ بَعْدَ الْمَوْتِ. أَلَا إِنَّ اللهَ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ سَبَبٌ يُعْطِيهِ بِهِ خَيْرًا وَلَا يَصْرِفُ بِهِ عَنْهُ سُوءًا إِلَّا بِطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ. وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ عَبِيدٌ مَدِينُونَ وَأَنَّ مَا عِنْدَهُ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. أَمَا إِنَّهُ لَا خَيْرَ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ وَلَا شَرَّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ (من تاريخ الطبري باختصار)

خطبة لعلي بن ابي طالب

٢٩ (حَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ): أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ وَلُزُومِ طَاعَتِهِ وَتَقْدِيمِ الْعَمَلِ وَتَرْكِ الْأَمَلِ. فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّطَ فِي عَمَلِهِ. لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ. أَيْنَ التَّعَبُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ. الْمُقْتَحِمُ لِلُّجَجِ الْبِحَارِ. وَمَفَاوِزِ الْقِفَارِ. يَسِيرُ مِنْ وَرَاءِ الْجِبَالِ. وَعَالِجِ الرِّمَالِ.

يَصِلُ ٱلْغُدُوَّ بِٱلرَّوَاحِ وَٱلْمَسَاءَ بِٱلصَّبَاحِ . فِي طَلَبِ مُحَقَّرَاتِ ٱلْأَرْبَاحِ .
هَجَمَتْ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ . فَعَظُمَتْ بِنَفْسِهِ رَزِيَّتُهُ . فَصَارَ مَا جَمَعَ بُورًا . وَمَا
ٱكْتَسَبَ غُرُورًا . وَوَافَى ٱلْقِيَامَةَ مَحْسُورًا . أَيُّهَا ٱللَّاهِي ٱلْغَارُّ بِنَفْسِهِ
كَأَنِّي بِكَ وَقَدْ أَتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يُقْرَعُ لَكَ بَابًا . وَلَا يَهَابُ لَكَ
حِجَابًا . وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلًا . وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلًا . وَلَا يَرْحَمُ لَكَ
صَغِيرًا . وَلَا يُوَقِّرُ فِيكَ كَبِيرًا . حَتَّى يُؤَدِّيَكَ إِلَى قَعْرِ مُظْلِمَةٍ . أَرْجَاؤُهَا
مُوحِشَةٌ . كَفِعْلِهِ بِٱلْأُمَمِ ٱلْخَالِيَةِ . وَٱلْقُرُونِ ٱلْمَاضِيَةِ . أَيْنَ مَنْ سَعَى
وَٱجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ . وَبَنَى وَشَيَّدَ وَزَخْرَفَ وَنَجَّدَ . وَبِٱلْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ .
وَبِٱلْكَثِيرِ لَمْ يَتَمَتَّعْ . أَيْنَ مَنْ قَادَ ٱلْجُنُودَ . وَنَشَرَ ٱلْبُنُودَ . أَصْحَوْا رُفَاتًا . تَحْتَ
ٱلثَّرَى أَمْوَاتًا . وَأَنْتُمْ بِكَأْسِهِمْ شَارِبُونَ . وَلِسَبِيلِهِمْ سَالِكُونَ . عِبَادَ ٱللَّهِ
فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَرَاقِبُوهُ وَٱعْمَلُوا لِلْيَوْمِ ٱلَّذِي تَسِيرُ فِيهِ ٱلْجِبَالُ . وَتَشَقَّقُ
ٱلسَّمَاءُ بِٱلْغَمَامِ . وَتَطَايَرُ ٱلْكُتُبُ عَنِ ٱلْأَيْمَانِ وَٱلشَّمَائِلِ (لابن عبد ربّه)

خطبة أخرى له حماسية

لمّا أغار سُفيان بن عوف الأسديُّ على الأنبار في خلافة عليّ وعليها حسّان البكريُّ فقتلهُ وأزال تلك الخيل عن مسارحها . فخرج عليّ حتى جلس على باب السدّة فحمد الله وأثنى عليهِ ثمّ قال :

٣٠ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ ٱلْجَنَّةِ . فَمَنْ تَرَكَهُ أَلْبَسَهُ ٱللَّهُ
ثَوْبَ ٱلذُّلِّ وَأَشْمَلَهُ ٱلْبَلَاءُ وَأَلْزَمَهُ ٱلصَّغَارَ وَسَامَهُ ٱلْخَسْفَ . وَمَنَعَهُ
ٱلنَّصَفَ . أَلَا وَإِنِّي دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَسِرًّا
وَإِعْلَانًا . وَقُلْتُ لَكُمُ : ٱغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ فَوَٱللَّهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ

قَطُّ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا . فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ وَثَقُلَ عَلَيْكُمْ قَوْلِي .
فَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا حَتَّى شُنَّتْ عَلَيْكُمُ ٱلْغَارَاتُ . هٰذَا أَخُو غَامِدٍ
قَدْ بَلَغَتْ خَيْلُهُ ٱلْأَنْبَارَ وَقَتَلَ حَسَّانَ ٱلْبَكْرِيَّ . وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ
مَسَارِحِهَا وَقَتَلَ مِنْكُمْ رِجَالًا صَالِحِينَ ثُمَّ ٱنْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا كُلِمَ رَجُلٌ
مِنْهُمْ . فَلَوْ أَنَّ رَجُلًا مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا أَسَفًا مَا كَانَ عِنْدِي مَلُومًا
بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا . فَوَا عَجَبًا مِنْ جِدِّ هٰؤُلَاءِ فِي بَاطِلِهِمْ وَفَشَلِكُمْ عَنْ
حَقِّكُمْ . فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ .
وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ . وَيُعْصَى ٱللَّهُ وَتَرْضَوْنَ . فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِٱلْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ
فِي أَيَّامِ ٱلْحَرِّ قُلْتُمْ : حَمَارَّةُ ٱلْقَيْظِ أَمْهِلْنَا حَتَّى يَسْبَخَ عَنَّا ٱلْحَرُّ . وَإِذَا
أَمَرْتُكُمْ بِٱلْمَسِيرِ إِلَيْهِمْ صُحًى فِي ٱلشِّتَاءِ قُلْتُمْ أَمْهِلْنَا حَتَّى يَنْسَلِخَ عَنَّا هٰذَا
ٱلْقُرُّ . فَأَنْتُمْ وَٱللَّهِ مِنَ ٱلسَّيْفِ أَفَرُّ يَا أَشْبَاهَ ٱلرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ .
وَيَا أَحْلَامَ أَطْفَالٍ وَعُقُولَ رَبَّاتِ ٱلْحِجَالِ . وَدِدْتُ أَنَّ ٱللَّهَ أَخْرَجَنِي مِنْ
بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ وَقَبَضَنِي إِلَى رَحْمَتِهِ مِنْ بَيْنِكُمْ وَأَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ
مَعْرِفَةً . وَلِلَّهِ جِرْتُ وَهْنًا وَوَرَّيْتُمْ وَٱللَّهِ صَدْرِي غَيْظًا . وَجَرَّعْتُمُونِي
ٱلْمَوْتَ أَنْفَاسًا . وَأَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِٱلْعِصْيَانِ وَٱلْخِذْلَانِ حَتَّى قَالَتْ
قُرَيْشٌ : إِنَّ ٱبْنَ أَبِي طَالِبٍ شُجَاعٌ وَلٰكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِٱلْحَرْبِ . لِلَّهِ
أَبُوهُمْ وَهَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَطْوَلُ تَجْرِبَةً مِنِّي لَقَدْ مَارَسْتُهَا
وَأَنَا ٱبْنُ عِشْرِينَ . فَهَا أَنَا ذَا قَدْ نَيَّفْتُ عَلَى ٱلسِّتِّينَ . وَلٰكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ
لَا يُطَاعُ

(عن نهج البلاغة والعقد الفريد والاغاني)

خطبة عمر بن عبد العزيز بخناصرة

٣١ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُخْلَقُوا عَبَثًا وَلَمْ تُتْرَكُوا سُدًى. وَإِنَّ لَكُمْ مَعَادًا يَحْكُمُ اللهُ بَيْنَكُمْ فِيهِ. فَخَابَ وَخَسِرَ مَنْ خَرَجَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ الَّتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَحُرِمَ جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَانَ غَدًا لِمَنْ يَخَافُ الْيَوْمَ وَبَاعَ قَلِيلًا بِكَثِيرٍ وَفَانِيًا بِبَاقٍ. أَلَا تَرَوْنَ أَنَّكُمْ فِي أَصْلَابِ الْهَالِكِينَ. وَسَيَخْلُفُهَا مِنْ بَعْدِكُمُ الْبَاقُونَ حَتَّى يُرَدُّوا إِلَى خَيْرِ الْوَارِثِينَ. ثُمَّ إِنَّكُمْ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُشَيِّعُونَ غَادِيًا وَرَائِحًا إِلَى اللهِ قَدْ قَضَى نَحْبَهُ وَبَلَغَ أَجَلَهُ. ثُمَّ تُغَيِّبُونَهُ فِي صَدْعٍ مِنَ الْأَرْضِ ثُمَّ تَدَعُونَهُ غَيْرَ مُوَسَّدٍ وَلَا مُمَهَّدٍ. قَدْ خَلَعَ الْأَسْبَابَ. وَفَارَقَ الْأَحْبَابَ. وَوَاجَهَ الْحِسَابَ. غَنِيًّا عَمَّا تَرَكَ فَقِيرًا إِلَى مَا قَدِمَ. وَايْمُ اللهِ إِنِّي لَأَقُولُ لَكُمْ هٰذِهِ الْمَقَالَةَ وَمَا أَعْلَمُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْكُمْ أَكْثَرَ مِمَّا عِنْدِي. وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ لِي وَلَكُمْ وَمَا تَبْلُغُنَا حَاجَةٌ يَتَّسِعُ لَهَا مَا عِنْدَنَا إِلَّا سَدَدْنَاهَا. وَلَا أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا وَدِدْتُ أَنَّ يَدَهُ مَعَ يَدِي وَلُحْمَتِي الَّذِينَ يَلُونَنِي حَتَّى يَسْتَوِيَ عَيْشُنَا وَعَيْشُكُمْ. وَايْمُ اللهِ إِنِّي لَوْ أَرَدْتُ غَيْرَ هٰذَا مِنْ عَيْشٍ أَوْ غَضَارَةٍ لَكَانَ اللِّسَانُ بِهِ نَاطِقًا ذَلُولًا عَالِمًا بِأَسْبَابِهِ. وَلٰكِنَّهُ مَضَى مِنَ اللهِ سُنَّةٌ عَادِلَةٌ دَلَّ فِيهَا عَلَى طَاعَتِهِ وَنَهَى عَنْ مَعْصِيَتِهِ

خطبة للخليفة المهدي

٣٢ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي ارْتَضَى الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ وَرَضِيَ بِهِ مِنْ خَلْقِهِ. أَحْمَدُهُ عَلَى

آلَائِهِ. وَأُمَجِّدُهُ لِبَلَائِهِ. وَأَسْتَعِينُهُ وَأُومِنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ تَوَكُّلَ رَاضٍ بِقَضَائِهِ وَصَابِرٍ لِبَلَائِهِ... أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّ الِاقْتِصَارَ عَلَيْهَا سَلَامَةٌ. وَالتَّرْكَ لَهَا نَدَامَةٌ. وَأَحُثُّكُمْ عَلَى إِجْلَالِ عَظَمَتِهِ وَتَوْقِيرِ كِبْرِيَائِهِ وَقُدْرَتِهِ. وَالِانْتِهَاءِ إِلَى مَا يُقَرِّبُ مِنْ رَحْمَتِهِ. وَيُنَجِّي مِنْ سُخْطِهِ وَيُنَالُ بِهِ مَا لَدَيْهِ مِنْ كَرِيمِ الثَّوَابِ. وَجَزِيلِ الْمَآبِ. فَاجْتَنِبُوا مَا خَوَّفَكُمُ اللهُ مِنْ شَدِيدِ الْعِقَابِ. وَأَلِيمِ الْعَذَابِ. وَوَعِيدِ الْحِسَابِ. يَوْمَ تُوقَفُونَ بَيْنَ يَدَيِ الْجَبَّارِ. وَتُعْرَضُونَ فِيهِ عَلَى النَّارِ. يَوْمَ لَا تَتَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ. يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ. وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبِهِ وَبَنِيهِ. لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ. يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ. يَوْمَ لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا. إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهِ الْغَرُورُ. فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ غُرُورٍ وَبَلَاءٍ وَشُرُورٍ. وَاضْمِحْلَالٍ وَزَوَالٍ. وَتَقَلُّبٍ وَانْتِقَالٍ. قَدْ أَفْنَتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَهِيَ عَائِدَةٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ بَعْدَكُمْ. مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا صَرَعَتْهُ. وَمَنْ وَثِقَ بِهَا خَانَتْهُ. وَمَنْ أَمَّلَهَا كَذَّبَتْهُ. وَمَنْ رَجَاهَا خَذَلَتْهُ. عِزُّهَا ذُلٌّ وَغِنَاهَا فَقْرٌ. وَالسَّعِيدُ مَنْ تَرَكَهَا وَالشَّقِيُّ فِيهَا مَنْ آثَرَهَا. وَالْمَغْبُونُ فِيهَا مَنْ بَاعَ حَظَّهُ مِنْ دَارِ آخِرَتِهِ بِهَا. فَاللهَ اللهَ عِبَادَ اللهِ وَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ وَالرَّحْمَةُ مَبْسُوطَةٌ. وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ فِي هٰذِهِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِالْكَظْمِ وَتَنْدَمُوا فَلَا

تَنالُونَ النَّدَمَ يَوْمَ حَسْرَةٍ وَتَأَسُّفٍ. وَكَآبَةٍ وَتَلَهُّفٍ. يَوْمٌ لَيْسَ كَالْأَيَّامِ. وَمَوْقِفٌ ضَنْكُ الْمُقَامِ

من خُطبةٍ لهارون الرشيد

٣٣ أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى طَاعَتِهِ وَنَسْتَنْصِرُهُ عَلَى أَعْدَائِهِ. وَنُؤْمِنُ بِهِ حَقًّا وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ مُفَوِّضِينَ إِلَيْهِ. أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللّٰهِ بِتَقْوَى اللّٰهِ فَإِنَّ فِي التَّقْوَى تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ. وَتَضْعِيفَ الْحَسَنَاتِ وَفَوْزًا بِالْجَنَّةِ وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ. وَأُحَذِّرُكُمْ يَوْمًا تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ. وَتُبْلَى فِيهِ الْأَسْرَارُ. يَوْمَ الْبَعْثِ وَيَوْمَ التَّغَابُنِ وَيَوْمَ التَّلَاقِي وَيَوْمَ التَّنَادِي. يَوْمَ لَا يُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّئَةٍ وَلَا يُزْدَادُ فِي حَسَنَةٍ. يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ. مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ. يَعْلَمُ خِيَانَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ. فَاتَّقُوا يَوْمًا تَرْجِعُونَ فِيهِ إِلَى اللّٰهِ. ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ. حَصِّنُوا إِيمَانَكُمْ بِالْأَمَانَةِ وَدِينَكُمْ بِالْوَرَعِ وَصَلَاتَكُمْ بِالزَّكَاةِ. وَإِيَّاكُمْ وَالْأَمَانِيَّ فَقَدْ غَرَّتْ وَأَوْرَدَتْ وَأَوْبَقَتْ كَثِيرًا حَتَّى أَكْذَبَتْهُمْ مُنَايَاهُمْ. فَتَنَاوَشُوا التَّوْبَةَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ فَرَغِبَ رَبُّكُمْ عَنِ الْأَمْثَالِ وَالْوَعْدِ وَقَدَّمَ إِلَيْكُمُ الْوَعِيدَ. وَقَدْ رَأَيْتُمْ وَقَائِعَهُ بِالْقُرُونِ الْخَوَالِي جِيلًا فَجِيلًا. وَعَهِدْتُمُ الْآبَاءَ وَالْأَبْنَاءَ وَالْأَحِبَّةَ وَالْعَشَائِرَ بِاخْتِطَافِ الْمَوْتِ إِيَّاهُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ وَمِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ لَا تَدْفَعُونَ عَنْهُمْ وَلَا تَحُولُونَ دُونَهُمْ. فَزَالَتْ عَنْهُمُ الدُّنْيَا وَانْقَطَعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ فَأَسْلَمَتْهُمْ إِلَى أَعْمَالِهِمْ عِنْدَ

الْمَوَاقِفِ وَالْحِسَابِ. لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى

خطبة المأمون في الفطر

٣٤ (قَالَ بَعْدَ التَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ): أَلَا وَإِنَّ يَوْمَكُمْ هٰذَا يَوْمُ عِيدٍ وَسُنَّةٍ وَابْتِهَالٍ وَرَغْبَةٍ. يَوْمٌ خَتَمَ اللّٰهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ وَافْتَتَحَ بِهِ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ. فَجَعَلَهُ أَوَّلَ أَيَّامِ شُهُورِ الْحَجِّ وَجَعَلَهُ مُعْقِبًا بِفَرْضِ صِيَامِكُمْ وَمُتَقَبَّلِ قِيَامِكُمْ. فَاطْلُبُوا إِلَى اللّٰهِ حَوَائِجَكُمْ وَاسْتَغْفِرُوهُ بِتَقْرِيطِكُمْ. فَإِنَّهُ يُقَالُ: لَا كَثِيرَ مَعَ نَدَمٍ وَاسْتِغْفَارٍ. وَلَا قَلِيلَ مَعَ تَمَادٍ وَإِصْرَارٍ. (ثُمَّ قَالَ:) اتَّقُوا اللّٰهَ عِبَادَ اللّٰهِ وَبَادِرُوا الْأَمْرَ الَّذِي لَمْ يَحْضُرِ الشَّكُّ فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ. فَإِنَّهُ لَا يُسْتَقَالُ بَعْدَهُ عَثْرَةٌ وَلَا تُحْظَرُ قَبْلَهُ تَوْبَةٌ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءَ بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَعِهِ وَعَكَرِهِ وَكَرْبِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ وَوَحْشَتِهِ وَضِيقِهِ وَهَوْلِ مَطْلَعِهِ وَمَسْئَلَةِ مَلَكَيْهِ إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمَرَ اللّٰهُ بِهِ. فَمَنْ زَلَّتْ عِنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ فَقَدْ ظَهَرَتْ نَدَامَتُهُ. وَفَاتَتْهُ اسْتِقَامَتُهُ. وَدَعَا مِنَ الرَّجْعَةِ إِلَى مَا لَا يُجَابُ إِلَيْهِ وَبَذَلَ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ. فَاللّٰهَ اللّٰهَ عِبَادَ اللّٰهِ كُونُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجْعَةَ فَأُعْطُوهَا إِذْ مُنِعُوا الَّذِينَ طَلَبُوهَا. فَإِنَّهُ لَيْسَ يُتَمَنَّى الْمُتَقَدِّمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هٰذَا الْأَجَلَ الْمَبْسُوطَ لَكُمْ. فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللّٰهُ مِنْهُ وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمَعُكُمُ اللّٰهُ فِيهِ لِوَضْعِ مَوَازِينِكُمْ وَنَشْرِ صُحُفِكُمُ الْحَافِظَةِ لِأَعْمَالِكُمْ. فَلْيَنْظُرْ عَبْدٌ مَا يَضَعُ فِي مِيزَانِهِ مِمَّا يَثْقُلُ بِهِ وَمَا يُمْلِي فِي صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةِ لِمَا عَلَيْهِ ...

ولستُ أنهاكُمْ عنِ الدُّنيا بأكثرَ ممَّا نهتكُمْ بهِ الدُّنيا عنْ نفسِها. فإنَّ كلَّ ما بها يُحذِّرُ منها وينهى عنها وكلَّ ما فيها يدعو إلى غيرِها. وأعظمُ ما رأتهُ أعينُكُمْ منْ فجائعِها وزوالِها ذمُّ اللهِ لها والنَّهيُ عنها فإنَّهُ يقولُ تباركَ وتعالى: فلا تغرَّنَّكُمُ الحياةُ الدُّنيا ولا يغرَّنَّكُمْ باللهِ الغرورُ. وقالَ: إنَّما الحياةُ الدُّنيا لعبٌ ولهوٌ وزينةٌ وتفاخرٌ بينكُمْ وتكاثرٌ في الأموالِ والأولادِ. فانتفعوا بمعرفتِكُمْ بها وبإخبارِ اللهِ عنها واعلموا أنَّ قومًا منْ عبادِ اللهِ أدركتهُمْ عصمةُ اللهِ. فحذِروا مصارعَها وجانبوا خدائعَها. وآثروا طاعةَ اللهِ فيها وأدركوا الجنَّةَ بما يتركونَ منها

خطبة قطريّ بن الفجاءة التميميّ في منبر الأزارقة في ذمّ الدنيا

٣٥ أمَّا بعدُ فإنِّي أحذِّرُكُمُ الدُّنيا فإنَّها حلوةٌ خضرةٌ حُفَّتْ بالشَّهواتِ وراقَتْ بالقليلِ. وتحلَّبتْ بالعاجلِ وغمرتْ بالآمالِ. وتحلَّتْ بالأمانيِّ وزُيِّنتْ بالغرورِ. لا تدومُ زهرتُها ولا تؤمَنُ فجعتُها. غرَّارةٌ ضرَّارةٌ. وحائلةٌ زائلةٌ. ونافدةٌ بائدةٌ. لا تعدو إذا تناهتْ إلى أمنيَّةِ أهلِ الرَّغبةِ فيها والرِّضا بها أنْ تكونَ كما قيلَ: كماءٍ أنزلناهُ فاختلطَ بهِ نباتُ الأرضِ فأصبحَ هشيمًا. معَ أنَّ امرأً لمْ يكنْ منها في حبرةٍ إلَّا أعقبتْهُ بعدَها عبرةً. ولمْ يلقَ منْ سرَّائِها بطنًا. إلَّا منحتْهُ منْ ضرَّائِها ظهرًا. ولمْ تطأْهُ منها دِيمةُ رخاءٍ. إلَّا هطلتْ عليهِ مُزنةُ بلاءٍ. وحريٌّ إذا أصبحتْ لهُ منتصرةً أنْ تمسيَ لهُ خاذلةً متنكِّرةً. وإنْ جانبٌ منها اعذوذبَ واحلولى أمرَّ عليهِ منها جانبٌ فأوبا. وإنْ لبسَ امرؤٌ منْ غضارتِها

ورفاهيتِها نعمًا أرهقتهُ منْ نوائبِها غممًا. ولمْ يمسِ امرؤٌ منها في جناحِ أمنٍ إلَّا أصبحَ منها في قوادمِ خوفٍ. غرَّارةٌ غرورٌ ما فيها باقيةٌ فانٍ ما عليها لا خيرَ في شيءٍ منْ زادِها إلَّا التُّقى. منْ أقلَّ منها استكثرَ ممَّا يؤمِّنُهُ. ومنِ استكثرَ منها لمْ يدمْ لهُ. وزالَ عمَّا قليلٍ عنهُ استكثرَ ممَّا يوبقُهُ. كمْ واثقٍ بها قدْ فجعتهُ وذي طمأنينةٍ إليها قدْ صرعتهُ. وكمْ منِ احتالَ بها قدْ خدعتهُ. وكمْ ذي أبَّهةٍ فيها قدْ صيَّرتهُ حقيرًا وذي نخوةٍ فيها قدْ ردَّتهُ ذليلًا. وذي تاجٍ قدْ كبَّتهُ للیدینِ والفمِ. سلطانُها دولٌ وعيشُها رنقٌ. وعذبُها أجاجٌ. وحلوُها مرٌّ وغذاؤُها سمامٌ. وأسبابُها رمامٌ وقطائُها سلعٌ. حيُّها بعرضِ موتٍ وصحيحُها بعرضِ سقمٍ. ومنيعُها بعرضِ اهتضامٍ. ملیكُها مسلوبٌ وعزيزُها مغلوبٌ. وضعيفُها وسليمُها منكوبٌ. وجارُها وجامعُها محروبٌ. معَ أنَّ منْ وراءِ ذلكَ سكراتِ الموتِ وزفراتِهِ وهولَ المطلعِ والوقوفِ بينَ يدي الحكمِ العدلِ. ليجزيَ الَّذينَ أساؤوا بما عملوا ويجزيَ الَّذينَ أحسنوا بالحسنى. ألستُمْ في مساكنِ منْ كانَ منكُمْ أطولَ أعمارًا. وأوضحَ آثارًا. وأعدَّ عديدًا وأكثفَ جنودًا. وأعتدَ عتادًا. وأطولَ عمادًا. تعبَّدوا الدُّنيا أيَّ تعبُّدٍ وآثروها أيَّ إيثارٍ وظعنوا عنها بالكرهِ والصَّغارِ. فهلْ بلغكُمْ أنَّ الدُّنيا سمحتْ لهُمْ نفسًا بفديةٍ. وأغنتْ عنهُمْ ممَّا قدْ أملتهُمْ بهِ بخطبٍ بحيلةٍ. بلْ أرهقتهُمْ بالفوادحِ وضعضعتهُمْ بالنَّوائبِ وعفَّرتهُمْ للمناخرِ. وأعانتْ عليهِمْ ريبَ المنونِ وأرهقتهُمْ بالمصائبِ. وقدْ رأيتُمْ تنكُّرَها

لِمَنْ دَانَ لَهَا وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا. حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ. إِلَى آخِرِ الْأَمَدِ. هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا الشَّقَاءَ وَأَحَلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ. أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ وَأَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ أَفَهٰذِهِ تُؤْثِرُونَ. أَوْ عَلَى هٰذِهِ تَحْرِصُونَ أَوْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ. فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا. إِعْلَمُوا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ تَارِكُوهَا الْأَبَدَ فَإِنَّمَا هِيَ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ. فَأَتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ يَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ. وَبِالَّذِينَ قَالُوا: مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً. وَاتَّعِظُوا بِمَنْ رَأَيْتُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ كَيْفَ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا. وَأُنْزِلُوا فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَانًا. وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الضَّرِيحِ أَكْنَانٌ. وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ. وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ. فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِيًا وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْمًا. إِنْ أُخْصِبُوا لَمْ يَفْرَحُوا. وَإِنْ قَحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا. جَمْعٌ وَهُمْ آحَادٌ. جِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ. مُتَنَاوُونَ وَهُمْ يَزَارُونَ وَلَا يَسْتَزِيرُونَ. حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ. وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ. لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ. وَلَا يُرْجَى دَمْعُهُمْ. وَهُمْ كَمَنْ لَمْ يَكُنْ. إِسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْنًا وَبِالسَّعَةِ ضِيقًا وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً. فَجَاؤُوهَا حُفَاةً عُرَاةً فُرَادَى غَيْرَ أَنْ ظَعَنُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ إِلَى خُلُودِ الْأَبَدِ. فَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللهُ وَانْتَفِعُوا بِمَوَاعِظِهِ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِهِ عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقِّهِ

(لابن عبد ربه)

نخبة من كتاب تراجم الاعياد السيدية لابن الحديثي المعروف بابي الحليم (*)

خطبة للصوم الكبير المبارك لقس روبيل الدنيسري

٣٦ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْمُحِيرِ الَّذِي لَا يُجَارُ عَلَيْهِ. اَلْقَدِيرِ الَّذِي لَا مَلْجَأَ مِنْهُ إِلَّا إِلَيْهِ. مُبْدِئِ الْخَلْقِ وَمُعِيدِهِ. وَمُنْشِئِ الرِّزْقِ وَمُفِيدِهِ. مُسَيِّرِ مُشْرِقَاتِ النُّجُومِ وَمُغِيرِهَا. وَمُدَبِّرِ حَرَكَاتِ الْأَفْلَاكِ وَمُدِيرِهَا. اَلْمُدْرِكِ الْمُمِيتِ. اَلْمُهْلِكِ الْمُمِيتِ. اَلَّذِي صَوَّرَ أَصْنَافَ الْخَلِيقَةِ فَأَبْدَعَ تَصْوِيرَهَا. وَقَرَّرَ اخْتِلَافَ أَجْنَاسِهَا فَأَحْسَنَ فِي تَقْدِيرِهَا. وَنَشَرَ رَحْمَتَهُ عَلَى ضَعِيفِهَا وَقَوِيِّهَا. وَصَغِيرِهَا وَكَبِيرِهَا. اَلَّذِي لَا يُرَادُّ فِي حُكْمِهِ وَلَا يُرَاجَعُ. سَامِكِ السَّمَاءِ. بِغَيْرِ عَمَدٍ فِي الْهَوَاءِ. وَسَاطِحِ الْأَرْضِ طَافِيَةً عَلَى تَيَّارِ الْمَاءِ. أَحْمَدُهُ وَالْحَمْدُ مِنْ نِعَمِهِ. وَأُعَوِّلُ فِي الْقَبُولِ عَلَى كَرَمِهِ. حَمْدًا لَا يَكُونُ لِمُتَّصِلِهِ انْفِصَالٌ. عَلَى مَا لَا يُدْرَكُ شُكْرُهُ وَلَا يُنَالُ. لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا ضِدَّ. وَلَا عَدِيلَ وَلَا نِدَّ. اَلْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَلَا يَبْلَى. اَلْقَيُّومِ الَّذِي لَا يُسَمَّى بِمَا سَمَّى نَفْسَهُ وَلَا يُكَنَّى. أَيُّهَا النَّاسُ أَسْمِعُوا الْقُلُوبَ فِي هٰذَا الصَّوْمِ الْمُبَارَكِ فِي رِيَاضِ الْحِكَمِ. وَأَدِيمُوا النَّحِيبَ عَلَى أَبْيَاضِ اللِّمَمِ. إِلْزَمُوا التَّقْوَى يَلْزَمْكُمْ وَقَارُهَا. وَاحْتَمُوا الدُّنْيَا يَحْتَمِكُمْ صَغَارُهَا. أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ وَإِيَّايَ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا عُرْوَةٌ مَا لَهَا انْفِصَامٌ. وَذُرْوَةٌ مَا لَهَا انْهِدَامٌ. وَقُدْوَةٌ يَؤُمُّ إِلَيْهَا الْكِرَامُ. وَجُذْوَةٌ تُضِيءُ بِهَا الْأَفْهَامُ. مَنْ تَعَلَّقَ بِحِبَالِهَا حَمَتْهُ مَحْذُورَ الْعَاقِبَةِ. وَمَنْ تَحَقَّقَ بِحِمَالِهَا وَقَتَهُ

(*) قد طُبع هذا الكتاب حديثاً في مطبعة حضرات الآباء الدومينيكانيين في الموصل ولهُ من بلاغة العبارة وعلوّ المنهج وطلاوة الفصاحة ما يحثّ على اقتنائهِ

شُرُورِ كُلِّ نَائِبَةٍ. قَيِّدُوا أَلْسِنَتَكُمْ مِنَ الْخَوْضِ فِي الْبَاطِلِ. وَاقْطَعُوا عَنِ النُّطْقِ بِغِيبَةِ كُلِّ غَافِلٍ. أَلَا وَإِنَّ عَثْرَةَ الرِّجْلِ سَرِيعٌ انْدِمَالُهَا وَعَثْرَةَ اللِّسَانِ فَظِيعٌ وَبَالُهَا. وَمَنْ أَبْصَرَ عُيُوبَ نَفْسِهِ عَمِيَ عَمَّنْ سِوَاهُ. وَمَنْ هَتَكَ عِرْضَ أَخِيهِ كَانَ خَصْمَهُ اللهُ. قَدْ عَمَّتْكُمْ رَحِمُكُمُ اللهُ مِنَ الصَّوْمِ النِّعْمَةُ السَّابِغَةُ. وَلَزِمَتْكُمْ مِنَ اللهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ. أَلَا وَإِنَّهُ صَوْمٌ جَعَلَهُ اللهُ مِصْبَاحَ الْعَامِ. وَوَاسِطَةَ النِّظَامِ. وَأَشْرَقَ قَوَاعِدَ النَّصْرَانِيَّةِ بِنُورِ الصِّيَامِ. فَتَأَهَّبُوا رَحِمَكُمُ اللهُ لِهَذِهِ الْأَيَّامِ الشَّرِيفَةِ الْمُبَارَكَةِ وَلِاغْتِنَامِ وِرْدِهَا. فَكَمْ طَلِيقٍ فِيهَا مِنْ وِثَاقِ الذُّنُوبِ. وَحَقِيقٍ بِنَيْلِ كُلِّ مَطْلُوبٍ. يُنْزِلُ اللهُ لَكُمْ فِيهَا الْأَرْزَاقَ. وَيَجْعَلُ بِرَكَتَهَا فِكَاكَ الْأَعْنَاقِ. فَاهْرُبُوا إِلَى اللهِ يَا عِبَادَ اللهِ فِيهَا مِنْ سُوءِ الِاجْتِرَاحِ. وَاطْلُبُوا مِنْهُ حَوَائِجَكُمْ تَظْفَرُوا بِالنَّجَاحِ. فَلَا دُعَاءَ فِيهِ إِلَّا مَسْمُوعٌ. وَلَا عَمَلَ فِيهِ إِلَّا مَرْفُوعٌ. وَلَا خَيْرَ إِلَّا مَجْمُوعٌ. وَلَا ضُرَّ إِلَّا مَدْفُوعٌ. يَا أَيُّهَا الْعَاقِلُ هَذَا أَوَانُ ازْدِيَادِكَ وَاسْتِمَاعِكَ. وَيَا أَيُّهَا الْغَافِلُ هَذَا وَقْتُ تَيَقُّظِكَ وَاقْتِلَاعِكَ. مَا سَأَلَ اللهُ فِيهَا سَائِلٌ إِلَّا أَعْطَاهُ. وَلَا اسْتَجَارَ بِهِ مُسْتَجِيرٌ إِلَّا أَعَزَّهُ وَكَفَاهُ. فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً تَيَقَّظَ قَلْبُهُ مِنْ سِنَةِ هَوَاهُ. وَاخْتَارَ لِنَفْسِهِ مَا يَحْمَدُهُ مِنْ سِوَاهُ. قَبْلَ أَنْ تَتَرَامَى بِهِ الْأَقْدَارُ. وَيَحُلَّ بِهِ الْحِذَارُ. وَتُوحِشَ مِنْهُ الدِّيَارُ. وَلَا يُسْمَعَ مِنْهُ الِاعْتِذَارُ. وَلَا يُفْصِحَ بِخِطَابٍ. وَلَا يُسْمَعَ بِجَوَابٍ. مُخْتَطَفًا مِنَ الْأَحْبَابِ مُرْتَهَنًا بِالِاكْتِسَابِ. وَحِيدًا فِي مَنْزِلِ الِاغْتِرَابِ. مُوَجَّهًا يَوْمَ الْحِسَابِ. أَذِيَّ الْأَهْلِ وَأَقْرَبِ

الْأَصْحَابِ. تَجَهَّزُوا فَقَدْ ضُرِبَ فِيكُمْ بُوقُ الرَّحِيلِ. وَبَرِّزُوا فَقَدْ قَرُبَتْ لَكُمْ نُوقُ التَّحْوِيلِ. وَدَعُوا التَّمَسُّكَ بِخَدْعِ الْأَبَاطِيلِ. وَالرُّكُونَ إِلَى التَّسْوِيفِ وَالتَّعْلِيلِ. أَظَلَّنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِظِلِّ عَرْشِهِ. وَوَفَّانَا وَإِيَّاكُمْ حُلُولَ أَلِيمِ بَطْشِهِ. وَعَدَلَ بِنَا وَبِكُمْ إِلَى سَبِيلِ السَّلَامَةِ. وَحَمَلَ عَنَّا وَعَنْكُمْ أَعْبَاءَ الظُّلَامَةِ. وَجَعَلَ الْإِخْلَاصَ بِتَوْحِيدِهِ نُورًا لَنَا وَلَكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْقِيَامَةِ. وَنَزَعَ مِنَّا وَمِنْكُمْ غِلَّ الْقُلُوبِ وَرَفَعَ عَنَّا وَعَنْكُمْ ذُلَّ الذُّنُوبِ. وَجَمَعَ لَنَا وَلَكُمْ فِي الدَّارَيْنِ كُلَّ مَحْبُوبٍ. وَأَيَّدَنَا وَإِيَّاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالِاسْتِبْصَارِ بِتَصَارِيفِ أَقْدَارِهِ. وَأَسْعَدَنَا وَإِيَّاكُمْ يَوْمَ الِانْبِعَاثِ بِجِوَارِهِ

(دُعَاءٌ لِلْآبَاءِ). اللَّهُمَّ احْرُسْ أَيَّامَ أَبِي الْآبَاءِ الْجَاثِلِيقِ الْفَطْرَكِ الْكَبِيرِ الْمُمَجَّدِ وَاحْجُبْهُ بِحِجَابِ الْعِصْمَةِ. وَخَلِّصْهُ مِنْ قَوَارِعِ كُلِّ نِقْمَةٍ. وَأَسْبِلْ عَلَيْهِ سُتُورَ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ. وَبَلِّغْهُ أَقْصَى الْمُرَادِ وَالْهِمَّةِ. آمِينَ

اللَّهُمَّ وَأَسْعِدِ الْمَوْلَى فُلَانًا بِسَعَادَةٍ تُبْسَطُ بِهَا آمَالُ أَوْلِيَائِهِ. وَتُقْبَضُ آجَالُ أَعْدَائِهِ وَافْتَحْ لَهُ أَقْفَالَ الْقُلُوبِ. وَأَنْجِحْ لَهُ السُّؤَالَ فِي الْمَطْلُوبِ. وَأَحْصِنْهُ مِنَ الدُّنْيَا وَحُتُوفِهَا. وَسَلِّمْهُ مِنْ مَوَارِدِ خُسُوفِهَا

اللَّهُمَّ وَجُدْ عَلَى بَنِي الْمَعْمُودِيَّةِ بِعِصْمَةٍ مَانِعَةٍ مِنِ اقْتِرَافِ السَّيِّئَاتِ وَنِعْمَةٍ جَامِعَةٍ لِصُنُوفِ الْخَيْرَاتِ. وَرَحْمَةٍ مَاضِيَةٍ لِسَوَالِفِ الْخَطِيئَاتِ. اللَّهُمَّ وَإِذَا انْقَضَتْ مِنَ الدُّنْيَا أَيَّامُنَا. وَأَزِفَ عِنْدَ الْمَوْتِ حِمَامُنَا. وَأَحَاطَتْ بِنَا الْأَقْدَارُ. وَشَخَصَتْ إِلَى قُدُومِ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْصَارُ. وَعَلَا

الْأَنِينُ . وَعَرَقَ الْجَبِينِ . فَمِنْ اللّٰهُمَّ مَلَكَ الْمَوْتِ بِقَبْضِ أَرْوَاحِنَا شَفِيقًا . وَبِنَزْعِ نُفُوسِنَا رَؤُوفًا رَفِيقًا . اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لَنَا مَا أَسْرَرْنَاهُ وَمَا أَعْلَنَّاهُ . وَمَا قَدَّمْنَا وَأَخَّرْنَاهُ . وَمَا أَحْصَيْتَهُ وَنَسِينَاهُ . وَعَلِمْتَهُ وَجَهِلْنَاهُ . وَلَا تَدَعْ لَنَا أَمَلًا إِلَّا وَبَلَّغْتَنَاهُ . وَلَا سُؤَالًا إِلَّا وَأَنَلْتَنَاهُ . وَلَا شَرًّا إِلَّا وَكَفَيْتَنَاهُ . يَا خَيْرَ مَنْ عَوَّلَ عَلَيْهِ عَبْدُهُ وَرَجَّاهُ . بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ . آمِينَ

لذكر السيدة مريم العذراء الواقع بين عيد الميلاد وعيد الظهور

٣٧ اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَنَارَ بِأَنْوَارِ الْحِكَمِ مَصَابِيحَ الْعُقُولِ . وَكَشَفَ عَنْهَا أَسْتَارَ الظَّلَامِ فَعَرَفَتْ سِرَّ الْعَقْلِ وَالْعَاقِلِ وَالْمَعْقُولِ . اَلَّذِي تَنَزَّهَ بِالْعِزَّةِ الْقُدْسِيَّةِ عَنِ الْأَجْنَاسِ وَالْأَنْوَاعِ وَالْفُصُولِ . وَتَقَدَّسَ بِسُلْطَانِ الْأَحَدِيَّةِ عَنْ مُشَابَهَةِ الْمَوْضُوعِ وَالْمَحْمُولِ . اَلَّذِي أَطْلَعَ شَمْسَ الْبَرَارَةِ مِنْ مَشْرِقِ سَيِّدَةِ النِّسَاءِ الطَّاهِرَةِ الْبَتُولِ . وَدَرَّعَ الْكَلِمَةَ الْأَزَلِيَّةَ هَيْكَلًا نَاسُوتِيًّا أَظْهَرَهُ فِي الْعَالَمِ الْكَوْنِيِّ عَلَى هَيْئَةِ الرَّسُولِ . نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَقُودُهُ رَائِدُ التَّوْفِيقِ إِلَى أَبْوَابِ الْقَبُولِ . وَنَشْكُرُهُ سَرْمَدًا عَلَى إِيلَاءِ الْآلَاءِ الضَّافِيَةِ الْأَهْدَابِ وَالذُّيُولِ . أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ انْتَقَلَتِ الْبِيعَةُ الْأَرْثَاذُكْسِيَّةُ ابْنَةُ النُّورِ . مِنْ شَرَفٍ إِلَى شَرَفٍ وَمِنْ نُورٍ إِلَى نُورٍ . وَمِنَ الْحُبُورِ بِالْمِيلَادِ الْغَرِيبِ . إِلَى السُّرُورِ بِذِكْرِ وَالِدَةِ السِّرِّ الْعَجِيبِ . مِنْ بِكْرِ الْأَعْيَادِ الْمَخْصُوصَةِ بِالْوَلَدِ . إِلَى عِيدِ الْبِكْرِ حَافِظَةِ الْبِكْرِيَّةِ إِلَى الْأَبَدِ . مِنَ الْأَفْرَاحِ بِعِيدٍ مُنِيرِ الْعُقُولِ . إِلَى طَرَبِ الْأَرْوَاحِ بِعِيدِ السَّيِّدَةِ الْبَتُولِ . هٰذَا الْيَوْمُ الَّذِي خُصَّ

بِالْهَنَاءِ وَالْخِدْمَةِ . وَأُهْدِيَ فِيهِ هَدَايَا السَّلَامِ لِلطَّاهِرَةِ الْمَلَآنَةِ مِنَ النِّعْمَةِ . هٰذَا الْيَوْمُ الَّذِي قَرَّتْ بِبَهْجَتِهِ الْعُيُونُ . وَسُرَّتْ بِفَرْحَتِهِ قُلُوبُ الْأَبْكَارِ وَالْعُونِ . هٰذَا الْيَوْمُ الَّذِي تَوَفَّرَتْ فِيهِ الْحَسَرَةُ الْيَهُودِيَّةُ . وَافْتَخَرَتْ بِيُمْنِ مَطْلَعِهِ الْأَسِرَّةُ الدَّاوُودِيَّةُ . هٰذَا الْيَوْمُ الَّذِي صَدَقَتْ فِيهِ الْمَخَايِلُ . وَأُعْطِيَتِ الْبَتُولُ الطُّوبَى مِنْ كُلِّ الْأُمَمِ وَقَاطِبَةِ الْقَبَائِلِ . أَلْيَوْمَ تَشَرَّفَ قَبِيلُ النِّسَاءِ . قَدِمَتْ رَكَائِبُ الْأَفْرَاحِ عَلَى النُّفَسَاءِ . تَحَلَّى الْجِيدُ الْبَتُولِيُّ بِدُرِّ الْعِزَّةِ الْقَعْسَاءِ . خَرَّتْ سَاجِدَةً فِي الْإِيوَانِ الْمَغَارِيِّ جِبَاهُ الْأَسَاوِرَةِ الرُّؤَسَاءِ . أَلْيَوْمَ خَمَدَتْ جَمَرَاتُ النَّوَائِرِ . هَمَدَتْ حَرَارَاتُ الشُّكُوكِ الثَّوَائِرِ . أَشْرَقَتْ بِنُورِ الْمَسِيحِ أَبْصَارُ الْبَصَائِرِ . تَأَرَّجَتْ أُنُوفُ الْخَلْقِ بِأَرَاجِ التَّهَانِي وَالْبَشَائِرِ . أَلْيَوْمَ صَفَتِ الْمَنَاهِلُ وَالْمَوَارِدُ . تَأَنَّسَتْ قُلُوبُ الشَّوَارِدِ . أَذْعَنَ بِالْعَفَافِ الْمَرْيَمِيِّ كُلُّ ضَالٍّ وَمَارِدٍ . نَظَرَ الْأَعْدَاءُ سَيِّدَةَ النِّسَاءِ نَظَرَ الْأُسُودِ الْحَوَارِدِ . أَلْيَوْمَ طَرِبَتْ آفَاقُ الْغَبْرَاءِ . اِبْتَهَجَتْ نَفْسُ السَّيِّدَةِ الْعَذْرَاءِ . لَاحَ صَبَاحُ الْمُنْقَبَةِ الْغَرَّاءِ . تَفَطَّرَتْ مَرَائِرُ الْيَهُودِ الْأَغْرَاءِ . أَلْيَوْمَ خَفَقَتْ بُنُودُ السَّعَادَةِ . نُشِرَتْ أَعْلَامُ الْإِفَادَةِ . صُبَّتْ عَلَى شَعْبِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ بَرَكَاتُ الْوِلَادَةِ . وُضِعَتْ عَلَى الْمَفْرِقِ الْمَرْيَمِيِّ إِكْلِيلُ الْمَجْدِ وَتِيجَانُ السَّعَادَةِ . أَلْيَوْمَ قَرَّتِ الْعَيْنُ الْمَرْيَمِيَّةُ . اِفْتَخَرَتِ الْجِبِلَّةُ الْآدَمِيَّةُ . تَشَرَّفَتِ الْقَرْيَةُ الْبَيْتَ لَحْمِيَّةُ . فُتِقَتْ بِنُورِ الْمَسِيحِ أَبْصَارُ الْخَلْقِ الْعَمِيَّةُ . أَلْيَوْمَ افْتَخَرَتِ الْأَنَامُ وَأَقْطَارُ الْوَرَى .

قَهْقَرَتِ الْآثَامُ وَالْأَوْزَارُ إِلَى الْوَرَا . تَخَرَّصَتْ أَفْوَاهُ الْأَغْمَارِ
بِالْقَوْلِ الْهُرَا . رَشَقَ الْيَهُودُ الْأَغْبِيَاءُ ذَاتَ التُّقَى وَالطَّهَارَةِ بِسِهَامِ
الْقِرَى . أَلْيَوْمَ ظَهَرَتِ الْآيَاتُ الْعَجِيبَةُ . بَهَرَتِ الْمُعْجِزَاتُ
الْغَرِيبَةُ . زَالَتْ كَوَاذِبُ الظُّنُونِ عَنِ الْخَطِيبَةِ . أَزَالَتِ
الْآيَاتُ الْبَوَاهِرُ عَنْ قَلْبِ يُوسُفَ مَوَاقِعَ الشُّكُوكِ وَالرِّيبَةِ .
فَالْوَاجِبُ عَلَيْنَا الْآنَ يَا أُمَّةَ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ أَنْ نَدْنُوَ بِالْهِمَمِ
وَالْوَلَاءِ إِلَى خِدْمَةِ أُمِّ الْمَسِيحِ وَنُبَجِّلَ بِالْإِكْرَامِ عِيدَ الدُّرَّةِ
الْيَتِيمَةِ . نَتَلَقَّى بِالْإِعْظَامِ ذِكْرَ اللُّؤْلُؤَةِ الْغَالِيَةِ الْقِيمَةِ . نُشَاهِدُ فِي إِيوَانِ
الْمَغَارَةِ . ذَاتَ التُّقَى وَالطَّهَارَةِ . نُحْدِقُ إِلَى سَكِينَةِ الْقُدْسِ وَالرَّحْمَةِ .
سُرَادِقِ الْعِزِّ وَالْعَظَمَةِ . خِزَانَةِ الْأَسْرَارِ السَّمَاوِيَّةِ . صَدَفَةِ دُرَّةِ الْحَيَاةِ
الْأَبَدِيَّةِ . مَشْرِقِ الشَّمْسِ الْأَزَلِيَّةِ . أَلسَّمَاءِ الثَّانِيَةِ الْعَلِيَّةِ . هَيْكَلِ
الْقُدْرَةِ الْعَظِيمَةِ . مَقْصُورَةِ النِّعْمَةِ الْجَسِيمَةِ . بَابِ الْأَسْرَارِ الْخَفِيَّةِ .
حِجَابِ الْأَنْوَارِ الْبَهِيَّةِ . دَرَجَةِ الشَّرَفِ الْإِنْسِيِّ . أَوْجِ الْكَوْكَبِ
الْقُدْسِيِّ . دَقِيقَةِ الرَّحْمَةِ الْغَزِيرَةِ . حَقِيقَةِ الْحِكْمَةِ الْمُنِيرَةِ . ذَاتِ
الْمَبَاهِي وَالْمَفَاخِرِ . نَجْلَةِ الْبَرَرَةِ الْأَطْهَارِ وَالشَّرَفِ الْفَاخِرِ . مَرْيَمَ الْعَذْرَاءِ
الصَّفِيَّةِ . مُتَّكِئَةً عَلَى السُّدَّةِ الْمُعْلِفِيَّةِ . وَهِيَ مُجَلَّلَةٌ بِالنُّورِ وَالْبَهَاءِ .
آذِنَةٌ لِمَنْ رَامَ الدُّخُولَ وَتَقْدِيمَ هَدَايَا الْهَنَاءِ . نَتَأَمَّلُ بِعُيُونِ الْبَصَائِرِ
شَرَفَ الْوِلَادَةِ . وَنَمْنَحُ سَيِّدَةَ النِّسَاءِ مُعْتَجِرَةً بِرِدَاءِ الْبَهَاءِ وَالسَّعَادَةِ .
قَدِ احْتَفَّتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِسُدَّتِهَا . وَاصْطَفَّتْ أَجْنَادُ الْعَلَاءِ لِخِدْمَتِهَا .

تَرَى صَبِيَّةً خَامِلَةَ الذِّكْرِ مِسْكِينَةً . نُشَاهِدُ مُحَيَّاً قَدْ مُدَّ عَلَيْهِ قِنَاعُ
الْحَيَاءِ وَالسَّكِينَةِ . فَقِيرَةً فِي الْعَالَمِ . أَثْرَتْ بِفَقْرِهَا أَبْنَاءَ آدَمَ . خَامِلَةً
تَخْدِمُهَا الزُّمَرُ الْمَلَائِكِيَّةُ . حَامِلَةً لِعَاقِدِ التِّيجَانِ عَلَى الْمَفَارِقِ الْمَلَكِيَّةِ .
يَتِيمَةً لَمْ يَكُنْ لَهَا فِي فَسِيحِ الْأَرْضِ مَأْوَى . ضَئِيلَةً افْتَخَرَتْ
بِضَآلَتِهَا أُمُّهَا حَوَّا . تَنْظُرُ إِلَى مُلُوكِ الْمَجُوسِ وَقَدْ وَضَعُوا
التِّيجَانَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ وَأَدْنَوْا أَصْنَافَ الْهَدَايَا وَالْقَرَابِينَ إِلَى
مَلِكِهِمْ وَقُدُّوسِهِمْ . شَدُّوا مِنْ قُمُطِهِ عَلَى أَسِنَّةِ الرِّمَاحِ بُنُودًا
وَأَعْلَامًا . وَاسْتَكْتَبُوا مِنْ دِيوَانِ رَحْمَتِهِ لَهُمْ أَمَانًا وَذِمَامًا . نُشَاهِدُ
يُوسُفَ الشَّيْخَ الْعَدُولَ . وَاقِفًا عَلَى قَدَمِ الْأَفْرَاحِ أَمَامَ الْبَتُولِ .
قَدْ أَزَالَ عَنْ مَكَامِنِ قَلْبِهِ الْهَوَاجِسَ وَالْخَطَرَاتِ . وَاسْتَنْصَلَ
مِنْ زَلَّةِ الظُّنُونِ السَّوَالِفِ وَالْأَوْهَامِ الْخَطِرَاتِ . قَدْ أَشْحَتْ زَوَايَا
قَلْبِهِ بِالْبَهْجَةِ وَالْمَسَرَّةِ . وَلَاحَ عَلَى وَجْهِهِ الْبَهِيِّ نُورُ الْبِشْرِ وَالِابْتِسَامِ
مِنْ أَثْنَاءِ الْأَسِرَّةِ . يَتَعَجَّبُ مِنَ الْآيَاتِ الْغَرَائِبِ . وَيَتَحَجَّبُ لِلْمُلُوكِ
الْفُرْسِ بِإِدْنَاءِ السَّلَامِ وَتَقْدِيمِ الْحَقَائِبِ . وَقَدْ أَشْعَرَ نَفْسَهُ بِالْهَيْبَةِ .
وَتَرَقْرَقَتْ دُمُوعُ الْأَفْرَاحِ عَلَى وَقَارِ الشَّيْبَةِ . فَلْنُسَبِّحْ نَحْنُ لِهَذِهِ الرَّأْفَةِ
الْعَمِيمَةِ . وَنَشْكُرْ تَرَادُفَ الْآلَاءِ وَالنِّعَمِ الْجَسِيمَةِ . نَمْلَأُ الْأَفْوَاهَ مِنَ
التَّهْلِيلِ وَالتَّسْبِيحِ . وَنَضْفِرْ أَكَالِيلَ الْمَدَائِحِ لِأُمِّ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ . نَحْمِلْ
هَذِهِ الْآيَاتِ الظَّاهِرَةَ عَلَى صِدْقِ الْيَقِينِ . وَنُؤْمِنْ بِالْآيَاتِ الْبَاهِرَةِ
إِيمَانَ الْمُصَدِّقِينَ . نَرْفُضْ مَلَابِسَ الْأَوْزَارِ وَالذُّنُوبِ . وَنَرْحَضْ بِمَاءِ

التَّوبةِ أَوضارَ القُلوبِ. نوطِّنِ النُّفوسَ على الصَّفحِ والإغضاءِ. ونستعدَّ مع الأبكارِ الخمسِ بالمصابيحِ والأضواءِ. ولنبتعْ من القنايا البائدةِ ميمنةَ المسيحِ. ونتقيَّلْ بالملائكةِ الأطهارِ في التَّقديسِ والتَّسبيحِ. ونتشفَّعْ بصلاةِ زهرةِ البشريَّةِ. الزَّاهرةِ بالأنوارِ البهيَّةِ. غمامةِ الأسرارِ الغليَّةِ. التي أومضتْ منها بروقُ البتوليَّةِ. ذاتِ الوضاءِ الأشرقِ. والثَّناءِ الأفيحِ الأعبقِ. السَّيِّدةِ الطَّاهرةِ الزَّكيَّةِ. سكينةِ القدرةِ العليَّةِ. أن يرفعَ اللهُ عنَّا موارِدَ النِّقمِ بصلاتِها. ويجمعَ لنا شوارِدَ النِّعمِ بدعائِها وبركاتِها. ويوفِّقنا للتَّعلُّقِ في يومِ القيامةِ بأهدابِها. ونكونَ في مجمعِ الأبرارِ من خواصِّها وأصحابِها. ويوهِّلنا لفعلٍ نحوزُ به رضاهُ في طاعتِها. ويجعلنا من أصحابِ اليمينِ بصلاتِها وشفاعتِها. ويميزَنا بزمرةِ الآباءِ المؤيَّدينَ. وجميعِ الشُّهداءِ والقدِّيسينَ برحمتِهِ التي تعمُّ الأحياءَ والميتينَ. ويسبغُ سجالَها على الخلقِ كافَّةً أجمعينَ

لعيد السلاق (اي الصعود)

٣٨ أَلحمدُ للهِ الذي هدانا إلى طريقِ الهدى وواضحِ منهاجِهِ. وفتحَ لنا بابَ الملكوتِ بإقاليدِ شرعِهِ الفضليِّ بعدَ إغلاقِهِ وإرتاجِهِ. وثقَّفَ نوعَنا البشريَّ بالأوامرِ والنَّواهي من زيغِهِ واعوجاجِهِ. وقادَهُ بأزمَّةِ العنايةِ إلى الحظائرِ القدسيَّةِ بعدَ إباءتِهِ ولجاجِهِ. وأرسلَ مخلِّصَ الكلِّ ظاهرًا بصورةِ الناسوتِ لإبراءِ جبلَّةِ آدمَ وعلاجِهِ. فرتَّبَ لهُ من قوانينِ شرعِهِ الاختصاصيِّ دواءً أفضى إلى صحَّتِهِ وتعديلِ

مزاجِهِ. وشرَّفَ مفرقَهُ بإكليلِ الملكِ الأبديِّ وتاجِهِ. وأصعدهُ سرًّا إلى قممِ السَّماءِ يومَ سلَّاقِهِ ومعراجِهِ. نحمدهُ حمدًا تقدُ في ظلماءِ القلوبِ أضواءُ سراجِهِ. ونشكرهُ شكرًا تزهو كواكبُ الإخلاصِ في أفقِهِ وأبراجِهِ. أيُّها المؤمنونَ إنَّ أسنى الأيامِ العظامِ. وأبهى المواسمِ وأحلى المواقيتِ الكرامِ. التي تفترُّ لها المضاحكُ والمباسمُ. عيدٌ عبقتْ بأرجِهِ الرِّياحُ النَّواسمُ. وتحلَّتْ بلآلئِ فخرِهِ المفارقُ والمناسمُ. يومٌ ختمتْ بهِ معاقدُ الأعيادِ المسيحيَّةِ. وسلمتْ قواعدُ الكهنوتِ إلى الزُّمرِ المسيحيَّةِ. يومٌ رقيتْ فيهِ صفوةُ الجبلَّةِ البشريَّةِ إلى المحلِّ الشَّامخِ. واستوطأتْ صهوةَ العزِّ الأبديِّ والشَّرفِ الباذخِ. يومٌ توقَّلَ مخلِّصُ البرايا أشمخَ الذُّروةِ العليَّةِ وأسمى القللِ العواصمِ. هذا اليومُ العظيمُ والميقاتُ النَّبيهُ. والعيدُ الذي جلَّتْ مفاخرُهُ عن النَّظائرِ والتَّشبيهِ. هذا اليومُ الذي أشرقَ فيهِ هلالُ الحقِّ من سدفِ السِّرارِ. وتحلَّتْ فيهِ نحورُ العقائدِ بقلائدِ الأسرارِ. هذا اليومُ الذي تحقَّقتْ فيهِ براهينُ الرَّجاءِ. وتضوَّعتْ ببشرى سلَّاقِ المسيحِ كلُّ النَّواحي والأرجاءِ. هذا اليومُ الذي رأتهُ الأبصارُ فيهِ صاعدًا على المناكبِ الأكروبيَّةِ. ولمحتهُ الأفكارُ قاعدًا على منصَّةِ الرُّتبِ العليَّةِ. هذا اليومُ الذي رشَّ فيهِ طلُّ الخيراتِ من غمامِ معينِهِ. وامطرَ سحائبُ البركاتِ على الأنصارِ من يمنِ يمينِهِ. أليومَ فتحتْ أبوابُ مدينةِ الأطهارِ. نضيتْ ستورُ الأسرارِ عن بيعةِ الأبكارِ.

طَرِبَتْ مَلَائِكَةُ السَّمَاءِ بِرَئِيسِ الْأَحْبَارِ. تَبَوَّأَ مَقْعَدَ الْعِزِّ الْأَبَدِيِّ
عَلَى مِنْبَرِ الْأَنْوَارِ. أَلْيَوْمَ بَرِحَتِ الْأَسْرَارُ وَالْخَفَايَا. مُنِحَتِ الْأَذْخَارُ
وَالْعَطَايَا. صُفِحَتِ الْأَوْزَارُ وَالْخَطَايَا. صَعِدَ الْمَسِيحُ إِلَى الْعَلَاءِ وَسَبَى
السَّبَايَا. أَلْيَوْمَ أَفْلَتَ رَجَاءُ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ. أُرْتِجَتْ أَرْجَاءُ
السَّمَاوَاتِ. حُقَّ النَّجَاءُ لِذَوِي الْخَطَايَا وَالْهَفَوَاتِ. وَاسْتَغْفَرَ الْمُخَلِّصُ
لِأُمَّتِهِ كُلَّ الْخَطَايَا وَالزَّلَّاتِ. أَلْيَوْمَ انْحَسَرَتْ غُمَّةُ الْعُبُودِيَّةِ. اكْتَأَبَتِ
الْأُمَّةُ الْيَهُودِيَّةُ. صَحَّتِ الْكَلِمَةُ الدَّاوُودِيَّةُ. رَقِيَ الْمَسِيحُ بِالْمَجْدِ وَأَصْوَاتِ
الْقُرُونِ إِلَى سُدَّةِ الْأَبَدِيَّةِ. أَلْيَوْمَ أَخْفَقَتْ أَدِلَّةُ الضَّلَالِ. أَشْرَقَتْ
أَهِلَّةُ الْإِقْبَالِ. أَوْرَقَتْ غُصُونُ الْآمَالِ. رَقِيَتْ صُورَةُ آدَمَ مِنْ قَعْرِ
الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ إِلَى ذُرُوَاتِ الْكَمَالِ. أَلْيَوْمَ هَبَّتْ نَسَائِمُ الرِّضَاءِ
وَالِاخْتِصَاصِ. هَبَّتْ نَوَائِمُ آمَالِ التَّلَامِيذِ الْخَوَاصِّ. أَلْيَوْمَ قَرَّتْ
عُيُونُ الْأَمْلَاكِ. تَشَرَّفَتْ مُتُونُ الْأَفْلَاكِ. سَكَنَ الشَّوْقُ الْآدَمِيُّ
وَاسْتَرَاحَ. مُلِئَتْ قُلُوبُ أَهْلِ السَّمَاءِ بِالْبَهْجَةِ وَالْأَفْرَاحِ. مَلَكَ صَفْوَةَ
جِنْسِهِ إِقْلِيمَ السَّمَاءِ. شُرِّفَ بِأَخَصِّ الْأَلْقَابِ وَأَحْسَنِ الْأَسْمَاءِ.
رَقِيَتْ قِلَاعَتُهُ إِلَى قُلَّةِ السَّمَاءِ الْعَلِيَّةِ. اسْتَوْطَنَتْ أَرَائِكَ النُّورِ فِي
قُصُورِ الْأَزَلِيَّةِ. اسْتَبْشَرَ سُكَّانُ الصَّفِيحِ الْأَعْلَى بِإِيَابِهِ. تَعَلَّقَتِ
الزُّمَرُ الْمَلَائِكِيَّةُ بِذُيُولِهِ وَأَهْدَابِهِ. تَبَرَّكَتِ السَّمَاءُ بِوَطْءِ أَقْدَامِهِ. بَرَزَ
الْإِذْنُ مِنْ سُرَادِقِ الْأَزَلِيَّةِ بِتَعْظِيمِهِ وَإِكْرَامِهِ. سُمِعَتْ ضَجَّةُ الْمَلَائِكَةِ
بِتَقْرِيضِهِ وَمَدِيحِهِ. تَعَالَتْ لَجَّةُ الْمَلَإِ الْأَعْلَى بِتَمْجِيدِهِ وَتَسْبِيحِهِ.

نَسْتَبْشِرُ نَحْنُ مَعَاشِرَ الْمُؤْمِنِينَ بِسُلَّاقِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ. نَتَقَيَّلُ بِأَصْنَافِ
الْمَلَائِكَةِ نِي السُّجُودِ وَالتَّسْبِيحِ. نَرْفَعُ الْهِمَمَ عَنْ مَسَاقِطِ الشَّهَوَاتِ
الْأَرْضِيَّةِ. نَقُودُ الْقُلُوبَ بِأَزِمَّةِ الْعَزَائِمِ إِلَى الطَّرَائِقِ الْمَرْضِيَّةِ.
نَنْفُضُ عَنِ الْأَبْدَانِ قُشُورَ الْكَثَافَةِ. وَنُسَرْبِلُ الْأَذْهَانَ بِنُورِ
اللَّطَافَةِ. نَرْقَى إِلَى قُلَلِ الْعُلَى بِأَقْدَامِ الْفِكَرِ. وَنَلْحَظُ بِأَبْصَارِ النُّهَى
مُخَلِّصَنَا ابْنَ الْبَشَرِ. نَرَاهُ عَلَى سُدَّةِ النُّورِ جَالِسًا. وَبِالْحَضْرَةِ الْقُدْسِيَّةِ
مُسْتَأْنِسًا. وَفِي خُدُورِ النُّورِ مَزْفُوفًا. وَبِأَجْنَادِ السَّمَاءِ مَحْفُوفًا. نَكْتَنِفُ
بِظِلِّهِ الظَّلِيلِ الْوَارِفِ. وَنَشْكُرُ أَنْعُمَهُ التَّوَالِدَ وَالطَّوَارِفَ. نَتَشَبَّثُ
بِأَهْدَابِ أَثْوَابِهِ. وَنُلْصِقُ الْخُدُودَ خَاضِعَةً عَلَى أَعْتَابِ أَبْوَابِهِ. وَنَطْلُبُ مِنْ
مَظَانِّ رَحْمَتِهِ. وَدِيوَانِ إِحْسَانِهِ وَرَأْفَتِهِ. أَنْ يُسْبِلَ سُتُورَ الرِّضْوَانِ عَلَى
بَوَادِي عُيُوبِكُمْ. وَيَرْوِيَ بِمَاءِ الْغُفْرَانِ صَوَادِيَ قُلُوبِكُمْ. وَيَجْعَلَ عُيُونَكُمْ
بِالرُّؤْيَةِ الْمَسِيحِيَّةِ قَرِيرَةً. وَقُلُوبَكُمْ بِأَنْوَارِ الْبَهْجَةِ الْعِيدِيَّةِ فَرِحَةً
مُسْتَنِيرَةً. وَوُجُوهَكُمْ يَوْمَ فَيْئَتِهِ بَادِيَةَ السُّفُورِ مُشْرِقَةَ الْوَضَاءِ.
وَمَصَابِيحَ أَعْمَالِكُمْ مُسْتَعِرَةً بِالْأَنْوَارِ زَاهِرَةَ الْأَضْوَاءِ. وَلَا بَرِحَتْ
غَمَائِمُ الْبَرَكَاتِ عَلَيْكُمْ وَاكِفَةً. وَنَسَائِمُ الْخَيْرَاتِ مُتَتَابِعَةَ الْهُبُوبِ
مُتَرَادِفَةً. وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ لِدَعَوَاتِكُمْ مَفْتُوحَةً. وَخَطَايَاكُمْ وَآثَامُكُمْ
بِالْعَفْوِ وَالْغُفْرَانِ مَصْفُوحَةً. وَإِذَا مَا آبَ مُخَلِّصُكُمْ مِنْ سَمَاءِ عِزَّتِهِ.
وَأَشْرَقَ نُورُ لِوَائِهِ الْأَزْهَرِ عَلَى أَشْخَاصِ أُمَّتِهِ. يَجْعَلُكُمْ مَعَ الْأَصْفِيَاءِ فِي
زُمْرَتِهِ. وَيُقْعِدُكُمْ عَلَى سُدَدِ النُّورِ مَعَ أَهْلِ الِاصْطِفَاءِ عَنْ مَيْمَنَتِهِ. آمِينَ

أَلْبَابُ الثَّالِثُ
فِي الْأَمْثَالِ

نخبة من امثال العرب للميداني

٣٩ آخِرُ الدَّوَاءِ الْكَيُّ ١ * آفَةُ الْمُرُوءَةِ خُلْفُ الْمَوْعِدِ * آكَلُ لَحْمِي وَلَا أَدَعُهُ لِآكِلٍ * آكَلُ مِنَ السُّوسِ * آكَلُ مِنْ ضِرْسٍ * آكَلُ مِنْ نَارٍ * آلَفُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ * آلَفُ مِنَ الْحُمَّى * آلَفُ مِنْ غُرَابِ عُقْدَةَ ٢ * آلَفُ مِنْ كَلْبٍ * آمَنُ مِنَ الْأَرْضِ ٣ * آبَ وَقَدَحُ الْفُوزَةِ الْمَنِيحُ ٤ * أَبَتِ الدَّرَاهِمُ إِلَّا أَنْ تَخْرُجَ أَعْنَاقُهَا ٥ * أَبْخَلُ مِنْ ذِي مَعْذِرَةٍ ٦ * أَبْخَلُ مِنْ صَبِيٍّ ٧ * أَبْخَلُ مِنَ الضَّنِينِ بِنَائِلِ غَيْرِهِ * أَبْخَلُ مِنْ كَلْبٍ ٨ * إِبْدَأْهُمْ بِالصُّرَاخِ يَفِرُّوا ٩ * أَبْرَدُ مِنْ بَرْدِ الْكَوَانِينِ * أَبْرَدُ مِنْ جِرْبِيَاءَ ١٠ * أَبْرَدُ مِنْ عَضْرَسٍ * أَبْرَدُ مِنْ غِبِّ الْمَطَرِ * أَبْرَدُ مِمَّنْ يَسْتَعْمِلُ النَّحْوَ فِي الْحِسَابِ * أَبْشَعُ مِنْ

١ مثل يُضرَب لامر شديد لا صبر عليهِ
٢ عُقدة ارض كثيرة النخل
٣ لانها تؤدي ما تُودَع
٤ يُضرَب لمن غاب ثم يجيء بعد فراغ القوم مما هم فيهِ فهو يعود بخيبتهِ
٥ اي لا يستطيع صاحب الغنى ان يكتمها وهذا المثل كقولهم انَّ الغنيَّ طويلُ الذيل ميَّاس
٦ يحمدون لقى الضيف بالقرى قبل الحديث ويعيبون تلقيهُ بالحديث والالتجاء الى المعذرة والسُّعال والتنخح والعرب تقول: المعذرة طرف من البخل
٧ يكون في يدهِ ادنى شيء فيشحُّ بهِ
٨ قال الشاعر: ومَن طلب الحوائج من لئيمٍ كمن طلب العظامَ من الكلابِ
٩ يُضرَب للظالم يتظلَّم ليُسكَت عنهُ
١٠ الجربياء اسم للشمال والريح بين الجنوب والصبا

مَثَلٍ غَيْرِ سَائِرٍ * أَبْصَرُ مِنْ عُقَابِ مَلَاعٍ ١ * أَبْصَرُ مِنْ فَرَسٍ بِيَهْمَاءَ فِي غَلَسٍ * أَبْطَأُ مِنْ غُرَابِ نُوحٍ * أَبْغَضُ مِنَ الشَّيْبِ إِلَى الْغَوَانِي * أَبْغَى مِنَ الْمِحْبَرَةِ * أَبْغَضُ مِنْ وُجُوهِ التُّجَّارِ يَوْمَ الْكَسَادِ * أَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ مِنَ الدَّهْرِ * أَبْقَى مِنْ وَحْيٍ فِي حَجَرٍ ٢ * أَبْكَى مِنَ الْيَتِيمِ * إِبِلِي لَمْ أَبِعْ وَلَمْ أَهَبْ ٣ * إِبْنُ آدَمَ حَرِيصٌ عَلَى مَا مُنِعَ عَلَيْهِ * إِبْنُهُ عَلَى كَتِفِهِ وَهُوَ يَطْلُبُهُ * أَبْيَنُ مِنْ فَلَقِ الصُّبْحِ * أَتْبِعِ الْحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ تَمْحُهَا ٤ * أَتَتْ عَلَيْهِ أُمُّ اللُّهَيْمِ ٥ * إِتَّخَذَ الْبَاطِلَ دَخَلًا * أَتْرَبَ فَنَدَحَ ٦ * أَتْرَفُ مِنْ رَبِيبِ نِعْمَةٍ * أَتْرُكِ الشَّرَّ يَتْرُكْكَ * إِتَّكَلْنَا مِنْهُ عَلَى خُصٍّ ٧ * أَتْمَكُ مِنْ سَنَامٍ * أَتَى عَلَيْهِمْ ذُو أَتَى ٨ * أَتَيْهُ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ٩ * أَثْبَتُ فِي الدَّارِ مِنَ الْجِدَارِ * أَثْبَتُ مِنْ أَصَمَّ رَأْسًا ١٠ * أَثْبَتُ مِنَ الْوَشْمِ * أَثْقَفُ مِنْ سِنَّوْرٍ ١١ * أَثْقَلُ مِنْ طَوْدٍ * أَثْقَلُ مِنَ الْمُنْتَظَرِ * أَلْإِثْمُ حَزَّازُ الْقُلُوبِ * أَجْدَى مِنَ الْغَيْثِ فِي أَوَانِهِ * أَجْرَأُ مِنْ أُسَامَةَ * أَجْرَدُ مِنْ صَلَعَةٍ ١٢ * إِجْلِسْ حَيْثُ تُؤْخَذُ بِيَدِكَ

١ ملاع الصحراء قالوا: ان عقاب الصحراء ابصر واسرع من عقاب الجبال
٢ كانت عرب اليمن تكتب الحكمة في الحجارة طلبًا لبقائها . والناس يقولون: التأديب في الصغر كالنقش في الحجر
٣ يُضرَب للظالم يخاصمك فيما لا حقَّ لهُ فيهِ . قال بعضهم:
يا قيس درعي لم أبع ولم أهَب ولم اكن يا قيس ممَّن يُغتصب
٤ يُضرَب في الانابة بعد الاجترام
٥ اهلكتهُ الداهية ويقال المنيَّة
٦ يضرب المثل لمن غنيَ فوسَّع عيشهُ وبذَّر مالهُ مسرفًا
٧ هو جدار القصب (كذا في الاصل)
٨ أي حوادث الدهر
٩ أرادوا بهِ مكث بني اسرائيل في التيه اربعين سنة
١٠ يعنون الجبل
١١ الثقف الآخذ بسرعة . يقال رجل ثَقْف لَقْف اذا كان جيد الحذر في القتال . ويقال هو سريع الطعن
١٢ الصلعة الصخرة الملساء

وتُبرّ . لاحيث تُؤخذ برجلك وتُجرّ * أجمع من نملة * أجوع من ذئب ١ *
أجهل من فراش ٢ * يجري بليق ويُذم ٣ * جدح جوين من سويق
غيره ٤ * أسمع جعجعة ولا أرى طحنًا ٥ * مال سرجه ٦ * فلان لا
تندى صفاته ٧ * أحد حماريك فأزجري ٨ * أحرص من الذرة *
أحسن من بيضة في روضة * أحسن من الدهم الموقفة ٩ * أحسن
من زمن البرامكة * أحسن من شنف الأنضر ١٠ * إحفظ ما في
الوعاء بشد الوكاء ١١ * أحكم من لقمان * أحكى من قرد * أحل
من لبن الأم * أحلب حلبًا لك شطره ١٢ * أحلى من حياة معادة *
أحلى من نيل المنى * أحمض من صفع الذل في بلد الغربة * أحمق
بلغ ١٣ * أحمق من المتخبط بكوعه * أحمل من الأرض * أحير من

١ ومنهُ داء الذئب وتقول العرب : رماهُ الله في داء الذئب ٢ دواب مثل البعوض تطير وتتهافت على السراج ٣ بُليق فرسٌ سبّاق كان يسبق الخيل وكان مع ذلك يُعاب . يُضرَب للمُحسن الذي يُذمّ مع احسانهِ ٤ يُضرَب للبخيل يجود من اموال الناس ٥ يُضرَب للجبان يَوعد ولا يوقع وللبخيل يَعِد ولا يُنجز
٦ يُضرَب في اضطراب الامر وفشل الراي . ومنهُ قول الربيع بن زياد العبسي :

فكنّا فوارسَ يوم الهرير اذا مال سرجُك فاستقدما

٧ الصفاة الحجر الصلب الضخم . يُضرَب في شدّة الحرص والإمساك
٨ يُقال لمن يتكلّف ما لا يعنيهِ ٩ هي التي في قوائمها بياض ١٠ الأنضر جمع نَضر وهو الخالص من الذهب . قال الشاعر :

وبياض وَجهٍ لم تَحُلْ اسرارهُ مثل الوذيلة او كَشَنْف الانضُرِ

١١ يُضرَب في الحثّ على اخذ الامر بالحزم ١٢ يُضرَب للرجل يُعين صاحبهُ على امرٍ لهُ فيهِ نصيب ١٣ هذا يحتمل وجهين احدهما انهُ احمق ويبلغ ما يريد . والآخر انّ حماقتهُ قد بلغت

ليل ١ * أحيا من فتاة * أخبرته بعجري وبجري * أخبرته خبوري
وشقوري وفقوري * أخبط من عشواء * أخبط من حاطب ليل ٢ *
إختلط الخاثر بالزباد ٣ * أخذ في ترهات البسابس ٤ * أخذت
الأرض زخاريها ٥ * أخذنا في البرقلة * أخذني بأطير غيري *
أخذه على غِلّ غيظه ٦ * أخرج الطمع من قلبك تحلّ القيد من
رجلك * إنّ في الشرّ خيارًا ٧ * إنّ الخصاص يُرى من جوفها الرقم ٨ *
إنّ في المعاريض لمندوحة عن الكذب ٩ * عادت إلى عِترها لميس ١٠ *
هذا برضٌ من عدٍّ ١١ * يُبلغ الخضم بالقضم ١٢ * لكلّ ساقطة
لاقطة ١٣ * عاد السهم إلى النزعة ١٤ * هو كالكاتب على صفحات
الماء ١٥ * أشهر من نارٍ على علم ١٦ * إن كنت ريحًا فقد لاقيت

١ من الحَيْرة . والليلُ ولدُ الحُبارى . قال الزمخشري : بل جُعلت الحيرة لليل وهي في المعنى لاهلهِ ٢ لان الذي يحتطب ليلًا يجمع كل شيء مما يحتاج اليهِ ومما لا يحتاج فلا يدري ما يجمع ٣ للقوم يتعون في التخليط من امرهم ٤ لمن جاء بكلام كذب مُحال وسلك في الطريق الذي لا يُنتفَع بهِ ٥ لمن صلح حالهُ بعد فسادهِ
٦ اي رغمًا عنهُ وعلى أثر غيظ اكمنهُ في قلبهِ . ويروى : قلّ ٧ بعض الشرّ اهوَن من بعض خير . ويجوز ان يكون الخيار الاسم من الاختيار اي في الشرّ ما يُختار على غيرهِ ٨ اي الشيء العظيم يُرَى في الشيء الحقير ٩ لمن يحسب انهُ يضطرّ الى الكذب ١٠ اي رجعت الى اصلها . يُضرَب لمن رجع الى خُلقٍ كان قد تركهُ
١١ يُضرَب لمن يعطي قليلًا من كثير ١٢ اي الغاية البعيدة تُدرَك بالرفق . وقيل المراد بالخضم اكل الشيء الرَّطب والقضم اكل الشيء اليابس . اي الراحة والسهولة تحصل باحتمال العَناء والمشقّة ١٣ اي لكلّ كلمة سقطت من فم الناطق نفسٌ تسمعها فتلقطها فتذيعها . يُضرَب في حفظ اللسان ١٤ اي رجع الحقّ الى اهلهِ
١٥ يُضرَب لمن لا يؤثّر عملهُ شيئًا ١٦ يُضرَب في الشهرة

إعصارًا * بعلّةِ الورشانِ يأكلُ رطبَ المُشانِ ١ * لا يعرفُ الهرَّ من البرِّ ٢ * عندَ الرهانِ تُعرفُ السوابقُ ٣ * لا تهرِفْ بما لا تعرفُ ٤ * أنجزَ حرٌّ ما وعدَ ٥ * فلانٌ يعلمُ من حيثُ تُؤكلُ الكتفُ ٦ * ألقى حبلَهُ على غاربِهِ * إنما يُضنُّ بالضِّنينِ ٧ * مُخرنبقٌ ليُباعَ ٨ * هو إمّعةٌ وهو إمرةٌ ٩ * هما زندانِ في وعاءٍ ١٠ * إذا أرجحنَّ شاصيًا فارفعْ يدًا ١١ * هوّنْ عليكَ ولا تولعْ بإشفاقٍ ١٢ * لا تكنْ حلوًا فتُسترطَ ولا مرًّا فتُعافَ ١٣ * يجمعُ بينَ الأروى والنعامِ ١٤ * ليسَ قطًا مثلَ قُطيٍّ ١٥ * جاءَ بعدَ الهياطِ والمياطِ ١٦ * كالمُستغيثِ من الرمضاءِ بالنارِ ١٧ * لا آتيكَ أو يؤوبَ القارظُ العنزيُّ ١٨ * أخذهُ برمّتِهِ ١٩

---

١ اي ان الصيّاد بحجة سعيهِ في اثر الصيد يدخل بين النخل فيأكل التمر بهذة العلة . يُضرَب لمن يظهر شيئًا والمراد منهُ شيء آخر

٢ قيل الهِر القطّ والبر الفارة وقيل المراد الشر من الخير . وقيل الحق من الباطل . يُضرَب في الجهالة

٣ يُضرَب لبيان الامر عند الاختبار

٤ الهَرف الاطناب في المدح

٥ وهو لانجاز الوعد

٦ للاريب الداهي

٧ للصلة والقطيعة

٨ هو للمُطرق حتى يُصيب الفرصة

٩ للرجل الذي لا عزم لهُ يتابع كل احد على رايهِ

١٠ للمتساويين في الخير والشر

١١ يقول اذا رأيتهُ قد خضع واستكان فاكفف عنهُ

١٢ للصبر على المصائب

١٣ يُضرَب لتوسُّط الامور

١٤ يُضرَب لسوء المرافقة . لان مسكن الاروى الجبال ومسكن النعام الرمل

١٥ يُضرَب للغلط في القياس

١٦ اي لحاجة مقضية

١٧ للظالم الذي لا يشفق

١٨ يُضرَب لكل غائب لا يُرجى ايابهُ . والقارظ رجلٌ من عَنَزة خرج يجني القَرَظ فلم يرجع ولا عُرف لهُ خبرٌ

١٩ الرمّة قطعة من الحبل . اصل المثل ان رجلًا دفع الى رجل بعيرًا بحبل في عنقهِ . فقيل لكل من دفع شيئًا بجملتهِ : دفعهُ اليهِ برمّتهِ واخذهُ منهُ برمّتهِ

نخبة من امثال الميداني وابن نباتة وغيرهما مع شرحها

٤٠ يومُ عُبَيدٍ (ويُقالُ عَبيد)

يُضرَب لليوم المنحوس الطالع . وكان عُبَيد بن الابرص تصدّى فيهِ للنعمان في يوم بؤسهِ . وكان لهُ يوم بؤس مَن لقيهُ فيهِ اهلكهُ ويوم نعيم من لقيهُ فيهِ اكرمهُ . فقال النعمان : يا عُبَيد انك مقتول فانشدني « اقفر من اهلهِ ملحوب » . فانشد :

اقفرَ من اهلهِ عَبيدُ فظلَّ لا يُبدي ولا يُعيدُ

ثم قتلهُ وصار يومُهُ يُضرَب بهِ المثل . قال ابو تمّام :

لمّا اظلّتني سماؤُكَ اقبلتْ تلكَ الشهودُ عليَّ وهي شهودي
من بعدِ ما ظنَّ الأعادي أنهُ سيكونُ لي يومٌ كيومِ عَبيدِ

٤١ صَمصامةُ عَمرِو بنِ مَعدي كَربَ الزُّبَيدِيّ

من اشهر سيوف العرب وبهِ يُضرَب المثل في كرم الجوهر وحسن المنظر والمَخبَر والمَضاء . وكان عمرو فارس زُبَيد حسن الاستعمال لهُ في الجاهلية . وفيهِ يقول :

سِناني ازرقٌ لا عيبَ فيهِ وصَمصامي يُصمّم في العظام

وقال عبدالله بن العبّاس لبعض اليمانيين : لكم من السماء نجمُها ومن الكعبة رُكنها ومن السيوف صمصامها . يعني سُهَيلًا والركن اليماني وصمصامة عمرو بن معدي كرب

٤٢ حَديثُ خُرافَة

خُرافة رجل من بني عُذْرة استهوتهُ الجنّ . فلمّا رجع الى قومهِ جعل يحدّثهم بالأعاجيب من احاديث الجن . وكانت العرب اذا سمعت حديثًا لا اصل لهُ قالت : حديث خُرافة

٤٣ نَخوَةُ العَرَبِ

لم تزل تتميّز العرب عن سائر الامم بالنخوة لما فيها من الشجاعة والكرم والفصاحة حتّى ان النعمان بن المنذر امتنع عن مصاهرة كسرى ابرويز ملك الفرس

٤٤ عُروَةُ الصَّعاليكِ

هو عروة بن الوَرد العبسيّ . وانما سُمّي عروة الصعاليك لانهُ كان اذا شكا احد اليهِ الفقرَ اعطاهُ فرسًا ورمحًا وقال لهُ : ان لم تستغنِ بهما فلا اغناك الله

٤٥ جَوفُ حِمارٍ

من امثال العرب هو اكفرُ من حِمار واخلى من جوف حمار . وهو ابن مُويلع من عاد .

وجوفٌ وادٍ لهُ طويل عريض لم يكن ببلاد العرب اخصب منهُ . وفيهِ من كل الثمرات فخرج بنوهُ يتصيَّدون فاصابتهم صاعقة فهلكوا فقال : لا اعبُدُ مَن اهلك اولادي . فكفر ودعا قومهُ الى الكفر فمَن خالفهُ قتلهُ . فاخرب الله تعالى واديهُ فضُرب بهِ المثل في الخراب . فقال امرؤُ القيس :

ووادٍ كجوف العَير قَفرٍ قطعتهُ ... بهِ الذئبُ يَعوي كالخليع المُعيّلِ

٤٦ حُصْنُ تَيْماءَ

بلدة بين الحجاز والشام ولها حصن يُتمثَّل بهِ في الحصانة ويقال ان سليمان بناهُ بالحجارة والكلس فنعتهُ العرب . ثم ملكهُ عادياء اليهودي ثم ابنهُ السموءل . وفيهِ يقول الاعشى :

ارى عاديا لم يمنع الموتَ مالُهُ ... وفردٌ لتيماءَ اليهوديّ ابلقُ
بناهُ سليمان بن داود حِقبةً ... لهُ آزَجٌ صُمٌّ وطينٌ مُوثَّقُ
يوازي كُبَيداتِ السماء ودونهُ ... ملاطٌ ودارات وكِلسٌ وخَندقُ

٤٧ كَعْبَةُ نَجْرانَ وَقَصْرُ غُمْدانَ

نجران اقدم بلاد اليمن وكان لها كعبة تُحَجُّ فخربت وضُرِب بها المثل في الخراب وزوال الدولة . وقال ابو عُبَيْدة : احبَّت العربُ ان تشارك العجم في البنيان وتنفرد بالشعر . فبنوا غُمدان وهو قصر شاهق مشهور وكعبة نجران وحصنَ تيماء الابلق الفرد وغير ذلك من البنيان . وغمدان احد الابنية الوثيقة للعرب يُتمثَّل بهِ في الحصانة والوثاقة سكنهُ ملوك حمير . ثم تنقَّلت بهِ احوال ادَّت الى خرابهِ

٤٨ إِنَّ ٱلْمُوصَّيْنَ بَنُو سَهْوانَ

قيل هذا معناهُ : انما يحتاج الى الوصيَّة مَن يسهو ويغفل فاما انت فغير محتاج اليها لانك لا تسهو . وقال بعضهم : يريد بقولهِ « بنو سهوان » جميعَ الناس لان كلهم يسهو . والاصوب في معناهُ ان يقال ان الذين يوصون بالشيء يستولي عليهم السهو حتَّى كانهُ موكَّل بهم . ويُضرَب لمن يسهو عن طلب شيء أُمِر بهِ . والسهوان السهو ويجوز ان يكون صفة اي بنو رجل سهوان وهو آدم حين عُهد اليهِ فسها ونسي . يقال رجل سَهْوان وساهٍ اي ان الذين يُوصَّون لا بدَّ ان يسهوا لانهم بنو آدم

٤٩ أَكْرَمُ مِنْ حاتِمِ طَيِّءٍ

جواد العرب المضروب بهِ المثل في الجود وفيهِ يقول الشاعر :

لمَّا سألتك شيئاً ... بدَّاتَ رُشْدًا بغيّ
عمَّن تعلَّمتَ هذا ... أن لا تجودَ بشيّ

أما مررتَ بعبدٍ ... لعبدِ حاتم طَيِّ

وكان يُضرَب بجود طيِّءٍ المثل حيث منهم حاتم واوس بن حارثة . وهما في الجود والكرم على جانب عظيم . ورُوي ان اوساً وحاتماً وفدا على عمرو بن هند . فدعا اوساً فقال لهُ : انت افضل ام حاتم . فقال : ابيت اللعن لو وُهِبَني حاتم وولدي لَوَهَبَني في ساعةٍ واحدةٍ . ثم دعا حاتماً فقال لهُ : انت افضل ام اوس . فقال : اَبَيْتَ اللعن أَتَعْدِلني باوس ولَاَحد ولدهِ افضل مني . فقال عمرو : ما ادري ايكما افضل وما منكما الَّا سيّد كريم . ومن محاسن اوس ان النعمان بن المنذر دعا حلَّة نفيسة وعندهُ العرب وفيهم كل سيّد كريم وفيهم اوس . فقال : احضروا غداً فاني مُلبس هذه الحلَّة اكرمكم . فحضر القوم الَّا اوساً . فقيل لهُ : لِمَ تتخلَّف . فقال : ان كان المراد غيري فاجلُّ الاشياء بي ان لا اكون حاضراً وان كنتُ المرادَ فسأُطلَب . فلمَّا جلس النعمان ولم يرَ اوساً قال : اذهبوا الى اوس فقولوا لهُ : احضر آمناً مما خفتَ . فحضر وأُلبس الحلَّة . فحسدهُ قوم من اهلهِ وقالوا لبشر بن ابي خازم : أُهجُهُ . فهجاهُ بشر فاغار اوس على ابلهِ واكتسحها وطَلَبهُ فجعل بشر لا يستجير حيّاً من احياء العرب الَّا قالوا لهُ : قد اجرناك من الانس والجنّ الَّا من اوس . وكان في هجائهِ اياهُ ذكر أُمهِ . فابث يسيراً حتَّى اتى بهِ اسيراً . فدخل اوس الى امّهِ واستشارها في امره . فقالت : ارى ان تردّ عليهِ مالهُ وتعفو عنهُ وأفعل انا مثل ذلك فلا يَقيكَ هجاءهُ الَّا مدحُهُ . فاخبرهُ اوس بما قالت أُمُّهُ . فقال : لاجرم والله لامدحنَّ غيرك حتَّى اموت

٥٠ أَلْمُعَيْدِيُّ تَسْمَعُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ

هذا مثل يُضرَب لمن يكون خبرُهُ خيراً من منظرهِ . وأوَّل من قالهُ النُّعمان لشِقَّة ابن ضَمْرة في خبر طويل . معناهُ انهُ كان يغير على مال النعمان ويطلبهُ النعمان فلا يقدر عليهِ الى ان أَمَّنهُ وكان يعجبهُ ما يسمع عنهُ من الشجاعة والاقدام . فلمَّا رآهُ استزرى منظرهُ لانهُ كان دميم الخلقة فقال : تسمع بالمُعَيديّ خيرٌ من أن تراهُ . فقال : ايت اللعن ان الرجال ليست بجُزُر وانما يعيش المرء باصغريهِ قلبهِ ولسانهِ . فاعجب النعمانَ كلامهُ وجعلهُ من خواصّهِ الى ان مات . ومُعَيْد اسم قبيلة

٥١ أَبْدَى ٱلصَّرِيحُ عَنِ ٱلرُّغْوَةِ

أي وضح الأمر وبان . قال بعضهم :

ألم تسَل الفوارسَ يوم غول ... بنَضْلة وهو موتورٌ مُشيحُ
رأَوهُ فازدرَوهُ وهو حرٌّ ... وينفع اهلهُ الرجل القبيحُ
ولم يخشوا مَصالَتَهُ عليهم ... وتحت الرُّغوة اللبنُ الصريحُ

يقول رأَوني فازدرَوني لدمامتي فلمَّا كشفوا عني وجدوا غير ما رأَوا ظاهراً

٥٢ إِنَّ ٱلشَّقِيَّ وَافِدُ ٱلْبَرَاجِمِ

هو عمّار بن صخر التميمي . والبراجم خمسة من أولاد حنظلة والعرب تضرب المثل بوافد البراجم . وذلك ان الملك عمرو بن هند احرق تسعة وتسعين رجلاً من بني تميم لثارٍ لهُ عندهم وكان قد آلى ان يحرق منهم مائة . فبينما هو يلتمس بقيّة المائة اذ مرَّ رجل من البراجم يُسمَّى عماراً قادم من سفرٍ فاشتمَّ رائحة القتار فظن ان الملك اتخذ طعاماً فعدل اليهِ . فقيل لهُ ممَّن انت . قال : من البراجم . فألقي في النار . وقيل في المثل ان الشقيَّ وافد البراجم . ومن هنالك عُيّرت بنو تميم بحبّ الطعام

٥٣ شَقَائِقُ ٱلنُّعْمَانِ

قال ابو محمد : شقائق النعمان منسوبة الى النعمان بن المنذر . وكان خرج الى الحضر وقد اعتمَّ نبتهُ من بين أخضرَ وأصفرَ وأحمرَ واذا فيهِ من هذه الشقائق شيء . فقال : ما احسنها احموّها . فحموّها فسُمّيت شقائق النعمان

٥٤ أَفْصَحُ مِنْ سَحْبَانِ وَائِلٍ

هو وائل بن معن بن أعصُر وكان خطيباً يُضرَب بهِ المثل في الفصاحة . قال الشاعر في ضيف نزل بهِ :

اتانا ولم يعدلهُ سحبان وائلٍ ... بياناً وعلماً بالذي هو قائلُ
فما زال عنهُ اللَّقْم حتى كأنهُ ... من العِيِّ لمَّا ان تكلَّم باقلُ

٥٥ أَبَرُّ مِنَ ٱلْعَدَلِّسِ

كان بَرًّا بامّهِ وكان يحملها على عاتقهِ حمل اليها غبوقاً من لبن في عُسٍّ . فصادفها نائمة فكره انباهها والانصراف عنها . فاقام مكانهُ قائماً يتوقع انتباهها حتى اصبح

٥٦ أَبْطَشُ مِنْ دَوْسَرَ

قالوا ان دوسر احدى كتائب النعمان بن المنذر ملك العرب . وكانت لهُ خمس كتائب الرهائن والصنائع والوضائع والاشاهب ودوسر . اما الرهائن فانهم كانوا خمس مائة رجل رهائن لقبائل العرب يقيمون على باب الملك سنة ثم يجيء بدلهم خمسمائة أُخرى وينصرف اولئك الى احيائهم . فكان الملك يغزو بهم ويوجههم في امورهِ . واما الصنائع فبنو قيس وكانوا خواصّ الملك لا يبرحون بابهُ . اما الوضائع فانهم كانوا الف رجل من الفُرس يضعهم ملك الملوك بالحيرة نجدة لملك العرب . وكانوا ايضاً يقيمون سنة ثم ياتي بدلهم الف رجل وينصرف اولئك . واما الاشاهب فاخوة ملك العرب وبنو عمّه ومن يتبعهم من اعوانهم سُمّوا

الاشاهب لانهم كانوا بيض الوجوه . فاما دوسر فانها كانت اخشن كتائبهِ واشدها بطشاً ونكاية وكانوا من كل قبائل العرب واكثرهم من ربيعة . سُمّيت دوسر اشتقاقاً من الدسر وهو الطعن بالثقال لثقل وطأتها . قال الشاعر :

ضربت دوسرُ فيهم ضربةً ... اثبتت اوتادَ ملك فاستقر

وكان ملك العرب عند رأس كل سنة وذلك ايام الربيع يأتيهِ وجوه العرب واصحاب الرهائن وقد صيّر لهم اكلاً عندهُ وهم ذوو الآكال . فيقيمون عندهُ اشهراً ويأخذون اكالهم ويبدلون رهائنهم وينصرفون الى احيائهم

٥٧ أَبَأَى مِمَّنْ جَاءَ بِرَأْسِ خَاقَانَ

هذا خاقان ملكٌ من ملوك الترك خرج من ناحية باب الأبواب . وظهر على ارمينية وقتل الجرَّاح بن عبد الله عامل هشام بن عبد الملك عليها . وغلظت نكايتهُ في تلك البلاد . فبعث هشام اليهِ سعيد بن عمرو الجُرَشي وكان مُسلة صاحب الجيش فاوقع سعيد بخاقان ففضَّ جمعهُ واحتزَّ رأسهُ وبعث بهِ الى هشام . فعظم اثرهُ في قلوب المسلمين وفخم امرهُ ففخر بذلك حتى ضُرب بهِ المثل

٥٨ أَبْصَرُ مِنْ زَرْقَاءِ ٱلْيَمَامَةِ

هي عنزة اليمامة . واليمامة اسمها وجا سُمّي البلد وهي امرأة من جديس . وذكر الجاحظ انها كانت تُبصر الشيء من مسيرة ثلاثة ايام . فلما قتلت جديس طسماً خرج رجل من طسم الى حسّان بن تُبّع فاستجاشهُ ورغّبهُ في الغنائم فجهّز اليهم جيشاً . فلما صاروا من جو على مسيرة ثلاث ليال صعدت الزرقاء فنظرت الى الجيش . وقد امروا ان يحمل كل رجل منهم شجرة يستتر بها ليلبسوا عليها . فقالت : يا قوم اتتكم الاشجار او اتتكم حِميَر فلم يصدّقوها . فقالت على مثال رجز :

أُقسم بالله لقد دبَّ الشجرْ ... او حِميَرٌ قد اخذت شيئاً يُحِيَرْ

فلم يصدقوها . فقالت : بالله لقد أرى رجلاً ينهش كتفاً او يخصف النعل فلم يصدقوها . ولم يستعدوا حتى صبحهم حسّان فاجتاحهم . وكانت أوّل من اكتحل بالإثمد من العرب

٥٩ أَبْلَغُ مِنْ قُسٍّ

قسّ بن ساعدة بن حُذافة بن زهير بن إياد بن نزار الايادي اسقف نجران . وكان من حكماء العرب واعقل من سُمع بهِ منهم . وهو أوّل من كتب من فلان الى فلان . وأوّل من اقرَّ بالبعث من غير علم . وأوّل من قال : اما بعد . وأوّل من قال : البيّنة على من ادّعى واليمين على من انكر . وقد عُمّر مائة سنة ونيّفاً

٦٠ أَلْحَدِيثُ شُجُونٌ

وهذا المثل لضبّة بن أُدّ. وكان لهُ ابنان سعد وسعيد فخرجا في طلب ابل لهما فرجع سعيد ولم يرجع سعد. فكان ضبّة لما رأى رجلًا مقبلًا قال: أَسعد أَم سعيد فذهبت مثلًا. ثم ان ضبّة بيناهو يسير يومًا ومعهُ الحرث بن كعب في الشهر الحرام فأتى على مكان فقال لهُ الحرث: أترى هذا الموضع فاني لقيت فتى هيئتهُ كذا وكذا فقتلتهُ واخذت منهُ هذا السيف. فاذا بصفة سعد. فقال لهُ ضبّة: أَرني السيف انظر اليهِ فناولهُ فعرفهُ فقال لهُ: ان الحديث شجون. ثم ضربهُ بهِ حتى قتلهُ. فلامهُ الناس في ذلك وقالوا: أَقتلت في الشهر الحرام. قال: سبق السيفُ العذلَ. فذهبت مثلًا

٦١ أَتَانَا صَكَّةَ عُمَيٍّ

عُمَي رجل من عَدوان وكان يفتي في الحج فاقبل معتمرًا ومعهُ رَكْب حتى نزلوا بعض المنازل في يوم شديد الحرّ. فقال عُمَي: من جاءَت عليهِ هذه الساعة من غد وهو حرام لم يقض عمرتهُ فهو حرام الى قابل. فوثب الناس في الظهيرة يضربون (اي يسيرون) حتى وافوا البيتَ وبينهم وبينهُ من ذلك الموضع ليلتان. فضُرب مثلًا فقيل: اتانا صكّة عُمَي اذا جاءَ في الهجيرة الحارّة. وقيل كان عُمَي رجلًا مغوارًا ففزا قومًا عند قائم الظهيرة وصكم صكّة شديدة فصار مثلًا لكل من جاءَ في ذلك الوقت

٦٢ كَأَنَّهُ سِنَّوْرُ عَبْدِ اللهِ

يُضرَب لمن لا يزيد سنًّا الّا ازداد نقصانًا وجهلًا. وفيهِ يقول بشّار بن برد الأَعمى:

أَبا مُخالِفٍ ما زلتَ سبّاحَ غمرةٍ ... صغيرًا فلما شبتَ خِمْتَ بالشاطي
كسِنَّورِ عبد الله بيعَ بدرهمٍ ... صغيرًا فلمّا شبَّ بيع بقيراطِ

٦٣ فَمِي مَلآنُ مِنَ ٱلْمَاءِ

يُضرَب لمن يريد ان يتكلّم ولكن لهُ ما يحجزهُ عن الكلام. ولله بعض الشعراء وقد عوتب على قلّة كلامهِ:

قالت الضفدع قولًا ... فسَرتهُ الحكماءُ
في فمي ماء وهل ينـ ... ـطق مَن في فيهِ ماءُ

٦٤ أَحْلَمُ مِنَ ٱلْأَحْنَفِ

هو ابو فخر الضحّاك بن قيس التميمي الأَحنف من التابعين ومن كلامهِ: ربَّ غيظ تجرّعتهُ منافة ما هو اشدُّ منهُ. ومن قولهِ: كثرة المزاح تُذهب بالهيبة. السؤدُدُ كرم الاخلاق وحسن الفعل. الداء اللسان البذي والخلق الردي. وكان الاحنف شهد مع عليّ بن ابي طالب وقعة

بصفّين. ولمّا استقرَّ الأَمر لمعاوية دخل عليهِ يومًا. فقال لهُ معاوية: والله يا احنف ما أَذكُرُ يوم صِفّين الّا كانت حَزازة في قلبي الى يوم القيامة. فقال لهُ الاحنف: والله يا معاوية ان القلوب التي ابغضناك بها لفي صدورنا. وان السيوف التي قاتلناك بها لفي أَغمادها. وان تدنُ من الحرب فِترًا ندنُ منك شِبرًا. وان تمشِ الينا نُهرولْ اليك. ثم قام وخرج. وكانت اخت معاوية من وراء حجاب تسمع كلامهُ فقالت: يا أَمير المؤمنين مَن هذا الذي يتهدَّد ويتوعَّد. فقال: هذا الذي اذا غضب غضب لغضبهِ مائة الف من بني تميم ولا يَدرون لِما غضب

واخبر الزُّبيريّ عنهُ قال: كان معاوية قد كتب الى عمّالهِ ان يوفدوا اليهِ الوفود من الأَمصار. فكان فيمن اتاهُ محمد بن عمرو بن حزم من المدينة والاحنف بن قيس في وَفْد اهل البصرة. ثم ان معاوية قال للضحّاك بن قيس الفِهْري: لمّا تجتمع الوفود اني متكلّم فاذا سكتُّ فكن انت الذي تدعو الى بَيْعة يزيد وتحضُّ عليها. فلمّا جلس معاوية للناس تكلّم فعظّم أَمر الاسلام وحُرمة الخلافة وحقّها فحمد الله واثنى عليهِ. ثم قال الضحّاك: يا أَمير المؤمنين انهُ لا بدَّ للناس من والٍ بعدك فذلك احقن للدماء واصلح للدهماء وآمن للسبيل وخيرٌ في العاقبة. والايام عوجٌ كلَّ يومٍ في شأن ويزيد ابن امير المؤمنين في حسن هديهِ. وهو من أَفضلنا علمًا وحلمًا وأَبعدنا رأيًا. فخوِّلْهُ عهدك واجعلهُ لنا علَمًا بعدك ومفزعًا نلجأُ اليهِ ونسكن الى ظلّهِ. وتكلّم عمرو بن سعيد الاشدق بنحوٍ من ذلك. ثم قام يزيد بن المقنَّع العُذْريّ فقال: هذا امير المؤمنين (واشار الى معاوية) فان هلك فهذا (واشار الى يزيد) ومَن أَبى فهذا (واشار الى سيفهِ). فقال معاوية: اجلس فانت سيّد الخطباء. فاذعن مَن حضر من الوفود. فقال معاوية للأَحنف: ما تقول يا ابا بحر. فقال: نخافكم ان صدَقنا ونخاف الله ان كذبنا. وانت يا أَمير المؤمنين اعلَم بيزيد في ليلهِ ونهارهِ وسرّهِ وعلانيتهِ ومَدخلهِ ومَخرجهِ. فان كنت تعلمهُ لله تعالى ولهذه الأُمّة رضىً فلا تشاور فيهِ. وان كنت تعلم منهُ غير ذلك فانت صائر الى الآخرة وانما علينا أَن نقول: سمعنا وأَطَعنا

٦٥ أَحْمَقُ مِنْ أَبِي غَبْشَانَ

ان خُزاعة اخذ فيها موتٌ شديد وزعاف عمّهم بمكّة. فخرجوا منها ونزلوا الظَّهران. وكان فيهم رجل يقال لهُ حُليل بن حُبْشيّة وكان صاحب البيت. وكان لهُ بنون وبنت يقال لها حُبّى وهي امرأَة قُصَيّ بن كلاب. فمات حليل وكان اوصى ابنتهُ حُبّى بالحجابة واشرك معها ابا غبشان الملكاني. فلمّا رأَى قصيّ بن كلاب ان حليلًا قد مات وبنوهُ غُيَّب والمفتاح في يد امرأَتهِ طلب اليها ان تدفع المفتاح الى ابنها عبد الدار بن قصيّ وحمل بنيهِ على ذلك فقال: اطلبوا الى امكم حِجابة جدّكم. ولم يزل بها حتّى سلّمت لهُ بذلك. وقالت: كيف اصنع بأَبي غَبشان وهو وصيٌّ معي. فقال قصيّ: أَنا اكفيكِ أَمرهُ. فاتفق أَن اجتمع ابو غبشان مع قصيّ في شربٍ بالطائف

فخدعهُ قصيّ عن مفاتيح الكعبة بان اسكرهُ ثم اشترى منهُ المفاتيح بزِقّ خمر واشهد عليهِ ودفع المفتاح الى ابنهِ عبد الدار بن قصيّ ورَدَّهُ الى مكّة . فلما اشرف عبد الدار على دُور مكّة رفع عقيرتهُ وقال : معاشر قريش هذه مفاتيح بيت ابيكم اسماعيل قد ردَّها الله عليكم من غير غدر ولا ظلم . فافاق ابو غبشان من سكرهِ أندم من الكُسَعيّ . فقال الناس : احمق من ابي غبشان . واندم من ابي غبشان . واحسر صفقةً من ابي غبشان . فذهبت امثالاً . واكثر الشعراء فيهِ القول

٦٦ صَفْقَةٌ لَمْ يَشْهَدْهَا حَاطِبٌ

هو حاطب بن ابي بَلْتعة وكان حازماً خبيرًا . اذا باع بعض قومهِ او اشترى جعل ذلك على يدهِ لئلا يُغبَن فيهِ . فباع بعض اهلهِ بيعةً ليست عن يدهِ فغُبِن فيها فقيل : هي صفقة لم يشهدها حاطب . يُضرب لمن يقضي امرًا ليس عن يد أربابهِ

٦٧ أَحْمَقُ مِنْ هَبَنَّقَةَ

قيل انهُ جعل في عنقهِ قلادة من وَدْع وعظام وخَزَف وهو ذو لحية طويلة . فسُئل عن ذلك . فقال : لأعرف بها نفسي ولئلا اضلّ . فبات ذات ليلة واخذ اخوهُ قلادتهُ فتقلّدها فلما اصبح ورأى القلادة في عنق اخيهِ فقال : يا اخي انت انا فمن انا . وقيل انهُ ضلَّ لهُ بعير فجعل ينادي : من وجد بعيري فهو لهُ . فقيل لهُ : فلِمَ تنشدهُ . قال : فاين حلاوة الوجدان

٦٨ أَحْوَلُ مِنْ أَبِي قَلَمُونَ وَأَبِي بَرَاقِشَ

أبو براقش وابو قلمون كنية الرجل الكثير التلوّن القليل الارتباط . واصل ابي قلمون كنية لثياب ابريسم تنسج بمصر وبلاد الروم تتلوّن بالعيون الوانًا . قال بديع الزمان في بعض مقاماتهِ :

انا ابو قلمونٍ في كل لونٍ اكونُ

٦٩ قَلَبَ لَهُ ظَهْرَ الْمِجَنِّ

يُضرَب لمن كان لصاحبهِ على مودَّة ورعاية ثم حال عن العهد . وقد يُضرب للمحاربة بعد المسالمة . لان مُمسك المجنّ اذا جعل ظهرهُ خارجًا لم يكن الّا ليتقي بهِ ولا يفعل ذلك الّا المحارب

٧٠ هُوَ أَبْطَأُ مِنْ فِنْدٍ

اسم ابي زيد صاحب عائشة بنت سعد بن ابي وقّاص . كان من المغنين المحسنين ارسلتهُ عائشة ذات يوم لياتيها بشعلة نار من بيوت الجيران . فوجد قومًا ذاهبين الى مصر فتبعهم من فورهِ واقام هناك سنة ثم قدم . ولمّا دخل الحي اخذ نارًا وجاء يعدو الى بيت عائشة . فمرّ بمجرٍ هناك وتبدَّدت النار التي كان قد اتى بها فقال : تَعِسَت العجلة . وفيهِ يقول الشاعر :

ما رأينا لغُرابٍ مثلاً ان بعشاهُ يجيءُ بالمِشْمَلّه

غير فندٍ ارسلتهُ قابسًا فتوى حَوْلًا وسبَّ العجَلَهْ

المِشْملة كساءٌ يُتدثّر بهِ . وغُراب اسم رجل ارسلوهُ ليأتيهم بها فابطأ . فقال بعضهم البيتين مشبّهًا اياهُ بفند المذكور آنفًا

٧١ أَحْشَفًا وَسُوءَ كِيلَةٍ

حكى الاصمعي ان ابا جعفر المنصور لقي اعرابيًا بالشام وقال لهُ : احمد الله يا اعرابيُّ الذي رفع عنكم الطاعون بولايتنا اهل البيت . فقال لهُ الاعرابي : ان الله أعدل من ان يجمع علينا حشفًا وسوء كيلة . فلا يجمع بين ولايتكم والطاعون . يُضرب لمن يجمع بين خصلتين مكروهتين

٧٢ كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا

اصلهُ ان ثلاثة رجال خرجوا يصطادون فاصطاد احدهم ارنبًا والآخر ظبيًا والآخر حمار وحش . فاستبشر الاوّلان وتطاولا . فقال الثالث : كل الصيد في جوف الفرا . يُضرب للرجل يكون لهُ حاجات كثيرة منها واحدة عظيمة فتقضى لهُ فيقول ذلك . او يُقال لهُ ذلك على معنى انهُ لم يبالِ بفوات البواقي . والفرا حمار الوحش

٧٣ أَهْدَى مِنَ الْقَطَا

قيل ان القطا تترك فراخها في الصحراء وتذهب عند طلوع الفجر في طلب الماء من مسير ليلة فتردهُ ضُحوةَ يومها فتحمل الماء الى فراخها فتُنهلها . ثم ترجع بعد الزوال الى تلك المسافة فتشرب وتأتي فراخها في عشيّة يومها فتسقيها عَلَلًا بعد نهلٍ ولا تخطئُ مواضع فراخها

٧٤ لَا تُطْعِمِ الْعَبْدَ الْكُرَاعَ فَيَطْمَعَ فِي الذِّرَاعِ

قيل لعمرو بن عديّ ابن اخت جذيمة الابرش . وكان قد هام على وجههِ في البراريّ حتى توحّش . واتّفق ان رجلين من اليمن كانا يطلبانهِ جلسا في بعض الطريق يأكلان ومعهما امرأة تسقيهما الخمر فاقبل عليها عمرٌو وجلس معهما على الطعام وهما لا يعرفانهِ . ثم سأل المرأة ان تسقيهُ فقالت المثل . يُضرَب لمن يرخَّص لهُ في القليل فيطمع في الكثير

٧٥ قُبَّةُ نَجْرَانَ

هي قبّة عظيمة يُضرَب بها المثل قيل انها كانت تظلّ الفَ رجل . وكان اذا نزل بها مستجير أُجير او خائف أُمّن او جائع أُشبع او مسترفد أُعطي او طالب حاجة قُضيَت . وكانت هذه القبّة لعبد المسيح بن دارس بن عدي . ونجران بلد في اليمن كانت هذه القبّة بجانب نهر فيها وكانت العرب تسمّيها كعبة نجران لانهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة . وعلى ذلك قول الاعشى يخاطب ناقتهُ :

وكتيبة نجران حتم عليك ... حتى تناخي بأبوابها
تزور يزيدا وعبد المسيح ... وقيسا وهم خير ارباجها

٧٦ أَنْتَ تَئِقُ وَأَنَا مَئِقٌ فَكَيْفَ نَتَّفِقُ

يُضرَب للمتنافيَين في الخُلق . فان التئق هو الممتلئ غيظاً والمئق هو الباكي . فكأنّ التئق يترع الى الشرّ لغيظهِ . والمئق يضيق ذرعًا باحتمالهِ . والتئق السريع الى الشر والمئق السريع الى البكاء

٧٧ حَالَ ٱلْجَرِيضُ دُونَ ٱلْقَرِيضِ

اصلهُ ان رجلًا كان لهُ ابنٌ نبغ في الشعر فنهاهُ عنهُ . فجاش بهِ صدرهُ ومرض حتى أشرف على الموت . فأذن لهُ ابوهُ حينئذٍ في قول الشعر فقال : حال الجريض دون القريض أي ان غصّة الموت حالت بينهُ وبين قول الشعر . يُضرَب لامرٍ يعوق دونهُ عائق

٧٨ لَيْسَ ٱلْقَوَادِمُ كَٱلْخَوَافِي

يُضرَب في تفضيل بعض الناس على بعضهم لما بينهم من التفاوت . والقوادم مقاديم ريش الطير وهي عشر ريشات في كل جناح ويقال لها القُدامى . والخوافي ما دون القوادم من الريش

٧٩ أَتْبِعِ ٱلْفَرَسَ لِجَامَهُ وَٱلنَّاقَةَ زِمَامَهَا

أي انك قد جُدتَّ بالفرس . واللجام ايسر خَطْبًا فأَتِمَّ الحاجة . كما ان الفرس لا غنى بهِ عن اللجام . يُضرَب لاستكمال المعروف

٨٠ أَعَزُّ مِنَ ٱلزَّبَّاءِ

الزبّاء هي فارعة ابنة مليح بن البرّاء ملكة جزيرة العرب يُضرَب بها المثل في العزّ والمنعة . وكان أبوها الريّان الغساني ملكًا على الحضر وقتلهُ جذيمة الابرش وطرد الزبّاء الى الشام . فلحقت بالروم وكانت عربيّة اللسان كبيرة الهمة . وكان لها شَعَر اذا مشت سحبتهُ وراءها واذا نشرتهُ جلّلها فسُمّيت الزبّاء . والأزبّ الكثير الشعر . وبلغت من همّتها انها جمعت الرجال وبذلت الاموال وعادت الى دار أبيها ومملكتهِ فازالت جذيمة عنها وقتلتهُ . وبنت على الفرات مدينتين متقابلتين جعلت بينهما انفاقًا تحت الارض وتحصّنت . وأمّا مقتلها فان قصيرًا لمّا فارق جذيمة وعاد الى بلادهِ احتال في قتلها فجدع انفهُ وضرب جسدهُ ورحل اليها زاعمًا ان عمرو ابن اخت جذيمة صنع بهِ ذلك وانهُ لجأ اليها هاربًا منهُ واستجار بها . ولم يزل يتلطّف لها بطريق التجارة وكسب الاموال الى ان وثقت وعلم خفايا قصرها وأنفاقهُ . ثم وضع رجالًا من قوم عمرو في غرائر وعليهم السلاح وحملهم على الابل على انها قافلة متجر الى ان دخل بهم مدينتها . فحلوا الغرائر وأحاطوا بقصرها وقتلها قبل ان تصل الى نَفَقها في حكاية مشهورة وذلك بعد مبعث المسيح

٨١ أَجْوَدُ مِنْ هَرِمٍ

هو هَرِم بن سنان بن ابي حارثة المُرّي . قال زهير بن ابي سلمى فيهِ :

ان البخيل ملومٌ حيث كان ولكنّ الجوادَ على علّاتهِ هَرِمُ
هو الجواد الذي يعطيك نائلهُ عفوًا ويُظلَم احيانًا فيظّلِمُ

ووفدت ابنة هَرِم على عُمَر فقال لها : ما كان الذي اعطى ابوكِ زهيرًا حتّى قابلهُ من المديح بما قد سار فيهِ . فقالت : اعطاهُ خيلًا تَنْضَى وابلًا تَتْوَى وثيابًا تبلى ومالًا يفنى . فقال عمر : لكنّ ما اعطاكم زهير لا يُبليهِ الدهر ولا يُفنيهِ العصر وهو قولهُ :

قومٌ سنانٌ أبوهم حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الاولاد ما وَلَدوا
مُحسَّدون على ما كان من نِعمٍ ... لا يترع الله عنهم ما لهُ حُسِدوا
إنسٌ اذا أمنوا جِنٌّ اذا فزعوا ... مُرزَّؤُونَ بجاليلٌ اذا جهدوا

٨٢ إِحْتَرِسْ مِنَ ٱلْعَيْنِ فَوَٱللهِ لَهِيَ أَنَمُّ عَلَيْكَ مِنَ ٱللِّسَانِ

قال ابو عُبَيدة : معناهُ رُبَّ عين انمُّ من لسان . وقال الشاعر :

لا جزى الله دمعَ عينيَ خيرًا ... بل جزى الله كلَّ خيرٍ لساني
ثمَّ طرفي فليس يكتم شيئًا ... ووجدتُ اللسانَ ذا كتمانِ
كنتُ مثل الكتاب اخفاهُ طيٌّ ... فاستدلّوا عليهِ بالعُنوانِ

قال زُهير : وان تكُ في صديقٍ أو عدوٍّ ... تخبّرك العيون عن القلوبِ

٨٣ أَحْزَمُ مِنَ ٱلْحِرْبَاءِ

لانهُ لا يخلّي عن ساق شجرة حتّى يُمسك ساق شجرة أُخرى . ومنها قول الحريريّ : اعتلقنا بهِ اعتلاق الحرباء بالأعواد . وقولهُ ايضًا : ابرُزْ يا بنيَّ في بكور ابي زاجر . وجرأة أبي الحرث . وحزامة أبي قُرَّة (وهو الحرباء) . وختل أبي جَعْدة . وحرص أبي عُقْبة . ونشاط أبي وثّاب . ومكر أبي الحصين . وصبر أبي أُيوب . وتلطّف أبي غَزْوان . وتلوّن أبي براقش . وفي معناهُ قول الشاعر : أَنَّى أُتيح لهُ حرباءُ تَنْضُبَةٍ ... لا يرسل الساقَ الّا ممسكًا ساقا

٨٤ ضَرَبَ أَخْمَاسًا لِأَسْدَاسٍ

اصلهُ ان الرجل اذا اراد سفرًا بعيدًا عوّد ابلهُ ان تشرب خِمسًا أي كل خمسة أيّام مرّة . ثم عوّدها على السِدس حتّى اذا أخذت في السير تصبر عن الماء . يُضرَب لمن يسعى في المكر

٨٥ آخِرُ ٱلْبَزِّ عَلَى ٱلْقَلُوصِ

يُقال فرس مقلّص اذا كان طويل القوائم . واذا كان كذلك كان اسرع . وقيل لهُ مقلّص

تشبيهاً بالرجل الذي قلّص ثيابهُ أي شمّرها فظهرت رجلاهُ . يُضرَب عند آخر العهد بالشيء وعند انقطاع اثرهِ وذهاب امرهِ

٨٦ أَحْذَرُ مِنْ قِرْلَّى

قالوا : انهُ طير من بنات الماء صغير الجرم حديد البصر سريع الاختطاف . لا يُرى الّا مرفرفاً على وجه الماء على جانب كطيران الحِدأة . يهوي باحدى عينيهِ الى قعر الماء طمعاً ويرفع الاخرى الى الهواء حذراً . فان ابصر في الماء ما يستقل بحملهِ من سمك او غيرهِ انقضّ عليهِ كالسهم المرسل فاخرجهُ من قعر الماء . وان ابصر في الهواء جارحاً مرّ في الارض . وكما ضربوا بهِ المثل في الاختطاف كذلك ضربوا بهِ المثل في الحذر والحزم فقالوا : احذر من القرلى كما قالوا : احذر من غراب . وقالوا احزم من قرلى كما قالوا احزم من حرباء . قال شاعر :

حذراً كن كالقِرلّى ان رأى خيراً تدلّى أو رأى شراً تولّى

٨٧ أَوْفَى مِنَ ٱلسَّمَوْءَلِ

هو السموءل بن عاديا من يهود يثرب الذي يُضرَب بهِ المثل في الوفاء . وسبب ذلك ان امرء القيس بن حُجر الكندي لمّا قُتل أبوهُ وكان ملكاً في كندة خرج يستنجد بملك الروم فمرّ على تيماء وفيها حصن السموءل المسمّى بالابلق المذكور في شعرهِ . فاودع السموءل مائة درع وسلاحاً ومضى . فسمع الحارث بن ظالم بها فجاء ليأخذها منهُ فأبى السموءل وتحصّن بحصنهِ . فاخذ الحارث ابناً للسموءل وناداهُ امّا ان تسلّم الادراع لي وامّا قتلت ولدك . فأبى ان يسلّم الأدراع فضرب وسط الغلام بالسيف فقطعهُ وأبوهُ يراهُ وانصرف . ومات امرؤ القيس قبل ان يعود الى تيماء ومنع السموءل الادراع الى ان مات هو أيضاً . وضرب بهِ المثل وقال الاعشى في ذلك :

كن كالسموءل اذ طاف الهُمام بهِ ... في جَحْفلٍ كسواد الليل جرّارِ
بالأبلق الفرد من تيماء منزلهُ ... حصنٌ حصينٌ وجارٌ غير غدّارِ
اذ سامهُ خُطّتَي خسفٍ فقال لهُ ... مهما تقلْهُ فاني سامع جارِ
فقال غدرٌ وثُكلٌ أنت بينهما ... فاختَرْ فما فيهما حظ لمختارِ
فشكّ غير طويل ثم قال لهُ ... اقتل أسيرك اني مانع جاري
عنديلهُ خَلَفٌ ان كنتَ قاتلهُ ... وان قتلت كريماً غير خوّارِ
فسوف يُعقبهُ ان كنتُ قاتلهُ ... ربٌّ كريمٌ وقومٌ أهل أطهارِ
مالاً كثيراً وعرضاً غير ذي دنسٍ ... واخوةً مثلهُ ليسوا بأشرارِ
جدّوا على أدَبٍ بُهْمٌ بلا ترَفٍ ... ولا اذا شمّرت حربٌ باعمارِ
فقال يقدمهُ إذ قام يقتلهُ ... أشرِفْ سموأَلُ فانظر للدم الجاري

سأقتل ابنك صبراً أو تجيء بما ... طوعاً فأنكرَ هذا أيَّ انكارِ
فشكّ أوداجهُ والصدر في مُضضٍ ... عليهِ منطوياً كالدرع بالنارِ
واختار أدراعهُ ان لا يُسبّ بها ... ولم يكن عندهُ فيها بمختارِ
وقال لا نشتري عاراً بمكرُمةٍ ... واختار مكرُمة الدنيا على العارِ
فصانَ بالصبر عِرضاً لم يَشِنْهُ خَنًا ... وزندهُ في الوفاءِ الثاقبُ الواري

والسموءل من شعراء الجاهليّة المجيدين ولهُ في الحماسة اللاميّة المشهورة . ومن شعرهِ ايضاً

انّي إذا ما الأمر بيّن شكّهُ ... وبدتْ عواقبهُ لمن يتأمّلُ
وتبرّأ الضعفاء من اخوانهم ... واناخ من حزّ الصميم الكلكلُ
أدعُ التي هي أرفق الخلّان بي ... عند الحفيظة للتي هي أجملُ

ولهُ :

يا ليت شعري حين أندب هالكاً ... ماذا تونّبني بهِ أنواحي
أيقُلنَ لا تبعد فربَّ كريهةٍ ... فرّجتها بشجاعتي وسماحي
ولقد أخذت الحقّ غير مُخاصَمٍ ... ولقد بذلت الحقّ غير مُلاحي

٨٨ رَجَعَ بِخُفَّيْ حُنَيْنٍ

قيل كان حُنَين اسكافاً من اهل الحيرة ساومهُ اعرابيّ بخُفّين فلم يشترِ منهُ شيئاً فغاظهُ . فخرج فعلّق احد الخُفّين على شجرة في طريقهِ وتقدّم قليلاً وطرح الاخرى وكمن . فجاء الاعرابيّ فرأى أحد الخُفّين فوق الشجرة فقال : ما اشبههُ بخُفّ حُنين لو كان معهُ الآخر لتكلّفتُ أخذهُ . وتقدّم فرأى الخُفّ الآخر مطروحاً فنزل وعقل بعيرهُ وأخذهُ ورجع ليأخذ الاوّل . فخرج حُنَين من الكمين فاخذ بعيرهُ وذهب ورجع الاعرابيّ الى حيّهِ بخُفّي حنين

٨٩ أَعْدَى مِنَ ٱلشَّنْفَرَى

هو ابن الاوس الازدي وكان من العدّائين . ومن حديثهِ فيما ذكر ابو عمرو الشيباني انهُ خرج الشنفرى وتأبّط شرّاً وعمرو بن برّاق . فأغاروا على بَجيلة فوجدوا لهم رَصَداً على الماء . فلمّا مالوا لهُ في جوف الليل قال لهم تأبّط شرّاً : ان بالماء رصداً واني لاسمع وجيبَ قلوب القوم . فقالا : ما سمع شيئاً وما هو الّا قلبك يَجِبُ . فوضع ايديهما على قلبهِ وقال : والله ما يَجِبُ وما كان وجّاباً . قالوا : فلا بدّ لنا من ورد الماء . فخرج الشنفرى فلمّا رآهُ الرَّصَد عرفوهُ فتركوهُ حتّى شرب الماء ورجع الى اصحابهِ . فقال : والله ما بالماء احد . ولقد شربت من الحوض . فقال تأبّط شرّاً : بَلى ولكن القوم لا يريدونك انما يريدونني . ثم ذهب ابن برّاق فشرب ورجع ولم يتعرّضوا لهُ . فقال تأبّط شرّاً للشنفرى : اذا انا كرعت من الحوض فانّ القوم سيشدّون عليّ فيأسرونني . فاذهب كانك تهرب ثم كن في اصل ذلك القَرْن فاذا

سمعتني اقول : خذوا خذوا فتعالَ فأطلقني . وقال لابن برّاق : اني سآمرك تستأسر للقوم ولا تناً عنهم ولا تُمكّنهم من نفسك . ثم مرّ تأبّط شرًّا حتّى ورد الماء فحين كرع من الحوض شدّوا عليهِ فأخذوهُ وكتّفوهُ بوترٍ . وطار الشنفرى وأتى حيث امرهُ وانحاز ابن البرّاق حيث يرونهُ . فقال تأبّط شرًّا : يا معشرَ بجيلة هل لكم في خير أن تياسرونا في الفداء ويستأسر لكم ابن برّاق . قالوا : نعم . فقال : و يلك يا ابن برّاق أمّا الشنفرى فقد طار وهو يصطلي بنار بني فلان . وقد علمتَ ما بيننا و بين اهلك فهل لك ان تستأسر ويُياسرونا في الفداء . قال : لا والله حتّى اروز نفسي شوطًا او شوطين . فجعل يستنّ نحو الجبل و يرجع حتّى اذا رأوا انهُ اعيا طمعوا فيهِ فاتبعوهُ . ونادى تأبّط شرًّا : خذوا خذوا . فخالف الشنفرى الى تأبّط شرًّا فقطع وثاقهُ . فلمّا رآهُ ابن برّاق وقد خرج من وثاقهِ مال اليهِ فناداهم تأبّط شرًّا : يا معشر بَجيلة أأعجبكم عَدْو ابن برّاق . أمَا والله لاَعدونّ لكم عدوًا يُنسيكم عدوهُ . ثم أحضَر ثلاثتهم فنجَوا . ففي ذلك يقول تأبط شرًّا :

لَيلةَ صاحوا وأغروا بي سِراعهمُ ... بالعَيكتَين لدى معدي بن برّاقِ
كأنّما حثحثوا حُصًّا قوادمهُ ... او امّ خِشفٍ بذي شثٍّ وطبّاقِ
لا شيءَ اسرعُ منّي غيرُ ذي عُذُرٍ ... او ذي جناحٍ بجنب الريد خفّاقِ

فكل هؤلاء الثلاثة كانوا عدّائين ولم يَسر المثل الّا بالشنفرى

٩٠ أَنْدَمُ مِنَ ٱلْكُسَعِيِّ

هو غامد بن الحرث . ومن حديث الكُسعي انهُ خرج يرعى ابلهُ في وادٍ فيهِ حمض وشوحط . فرأى قضيب شوحطٍ نابتًا في صخرة صمّاء ملساء . فقال : نِعم منبت العود في قرار الجلمود . ثم اخذ سِقاءهُ فصبّ ما كان فيهِ من ماء في اصلهِ فشربهُ لشدّة ظمائهِ وجعل يتعاهدهُ بالماء سنة حتّى سبط العود و بسق واعتدل . فقطعهُ وجعل يقوّمهُ و يقوّم أَوَدهُ حتّى صلح . فبراهُ قوسًا وهو يرتجز ويقول :

ادعوك فاسمعْ يا الهي جَرسي ... يا ربِّ شدِّدني لخَت قوسي
وانفع بقوسي ولدي وعِرسي ... فانّها من لذّتي لنفسي
اختها صفراء لون الوَرسِ ... صلداء ليست مِثل قوسِ النِكسِ

ثم برى بقيّتهُ خمسة اسهم وهو يرتجز و يقول :

هنّ لعمري خمسةٌ حسانُ ... يلذُّ للرمي بها البَنانُ
كأنّما قِوامها ميزانُ ... فابشروا بالخصب يا صيبانُ
ان لم يَعُقني الشؤم والحرمانُ ... او يَرمِني بكيده الشيطانُ

ثم اخذ قوسهُ وأسهمهُ وخرج الى مكمن كان مورد الحُمُر في الوادي . فوارى شخصهُ حتّى

اذا وردت رمى عَيرًا منها بسهمٍ . فرق منهُ بعد ان انفذهُ وضرب صخرة فقدح منها نارٌ . فظنّ انهُ قد اخطأ فقال :

اعوذ بالله العزيز الرحمانْ ... من نكد الجدّ معًا والحرمانْ
ما لي رأيت السهم فوق الصّفوانْ ... يرمي شرارًا مثل لون العِقيانْ
فاخلف اليوم رَجاء الصبيانْ

ثم وردت حُمُر أُخرى فرمى عَيرًا فصنع سهمُهُ كالاوّل فظنهُ اخطأ فقال :

اعوذ بالرحمان من شرّ القَدَرْ ... أأخطأ السهمُ لارهاف الوتَرْ
ام ذاك من سوء احتيالٍ ونظرْ ... وانني عهدي لرامٍ ذو ظفرْ
مطعَّم بالصيد في طول الدهر

ثم وردت حمر أُخرى فرمى عَيرًا بسهمٍ . ففعل سهمهُ كالأوّل وظنهُ أخطأ فقال :

يا حسرتا للشؤم والجدّ النكدْ ... قد شفّني القوت لاهلي والولدْ
والله ما خلّفتُ في ذاك العمدْ ... لصبيتي من سَبَدٍ ولا لَبَدْ
اذهبْ بالحرمان مع طول الأمدْ

ثم وردت حُمُرٌ أُخرى فصنع كالاولى فقال :

ما بالُ سهمي يظهر الحباحبا ... وكنت ارجو ان يكون صائبا
اذ امكنَ العيرُ وابدى جانبا ... وصار ظني فيهِ ظنًّا كاذبا
وخفتُ ان ارجع يومي خائبا ... اذ أفلتت اربعةً ذواهبا

ثم وردت اخرى فصنع كالاوّل فقال :

أبعدَ خمسٍ قد حفظت عدّها ... احمل قوسي واريد ردّها
اخزى الاله لينَها وشدّها ... والله لا تسلم عندي بعدها
ولا ارجي ما حييت رفدها ... قد اعذرتْ نفسي وأبلت جهدها

ثم خرج من مكمنهِ فاعترضتهُ صخرة فضرب بالقوس عليها حتى كسرها . ثم قال : ابيت ليلتي ثم آتي اهلي . فبات فلمّا اصبح رأى خمسة حمر مصرعةً ورأى اسهمهُ مضرجةً بالدم . فندم على ما صنع وعض على انامله حتى قطعها وقال :

ندمتُ ندامةً لو ان نفسي ... تطاوعني اذًا لقتلتُ نفسي
تبيّن لي سفاهُ الرأي مني ... لعمر الله حين كسرت قوسي
وقد كانت بمنزلة المُفدّى ... لديّ وعند صِبياني وعرسي
فلم املك غداةَ رأيت حولي ... حمير الوحش أن ضرّجت خمسي

ألبابُ الرَّابعُ
في المقاماتِ

نخبة من مقامات السيد الفاضل ابي بكر الحسيني الحضرمي

المقامة الشعريّة

٩١ حدَّثَ النَّاصِرُ بْنُ فَتَّاحٍ قالَ: سافَرْتُ إلى جوَّ نَفُورَ. مَعَ جَماعَةٍ مِنْ مَنْدَسُورَ. ولَمَّا قَرُبْنا مِنْها قُلْتُ لَهُمْ: أَيْنَ تَنْزِلُونَ فِيها. قالُوا: في بَعْضِ مَدارِسِها. فَقُلْتُ لَهُمْ: أَنا سَأَنْزِلُ في بَيْتِ والِيها وحارِسِها. لِأَنِّي امْتَدَحْتُهُ بِأَبْياتٍ رائِيَّةٍ. وأَرْجُو أَنْ يُجِيزَنِي بِجائِزَةٍ سَنِيَّةٍ. فَذَهَبْتُ إلى دارِ الْأَمِيرِ. فَوَجَدْتُها قَدْ جَمَعَتِ الصَّغِيرَ والْكَبِيرَ. فَتَأَمَّلْتُهُ فَإِذا هُوَ قَدْ جَمَعَ بَيْنَ الْفِقْهِ والْأَدَبِ. وحازَ طَرَفَيِ الْكَمالِ الْغَرِيزِيِّ والْمُكْتَسَبِ. واحْتَوَى عَلَى الْمَنْثُورِ والْمَنْظُومِ. ويُفْتِي في جَمِيعِ الْعُلُومِ. والطَّلَبَةُ واقِفُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ. يَرْفَعُونَ أَسْئِلَتَهُمْ إِلَيْهِ. ثُمَّ لَمَّا فَرَغَ مِنَ الدَّرْسِ في الْمَنْقُولِ. شَرَعَ يُدَرِّسُ في عِلْمِ الْمَعْقُولِ. ثُمَّ قَصَدَهُ الشُّعَراءُ بِقَصائِدِهِمْ وأَبْياتِهِمْ. وهُوَ يُعْطِيهِمْ عَلَى حَسَبِ نِيَّاتِهِمْ. فَعِنْدَ ذٰلِكَ صَغُرَتْ نَفْسِي في عَيْنِي. وأَخْفَيْتُ الْأَبْياتَ خَوْفًا مِنْ ظُهُورِ شَيْنِي. فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ قامَ شابٌّ وأَنْشَدَ الْأَبْياتَ بِعَيْنِها بَعْدَ أَنْ نَقَصَ مِنْها جُزْأَيْنِ. والْجَماعَةُ يُبالِغُونَ في تَحْسِينِها وهِيَ هٰذِهِ:

يا صاحِبَ النَّفْسِ الْأَبِيَّةِ م والنُّهَى حُزْتَ الْمَدَى

وحَلَلْتَ مَوْضِعَ عِزَّةٍ فَوْقَ السُّهَى ولَكَ النَّدَى
وحَوَيْتَ فَضْلًا ما لَهُ مِنْ مُنْتَهًى فِيكَ الْهُدَى
فَهَبِ الْأُلُوفَ تَفَضُّلًا فَلِأَنَّها سُمُّ الْعِدَى

فَسُرَّ بِها الْوالِي وأَعْطاهُ هِبَةً جَزِيلَةً. وخِلْعَةً جَمِيلَةً. فَقامَ شَيْخٌ وقالَ: أَيُّها الْوالِي هٰذِهِ أَبْياتِي وإِنَّها سُداسِيَّةُ الْأَجْزاءِ. فَانْظُرْ كَيْفَ سَرَقَها وأَخَذَ عَلَيْها الْجَزاءَ. وهِيَ مِنْ كامِلِ الْبَحْرِ ومِنْ ضَرْبِهِ الثَّانِي. فَرَدَّها إلى الثَّامِنِ قَصْدًا لِخَفْضِ شانِي. فَقالَ لَهُ الْوالِي: كَيْفَ قُلْتَ. فَقالَ:

يا صاحِبَ النَّفْسِ الْأَبِيَّةِ والنُّهَى حُزْتَ الْمَدَى فَاشْكُرْ نَعِيمَ الْبارِي
وحَلَلْتَ مَوْضِعَ عِزَّةٍ فَوْقَ السُّهَى ولَكَ النَّدَى والذِّكْرُ في الْأَمْصارِ
وحَوَيْتَ فَضْلًا ما لَهُ مِنْ مُنْتَهًى فِيكَ الْهُدَى والنُّورُ في الْأَسْحارِ
فَهَبِ الْأُلُوفَ تَفَضُّلًا فَلِأَنَّها سُمُّ الْعِدَى ومَسَرَّةُ الْأَخْيارِ

فَالْتَفَتَ الْوالِي إلى الشَّابِّ. وقالَ لَهُ: يا دَنِسَ الْإِهابِ. أَما تَعْلَمُ أَنَّ سَرِقَةَ الشِّعْرِ كَسَرِقَةِ الْبُرِّ والشَّعِيرِ. وأَنَّ مَنْ تَجَرَّأَ عَلَى أَخْذِ الْقَلِيلِ تَجَرَّأَ عَلَى الْكَثِيرِ. فَقالَ: أَيُّها الْوالِي. جَعَلَ اللهُ كَعْبَكَ الْعالِي. إِمْتَحِنَّا فَعِنْدَ الْإِمْتِحانِ. يُكْرَمُ الْمَرْءُ أَوْ يُهانُ. ومَعَ التَّعْدِيلِ والتَّجْرِيحِ. يُعْرَفُ الْفاسِدُ مِنَ الصَّحِيحِ. فَقالَ الشَّيْخُ: لَقَدْ نَطَقْتَ بِاسانِي. وعَبَّرْتَ عَمَّا في جَنانِي. فَمُرْ أَيُّها الْوالِي مَنْ أَرَدْتَهُ أَنْ يَبْتَدِيَ. لِيَتَبَيَّنَ لَكَ الْمُعْتَدِي. واشْتَغَلَ الْوالِي بِبَعْضِ شانِهِ. عَنِ الشَّابِّ وامْتِحانِهِ. فَاضْطَرَبَ الشَّيْخُ اضْطِرابَ الرِّشا. وظَنَّ أَنَّ الْوالِيَ مِمَّنْ يَقْبَلُ الرِّشا. فَقالَ لَهُ الْوالِي:

دَعِ الْاِضْطِرَابَ. وَأَسْمِعِ الْجَوَابَ. ثُمَّ اشْتَغِلْ عَنْهُ بِأَمْرِ رَعِيَّتِهِ. فَاضْطَرَبَ الشَّيْخُ عَلَى جَارِي سَجِيَّتِهِ. وَقَامَ مُنْتَصِبًا. وَأَنْشَدَ مُضْطَرِبًا:

أَشْكُو إِلَى حَبْرِ الزَّمَانِ وَقُسِّهِ ... مِنْ جِنِّ هٰذَا الْحَيِّ بَلْ مِنْ إِنْسِهِ
وَأَقُولُ يَا عَيْنَ الْأُلَى عَشِقُوا النَّدَى ... صِدْقًا وَشَادُوا حِصْنَهُ مِنْ أُسِّهِ
أَبْطَا الْجَوَابُ عَلَى الْكَئِيبِ وَطَالَمَا ... قَدْ كَانَ يَنْثُرُ دُرَّهُ مِنْ حَدْسِهِ
وَالْمَرْءُ لَا يَرْجُو الْكَرِيمَ سِوَى إِذَا ... سَئِمَ اللَّبِيبُ مِنَ الْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ
وَأَخُو النَّدَى يَسْقِي غُرُوسَ نَوَالِهِ ... سَقْيَ الْحَيَا لِزُرُوعِهِ وَلِغَرْسِهِ
لَا تَطْوِ كَشْحًا عَنْ جَوَابِي إِنَّنِي ... كَالْمَيْتِ يَرْجُو نَشْرَهُ مِنْ رَمْسِهِ

فَقَالَ الْفَتَى مُغْضَبًا. وَأَشَارَ إِلَى الشَّيْخِ مُخَاطِبًا: يَا أَذَلَّ مِنْ وَتِدٍ. وَيَا كَثِيرَ الْحَسَدِ. هَلِ اطَّلَعَ عَلَى أَبْيَاتِكَ أَحَدٌ. ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى الْوَالِي. وَقَالَ وَدَمْعُ خَدَّيْهِ كَاللَّآلِي:

يَا مَنْ زَكَتْ فِي الْأَصْلِ دَوْحَةُ غَرْسِهِ ... وَسَمَا بِفَضْلٍ حَازَهُ وَبِحَدْسِهِ
لَا تُصْغِ لِلْعُذَّالِ فِيمَنْ قَدْ حَوَى ... فَضْلًا وَلَمْ يَرْضَ الْأَذَى مِنْ نَفْسِهِ

وَأَرَادَ أَنْ يَمْشِيَ إِلَى السَّادِسِ. فَقَالَ الْوَالِي: حَسْبُكَ أَيُّهَا الْفَارِسُ. ثُمَّ إِنَّهُ أَعْطَى الشَّيْخَ مِثْلَ مَا أَعْطَى الْفَتَى. وَأَصْلَحَ بَيْنَهُمَا وَقَالَ: قَدْ ضَلَّ مَنْ بَغَى وَعَتَا. فَخَرَجَا مِنْ دَارِهِ. وَقَلْبِي يَصْلَى بِنَارِهِ. وَضَاقَ عَلَيَّ الْفَضَا. وَشُبَّ فِي فُؤَادِي جَمْرُ الْغَضَا. حَيْثُ سُرِقَتْ مِنِّي الْأَبْيَاتُ. وَلَمْ أَقْدِرْ عَلَى الْإِثْبَاتِ. وَأَخْفَيْتُ مَا أَجَنَّهُ الضَّمِيرُ. خَوْفًا مِنْ أَنْ أَكُونَ أُحْدُوكَةً لِلْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ. وَذَهَبْتُ إِلَى رُفْقَتِي فِي الْمَدْرَسَةِ. وَقَدْ

غَلَبَ عَلَيَّ الْفِكْرُ وَالْوَسْوَسَةُ. وَلَمَّا قَدِمْتُ عَلَيْهِمْ. وَنَظَرَتْ عَيْنِي إِلَيْهِمْ. فَإِذَا الرَّجُلُ وَالْفَتَى لَبِسَا أَحْسَنَ الْمَلَابِسِ. وَتَصَدَّرَا أَعْلَى الْمَجَالِسِ. وَتَأَمَّلْتُهُمَا وَوَقَفْتُ عَلَى التَّحْقِيقِ. أَنَّهُمَا مِنْ جُمْلَةِ أَصْحَابِي فِي الطَّرِيقِ. وَأَرَدْتُ أَنْ أُظْهِرَ الْقَضِيَّةَ. وَأُوَطِّنَ النَّفْسَ عَلَى الْأُمْنِيَّةِ أَوِ الْمَنِيَّةِ. ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ بِمِثْلِي أَحْرَى. فَاحْتَسَبْتُ الثَّوَابَ فِي الدَّارِ الْأُخْرَى. ثُمَّ سَأَلْتُ عَنْهُ وَعَنِ الْفَتَى. فَقِيلَ: هُمَا رِحْلَةُ الصَّيْفِ وَالشِّتَا. أَبُو الظَّفَرِ الْهُنْدِيُّ وَنَجْلُهُ الْأَدِيبُ. اللَّذَانِ عَلَيْهِمَا شَعْرَةُ الذِّيبِ. فَسَأَلْتُ اللهَ الْأَمَانَ وَالظَّفَرَ. فِي الْإِقَامَةِ وَالسَّفَرِ

المقامة الوعظية

٩٢ رَوَى النَّاصِرُ بْنُ فَتَّاحٍ قَالَ: اشْتَاقَتْ نَفْسِي إِلَى الْأُتْرُنْجِ. فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي إِنَّهُ لَا يُوجَدُ إِلَّا فِي بَلْدَةِ صَرَنْجَ. فَسَافَرْتُ إِلَيْهَا مَعَ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُدَبَاءِ. وَالْعُلَمَاءِ وَالْخُطَبَاءِ. فَلَمَّا وَصَلْنَا إِلَى فِنَائِهَا. سَأَلْنَا عَنْ عُلَمَائِهَا. فَقِيلَ لَيْسَ بِهَا إِلَّا الْحَاكَةُ وَالصَّبَّاغُونَ. وَالْحَدَّادُونَ وَالصَّائِغُونَ. وَفِيهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ الْأَعْلَامِ. وَلٰكِنَّهُمْ قَدْ تَغَيَّرُوا بِصُحْبَةِ الْحُكَّامِ. وَقَدْ فَشَا فِيهَا فِعْلُ الْحَرَامِ وَالظُّلْمِ. وَلَمْ يَنْتَظِمْ لِحَاكِمِهَا حُكْمٌ. فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي: إِنِّي أَرَى فِي السَّفَرِ السَّلَامَةَ. وَالْعَطَبَ وَالضَّرَرَ فِي الْإِقَامَةِ. وَأَخْشَى أَنْ يَخْسِفَ اللهُ بِهِمُ الْأَرْضَ. وَنَهْلِكَ بِسَبَبِهِمْ فَسَافِرُوا تَغْنَمُوا. وَتَجَنَّبُوا مَوَاضِعَ التُّهَمِ لِئَلَّا تُتَّهَمُوا. فَلَمَّا وَعَتْ كَلَامِي الْمَسَامِعُ. قَالُوا: مَا مِنَّا إِلَّا مُطِيعٌ لَكَ وَسَامِعٌ. وَلَمَّا خَرَجْنَا مِنَ

ٱلْبَلَدِ نَحْوَ مِيلٍ. ضَاقَ مِنْ كَثْرَةِ ٱلْخَلْقِ عَلَيْنَا ٱلسَّبِيلُ. وَٱنْثَالُوا مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ وَمَكَانٍ. وَتَجَمَّعُوا مِنْ جَمِيعِ ٱلْبُلْدَانِ. وَهُمْ قَاصِدُونَ إِلَى ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّتِي خَرَجْنَا مِنْهَا. وَٱلْبُقْعَةِ ٱلَّتِي تَجَاوَزْنَا عَنْهَا. وَيَقُولُونَ دَخَلَ ٱلْبَلَدَ بَعْضُ ٱلْوُعَّاظِ. وَقَدْ فَاقَ فِي بَلَاغَتِهِ خَطِيبَ عُكَاظَ. وَإِنَّهُ سَيَخْطُبُ وَيَعِظُ ٱلنَّاسَ يَوْمَ ٱلْجُمُعَةِ. فَطُوبَى لِمَنْ يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ. فَرَجَعْتُ دُونَ رُفْقَتِي. وَأَخَذْتُ مَعِي قَدْرَ نَفَقَتِي. وَلَمَّا قَضَيْنَا ٱلنَّفْلَ وَٱلْفَرْضَ. جَلَسْتُ لِٱسْتِمَاعِ ٱلْوَعْظِ. فَأَقْبَلَ ٱلْوَاعِظُ يَمْشِي مَائِسًا. وَبِرِدَائِهِ مُتَطَلِّسًا وَصَعِدَ ٱلْمِنْبَرَ وَقَالَ: ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلْكَبِيرِ ٱلْمُتَعَالِ. ٱلَّذِي جَرَتْ عَادَتُهُ بِٱلْإِمْهَالِ. دُونَ ٱلْإِهْمَالِ. ٱلَّذِي رَفَعَ ٱلْعَالَمَ حَتَّى قَصَّرَ كُلُّ مُقَصِّرٍ دُونَهُ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ عَزَّ وَجَلَّ. شَهَادَةَ عَبْدٍ بَذَلَ لِعِبَادِهِ ٱلنَّصِيحَةَ. وَحَذَّرَهُمْ مِنَ ٱلْعِصْيَانِ وَٱلْوُقُوعِ فِي ٱلْفَضِيحَةِ. وَبَعْدُ فَيَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى ٱللَّهِ وَطَاعَتِهِ. وَٱلِٱحْتِرَازِ مِنْ إِبْلِيسَ وَبِطَانَتِهِ. فَٱنْتَبِهُوا مِنْ سِنَةِ ٱلْغَفْلَةِ. وَلَا تَغْتَرُّوا بِٱلْمُهْلَةِ. فَإِنَّ رُسُومَ ٱلدِّينِ بِبَلَدِكُمْ قَدْ عَفَتْ. وَأَعْلَامَ ٱلْهُدَى قَدْ طُمِسَتْ. وَأَحْكَامَ ٱلشَّرِيعَةِ قَدْ عُطِّلَتْ. وَٱلْفَرَائِضَ قَدْ رُفِضَتْ. وَٱلْمَحَارِمَ قَدِ ٱنْتُهِكَتْ. وَٱلْخُمُورَ قَدْ شُرِبَتْ. وَٱلْأَيْتَامَ وَٱلضُّعَفَاءَ قَدْ ظُلِمَتْ. حَتَّى لَبِسَ ٱلْإِسْلَامُ فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ ٱلْفَرْوَ مَقْلُوبًا. فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَأَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ. وَقُرِّبَ فِيهِ ٱلْجَاهِلُ. وَأُبْعِدَ فِيهِ ٱلْفَاضِلُ. وَٱسْتُكْمِلَ ٱلْفَاجِرُ. وَٱسْتُنْقِصَ فِيهِ ٱلطَّاهِرُ. وَكُذِّبَ ٱلصَّادِقُ وَصُدِّقَ ٱلْكَاذِبُ. وَٱسْتُؤْمِنَ ٱلْخَائِنُ وَٱسْتُخُونَ

ٱلْأَمِينُ. وَهَاجَتِ ٱلدَّهْمَاءُ. وَكَثُرَ ٱلضَّلَالُ وَٱلْعَمَى. فَلَمْ يَبْقَ مِنَ ٱلْإِسْلَامِ إِلَّا ٱسْمُهُ. وَلَا مِنَ ٱلدِّينِ إِلَّا رَسْمُهُ. وَأَنْتُمْ عِبَادَ ٱللَّهِ غَيْرُ مَعْذُورِينَ مِنَ ٱللَّهِ بِتَغْيِيرِ ذٰلِكَ. وَلَا مَتْرُوكِينَ عَنِ ٱلْمُؤَاخَذَةِ بِذٰلِكَ. فَتُوبُوا وَصَحِّحُوا ٱلتَّوْبَةَ قَبْلَ إِغْلَاقِ بَابِهَا. وَقَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا. فَبَكَى ٱلْقَوْمُ حَتَّى كَادَ أَحَدُهُمْ لَا يَسْتَطِيعُ ٱلْحَرَكَةَ. إِلَّا إِذَا ٱخْرَحَرَّكَهُ. وَلَقَدْ رَأَيْتُ ٱلْوَاحِدَ يَسْبَحُ فِي دُمُوعِهِ. وَكِدْتُ مِنْ زَفَرَاتِهِ أَعْلَمُ عَدَدَ ضُلُوعِهِ. وَلَمَّا رَأَى ٱلْخَطِيبُ ٱلْقَوْمَ كَجُزُوعِ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ. هَرَبَ كَٱلسَّيْلِ ٱلْمُنْهَمِرِ. وَتَبِعْتُهُ فِي طَرِيقَتِهِ. لِأَطَّلِعَ عَلَى حَقِيقَتِهِ. فَٱلْتَفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ: يَا مَهْدِيُّ. ٱرْجِعْ أَنَا أَبُو ٱلظَّفَرِ ٱلْهِنْدِيُّ. فَرَجَعْتُ إِلَى رُفْقَتِي ٱلسَّابِقَةِ. وَجَوَانِحِي مِنْ كَثْرَةِ ٱلْبُكَاءِ وَٱلْخَوْفِ خَافِقَةٌ

نخبة من مقامات بديع الزمان الهمذاني

المقامة القريضية

٩٣ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: طَرَحَتْنِي ٱلنَّوَى مَطَارِحَهَا حَتَّى إِذَا وَطِئْتُ جُرْجَانَ ٱلْأَقْصَى. فَٱسْتَظْهَرْتُ عَلَى ٱلْأَيَّامِ بِضِيَاعٍ أَجَلْتُ فِيهَا يَدَ ٱلْعِمَارَةِ. وَأَمْوَالٍ وَقَفْتُهَا عَلَى ٱلتِّجَارَةِ. وَحَانُوتٍ جَعَلْتُهُ مَثَابَةً. وَرُفْقَةٍ ٱتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً. وَجَعَلْتُ لِلدَّارِ. حَاشِيَتَيِ ٱلنَّهَارِ. وَلِلْحَانُوتِ مَا بَيْنَهُمَا. فَجَلَسْنَا يَوْمًا نَتَذَاكَرُ ٱلْقَرِيضَ وَأَهْلَهُ وَتَلَقَّانَا شَابٌّ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنْصِتُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ، وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ. حَتَّى إِذَا مَالَ ٱلْكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ. وَجَرَّ ٱلْجِدَالُ فِينَا ذَيْلَهُ. قَالَ: قَدْ أَصَبْتُمْ عُذَيْقَهُ. وَوَافَيْتُمْ

جُذَيْلَهُ. ولَوْ شِئْتُ للفظْتُ وأفضْتُ. ولَوْ قُلْتُ لأَصْدَرْتُ وأَوْرَدْتُ، ولَجَلَوْتُ الحَقَّ في معرضِ بيانٍ يُسْمِعُ الصُّمَّ. ويُنْزِلُ العُصْمَ. فقُلْتُ: يا فاضِلُ ادْنُ فقَدْ مُنِّيتَ. وهَاتِ فقَدْ أُثْنِيتَ. فدَنَا وقَالَ: سَلُونِي أُجِبْكُمْ. واسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ. فقُلْنَا: ما تَقُولُ في امْرِئِ القَيْسِ. قَالَ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ بالدِّيَارِ وعَرَصَاتِهَا. واغْتَدَى والطَّيْرُ في وُكُنَاتِهَا. ووَصَفَ الخَيْلَ بِصِفَاتِهَا. ولَمْ يَقُلِ الشِّعْرَ كَاسِبًا. ولَمْ يَجِدِ القَوْلَ رَاغِبًا. فَضَلَ مَنْ تَقَدَّمَ لِلْحِيلَةِ لِسَانُهُ. وتَنَجَّعَ لِلرَّغْبَةِ بَنَانُهُ. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ في النَّابِغَةِ قَالَ: يَثْلِبُ إِذَا حَنِقَ. ويَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ. ويَعْتَذِرُ إِذَا رَهِبَ. ولَا يَرْمِي إِلَّا صَائِبًا. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ في زُهَيْرٍ. قَالَ: يُذِيبُ الشِّعْرَ والشِّعْرُ يُذِيبُهُ. ويَدْعُو القَوْلَ والسِّحْرُ يُجِيبُهُ. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ في طَرَفَةَ. قَالَ: هُوَ مَاءُ الأَشْعَارِ وطِينَتُهَا. وكَنْزُ القَوَافِي ومَدِينَتُهَا. مَاتَ ولَمْ تَظْهَرْ أَسْرَارُ دَفَائِنِهِ. ولَمْ تُفْتَحْ أَغْلَاقُ خَزَائِنِهِ. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ في جَرِيرٍ والفَرَزْدَقِ. وأَيُّهُمَا أَسْبَقُ. فَقَالَ: جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْرًا. وأَغْزَرُ غَزْرًا. والفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخْرًا. وأَكْثَرُ فَخْرًا. وجَرِيرٌ أَوْجَعُ هَجْوًا وأَشْرَفُ يَوْمًا. والفَرَزْدَقُ أَكْثَرُ رَوْمًا. وأَكْرَمُ قَوْمًا. وجَرِيرٌ إِذَا نَسَبَ أَسْبَى. وإِذَا ثَلَبَ أَرْدَى. وإِذَا مَدَحَ أَسْنَى. والفَرَزْدَقُ إِذَا افْتَخَرَ أَجْزَى. وإِذَا احْتَقَرَ أَزْرَى. وإِذَا وَصَفَ أَوْفَى. قُلْنَا: فَمَا تَقُولُ في المُحْدَثِينَ مِنَ الشُّعَرَاءِ والمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ. قَالَ: المُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظًا. وأَكْثَرُ مِنَ المَعَانِي حَظًّا. والمُتَأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صُنْعًا وأَرَقُّ نَسْجًا. قُلْنَا: فَلَوْ أَرَيْتَ مِنْ أَشْعَارِكَ

ورَوَيْتَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِكَ. قَالَ: خُذْهُمَا في مَعْرِضٍ وَاحِدٍ وقَالَ:

أَمَا تَرَوْنِي أَتَعَشَّى طِمِرَا ... مُمْتَطِيًا في الضُّرِّ أَمْرًا مُرَّا

مُضْطَبِنًا عَلَى اللَّيَالِي غِمِرَا ... مُلَاقِيًا مِنْهَا صُرُوفًا حُمُرَا

أَقْصَى أَمَانِيَّ طُلُوعُ الشِّعْرَى ... فَقَدْ عُنِينَا بِالْأَمَانِي دَهْرَا

وكَانَ هٰذَا الحُرُّ أَعْلَى قَدْرَا ... ومَاءُ هٰذَا الوَجْهِ أَغْلَى سِعْرَا

ضَرَبْتُ لِلسِّرِّ قِبَابًا خُضْرَا ... في دَارِ دَارَا وإِوَانِ كِسْرَى

فَانْقَلَبَ الدَّهْرُ لِبَطْنٍ ظَهْرَا ... وعَادَ عُرْفُ العَيْشِ عِنْدِي نُكْرَا

لَمْ يُبْقِ مِنْ وَفْرِي إِلَّا ذِكْرَا ... ثُمَّ إِلَى اليَوْمِ هَلُمَّ جَرَّا

لَوْلَا عَجُوزٌ لِي بِسُرَّ مَنْ رَا ... وأُفْرُخٌ دُونَ جِبَالِ بُصْرَى

قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ ضُرَّا ... قُلْتُ يَا سَادَةُ نَفْسِي صَبْرَا

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَأَنَلْتُهُ مَا تَاحَ. وأَعْرَضَ عَنَّا فَرَاحَ. فَجَعَلْتُ أَنْفِيهِ وأُثْبِتُهُ. وأُنْكِرُهُ وكَأَنِّي أَعْرِفُهُ. ثُمَّ دَلَّتْنِي عَلَيْهِ ثَنَايَاهُ. فقُلْتُ: الإِسْكَنْدَرِيُّ واللهِ. فَقَدْ كَانَ فَارَقَنَا خِشْفًا. ووَافَانَا جِلْفًا. ونَهَضْتُ عَلَى إِثْرِهِ. ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِهِ. وقُلْتُ: أَلَسْتَ أَبَا الفَتْحِ. أَلَمْ تُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا ولَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ. فَأَيُّ عَجُوزٍ لَكَ بِسُرَّ مَنْ رَا. فَضَحِكَ إِلَيَّ وقَالَ:

ويْحَكَ هٰذَا الزَّمَانُ زُورُ ... فَلَا يَغُرَّنَّكَ الغُرُورُ

لَا تَلْتَزِمْ حَالَةً ولٰكِنْ ... دُرْ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ

٩٤ حدَّثنا عيسى بنُ هِشامٍ قالَ: بَينا نَحنُ بِجُرجانَ في مَجمعٍ لَنا نَتحدَّثُ وما فينا إلَّا منَّا. إذْ وقفَ علينا رَجلٌ ليسَ بالطَّويلِ المُتمدِّدِ. ولا القَصيرِ المُتردِّدِ. كثُّ العُثنونِ يتلُوهُ صِغارٌ. في أطمارٍ. فاستفتحَ الكلامَ بالسَّلامِ. وتحيَّةِ الإسلامِ. فولَّانا جميلًا. وأولَيناهُ جزيلًا. فقالَ: يا قومُ إنِّي امرُؤٌ من أهلِ الإسكندريَّةِ من الثُّغورِ الأمويَّةِ. نمَّتني سُليمٌ ورحَّبتْ بي عبسٌ. جُبتُ الآفاقَ. وتقصَّيتُ العِراقَ. وجُلتُ البدوَ والحضرَ. ودارَيتُ ربيعةَ ومُضرَ. ما هُنتُ حيثُ كُنتُ. فلا يُزرِينَّ بي عندَكُم ما ترَونَهُ من سَملي وأطمارِي. فلقَد كُنَّا واللهِ من أهلٍ ثمَّ ورَمٍ. نُزعي لدَى الصَّباحِ. ونُثني عندَ الرَّواحِ:

وفينا مَقاماتٌ حِسانٌ وُجوهُهُم ... وأندِيةٌ يَنتابُها القَولُ والفِعلُ
على مُكثِريهِم رِزقُ مَن يَعتَريهِم ... وعِندَ المُقِلِّينَ السَّماحةُ والبَذلُ

ثمَّ إنَّ الدَّهرَ يا قومُ قلَبَ لي من بينِهِم ظَهرَ المِجنِّ. فاعتضتُ بالنَّومِ السَّهرَ. وبالإقامةِ السَّفرَ. تترامَى بي المَرامي. وتتهادَى بي المَوامي. وقلَعَتني حوادثُ الزَّمنِ قلعَ الصَّمغةِ. فأصبحُ وأمسي أنقى من الرَّاحةِ وأعرى من صَفحةِ الوَليدِ. وأصبحتُ فارغَ الفِناءِ. صِفرَ الإناءِ. مالي كآبةُ الأسفارِ. ومُعاقرةُ السِّفارِ. أعاني الفقرَ. وأُمانِي القَفرَ. فِراشي المَدرُ. ووِسادي الحَجرُ:

بآمِدَ مرَّةً وبرأسِ عينٍ ... وأحيانًا بميَّا فارِقينا

ليلةً بالشَّامِ ثمَّتَ بالأهـ ... ـوازِ رحلي وليلةً بالعِراقِ

فما زالتِ النَّوى تطرَحُ بي كلَّ مطرَحٍ حتَّى وطِئتُ بلادَ الحِجرِ وأحلَّتني بلدَ همذانَ. فقبِلَني أحياؤُها. وأشرَبَ إليَّ أحبَّاؤُها. ولكِنِّي مِلتُ لأعظَمِهم جفنةً. وأزهدِهِم جفوةً:

لهُ نارٌ تُشبُّ على يَفاعٍ ... إذا النِّيرانُ أُلبِستِ القِناعا

فوطَّأ لي مضجَعًا. ومهَّدَ لي مهجَعًا. فإن ونَى لي ونيَّةً هبَّ لي ابنٌ كأنَّهُ سيفُ يمانٍ. أو هِلالٌ بدَا في غيرِ قتَمانٍ. وأولاني نِعمًا ضاقَ عنها قدري. واتَّسعَ بها صدري. أوَّلُها فرشُ الدَّارِ. وآخِرُها ألفُ دينارٍ. فما طيَّرتني إلَّا النِّعمُ. حيثُ توالَتْ. والدِّيمُ لمَّا انثالَتْ. فطلَعتُ من همذانَ طُلوعَ الشَّاردِ. ونفَرتُ نِفارَ الآبِدِ. أفري المَسالِكَ. وأقتفِرُ المَهالِكَ. وأعاني المَمالِكَ. على أنِّي خلَّفتُ أُمَّ مثوايَ وزُغلُولًا لي:

كأنَّهُ دُمْلُجٌ من فِضَّةٍ نَبَهُ ... في مَلعَبٍ من عَذارَى الحَيِّ مفصُومُ

وقد هبَّتْ بي إليكُم ريحُ الاحتياجِ. ونَسيمُ الإلفاجِ. فانظُروا رحِمَكُمُ اللهُ لِنقضٍ من الأنقاضِ. هدَتهُ الحاجةُ وكدَّتهُ القافةُ:

أخا سفرٍ جوَّابِ أرضٍ تقاذَفَتْ ... بهِ فلواتٌ فهوَ أشعثُ أغبرُ

جعلَ اللهُ للخيرِ عليكُم دليلًا. ولا جعلَ للشَّرِّ إليكُم سبيلًا. قالَ عيسى بنُ هِشامٍ: فرقَّتْ واللهِ لهُ القُلوبُ. وأغرورقَتْ للُطفِ كلامِهِ العُيونُ. ونِلناهُ ما تاحَ في ذلكَ الوقتِ. وأعرَضَ عنَّا حامِدًا لنا. فتبِعتُهُ فإذا هوَ شيخُنا أبو الفتحِ الإسكندريُّ

المقامة البصريّة

٩٥ حدَّثنا عيسى بْنُ هِشامٍ قالَ: دَخَلْتُ ٱلْبَصْرَةَ وَأَنا مِنْ سِنِّي فِي فَتاءٍ. وَمِنَ ٱلزِّيِّ فِي جِبرٍ وَوِشاءٍ. وَمِنَ ٱلْغِنى فِي بَقَرٍ وَشاءٍ. فَأَتَيْتُ ٱلْمِرْبَدَ فِي رُفْقَةٍ تَأْخُذُهُمُ ٱلْعُيُونُ وَمَشَيْنا غَيْرَ بَعِيدٍ إِلى بَعْضِ تِلْكَ ٱلْمُنْتَزَهاتِ. فِي تِلْكَ ٱلْمُتَوَجَّهاتِ. وَمَلَكَتْنا أَرْضٌ فَحَلَلْناها. فَما كانَ بِأَسْرَعَ مِنِ ٱرْتِدادِ ٱلطَّرْفِ حَتّى عَنَّ لَنا سَوادٌ. تَخْفِضُهُ وِهادٌ وَتَرْفَعُهُ نِجادٌ. وَعَلِمْنا أَنَّهُ يَهُمُّ بِنا فَأَتْلَعْنا لَهُ حَتّى أَدّاهُ إِلَيْنا سَيْرُهُ وَلَقِينا بِتَحِيَّةِ ٱلْإِسْلامِ. وَرَدَدْنا عَلَيْهِ مُقْتَضى ٱلسَّلامِ. ثُمَّ أَجالَ فِينا طَرْفَهُ وَقالَ: يا قَوْمُ ما مِنْكُمْ إِلّا مَنْ يَلْحَظُنِي شَزْرًا. وَيُوسِعُنِي حَزْرًا. وَما يُنْبِئُكُمْ عَنِّي. أَصْدَقُ مِنِّي. أَنا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيَّةِ. مِنَ ٱلثُّغُورِ ٱلْأُمَوِيَّةِ. قَدْ وَطَّأَ لِيَ ٱلْفَضْلُ وَرَحَّبَ بِي عَيْشٌ وَنَمانِي بَيْتٌ. ثُمَّ جَعْجَعَ بِيَ ٱلدَّهْرُ عَنْ ثَمِّهِ وَرَمِّهِ. وَأَتْلانِي زَغالِيلَ حُمْرَ ٱلْحَواصِلِ:

كَأَنَّهُمْ حَيّاتُ أَرْضٍ مَحْلَةٍ ... فَلَوْ يَعَضُّونَ لَذَكَّى سُمُّهُمْ

إِذا نَزَلْنا أَرْسَلُونِي كاسِبًا ... وَإِنْ رَحَلْنا رَكِبُونِي كُلُّهُمْ

وَنَشَزَتْ عَلَيْنا ٱلْبِيضُ وَشَمَسَتْ مِنّا ٱلصُّفْرُ. وَأَكَلَتْنا ٱلسُّودُ وَحَطَمَتْنا ٱلْحُمْرُ. وَأَتانا أَبُو مالِكٍ. فَما يَلْقانا أَبُو جابِرٍ إِلّا عَنْ عَقْرٍ. وَهٰذِهِ ٱلْبَصْرَةُ مَأْوًى هَضُومٌ. وَفَقِيرُها مَهْضُومٌ. وَٱلْمَرْءُ مِنْ ضِرْسِهِ فِي شُغْلٍ. وَمِنْ نَفْسِهِ فِي كَلٍّ. فَكَيْفَ بِمَنْ

يُطَوِّفُ ما يُطَوِّفُ ثُمَّ يَأْوِي ... إِلى زُغْبٍ مُحَدَّدَةِ ٱلْعُيُونِ

كَساهُنَّ ٱلْبِلى شُعْثًا فَتُمْسِي ... جِياعَ ٱلنّابِ ضامِرَةَ ٱلْبُطُونِ

وَلَقَدْ أَصْبَحْنَ ٱلْيَوْمَ وَسَرَّحْنَ ٱلطَّرْفَ فِي حَيٍّ كَمِيتٍ. وَبَيْتٍ كَلا بُيُتٍ. وَقَلَبْنَ ٱلْأَكُفَّ عَلى لَيْتَ. فَفَضَضْنَ عِقْدَ ٱلدُّمُوعِ. وَأَفَضْنَ ماءَ ٱلضُّلُوعِ. وَتَداعَيْنَ بِٱسْمِ ٱلْجُوعِ:

وَٱلْفَقْرُ فِي زَمَنِ ٱللِّئا ... مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عَلامَهْ

رَغِبَ ٱلْكِرامُ إِلَى ٱللِّئا ... مِ وَتِلْكَ أَشْراطُ ٱلْقِيامَهْ

وَلَقَدِ ٱخْتَرْتُكُمْ يا سادَةُ. وَدَلَّتْنِي عَلَيْكُمُ ٱلسَّعادَةُ. وَقُلْتُ قَسَمًا. إِنَّ فِيهِمْ لَدَسَمًا. فَهَلْ مِنْ فَتًى يُعَشِّيهِنَّ، أَوْ يُغَشِّيهِنَّ. وَهَلْ مِنْ حُرٍّ يُغَدِّيهِنَّ. أَوْ يُرَدِّيهِنَّ. قالَ عِيسى بْنُ هِشامٍ: فَوَٱللّٰهِ ما ٱسْتَأْذَنَ عَلى حِجابِ سَمْعِي كَلامٌ رائِعٌ أَبْرَعُ وَأَرْفَعُ وَأَبْدَعُ مِمّا سَمِعْتُ مِنْهُ. لا جَرَمَ إِنّا ٱسْتَمْحَنّا ٱلْأَوْساطَ. وَنَفَضْنا ٱلْأَكْمامَ وَبَحَثْنا ٱلْجُيُوبَ. وَنِلْتُهُ أَنا مُطْرِفِي وَأَخَذَتِ ٱلْجَماعَةُ إِخْذِي. وَقُلْنا لَهُ: ٱلْحَقْ بِأَطْفالِكَ فَأَعْرَضَ عَنّا بَعْدَ شُكْرٍ وَفّاهُ. وَنَشْرٍ مَلَأَ بِهِ فاهُ

المقامة القرديّة

٩٦ حدَّثنا عيسى بْنُ هِشامٍ قالَ: بَيْنا أَنا بِمَدِينَةِ ٱلسَّلامِ. قافِلًا مِنَ ٱلْبَلَدِ ٱلْحَرامِ. أَمِيسُ مَيْسَ ٱلرِّجْلَةِ. عَلى شاطِئِ ٱلدِّجْلَةِ. أَتَأَمَّلُ تِلْكَ ٱلطَّرائِفَ. وَأَتَقَصّى تِلْكَ ٱلزَّخارِفَ. إِذِ ٱنْتَهَيْتُ إِلى حَلْقَةِ رِجالٍ مُزْدَحِمِينَ يَلْوِي ٱلطَّرَبُ أَعْناقَهُمْ. وَيَشُقُّ ٱلضَّحِكُ أَشْداقَهُمْ. فَساقَنِي ٱلْحِرْصُ إِلى ما ساقَهُمْ حَتّى وَقَفْتُ بِمَسْمَعِ صَوْتِ ٱلرَّجُلِ دُونَ مَرْأًى

وَجهِهِ لِشِدَّةِ ٱلْهَجْمَةِ . وَفَرْطِ ٱلزَّحْمَةِ . فَإِذَا هُوَ قَرَادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ . وَيُضْحِكُ مَنْ عِنْدَهُ . فَرَقَصْتُ رَقْصَ ٱلْمُحَرَّجِ . وَسِرْتُ سَيْرَ ٱلْأَعْرَجِ . فَوْقَ رِقَابِ ٱلنَّاسِ يَلْفِظُنِي عَاتِقُ هٰذَا لِسُرَّةِ ذَاكَ . حَتَّى ٱفْتَرَشْتُ لُحَيَةَ رَجُلَيْنِ . وَقَعَدْتُ بَعْدَ ٱلْأَيْنِ . وَقَدْ أَشْرَفَنِي ٱلْحَجَلُ بِرِيقِهِ . وَأَرْهَقَنِي ٱلْمَكَانُ بِضِيقِهِ . وَلَمَّا فَرَغَ ٱلْقَرَّادُ مِنْ شُغْلِهِ . وَٱنْفَضَّ ٱلْمَجْلِسُ عَنْ أَهْلِهِ . قُمْتُ وَقَدْ كَسَانِي ٱلدَّهَشُ حُلَّتَهُ . لِأَرَى صُورَتَهُ . فَإِذَا هُوَ وَٱللّٰهِ أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيُّ . فَقُلْتُ : مَا هٰذِهِ ٱلدَّنَاءَةُ وَيْحَكَ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَلَذَّنْبُ ٱلْأَيَّامِ لَا لِي فَاعْتِبْ عَلَى صَرْفِ ٱللَّيَالِي
بِٱلْحُمَّتِ أَدْرَكْتُ ٱلْمُنَى وَرَفَلْتُ فِي حُلَلِ ٱلْجَمَالِ

المقامة العلمية

٩٧ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ ٱلْغُرْبَةِ مُجْتَازًا فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ يَقُولُ لِآخَرَ : بِمَ أَدْرَكْتَ ٱلْعِلْمَ وَهُوَ يُجِيبُهُ . قَالَ : طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ ٱلْمَرَامِ . لَا يُصْطَادُ بِٱلسِّهَامِ . وَلَا يُقْسَمُ بِٱلْأَزْلَامِ . وَلَا يُرَى فِي ٱلْمَنَامِ . وَلَا يُضْبَطُ بِٱللِّجَامِ . وَلَا يُورَثُ عَنِ ٱلْأَعْمَامِ . وَلَا يُسْتَعَارُ مِنَ ٱلْكِرَامِ . فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ بِٱفْتِرَاشِ ٱلْمَدَرِ . وَٱسْتِنَادِ ٱلْحَجَرِ . وَرَدِّ ٱلضَّجَرِ . وَرُكُوبِ ٱلْخَطَرِ وَإِدْمَانِ ٱلسَّهَرِ . وَٱصْطِحَابِ ٱلسَّفَرِ وَكَثْرَةِ ٱلنَّظَرِ . وَإِعْمَالِ ٱلْفِكَرِ . فَوَجَدْتُهُ شَيْئًا لَا يَصْلُحُ إِلَّا لِلْغَرْسِ . وَلَا يُغْرَسُ إِلَّا فِي ٱلنَّفْسِ . وَصَيْدًا لَا يَقَعُ إِلَّا فِي ٱلنَّدْرِ . وَلَا يَنْشَبُ إِلَّا فِي ٱلصَّدْرِ . وَطَائِرًا لَا يَخْدَعُهُ إِلَّا قَنْصُ ٱللَّفْظِ .

وَلَا يَعْلَقُهُ إِلَّا شَرَكُ ٱلْحِفْظِ . فَحَمَلْتُهُ عَلَى ٱلرُّوحِ وَحَبَسْتُهُ عَلَى ٱلْعَيْنِ . وَأَنْفَقْتُ مِنَ ٱلْعَيْشِ وَخَزَنْتُ فِي ٱلْقَلْبِ . وَحَرَرْتُ بِٱلدَّرْسِ وَٱسْتَرَحْتُ مِنَ ٱلنَّظَرِ إِلَى ٱلتَّحْقِيقِ . وَمِنَ ٱلتَّحْقِيقِ إِلَى ٱلتَّعْلِيقِ . وَٱسْتَعَنْتُ فِي ذٰلِكَ بِٱلتَّوْفِيقِ . فَسَمِعْتُ مِنَ ٱلْكَلَامِ مَا فَتَقَ ٱلسَّمْعَ وَوَصَلَ إِلَى ٱلْقَلْبِ . وَتَغَلْغَلَ فِي ٱلصَّدْرِ . فَقُلْتُ : يَا فَتَى وَمِنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هٰذِهِ ٱلشَّمْسِ . فَجَعَلَ يَقُولُ :

إِسْكَنْدَرِيَّةُ دَارِي لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لٰكِنَّ بِٱلشَّامِ لَيْلِي وَبِٱلْعِرَاقِ نَهَارِي

المقامة الملوكية

٩٨ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي مُنْصَرَفِي مِنَ ٱلْيَمَنِ . وَتَوَجُّهِي إِلَى نَحْوِ ٱلْوَطَنِ . أَسْرِي ذَاتَ لَيْلَةٍ لَا سَانِحَ بِهَا إِلَّا ٱلضَّبُعُ . وَلَا بَارِحَ إِلَّا ٱلسَّبُعُ . فَلَمَّا ٱنْتَضَى نَصْلُ ٱلصَّبَاحِ . وَبَرَزَ جَبِينُ ٱلْمِصْبَاحِ . عَنَّ لِي فِي ٱلْبَرَاحِ . رَاكِبٌ شَاكِي ٱلسِّلَاحِ . فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ ٱلْأَعْزَلَ . مِنْ مِثْلِهِ إِذَا أَقْبَلَ . لٰكِنِّي تَجَلَّدْتُ فَوَقَفْتُ وَقُلْتُ : أَرْضَكَ لَا أُمَّ لَكَ فَدُونِي شَرْطُ ٱلْحِدَادِ . وَخَرْطُ ٱلْقَتَادِ . وَحَمِيَّةٌ أَزْدِيَّةٌ . وَأَنَا سِلْمٌ إِنْ كُنْتَ . فَمَنْ أَنْتَ . فَقَالَ : سِلْمًا أَصَبْتَ . وَرَفِيقًا كَمَا أَحْبَبْتَ . فَقُلْتُ : خَيْرًا أَجَبْتَ . وَسِرْنَا فَلَمَّا تَخَالَيْنَا . وَحِينَ تَجَالَيْنَا . لَجَأَتِ ٱلْقِصَّةُ عَنْ أَبِي ٱلْفَتْحِ ٱلْإِسْكَنْدَرِيِّ . وَسَأَلَنِي عَنْ أَكْرَمِ مَنْ لَقِيتُهُ مِنَ ٱلْمُلُوكِ فَذَكَرْتُ مُلُوكَ ٱلشَّامِ . وَمَنْ بِهَا مِنَ ٱلْكِرَامِ . وَمُلُوكَ ٱلْعِرَاقِ وَمَنْ

بِهَا مِنَ ٱلْأَشْرَافِ . وَأُمَرَاءِ ٱلْأَطْرَافِ . وَسُقْتُ ٱلذِّكْرَ . إِلَى مُلُوكِ مِصْرَ .
فَرَوَيْتُ مَا رَأَيْتُ وَحَدَّثْتُهُ بِعَوَارِفِ مُلُوكِ ٱلْيَمَنِ وَلَطَائِفِ مُلُوكِ
ٱلطَّائِفِ وَخَتَمْتُ مَدْحَ ٱلْجُمْلَةِ . بِذِكْرِ سَيْفِ ٱلدَّوْلَةِ . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

يَا سَارِيًا بِنُجُومِ ٱللَّيْلِ يَمْدَحُهَا ... وَلَوْ رَأَى ٱلشَّمْسَ لَمْ يَعْرِفْ لَهَا خَطَرَا
وَوَاصِفًا لِلسَّوَاقِي هَبْكَ لَمْ تَرِدِ ٱلْـ ... ـبَحْرَ ٱلْمُحِيطَ أَلَمْ تَعْرِفْ لَهُ خَبَرَا
مَنْ أَبْصَرَ ٱلدُّرَّ لَمْ يَعْدِلْ بِهِ حَجَرًا ... وَمَنْ رَأَى خَلَفًا لَمْ يَذْكُرِ ٱلْبَشَرَا
زُرْهُ تَزُرْ مَلِكًا يُعْطِي بِأَرْبَعَةٍ ... لَمْ يَحْوِهَا أَحَدٌ وَٱنْظُرْ إِلَيْهِ تَرَى
أَيَّامُهُ غُرَرًا وَوَجْهُهُ قَمَرًا ... وَعَزْمُهُ قَدَرًا وَسَيْبُهُ مَطَرَا
مَا زِلْتُ أَمْدَحُ أَقْوَامًا أَظُنُّهُمُ ... صَفْوَ ٱلزَّمَانِ فَكَانُوا عِنْدَهُ كَدَرَا

(قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ) فَقُلْتُ : مَنْ هٰذَا ٱلْمَلِكُ ٱلرَّحِيمُ ٱلْكَرِيمُ .
فَقَالَ : كَيْفَ يَكُونُ . مَا لَمْ تَبْلُغْهُ ٱلظُّنُونُ . وَكَيْفَ أَقُولُ . مَا لَمْ تَقْبَلْهُ
ٱلْعُقُولُ . وَمَتَى كَانَ مَلِكٌ يَأْنَفُ ٱلْأَكَارِمَ . إِنْ بَعَثَ بِٱلدَّرَاهِمِ .
وَٱلذَّهَبِ . أَيْسَرُ مَا يَهَبُ . وَٱلْأَلْفُ . لَا يَعُمُّهُ إِلَّا ٱلْخَلْفُ . وَهٰذَا جَبَلُ
ٱلْكُحْلِ قَدْ أَضَرَّ بِهِ ٱلْمَيْلُ . فَكَيْفَ لَا يُؤَثِّرُ ذٰلِكَ ٱلْعَطَاءُ ٱلْجَزِيلُ . وَهَلْ
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَلِكٌ يَرْجِعُ مِنَ ٱلْبَذْلِ إِلَى سَرَفِهِ . وَمِنَ ٱلْخُلُقِ إِلَى
شَرَفِهِ . وَمِنَ ٱلدِّينِ إِلَى كَلَفِهِ . وَمِنَ ٱلْمُلْكِ إِلَى كَنَفِهِ . وَمِنَ ٱلْأَصْلِ إِلَى
سَلَفِهِ . وَمِنَ ٱلنَّسْلِ إِلَى خَلَفِهِ

فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ هٰذِي مَآثِرُهُ ... مَاذَا ٱلَّذِي بِبُلُوغِ ٱلنَّجْمِ يَنْتَظِرُ

المقامة النجارية

٩٩ حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : أَحَالَنِي جَامِعُ بُخَارَى وَقَدِ ٱنْتَظَمْتُ
مَعَ رُفْقَةٍ فِي سِلْكِ ٱلثُّرَيَّا . وَحِينَ ٱحْتَفَلَ ٱلْجَامِعُ بِأَهْلِهِ طَلَعَ إِلَيْنَا ذُو طِمْرَيْنِ
قَدْ أَرْسَلَ صَوَانًا . وَٱسْتَتْلَى طِفْلًا عُرْيَانًا . يَضِيقُ بِٱلضُّرِّ وَيَسَعُهُ .
وَيَأْخُذُهُ ٱلْقُرُّ وَيَدَعُهُ . لَا يَمْلِكُ غَيْرَ ٱلْقَشْرَةِ بُرْدَةً . وَلَا يَلْتَقِي لِحَيَاهُ
رِعْدَةً . فَوَقَفَ ٱلرَّجُلُ وَقَالَ : لَا يَنْظُرُ لِهٰذَا ٱلطِّفْلِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ٱللهُ طِفْلَهُ .
وَلَا يَرِقُّ لِهٰذَا ٱلضُّرِّ إِلَّا مَنْ لَا يَأْمَنُ مِثْلَهُ . يَا أَصْحَابَ ٱلْخُزُوزِ ٱلْمَفْرُوزَةِ .
وَٱلْأَرْدِيَةِ ٱلْمَطْرُوزَةِ . وَٱلدُّورِ ٱلْمُنَجَّدَةِ . وَٱلْقُصُورِ ٱلْمُشَيَّدَةِ . إِنَّكُمْ لَنْ
تَأْمَنُوا حَادِثًا . وَلَنْ تَعْدَمُوا وَارِثًا . فَبَادِرُوا ٱلْخَيْرَ مَا أَمْكَنَ . وَأَحْسِنُوا
مَعَ ٱلدَّهْرِ مَا أَحْسَنَ . فَقَدْ وَٱللهِ طَعِمْنَا ٱلسِّكْبَاجَ . وَرَكِبْنَا ٱلْهِمْلَاجَ . وَلَبِسْنَا
ٱلدِّيبَاجَ . وَٱفْتَرَشْنَا ٱلْخَشَايَا بِٱلْعَشَايَا . فَمَا رَاعَنَا إِلَّا هُبُوبُ ٱلدَّهْرِ بِغَدْرِهِ .
وَٱنْقِلَابُ ٱلْمِحَنِ لِظَهْرِهِ . فَعَادَ ٱلْهِمْلَاجُ قَطُوفًا . وَٱلدِّيبَاجُ صُوفًا . وَهَلُمَّ
جَرًّا إِلَى مَا تُشَاهِدُونَ مِنْ حَالِي وَزِيِّي . فَهَا نَحْنُ نَرْتَضِعُ مِنَ ٱلدَّهْرِ ثَدْيَ
عَقِيمٍ . وَنَرْكَبُ مِنَ ٱلْفَقْرِ ظَهْرَ بَهِيمٍ . فَلَا نَرْنُو إِلَّا بِعَيْنِ ٱلْيَتِيمِ . وَلَا نَمُدُّ إِلَّا
يَدَ ٱلْعَدِيمِ . فَهَلْ مِنْ كَرِيمٍ يَجْلُو غَيَاهِبَ هٰذِهِ ٱلْبُؤُوسِ . وَيَفُلُّ شَبَا هٰذِهِ
ٱلنُّحُوسِ . ثُمَّ قَعَدَ مُرْتَفِقًا وَقَالَ لِلطِّفْلِ : أَنْتَ وَشَأْنُكَ . فَقَالَ : مَا
عَسَى أَنْ أَقُولَ وَهٰذَا ٱلْكَلَامُ لَوْ لَقِيَ ٱلشَّعْرَ لَحَلَقَهُ . أَوِ ٱلصَّخْرَ لَفَلَقَهُ . وَإِنَّ
قَلْبًا لَمْ يُنْضِجْهُ لَنِيٌّ . وَقَدْ سَمِعْتُمْ يَا قَوْمُ مَا لَمْ تَسْمَعُوا قَبْلَ ٱلْيَوْمِ . فَلْيَشْغَلْ
كُلٌّ مِنْكُمْ بِٱلْجُودِ يَدَهُ . وَلْيَذْكُرْ غَدَهُ . وَاقِيًا بِي وَلَدَهُ . وَٱمْنَحُونِي

أَشْكُرْكُمْ . وَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ . وَأَعْطُونِي أَشْكُرْكُمْ . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَمَا آنَسَنِي فِي وَحْدَتِي إِلَّا خَاتَمٌ خَتَمْتُ بِهِ خِنْصِرَهُ . فَلَمَّا تَنَاوَلَهُ أَنْشَأَ وَجَعَلَ يَقُولُ :

وَمُنْطَقٍ مِنْ نَفْسِهِ بِقَلَادَةِ الْجَوْزَاءِ حُسْنًا
مُتَأَلِّفٍ مِنْ غَيْرِ أَسْـ ـرَتِهِ عَلَى الْأَيَّامِ خِدْنَا
عِلْقٌ سَنِيٌّ قَدْرُهُ لَكِنَّ مَنْ أَهْدَاهُ أَسْنَى
أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الْوَرَى فِي الْمَجْدِ لَفْظًا كُنْتَ مَعْنَى

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَنِلْنَاهُ مَا تَاحَ مِنَ الْفَوْرِ فَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا لَنَا . فَتَبِعْتُهُ حَتَّى سَفَرَتِ الْخَلْوَةُ عَنْ وَجْهِهِ . فَإِذَا هُوَ وَاللهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَنْدَرِيُّ . وَإِذَا الطُّلَّا زُغْلُولُهُ فَقُلْتُ : أَبَا الْفَتْحِ شِبْتَ وَشَبَّ الْغُلَامُ . فَأَيْنَ السَّلَامُ وَأَيْنَ الْكَلَامُ . فَقَالَ :

غَرِيبًا إِذَا جَمَعَتْنَا الطَّرِيقُ أَلِيفًا إِذَا نَظَمَتْنَا الْخِيَامُ
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ مُخَاطَبَتِي فَتَرَكْتُهُ وَانْصَرَفْتُ

أَلْبَابُ الْخَامِسُ
فِي الْمُنَاظَرَةِ

مختبة من مقامات جلال الدين السيوطي الطبية

مناظرة الازهار او المقامة الوردية

١٠٠ حَدَّثَنَا الرَّيَّانُ عَنْ أَبِي الرَّيْحَانِ . عَنْ أَبِي الْوَرْدِ أَبَانَ . عَنْ بُلْبُلِ الْأَغْصَانِ . عَنْ نَاظِرِ الْإِنْسَانِ . عَنْ كَوْكَبِ الْبُسْتَانِ . عَنْ وَابِلِ الْهَتَّانِ . قَالَ : مَرَرْتُ يَوْمًا عَلَى حَدِيقَةٍ . خَضِرَةِ نَضِرَةٍ أَنِيقَةٍ . طُولُهَا وَدِيقَةٌ . وَأَغْصَانُهَا وَرِيقَةٌ . وَكَوْكَبُهَا أَبْدَى بَرِيقَهُ . ذَاتِ أَلْوَانٍ وَأَفْنَانٍ . وَأَكْمَامٍ وَأَكْنَانٍ . وَإِذَا بِهَا أَزْرَارُ الْأَزْهَارِ مُجْتَمِعَةٌ . وَأَنْوَارُ الْأَنْوَارِ مُلْتَمِعَةٌ . وَعَلَى مَنَابِرِ الْأَغْصَانِ أَكَابِرُ الْأَزَاهِرِ . وَالصَّبَا تَضْرِبُ عَلَى رُؤُوسِهَا مِنَ الْأَوْرَاقِ الْخُضْرِ بِالْمَزَاهِرِ . فَقُلْتُ لِبَعْضِ مَنْ عَبَرَ : أَلَا تُحَدِّثُونِي مَا الْخَبَرُ . فَقَالَ : إِنَّ عَسَاكِرَ الرَّيَاحِينِ قَدْ حَضَرَتْ . وَأَزَاهِرَ الْبَسَاتِينِ قَدْ نَظَرَتْ لَمَّا نَضَرَتْ . وَاتَّفَقَتْ عَلَى عَقْدِ مَجْلِسٍ حَافِلٍ . لِاخْتِيَارِ مَنْ هُوَ بِالْمُلْكِ أَحَقُّ وَكَافِلٌ . وَهَا أَكَابِرُ الْأَزْهَارِ قَدْ صَعِدَتِ الْمَنَابِرَ . لِيُبْدِيَ كُلٌّ حُجَّتَهُ لِلنَّاظِرِ . وَيُنَاظِرَ بَيْنَ أَهْلِ الْمَنَاظِرِ . فِي أَنَّهُ أَحَقُّ أَنْ يُلْحَظَ بِالنَّوَاظِرِ . مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الرَّيَاحِينِ النَّوَاضِرِ . وَأَوْلَى بِأَنْ يَتَأَمَّرَ عَلَى الْبَوَادِي مِنْهَا وَالْحَوَاضِرِ . فَجَلَسْتُ لِأَحْضُرَ فَصْلَ الْخِطَابِ . وَأَسْمَعَ مَا يَأْتِي بِهِ كُلٌّ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُسْتَطَابِ

١٠١ (فَهَجَمَ الْوَرْدُ) بِشَوْكَتِهِ . وَنَجَمَ مِنْ بَيْنِ الرَّيَاحِينِ مُعْجَبًا بِإِشْرَافِ

صُورَتِهِ . وَإِفْرَاقِ صَوْلَتِهِ . وَقَالَ : بِسْمِ اللهِ الْمُعِينِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ . أَنَا الْوَرْدُ مَلِكُ الرَّيَاحِينِ . وَالْوَارِدُ مُنْعِشًا لِلْأَرْوَاحِ وَمَتَاعًا لَهَا إِلَى حِينٍ . وَنَدِيمُ الْخُلَفَاءِ وَالسَّلَاطِينِ . وَالْمَرْفُوعُ أَبَدًا عَلَى الْأَسِرَّةِ لَا أَجْلِسُ عَلَى تُرْبٍ وَلَا طِينٍ . وَالظَّاهِرُ لَوْنِي الْأَحْمَرُ عَلَى أَزَاهِرِ الْبَسَاتِينِ . وَالْعَزِيزُ عِنْدَ النَّاسِ . وَالْمَوْدُودُ بَيْنَ الْجُلَّاسِ لِلْإِينَاسِ . وَالْعَادِلُ فِي الْمِزَاجِ . وَالصَّالِحُ فِي الْعِلَاجِ . أُسَكِّنُ حَرَارَةَ الصَّفْرَاءِ . وَأُقَوِّي الْبَاطِنَ مِنَ الْأَعْضَاءِ . وَأُبَرِّدُ أَنْوَاعَ اللَّهِيبِ الْكَائِنَةَ فِي الرَّأْسِ . وَرُبَّمَا أَسْتَخْرِجُهَا مِنْهُ بِالْعُطَاسِ . وَأَنْفَعُ مِنَ الْقُلَاعِ وَالْقُرُوحِ . وَأَنَا بِعِطْرِيَّتِي مُلَائِمٌ لِجَوْهَرِ الرُّوحِ . وَمَنْ تَجَرَّعَ مِنْ مَائِي يَسِيرًا . نَفَعَ مِنَ الْغَشْيِ وَالْخَفَقَانِ كَثِيرًا . وَدُهْنِي شَدِيدُ النَّفْعِ لِلْخُرَّاجَاتِ . وَفِيهِ مَآرِبُ كَثِيرَةٌ لِذَوِي الْحَاجَاتِ . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ جِلْدٌ صَبَّارٌ . أَجْرِي مَعَ الْأَقْدَارِ . إِذَا صُلِيتُ بِالنَّارِ . فَلِهَذَا رُفِعَتْ مِنْ أَغْصَانِي الْأَشَائِرُ . وَدُقَّتْ مِنْ دَارَاتِي الْبَشَائِرُ . وَأُعْمِلَتْ لِي الْمَشَاعِرُ . وَقَالَ فِيَّ الشَّاعِرُ :

لِلْوَرْدِ عِنْدِي مَحَلٌّ ... وَرُتْبَةٌ لَا تُمَلُّ
كُلُّ الرَّيَاحِينِ جُنْدٌ ... وَهُوَ الْأَمِيرُ الْأَجَلُّ
إِنْ جَاءَ عَزُّوا وَتَاهُوا ... حَتَّى إِذَا غَابَ ذَلُّوا

١٠٢ (فَقَامَ النَّرْجِسُ) عَلَى سَاقٍ . وَرَمَى الْوَرْدَ مِنْهُ بِالْأَحْدَاقِ . وَقَالَ : لَقَدْ تَجَاوَزْتَ الْحَدَّ يَا وَرْدُ . وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جَمْعٌ فِي فَرْدٍ . إِنِ اعْتَقَدْتَ أَنَّ لَكَ بِحُمْرَتِكَ فَخْرَةً . فَإِنَّهَا مِنْكَ فَجْرَةٌ . وَإِنْ قُلْتَ إِنَّكَ نَافِعٌ

فِي الْعِلَاجِ . فَكَمْ لَكَ فِي مِنْهَاجِ الطِّبِّ مِنْ هَاجٍ . فَاحْفَظْ حُرْمَتَكَ . وَإِلَّا كَسَرْتُ بِقَائِمِ سَيْفِي شَوْكَتَكَ . وَيَكْفِيكَ قَوْلُ الْبُسْتِيِّ فِيكَ :

لَا يَغُرَّنْكَ أَنَّنِي لَيِّنُ الْمَسِّ لِأَنِّي إِذَا انْتَضَيْتُ حُسَامُ
أَنَا كَالْوَرْدِ فِيهِ رَاحَةُ قَوْمٍ ... ثُمَّ فِيهِ لِآخَرِينَ زُكَامُ

وَلَكِنْ أَنَا الْقَائِمُ لِلهِ فِي الدَّيَاجِي عَلَى سَاقِ . السَّاهِرُ طُولَ اللَّيْلِ فِي عِبَادَةِ رَبِّي فَلَا تَطْرُفُ أَحْدَاقِي . وَأَنَا مَعَ ذَلِكَ الْمُعَدُّ لِلْحُرُوبِ . الْمَدْعُوُّ عِنْدَ تَرَاحُمِ الْكُرُوبِ . أَلَا تَرَى وَسَطِي لَا يَزَالُ مَشْدُودًا . وَسَيْفِي لَا يَزَالُ مُجْرُودًا . وَأَنَا فَرِيدُ الزَّمَانِ . فِي الْمَحَاسِنِ وَالْإِحْسَانِ . وَلِهَذَا قَالَ فِيَّ كِسْرَى أَنُوشِرْوَانُ : النَّرْجِسُ يَاقُوتٌ أَصْفَرُ . بَيْنَ دُرٍّ أَبْيَضَ عَلَى زُمُرُّدٍ أَخْضَرَ . وَأَنَا الْمَقْرُونُ فِي مُهِمَّاتِ الْأَدْوَاءِ بِالصَّلَاحِ . أَنْفَعُ غَايَةَ النَّفْعِ . مِنْ دَاءِ الثَّعْلَبِ وَالصَّرْعِ . وَمِنَ الدَّلِيلِ عَلَى صَلَاحِي . أَنَّ أَبَا نُوَاسٍ غَفَرَ لَهُ أَثْنَى عَلَيَّ بِأَبْيَاتٍ قَالَهَا فِي امْتِدَاحِي :

تَأَمَّلْ فِي رِيَاضِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ ... بِأَحْدَاقٍ كَمَا الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى قُضُبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وَلَقَدْ أَحْسَنَ ابْنُ الرُّومِيِّ حَيْثُ قَالَ . مُبَيِّنًا فَضْلِي عَلَى كُلِّ حَالٍ :

أَيُّهَا الْمُحْتَجُّ لِلْوَرْ ... دِ بِزُورٍ وَمُحَالِ
ذَهَبَ النَّرْجِسُ بِالْفَضْ ... لِ فَأَنْصِفْ فِي الْمَقَالِ

١٠٣ (فَقَامَ الْيَاسَمِينُ) وَقَالَ : آمَنْتُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ . لَقَدْ تَجَسَّتَ

يَا جِبْسُ . وَأَكْثَرُكَ رِجْسٌ نَجِسٌ . وَأَنْتَ قَلِيلُ الْحُرْمَةِ . وَاسْمُكَ مَشْمُولٌ بِالْعُجْمَةِ . وَكَيْفَ تَطْلُبُ الْمُلْكَ وَأَنْتَ بَعْدُ قَائِمٌ مَشْدُودُ الْوَسَطِ فِي الْخِدْمَةِ . رَأْسُكَ لَا يَزَالُ مَنْكُوسٌ . وَأَنْتَ الْمُهَيَّجُ لِلْقَيْءِ الْمُصَدِّعُ مِنَ الْمَحْرُورِينَ لِلرُّؤُسِ . أَصْفَرُ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ . مَكْسُوٌّ أَحْقَرَ حُلَّةٍ . وَيَكْفِيكَ بَعْضُ وَاصِفِيكَ

أَرَى النَّرْجِسَ الْغَضَّ الزَّكِيَّ مُشَمِّرًا عَلَى سَاقِهِ فِي خِدْمَةِ الْوَرْدِ قَائِمُ
وَقَدْ ذَلَّ حَتَّى لَفَّ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ عَمَائِمَ فِيهَا لِلْيَهُودِ عَلَائِمُ

وَلَكِنْ أَنَا زَيْنُ الرِّيَاضِ . وَالْمَوْسُومُ فِي الْوَجْهِ بِالْبَيَاضِ . شَطْرُ الْحُسْنِ كَمَا وَرَدَ . وَأَنَا أَلْطَفُ مِنْ وَرْدٍ جَاوَرَدَ . وَنَشْرِي أَعْبَقُ مِنْ نَشْرِكَ صَبَاحًا وَنَدًّا . فَأَنَا أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْكَ مَنْصُورًا وَمُؤَيَّدًا . وَأَنَا النَّافِعُ مِنْ أَمْرَاضِ الْعَصَبِ الْبَارِدَةِ . وَالْمُلَطِّفُ لِلرُّطُوبَاتِ الْجَامِدَةِ . أَنْفَعُ مِنَ اللَّقْوَةِ وَالشَّقِيقَةِ وَالزُّكَامِ . وَمِنْ وَجَعِ الرَّأْسِ الْبَلْغَمِيِّ وَالسَّوْدَاوِيِّ . وَدُهْنِي نَافِعٌ مِنَ الْفَالِجِ وَوَجَعِ الْمَفَاصِلِ . وَيُحَلِّلُ الْأَعْضَاءَ وَيَجْلُبُ الْعَرَقَ الْفَاضِلَ . يَقُولُ لِي لِسَانُ الْحَالِ : لَسْتَ الْمُزِيلَ مَقَامًا يَا سَمِينُ . وَيَشْهَدُ لِسَانُ الْأَلْثَغِ بِأَنِّي الدُّرُّ الْغَالِي إِذَا قَالَ : يَا ثَمِينُ

أَنَا الْيَاسَمِينُ الَّذِي لَطُفَتْ فَنِلْتُ الْمُنَى
فَرِيحِي لِمَنْ قَدْ نَأَى وَعَيْنِي إِلَى مَنْ دَنَا
وَقَدْ شَرُفَتْ حَضْرَتِي لِصَبْرِي عَلَى مَنْ جَنَى

١٠٤ (فَقَامَ الْبَانُ) وَأَبْدَى غَايَةَ الْغَضَبِ وَأَبَانَ وَقَالَ : لَقَدْ تَعَدَّيْتَ

يَا يَاسَمِينُ طَوْرَكَ . وَأَبْعَدْتَ فِي الْمَدَا غَوْرَكَ . وَكَوْنُكَ أَضْعَفُ الْكَوْنِ . وَكَثْرَةُ شَمِّكَ تُصَفِّرُ اللَّوْنَ . وَإِذَا سُحِقَ الْيَابِسُ مِنْكَ وَرُضَّ . وَذُرَّ عَلَى الشَّعْرِ الْأَسْوَدِ أَبْيَضَّ . وَإِذَا قُسِمَ اسْمُكَ قِسْمَيْنِ صَارَ مَا بَيْنَ يَأْسٍ وَمَيْنٍ . وَإِنْ ذَكَرْتَ نَفْعَكَ . فَأَنْتَ كَمَا قِيلَ لَا تُسَاوِي جَمْعَكَ . وَلَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ . مِنَ الْأَوَائِلِ :

لَا مَرْحَبًا بِالْيَاسَمِينِ وَإِنْ غَدَا فِي الرَّوْضِ زَيْنَا
صَحَّفْتُهُ فَوَجَدْتُهُ مُتَضَمِّنًا يَأْسًا وَمَيْنَا

وَلَكِنْ أَنَا ذُو الْيَاسَمِينِ . وَالظَّافِرُ بِالْأَصْلِ وَالْفَرْعِ بِالْقِسْمَيْنِ . وَالْقَرِيبُ مِنَ الْبَازِ . وَالْمَضْرُوبُ بِقِدِّيَ الْمَثَلُ فِي الِاهْتِزَازِ . أَزْهَارِي عَالِيَةٌ وَأَدْهَانِي غَالِيَةٌ . وَقَدْ أُلْبِسْتُ خِلْعَةَ السِّنْجَابِ . وَاتَّفَقَ عَلَى فَضْلِ الْأَنْجَابِ . أَنْفَعُ بِالشَّمِّ مِنْ مِزَاجِهِ حَارٌّ . وَأُرَطِّبُ دِمَاغَهُ وَأُسَكِّنُ صُدَاعَهُ . وَدُهْنِي نَافِعٌ لِكُلِّ وَجَعٍ بَارِدٍ . وَتَحْتَ ذَلِكَ صُوَرٌ كَثِيرَةٌ مُوَارِدُ . مِنَ الرَّاسِ وَالضِّرْسِ . وَيَكْفِي فِي وَرْدِي . قَوْلُ ابْنِ الْوَرْدِيِّ :

تَجَادَلْنَا أَمَاءُ الزَّهْرِ أَذْكَى أَمِ الْخِلَّافُ أَمْ وَرْدُ الْقِطَافِ
وَعُقْبَى ذَلِكَ الْجَدَلِ اصْطَلَحْنَا وَقَدْ وَقَعَ الْوِفَاقُ عَلَى الْخِلَافِ

١٠٥ (فَقَامَ النَّسْرِينُ) بَيْنَ الْقَائِمَيْنِ . مُنْتَصِرًا لِأَخِيهِ الْيَاسَمِينِ . وَقَالَ : أَتَتَعَدَّى يَا بَانُ عَلَى شَقِيقِي . وَأَيْنَ الْقَرِيُّ مِنَ الذَّهَبِ الدَّبِيقِيِّ . أَلَمْ يَعْرِفْكَ الْحَالُ . قَوْلُ مَنْ قَالَ :

لِلّٰهِ بُسْتَانٌ حَلَلْنَا دَوْحَهُ فِي جَنَّةٍ قَدْ فُتِّحَتْ أَبْوَابُهَا

وَٱلْبَانُ تَحْسَبُهُ سَنَانِيرًا رَأَتْ بَعْضَ ٱلْكِلَابِ فَنَفَّشَتْ أَذْنَابَهَا

وَلَكِنْ أَنَا زَيْنُ ٱلْبُسْتَانِ . وَفِيَّ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ لَوْنَانِ . أَنْفَعُ مِنْ أَوْرَامِ ٱلْحَلْقِ وَٱللَّوْزَتَيْنِ وَوَجَعِ ٱلْأَسْنَانِ . وَمِنْ بَرْدِ ٱلْعَصَبِ وَٱلدَّوِيِّ وَٱلطَّنِينِ فِي ٱلْآذَانِ . وَأُسَكِّنُ ٱلْقَيْءَ وَٱلْفُوَاقَ . وَأُقَوِّي ٱلْقَلْبَ وَٱلدِّمَاغَ عَلَى ٱلْإِطْلَاقِ . وَبِي غَايَةُ ٱلِٱنْتِفَاعِ . وَٱلْبَرِيُّ مِنِّي إِذَا لُطِخَ بِهِ ٱلْجَبْهَةُ سَكَّنَ ٱلصُّدَاعَ . وَيَكْفِيكَ مِنَ ٱلْمَعَانِي . قَوْلُ مَنْ عَنَانِي :

مَا أَحْسَنَ ٱلنِّسْرِينَ عِنْدِي وَمَا أَمْلَحَهُ مُذْ كَانَ فِي عَبْنِي

زَهْرٌ إِذَا مَا أَنَا صَحَّفْتُهُ وَجَدْتُهُ بُشْرَى وَيُسْرَيْنِ

١٠٦ (فَقَامَ ٱلْبَنَفْسَجُ) وَقَدِ ٱلْتَهَبَ . وَلَاحَتْ عَلَيْهِ زُرْقَةُ ٱلْغَضَبِ . وَقَالَ : أَيُّهَا ٱلنِّسْرِينُ لَسْتَ عِنْدَنَا مِنَ ٱلْمَعْدُودِينَ . وَلَا فِي ٱلصَّلَاحِ مِنَ ٱلْمَحْمُودِينَ . لِأَنَّكَ حَارٌّ يَابِسٌ إِنَّمَا تُوَافِقُ ٱلْمَبْرُودِينَ . وَلَا تَصْلُحُ إِلَّا لِلْمَشَايِخِ ٱلْمُبْلَغِمِينَ . وَأَنْتَ كَثِيرُ ٱلْإِذَاعَةِ فَلَسْتَ عَلَى حِفْظِ ٱلْأَسْرَارِ بِأَمِينٍ . وَيُعْجِبُنِي مَا قَالَ فِيكَ بَعْضُ ٱلْمُتَقَدِّمِينَ :

وَلَمْ أَنْسَ قَوْلَ ٱلْوَرْدِ لَا تَرْكَنُوا إِلَى مُعَاهَدَةِ ٱلنِّسْرِينِ فَهْوَ يَمِينُ

أَلَا تَنْظُرُوا مِنْهُ بَنَانًا مُخَضَّبًا وَلَيْسَ لِمَخْضُوبِ ٱلْبَنَانِ يَمِينُ

وَلَكِنْ أَنَا ٱللَّطِيفُ ٱلذَّاتِ . ٱلْبَدِيعُ ٱلصِّفَاتِ . ٱلْمُشَبَّهُ بِزَرَقِ ٱلْيَوَاقِيتِ . وَأَعْنَاقِ ٱلْفَوَاخِيتِ . وَمِزَاجِي رَطْبٌ بَارِدٌ . وَمَنَافِعِي كَثِيرَةُ ٱلْمَوَارِدِ . أُوَلِّدُ دَمًا فِي غَايَةِ ٱلِٱعْتِدَالِ . وَأَنْفَعُ ٱلْحَارَّ مِنَ ٱلرَّمَدِ وَٱلسُّعَالِ . وَأُسَكِّنُ ٱلصُّدَاعَ ٱلصَّفْرَاوِيَّ وَٱلدَّمَوِيَّ إِنْ شَمَّ أَوْ ضُمِّدَ .

وَأَلِّنُ ٱلصَّدْرَ وَأَنْفَعُ مِنِ ٱلْتِهَابِ ٱلْمِعَدِ . وَكَفَانِي شَرَفًا بَيْنَ ٱلْإِخْوَانِ . أَنَّ دُهْنِي سَيِّدُ ٱلْأَدْهَانِ . بَارِدٌ فِي ٱلصَّيْفِ حَارٌّ فِي ٱلشِّتَاءِ فَهُوَ صَالِحٌ فِي كُلِّ ٱلْأَزْمَانِ . وَذَلِكَ لِأَنَّهُ يُسَكِّنُ ٱلْقَلَقَ . وَيُنَوِّمُ أَصْحَابَ ٱلْأَرَقِ . وَمَنَافِعِي لَا تُحْصَى . وَمَا أَوْدَعَهُ خَالِقِي فِيَّ لَا يُسْتَقْصَى . مَنْ رَآنِي أَذِنَ بِٱلِٱنْشِرَاحِ . وَتَفَاءَلَ بِٱلِٱنْفِسَاحِ . أَلَا تَسْمَعُ قَوْلَ مَنْ بَاحَ وَصَاحَ :

يَا مُهْدِيًا لِي بَنَفْسَجًا أَرِجَا يَرْتَاحُ صَدْرِي لَهُ وَيَنْشَرِحُ

بَشَّرَنِي عَاجِلًا مُصَحِّفُهُ بِأَنَّ ضِيقَ ٱلْأُمُورِ يَنْفَسِحُ

١٠٧ (فَقَامَ ٱللَّيْنُوفَرُ) عَلَى سَاقٍ . وَحَشَدَ ٱلْجُيُوشَ وَسَاقَ . وَأَنْشَدَ بَعْدَ إِطْرَاقٍ :

بَنَفْسَجُ ٱلرَّوْضِ تَاهَ عُجْبًا وَقَالَ طِيبِي لِلْجَوِّ ضَمَّخْ

فَأَقْبَلَ ٱلزَّهْرُ فِي ٱحْتِفَالٍ وَٱلْبَانُ فِي غَيْظِهِ تَنَفَّخْ

ثُمَّ قَالَ لِلْبَنَفْسَجِ : بِأَيِّ شَيْءٍ تَدَّعِي ٱلْإِمَارَةَ . وَتُطَاوِعُ نَفْسَكَ وَٱلنَّفْسُ أَمَّارَةٌ . وَأَكْثَرُ مَا عِنْدَكَ أَنَّكَ تُشَبَّهُ بِٱلْعِذَارِ وَبِٱلنَّارِ فِي ٱلْكِبْرِيتِ . وَحَاصِلُ هٰذَيْنِ يَرْجِعُ إِلَى أَشْنَعِ صِيتٍ . وَمَا مِنْ نَفْعٍ ذَكَرْتَهُ عَنْكَ إِلَّا وَأَنَا أَفْعَلُ مِثْلَهُ وَأَكْثَرَ . وَأَنَا أَحْرَى بِسَلَامَةِ ٱلْعَاقِبَةِ مِنْكَ وَأَجْدَرُ . مَنْ شَرِبَ ٱلْيَابِسَ مِنْكَ وَلَّدَهُ قَبْضًا عَلَى ٱلْقَلْبِ . وَرَبَّى فِي مَعِدَتِهِ وَأَمْعَائِهِ وَأَحْدَثَ لَهُ ٱلْكَرْبَ . وَقَدْ كَفَانَا ٱلْوَرْدُ مُؤْنَةَ ٱلرَّدِّ عَلَيْكَ . وَحَذَّرَنَا مِنَ ٱلْقُرْبِ مِنْكَ وَٱلْإِصْغَاءِ إِلَيْكَ . فَقَالَ :

أَعَلَيَّ يَفْتَخِرُ ٱلْبَنَفْسَجُ جَاهِلًا وَإِلَيَّ يُعْزَى كُلُّ فَضْلٍ يُبْهَرُ

وَأَنَا ٱلْمُحَبَّبُ لِلْقُلُوبِ زَمَانُهُ وَبِقَدْمِي أَهْلُ ٱلْمَسَرَّةِ تَفْخَرُ

وَقَالَ ٱلْحَاكِي. عَنِ ٱلْوَرْدِ ٱلْبَاكِي:

عَايَنْتُ وَرْدَ ٱلرَّوْضِ يَلْطِمُ خَدَّهُ وَيَقُولُ وَهْوَ عَلَى ٱلْبَنَفْسَجِ مُخْنَقُ

لَا تَقْرَبُوهُ وَإِنْ تَضَوَّعَ نَشْرُهُ مَا بَيْنَكُمْ فَهُوَ ٱلْعَدُوُّ ٱلْأَزْرَقُ

وَلٰكِنْ أَنَا ٱللَّطِيفُ ٱلْغَوَّاصُ. ٱلْكَثِيرُ ٱلْخَوَاصِّ. أُسَكِّنُ ٱلصُّدَاعَ ٱلْحَارَّ. وَأَذْهَبُ بِٱلْأَرَقِ وَٱلْأَسْهَارِ. وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَ فِيَّ. بَعْضُ وَاصِفِيَّ:

يَرْتَاحُ لِلنَّرْجِسِ ٱلْقَلْبُ ٱلَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنَ ٱلْغَرَامِ وَجَهْدِهِ

وَٱلْوَرْدُ أَصْبَحَ فِي ٱلرَّوَائِحِ عَبْدَهُ وَٱلنَّرْجِسُ ٱلْمِسْكِيُّ خَادِمُ عَبْدِهِ

يَا حُسْنَهُ فِي بِرْكَةٍ قَدْ أَصْبَحَتْ مَحْشُوَّةً مِسْكًا تُشَابُ بِنَدِّهِ

وَمِنِّي صِنْفٌ يُقَالُ لَهُ ٱلْبِشْنِينُ. يُشَابِهُنِي فِي ٱلتَّكْوِينِ. لَا فِي ٱلتَّلْوِينِ. وَيَحْدُثُ عِنْدَ إِطْبَاقِ ٱلنِّيلِ. وَلَهُ فِي مَنَافِعِ ٱلطِّبِّ تَنْوِيلٌ. دُهْنُهُ مَحْمُودٌ فِي ٱلْبِرْسَامِ. إِذَا تَسَعَّطَ بِهِ ذُو ٱلْأَسْقَامِ. وَقَدْ أَنْشَدَ فِيهِ. مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوصِلَهُ حَقَّهُ وَيُوفِيَهُ:

وَبِرْكَةٍ بِغَدِيرِ ٱلْمَاءِ قَدْ طَفَحَتْ بِهَا عُيُونٌ مِنَ ٱلْبِشْنِينِ قَدْ فُتِحَتْ

كَأَنَّهَا وَهْيَ تَزْهُو فِي جَوَانِبِهَا مِثْلُ ٱلسَّمَاءِ وَفِيهَا أَنْجُمٌ سَبَحَتْ

١٠٨ (فَقَامَ ٱلْآسُ) وَقَدِ ٱسْتَعَدَّ. وَقَالَ: لَقَدْ تَجَاوَزْتَ يَا لَيْنُوفَرُ ٱلْحَدَّ. أَلَسْتَ ٱلْمُضْعِفَ لِلْمَرْءِ فِي قُوَاهُ. ٱلْجَالِبَ لَهُ صِفَةَ ٱلشَّيْخُوخَةِ فِي صِبَاهُ. وَلَقَدْ عَرَّفَكَ. مَنْ قَالَ حِينَ وَصَفَكَ:

وَلَيْنُوفَرٍ أَبْدَى لَنَا بَاطِنٌ لَهُ مَعَ ٱلظَّاهِرِ ٱلْمُخْضَرِّ حُمْرَةُ عَنْدَمِ

فَشَبَّهْتُهُ لَمَّا قَصَدْتُ هِجَاءَهُ بِكَاسَاتِ حَجَّامٍ بِهَا لَوْثَةُ ٱلدَّمِ

أَنَا ٱلْمُقَوِّي لِلْأَبْدَانِ. أَخَا بِسُ لِلْإِسْهَالِ وَٱلْعَرَقِ وَكُلِّ سَيَلَانٍ. أَنَا ٱلْمُنَشِّفُ مِنَ ٱلرُّطُوبَاتِ. أَنَا ٱلْمَانِعُ مِنَ ٱلصُّنَانِ. أَنَا ٱلْمُسَكِّنُ لِلْأَوْرَامِ وَٱلْحُمْرَةِ وَٱلشَّرَى وَٱلصُّدَاعِ وَٱلْخَفَقَانِ. وَأَنَا ٱلْبَاقِي فِي طُولِ ٱلزَّمَانِ. وَقَالَ فِيَّ بَعْضُ ٱلْأَعْيَانِ:

ٱلْآسُ سَيِّدُ أَنْوَاعِ ٱلرَّيَاحِينِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ فِي ٱلْبَسَاتِينِ

يَبْقَى عَلَى ٱلدَّهْرِ لَا تَبْلَى نَضَارَتُهُ لَا فِي ٱلْمَصِيفِ وَلَا فِي بَرْدِ كَانُونِ

وَقَالَ آخَرُ:

لِلْآسِ فَضْلُ بَقَائِهِ وَوَفَائِهِ وَدَوَامُ مَنْظَرِهِ عَلَى ٱلْأَوْقَاتِ

قَامَتْ عَلَى أَغْصَانِهِ وَرَقَاتُهُ كَفُصُولِ نَبْلٍ جُنَّ مُؤْتَلِفَاتِ

١٠٩ (فَقَامَ ٱلرَّيْحَانُ) وَقَالَ: يَا آسُ. لَأَجْرَحَنَّكَ جُرْحًا مَا لَهُ مِنْ آسٍ:

إِذَا قَالَتْ حَذَامِ فَصَدِّقُوهَا فَإِنَّ ٱلْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامِ

وَأَنَا ٱلْوَارِدُ فِيَّ: عَلَيْكُمْ بِٱلْمَرْزَنْجُوشِ. فَشُمُّوهُ فَإِنَّهُ جَيِّدٌ لِلْخُشَامِ. وَأَنَا أَنْفَعُ مِنْ لَسْعَةِ ٱلْعَقْرَبِ لِمَنْ بِٱلْخَلِّ ضُمِّدَ. وَدُهْنِي يَدْخُلُ فِي ٱلضِّمَادَاتِ لِلْفَالِجِ ٱلَّذِي يَعْرِضُ فِيهِ مَيْلُ ٱلرَّقَبَةِ إِلَى خَلْفٍ وَفِي تَشَنُّجِ ٱلْأَعْصَابِ. وَمَعَ هٰذَا فَأَنَا ٱلْمُنَوَّهُ بِٱسْمِي فِي ٱلْقُرْآنِ. حَيْثُ يُقَالُ: فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ. وَحَسْبُكَ مِنِّي فِي ٱلتَّشْبِيهِ. قَوْلُ مَنْ قَالَ عَلَى ٱلْبَدِيهِ:

أَمَا تَرَى ٱلرَّيْحَانَ أَهْدَى لَنَا حَمَائِمًا مِنْهُ فَأَحْيَانَا

كَأَنَّهُ فِي ظِلِّهِ وَٱلنَّدَى زُمُرُّدٌ يَحْمِلُ مَرْجَانَا

فَعَطَفَ عَلَيْهِ الْآسُ. وَقَالَ: يَا رَيْحَانُ أَتُرِيدُ أَنْ تَسُودَ. وَأَنْتَ تُشَبَّهُ بِهَامَاتِ الْعَبِيدِ السُّودِ. أَلَمْ يُغْنِكَ عَنْ مَقْصُورِي. قَوْلُ الشِّهَابِ الْمَنْصُورِيِّ:

وَرَيْحَانٍ تَمِيسُ بِهِ غُصُونٌ ... يَطِيبُ بِشَمِّهِ نَثْمُ الْكُؤُوسِ
كَسُودَانٍ لُبِسْنَ ثِيَابَ خَزٍّ ... وَقَدْ قَامُوا مَكَاشِيفَ الرُّؤُوسِ

١١٠ قَالَ الرَّاوِي: فَلَمَّا أَبْدَى كُلٌّ مَا لَدَيْهِ. وَقَالَ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ. اتَّفَقَ رَأْيُ النَّاظِرِينَ. وَأَهْلُ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ مِنَ الْحَاضِرِينَ. عَلَى أَنْ يَجْعَلُوا بَيْنَهُمْ حَكَمًا عَادِلًا. يَكُونُ لِقَطْعِ النِّزَاعِ بَيْنَهُمْ فَاصِلًا. فَقَصَدُوا رَجُلًا عَالِمًا بِالْأُصُولِ وَالْفُرُوعِ. حَافِظًا لِلْآثَارِ الْمَوْقُوفِ مِنْهَا وَالْمَرْفُوعِ. عَارِفًا بِالْأَنْسَابِ. مُمَيِّزًا بَيْنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَلْقَابِ. وَالْأَتْبَاعِ وَالْأَصْحَابِ. مَدِيدَ الْبَاعِ. بَسِيطَ الْيَدَيْنِ فِي مَعْرِفَةِ الْخِلَافِ وَالْإِجْمَاعِ. خَبِيرًا بِمَبَاحِثِ الْجَدَلِ. وَاسْتِخْرَاجِ مَسَالِكِ الْعِلَلِ. مُتَبَحِّرًا فِي عُلُومِ اللُّغَةِ وَالْإِعْرَابِ. مُطَّلِعًا بِعُلُومِ الْبَلَاغَةِ وَالْخِطَابِ. مُحِيطًا بِفُنُونِ الْبَدِيعِ. حَافِظًا لِلشَّوَاهِدِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَبْهَى مِنْ زَهْرِ الرَّبِيعِ. شَدِيدَ الرَّمْيَةِ. سَدِيدَ الْإِصَابَةِ. الشِّعْرُ وَالنَّظْمُ صَوْغُ بَيَانِهِ. وَالنَّثْرُ وَالْإِنْشَاءُ طَوْعُ بَنَانِهِ. وَالتَّارِيخُ الَّذِي هُوَ فَضِيلَةُ غَيْرِهِ فَضْلَةُ دِيوَانِهِ. فَلَمَّا مَثَلُوا بَيْنَ يَدَيْهِ. وَوَقَعَتْ أَعْيُنُهُمْ عَلَيْهِ. قَالُوا: يَا فَرِيدَ الْأَرْضِ. يَا عَالِمَ الْبَسِيطَةِ مَا بَيْنَ طُولِهَا وَالْعَرْضِ. إِنَّا أَخْصَامٌ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ. فَانْظُرْ فِي حَالِنَا لِتَكُونَ لَكَ ذَخِيرَةً يَوْمَ الْعَرْضِ. وَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ.

وَاقْضِ لِأَيِّنَا بِالْمُلْكِ أَحَقُّ. فَقَالَ: أَيَّتُهَا الْأَزْهَارُ إِنِّي لَسْتُ كَالَّذِي تَحَاكَمَ إِلَيْهِ الْعِنَبُ وَالرُّطَبُ. وَلَا الَّذِي تَقَاضَى إِلَيْهِ الْمِشْمِشُ وَالتُّوتُ وَلَا التِّينُ وَالْعِنَبُ. إِنِّي لَا أَقْبَلُ الرِّشَا. وَلَا أَطْوِي عَلَى الْغِلِّ الْحَشَا وَلَا أَمِيلُ مَعَ صَاحِبِ رُشْوَةٍ. وَلَا أَسْتَحِلُّ مِنْ مَالِ الْمُسْلِمِينَ حُسْوَةً. إِنَّمَا أَحْكُمُ بِمَا ثَبَتَ فِي السُّنَّةِ. وَلَا أَسْلُكُ إِلَّا طَرِيقًا مُوصِلًا لِلْجَنَّةِ. قُصُّوا عَلَيَّ الْخَبَرَ. لِأَعْرِفَ مَنْ فَجَرَ مِنْكُمْ وَبَرَّ. فَلَمَّا قَصَّ عَلَيْهِ كُلٌّ قَوْلَهُ. وَأَبْدَى هَيْئَتَهُ وَهَوْلَهُ. قَالَ: لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ عِنْدِي مُسْتَحِقًّا لِلْمُلْكِ. وَلَا صَالِحًا لِلِانْخِرَاطِ فِي هَذَا السِّلْكِ. وَلَكِنِ الْمُلْكُ الْأَكْبَرُ. وَالسَّيِّدُ الْأَبَرُّ. وَصَاحِبُ الْمِنْبَرِ ذُو النَّشْرِ الْأَعْطَرِ. وَالْقَدْرِ الْأَخْطَرِ. السَّيِّدُ الْأَيِّدُ الصَّالِحُ الْمَجِيدُ هُوَ الْقَافِيَةُ. وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: إِنَّ سَيِّدَ الرَّيَاحِينِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْقَافِيَةُ. اشْتَمَلَ عَلَى مَا فِي الرَّيَاحِينِ مِنَ الْحُسْنَى وَحُكِمَ لَهُ بِالسِّيَادَةِ. وَشُهِدَ لَهُ بِهَا وَنَاهِيكَ بِالشَّهَادَةِ

(قَالَ) فَلَمَّا سَمِعَتِ الرَّيَاحِينُ الْأَحَادِيثَ فِي فَضْلِ الْقَافِيَةِ أَطْرَقُوا رُؤُوسَهُمْ خَاشِعِينَ. وَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ. وَدَخَلُوا تَحْتَ أَمْرِهِ سَامِعِينَ طَائِعِينَ. وَمَدُّوا أَيْدِيَهُمْ لَهَا مُبَايِعِينَ بِالْإِمْرَةِ وَمُتَابِعِينَ. وَقَالُوا: لَقَدْ كُنَّا قَبْلُ فِي غَفْلَةٍ عَنْ هَذَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ. وَإِنَّا إِذًا لَمِنَ الْآثِمِينَ. وَقَضَى بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

مناظرة بين فصول العام

١١١ حَضَرَ فُصُولُ الْعَامِ مَجْلِسَ الْأَدَبِ. فِي يَوْمٍ بَلَغَ مِنْهُ الْأَدِيبُ

نِهَايَةَ الْأَدَبِ . بِمَشْهَدٍ مِنْ ذَوِي الْبَلَاغَةِ . وَمُتْقِنِي صِنَاعَةِ الصِّيَاغَةِ ، فَقَامَ كُلٌّ مِنْهُمْ يُعْرِبُ عَنْ نَفْسِهِ . وَيَفْتَخِرُ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ

(فَقَالَ الرَّبِيعُ) :

أَنَا شَابُّ الزَّمَانِ . وَرَوْحُ الْحَيَوَانِ . وَإِنْسَانُ عَيْنِ الْإِنْسَانِ . أَنَا حَيَاةُ النُّفُوسِ . وَزِينَةُ عَرُوسِ الْغُرُوسِ . وَنُزْهَةُ الْأَبْصَارِ . وَمَنْطِقُ الْأَطْيَارِ . عَرْفُ أَوْقَاتِي نَاسِمٌ . وَأَيَّامِي أَعْيَادٌ وَمَوَاسِمُ . فِيهَا يَظْهَرُ النَّبَاتُ . وَتُنْشَرُ الْأَمْوَاتُ . وَتَرُدُّ الْوَدَائِعُ . وَتَتَحَرَّكُ الطَّبَائِعُ . وَيَمْرَحُ جَنِيبُ الْجُنُوبِ . وَيَنْزَحُ وَجِيبُ الْقُلُوبِ . وَتَفِيضُ عُيُونُ الْأَنْهَارِ . وَيَعْتَدِلُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . كَمْ لِي عِقْدٌ مَنْظُومٌ . وَطِرَازٌ وَشْيٍ مَرْقُومٌ . وَحُلَّةٌ فَاخِرَةٌ . وَحِلْيَةٌ ظَاهِرَةٌ . وَنَجْمُ سَعْدٍ يُدْنِي رَاعِيَهُ مِنَ الْأَمَلِ . وَشَمْسُ حُسْنٍ تُنْشِدُ : يَا بُعْدَ مَا بَيْنَ بُرْجِ الْجَدْيِ وَالْحَمَلِ . عَسَاكِرِي مَنْصُورَةٌ . وَأَسْلِحَتِي مَشْهُورَةٌ . فَمِنْ سَيْفِ غُصْنٍ مُجَوْهَرٍ . وَدِرْعِ بَنَفْسَجٍ مُشَهَّرٍ . وَمِغْفَرِ شَقِيقٍ أَحْمَرَ . وَتُرْسِ بَهَارٍ يَبْهَرُ . وَسِهَامِ آسٍ يُرْشَقُ فَيُنْشَقُ . وَرُمْحِ سُوسَنٍ سِنَانُهُ أَزْرَقُ . تَحْرُسُهَا آيَاتٌ . وَتَكْنُفُهَا أَلْوِيَةٌ وَرَايَاتٌ . بِي تَحْمَرُّ مِنَ الْوَرْدِ خُدُودُهُ . وَتَهْتَزُّ مِنَ الْبَانِ قُدُودُهُ . وَيَخْضَرُّ عِذَارُ الرَّيْحَانِ . وَيَنْتَبِهُ مِنَ النَّرْجِسِ طَرْفُهُ الْوَسْنَانُ . وَتَخْرُجُ الْخَبَايَا مِنَ الزَّوَايَا . وَيَفْتَرُّ ثَغْرُ الْأُقْحُوَانِ قَائِلًا : أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا

إِنَّ هٰذَا الرَّبِيعَ شَيْءٌ عَجِيبٌ تَضْحَكُ الْأَرْضُ مِنْ بُكَاءِ السَّمَاءِ
ذَهَبٌ حَيْثُمَا ذَهَبْنَا وَدُرٌّ حَيْثُ دُرْنَا وَفِضَّةٌ فِي الْفَضَاءِ

(وَقَالَ الصَّيْفُ) : ١١٢

أَنَا الْخِلُّ الْمُوَافِقُ . وَالصَّدِيقُ الصَّادِقُ . وَالطَّبِيبُ الْحَاذِقُ . أَجْتَهِدُ فِي مَصْلَحَةِ الْأَصْحَابِ . وَأَرْفَعُ عَنْهُمْ كُلْفَةَ حَمْلِ الثِّيَابِ . وَأُخَفِّفُ أَثْقَالَهُمْ . وَأُوَفِّرُ أَمْوَالَهُمْ . وَأَكْفِيهِمُ الْمُؤْنَةَ . وَأُجْزِلُ لَهُمُ الْمَعُونَةَ . وَأُغْنِيهِمْ عَنْ شِرَاءِ الْقِرَا . وَأُحَقِّقُ عِنْدَهُمْ أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا . نُصِرْتُ بِالصَّبَا . وَأُوتِيتُ الْحِكْمَةَ فِي زَمَنِ الصِّبَا . بِي تَتَّضِحُ الْجَادَّةُ . وَتَنْضَجُ مِنَ الْفَوَاكِهِ الْمَادَّةُ . وَيَزْهُو الْبُسْرُ وَالرُّطَبُ . وَيَنْصَلِحُ مِزَاجُ الْعِنَبِ . وَيَقْوَى قَلْبُ اللَّوْزِ . وَيَلِينُ عِطْفُ التِّينِ وَالْمَوْزِ . وَيَنْعَقِدُ حَبُّ الرُّمَّانِ . فَيَقْمَعُ الصَّفْرَاءَ وَيُسَكِّنُ الْخَفَقَانَ . وَتُخْضَبُ وَجَنَاتُ التُّفَّاحِ . وَيَذْهَبُ عَرْفُ السَّفَرْجَلِ مَعَ هُبُوبِ الرِّيَاحِ . وَتَسْوَدُّ عُيُونُ الزَّيْتُونِ . وَتُخَلَّقُ تِيجَانُ النَّارَنْجِ وَاللَّيْمُونِ . مَوَاعِدِي مَنْقُودَةٌ . وَمَوَائِدِي مَمْدُودَةٌ . أَلْخَيْرُ مَوْجُودٌ فِي مَقَامِي . وَالرِّزْقُ مَقْسُومٌ فِي أَيَّامِي . أَلْفَقِيرُ يَنْصَاعُ بِمِلْءِ مُدِّهِ وَصَاعِهِ . وَالْغَنِيُّ يَرْتَعُ فِي مُلْكِهِ وَأَقْطَاعِهِ . وَالْوَحْشُ تَأْتِي زَرَافَاتٍ وَوُحْدَانًا . وَالطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا . قَالَ ابْنُ حَبِيبٍ :

مَصِيفٌ لَهُ ظِلٌّ مَدِيدٌ عَلَى الْوَرَى وَمَنٌّ حَلَا طَعْمًا وَحَلَّ أَخْلَاطَا
يُعَالِجُ أَنْوَاعَ الْفَوَاكِهِ مُبْدِيًا لِصِحَّتِهَا حِفْظًا يُعَجِّزُ بُقْرَاطَا

(وَقَالَ الْخَرِيفُ) : ١١٣

أَنَا سَائِقُ الْغُيُومِ . وَكَاسِرُ جَيْشِ الْغُمُومِ . وَهَازِمُ أَحْزَابِ

السَّمُومِ . وَحَادِي نَجَائِبِ السَّحَائِبِ . وَحَاسِرُ نِقَابِ الْمَنَاقِبِ . أَنَا أَصَدُّ الصَّدَى . وَأَجُودُ بِالنَّدَى . وَأُظْهِرُ كُلَّ مَعْنًى جَلِيٍّ . وَأَسْمُو بِالْوَسْمِيِّ وَالْوَلِيِّ . فِي أَيَّامِي تُقْطَفُ الثِّمَارُ . وَتَصْفُو الْأَنْهَارُ مِنَ الْأَكْدَارِ . وَيَتَرَقْرَقُ دَمْعُ الْعُيُونِ . وَيَتَلَوَّنُ وَرَقُ الْغُصُونِ . طَوْرًا يُحَاكِي الْبَقَّمَ . وَتَارَةً يُشْبِهُ الْأَرْقَمَ . وَحِينًا يَبْدُو فِي حُلَّتِهِ الذَّهَبِيَّةِ . فَيَجْذِبُ إِلَى خِلَّتِهِ الْقُلُوبَ الْأَبِيَّةَ . وَفِيهَا يَكْفِي النَّاسُ هَمَّ الْهَوَامِّ . وَيَتَسَاوَى فِي لَذَّةِ الْمَاءِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ . وَتَقْدَمُ الْأَطْيَارُ مُطَرِّبَةً بِنَشِيشِهَا . رَافِلَةً فِي الْمَلَابِسِ الْمُجَدَّدَةِ فِي رِيشِهَا . وَتُعْصَرُ بِنْتُ الْعُنْقُودِ . وَتُوثَقُ فِي سِجْنِ الدَّنِّ بِالْقُيُودِ . عَلَى أَنَّهَا لَمْ تَجْتَرِحْ إِثْمًا . وَلَمْ تُعَاقَبْ إِلَّا عُدْوَانًا وَظُلْمًا . بِي تَطِيبُ الْأَوْقَاتُ وَتَحْصُلُ اللَّذَّاتُ . وَتَرِقُّ النَّسَمَاتُ . وَتُرْمَى حَصَى الْجَمَرَاتِ . وَتَسْكُنُ حَرَارَةُ الْقُلُوبِ . وَتَكْثُرُ أَنْوَاعُ الْمَطْعُومِ وَالْمَشْرُوبِ . كَمْ لِي مِنْ شَجَرَةٍ أُكُلُهَا دَائِمٌ . وَحَمْلُهَا لِلنَّفْعِ الْمُتَعَدِّي لَازِمٌ . وَوَرَقُهَا غَيْرُ زَائِلٍ . وَقُدُودُ أَغْصَانِهَا تُخْجِلُ كُلَّ رُمْحٍ ذَابِلٍ . وَلِابْنِ حَبِيبٍ :

إِنَّ فَصْلَ الْخَرِيفِ وَافَى إِلَيْنَا ... يَتَهَادَى فِي حُلْيِهِ كَالْعَرُوسِ
غَيْرَهُ كَانَ لِلْعُيُونِ رَبِيعًا ... وَهُوَ مَا بَيْنَنَا رَبِيعُ النُّفُوسِ

١١٤ (وَقَالَ الشِّتَاءُ) :

أَنَا شَيْخُ الْجَمَاعَةِ . وَرَبُّ الْبِضَاعَةِ . وَالْمُقَابَلُ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ . أَجْمَعُ شَمْلَ الْأَصْحَابِ . وَأُسْبِلُ عَلَيْهِمُ الْحِجَابَ . وَأُتْحِفُهُمْ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ . وَمَنْ لَيْسَ لَهُ بِي طَاقَةٌ أُغْلِقُ مِنْ دُونِهِ الْبَابَ . أَمِيلُ إِلَى

الْمُطِيعِ . أَلْقَادِرِ الْمُسْتَطِيعِ . أَلْمُعْتَضِدِ بِالْبُرُودِ وَالْقِرَا . أَلْمُسْتَمْسِكِ مِنَ الدِّثَارِ بِأَوْثَقِ الْعُرَى . أَلْمُرْتَقِبِ قُدُومِي وَمُوَافَاتِي . أَلْمُتَأَهِّبِ لِلسَّبْعَةِ الْمَشْهُورَةِ مِنْ كَافَاتِي . وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِي . وَلَمْ يَمْتَثِلْ أَمْرِي . أَرْجَفْتُهُ بِصَوْتِ الرَّعْدِ . وَأَنْجَزْتُ لَهُ مِنْ سَيْفِ الْبَرْقِ صَادِقَ الْوَعْدِ . وَسِرْتُ إِلَيْهِ بِعَسَاكِرِ السَّحَابِ . وَلَمْ أَقْنَعْ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ . مَعْرُوفِي مَعْرُوفٌ . وَنَيْلِي نَيْلٌ مَوْصُوفٌ . وَثِمَارُ إِحْسَانِي دَانِيَةُ الْقُطُوفِ . كَمْ لِي مِنْ وَابِلٍ طَوِيلِ الْمَدَى . وَجُودٍ وَافِرِ الْجِدَا . وَقَطْرٍ حَلَا مَذَاقُهُ . وَغَيْثٍ قَيَّدَ الْعُفَاةَ إِطْلَاقُهُ . وَدِيَمَةٍ تُطْرِبُ السَّمْعَ بِصَوْتِهَا . وَحَيًا يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا . أَيَّامِي وَجِيزَةٌ . وَأَوْقَاتِي عَزِيزَةٌ . وَمَجَالِسِي مَعْمُورَةٌ . بِذَوِي السِّيَادَةِ مَغْمُورَةٌ . بِالْخَيْرِ وَالْيُمْنِ وَالسَّعَادَةِ . نَقْلُهَا يَأْتِي مِنْ أَنْوَاعِهِ بِالْعَجَبِ . وَمَنَاقِلُهَا تَسْمَحُ بِذَهَبِ اللَّهَبِ . وَرَاحُهَا تُنْعِشُ الْأَرْوَاحَ . وَتُقِيلُ الْعُقُولَ الصِّحَاحَ . إِنْ رُدْتَهَا وَجَدْتَ مَا لَا يُمْدُودًا . وَإِنْ زُرْتَهَا شَاهَدْتَ لَهَا بَيْنَ شُهُودًا :

وَإِذَا رَمَيْتَ بِفَضْلِ كَأْسِكَ فِي الْهَوَا ... عَادَتْ عَلَيْكَ مِنَ الْعَقِيقِ عُقُودَا
يَا صَاحِبَ الْعُودَيْنِ لَا تُهْمِلْهُمَا ... حَرِّكْ لَنَا عُودًا وَحَرِّقْ عُودَا

فَلَمَّا نَظَمَ كُلٌّ مِنْهُمْ سِلْكَ مَقَالِهِ . وَفَرَغَ مِنَ الْكَلَامِ عَلَى شَرْحِ حَالِهِ . أَخَذَ الْجَمَاعَةَ مِنَ الطَّرَبِ مَا يَأْخُذُ أَهْلَ السُّكْرِ . وَتَجَاذَبُوا أَطْرَافَ مَطَارِفِ الثَّنَاءِ وَالشُّكْرِ . وَظَهَرَتْ أَسْرَارُ السُّرُورِ . وَانْشَرَحَتْ صُدُورُ الصُّدُورِ . وَهَبَّتْ نَسَمَاتُ قَبُولِ الْإِقْبَالِ . وَأَنْشَدَ لِسَانُ الْحَالِ :

وَمَاذَا يَعِيبُ ٱلْمَرْءَ فِي مَدْحِ نَفْسِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي قَوْلِهِ بِكَذُوبِ
ثُمَّ ٱنْفَضَّ ٱلْمَجْلِسُ وَحُلَّ ٱلنِّطَاقُ. وَتَفَرَّقَ شَمْلُ أَهْلِهِ وَآخِرُ ٱلصُّحْبَةِ ٱلْفِرَاقُ

(نسيم الصبا لابن حبيب الحلبي)

البحر والبرّ

١١٥ قَدْ تَفَاوَضَ لِسَانُ حَالِ ٱلْبَحْرِ وَلِسَانُ حَالِ ٱلْبَرِّ. وَهُمَا فِي مُحَاوَرَةٍ بَيْنَ عِيدِ ٱلْفِطْرِ وَعِيدِ ٱلنَّحْرِ. بِعِتَابٍ فِي ٱلسِّرِّ مُنَزَّهٍ عَنِ ٱلشَّرِّ. (فَقَالَ ٱلْبَرُّ): يَا صَاحِبَ ٱلدُّرِّ وَمَعْدِنَ ٱلدُّرِّ أَغْرَقْتَ رِيَاضِي. وَمَزَّقْتَ جُسُورِي وَأَحْوَاضِي. وَأَغْرَقْتَ جُثَّتِي وَدَخَلْتَ جَنَّتِي. وَتَلَاطَمَتْ أَمْوَاجُكَ عَلَى جُنَّتِي. وَأَكَلَتْ جَزَائِرِي وَجُرُوفِي. وَأَهْلَكَتْ مَرْعَى فَصِيلِي وَخَرُوفِي. وَأَهْزَلَتْ ثَوْرِي وَحَمِلِي. وَفَرَسِي وَجَمَلِي. وَأَجْرَيْتَ سُفُنَكَ عَلَى أَرْضٍ لَمْ تَجْرِ عَلَيْهَا. وَلَمْ تُمَرَّ طَرْفَ غُرَابِهَا إِلَيْهَا. وَغَرَسْتَ أَوْتَادَهَا عَلَى أَوْتَادِ ٱلْأَرْضِ. وَعَرَّسْتَ فِي مَوَاطِنِ ٱلنَّفْلِ وَٱلْفَرْضِ. وَجَعَلْتَ مَجْرَى مَرَاكِبِكَ فِي مَجْرَى مَرَاكِبِي. وَمَشَى حُوتُكَ عَلَى بَطْنِهِ فِي سَعْدِ أَخْبِيَةِ مَضَارِبِي. وَغَاصَ مَلَّاحُكَ فِي دِيَارِ فَرَحِي. وَهَاجَرْتَ مِنَ ٱلْقِرَى إِلَى أُمِّ ٱلْقُرَى. وَحَمَّلْتَ فَلَّاحِي أَثْقَالَهُ عَلَى ٱلْقَرَى. وَقَدْ تَلَقَّيْتُكَ مِنَ ٱلْجَنَادِلِ بِصَدْرِي. وَحَمَلْتُكَ إِلَى بَرْزَخِكَ عَلَى ظَهْرِي. وَقَبَّلْتُ أَمْوَاجَكَ بِثَغْرِي. وَخَلَّفْتُ مِقْيَاسِي فَرَحًا بِقُدُومِكَ إِلَى مِصْرِي. وَقَدْ جُرْتَ وَعَدَلْتَ. وَفَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ. وَأَخْرَبْتَ مَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ. وَٱخْتَرْتَ رَحِيلَكَ وَبَيْنَكَ. فَلَعَلَّكَ تَغِيضُ. وَلَا يَكُونُ ذَهَابُكَ عَلَيَّ

ذَهَابَ بَغِيضٍ. أَوْ تُفَارِقُ هٰذِهِ ٱنْفِجَاجَ. وَتَخْتَلِطُ بِٱلْبَحْرِ ٱلْعَجَّاجِ. وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ شَكَوْنَاكَ إِلَى مَنْ أَنْزَلَكَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ. وَأَنْعَمَ بِكَ عَلَيْنَا مِنْ خَزَائِنِ ٱلْمَاءِ:

إِذَا لَمْ تَكُنْ تَرْحَمْ بِلَادًا وَلَمْ تَغِثْ عِبَادًا فَمَوْلَاهُمْ يُغِيثُ وَيَرْحَمُ
وَإِنْ صَدَرَتْ مِنْهُمْ ذُنُوبٌ عَظِيمَةٌ فَعَفْوُ ٱلَّذِي أَجْرَاكَ يَا بَحْرُ أَعْظَمُ
نُمِدُّ إِلَيْهِ أَيْدِيًا لَمْ نُمِدَّهَا إِلَى غَيْرِهِ وَٱللّٰهُ بِٱلْحَالِ أَعْلَمُ

(قَالَ ٱلْبَحْرُ): يَا بَرُّ يَا ذَا ٱلْبِرِّ. وَمُنْبِتَ ٱلْبُرِّ. هٰكَذَا تُخَاطِبُ ضَيْفَكَ. وَهُوَ يُخْصِبُ شِتَاءَكَ وَصَيْفَكَ. وَقَدْ سَاقَنِي ٱللّٰهُ إِلَى أَرْضِكَ ٱلْجَرْزِ. وَمَعْدِنِ ٱلدُّرِّ وَٱلْخَرَزِ. لِأُبَهِّجَ زَرْعَهَا وَأُخَيِّلَهَا. وَأُخْرِجَ أَبَّهَا وَنَخِيلَهَا. وَأُكْرِمَ مَثْوَى سَاكِنِكَ. وَأُنْزِلَ ٱلْبَرَكَةَ فِي أَمَاكِنِكَ. وَأُثْبِتَ لَكَ فِي قَلْبِ أَهْلِكَ أَحْكَامَ ٱلْمَحَبَّةِ. وَأُنْبِتَ بِكَ لَهُمْ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةَ حَبَّةٍ. وَأُحْيِيَكَ حَيَاةً طَيِّبَةً يَبْتَهِجُ بِهَا عُمْرُكَ ٱلْجَدِيدُ. وَيَتْلُو كَذٰلِكَ يُحْيِي ٱللّٰهُ ٱلْمَوْتَى أَلْسِنَةُ ٱلْعَبِيدِ. وَأُطَهِّرَكَ مِنَ ٱلْأَوْسَاخِ. وَأَحْمِلَ إِلَيْكَ ٱلْإِبْلِيزَ فَأُطَيِّبَكَ بِهِ مِنْ عَرَقِ ٱلسِّبَاخِ. وَأَنَا هَدِيَّةُ ٱللّٰهِ إِلَى مِصْرِكَ. وَمَلِكُ عَصْرِكَ ٱلْقَائِمُ بِنَصْرِكَ. وَكَذٰلِكَ أُنْمِي مَالَ ٱلسُّلْطَانِ. وَلَوْلَا بَرَكَاتِي عَلَيْكَ وَمَسِيرِي فِي كُلِّ مَسْرًى إِلَيْكَ لَكُنْتَ وَادِيًا غَيْرَ ذِي زَرْعٍ. وَصَادِيًا غَيْرَ ذِي ضَرْعٍ. هٰذَا وَلَمْ أَتَحَرَّكْ إِلَيْكَ إِلَّا بِإِذْنِ أَسْمَعُهُ بِأُذْنٍ. وَأَخْرُجُ لِأَجْلِكَ مِنْ جَنَّاتِ عَدْنٍ. وَأَدْخُلُ بَعْدَ إِحْيَائِكَ فِي ٱلْبَحْرِ ٱلْأَعْظَمِ. وَقِيلَ إِنَّهُ جَهَنَّمُ. وَتَهْتَزُّ طَرَبًا إِذَا رَحَلْتُ

عنكَ بأمرٍ من أرسلني إليكَ وتتبسّمُ فلا أقلّ من أن تُرودني بشكرٍ في صحوٍ وسكرٍ. فإلى اللهِ البرّ. أحاكمُكَ أيّها البرّ. وأسألهُ أن يُسخّركَ ويُسخّرني لأهلِ الخيرِ والبرّ. فأنا وأنتَ إلى خيرهِ فقيرانِ. وترابُكَ ومائي لأهلِ عبادهِ طهورانِ. وبعدَ ذلكَ فأقولُ لكَ يا مُباركَ المسالكِ. وكنانةَ اللهِ المحروسةَ بالملائكِ:

سريتُ أنا ماءُ الحياةِ فلا أذى ... إذا عشتُ للأصحابِ فالمالُ هيّنُ
فكُنْ خضرًا يا برُّ واعلمْ بأنّني ... إلى طينكَ الظمآنِ بالريِّ أحسنُ
وأسعى إليهِ من بلادٍ بعيدةٍ ... وأحسنُ أجري بالّتي هي أحسنُ
إذا طافَ طوفاني بمقياسكَ الّذي ... يُسرُّ بإتيانِ الوفاءِ ويُعلنُ
فقُمْ وتلقّاهُ ببسطتكَ الّتي ... لروضتها فضلٌ على الروضِ بيّنُ

ولعمري لقد تلطّفَ البرُّ في عتابهِ وأحسنَ. ودفعَ البحرُ في جوابهِ بالّتي هي أحسنُ. وقد اصطلحنا على مصالحنا بينَ العيدينِ. وصارا بفضلِ اللهِ لنا كالعبدينِ. وهما بحمدِ اللهِ خوانانِ لعبادهِ. أو أخوانِ متظافرانِ على عمارةِ بلادهِ. فاللهُ تعالى يخصبُ مرعاهما. ويحرسهما ويرعاهما. ويثبّتهما بالجبالِ الشواهقِ. ويقرّ بهما جفونَ الأحداقِ وعيونَ الحدائقِ

(الكنز المدفون للسيوطي)

وفود العرب على كسرى

١١٦ روى ابنُ القطاميّ عن الكلبيّ قالَ: قدمَ النعمانُ بنُ المنذرِ على كسرى وعندهُ وفودُ الرومِ والهندِ والصينِ. فذكروا من

ملوكهم وبلادهم. فافتخرَ النعمانُ بالعربِ وفضّلهم على جميعِ الأممِ لا يستثني فارسَ ولا غيرها. فقالَ كسرى وأخذتهُ عزّةُ الملكِ: يا نعمانُ لقد فكّرتُ في أمرِ العربِ وغيرهم من الأممِ. ونظرتُ في حالِ من يقدمُ علينا من وفودِ الأممِ. فوجدتُ الرومَ لها حظًّا في اجتماعِ ألفتها وعظمِ سلطانها. وكثرةِ مدائنها ووثيقِ بنيانها. وأنّ لها دينًا يبيّنُ حلالها وحرامها. ويردُّ سفيهها ويقيمُ جاهلها. ورأيتُ الهندَ نحوًا من ذلكَ في حكمتها وطبّها مع كثرةِ أنهارِ بلادها وثمارها. وعجيبِ صناعاتها وطيبِ أشجارها. ودقيقِ حسابها وكثرةِ عددها. وكذلكَ الصينَ في اجتماعها وكثرةِ صناعاتِ أيديها وفروسيّتها وهمّتها في آلةِ الحربِ وصناعةِ الحديدِ. وأنّ لها ملكًا يجمعها. والتركَ والخزرَ على ما بهم من سوءِ الحالِ في المعاشِ وقلّةِ الريفِ والثمارِ والحصونِ وما هو رأسُ عمارةِ الدنيا من المساكنِ والملابسِ لهم ملوكٌ تضمُّ قواصيهم وتدبّرُ أمرهم. ولم أرَ للعربِ شيئًا من خصالِ الخيرِ في أمرِ دينٍ ولا دنيا ولا حزمٍ ولا قوّةٍ. ومع أنّ مما يدلُّ على مهانتها وذلّها وصغرِ همّتها محلّتهم الّتي هم بها مع الوحوشِ النافرةِ والطيرِ الحائرةِ. يقتلونَ أولادهم من الفاقةِ. ويأكلُ بعضهم بعضًا من الحاجةِ. قد خرجوا من مطاعمِ الدنيا وملابسها ومشاربها ولهوها ولذّاتها. فأفضلُ طعامٍ ظفرَ به ناعمهم لحومُ الإبلِ الّتي يعافها كثيرٌ من السباعِ لثقلها وسوءِ طعمها وخوفِ دائها. وإن قرى أحدهم ضيفًا عدّها مكرمةً. وإن أطعمَ أكلةً عدّها غنيمةً.

تَنطِقُ بِذٰلِكَ أَشعارُهُم وَتَفتَخِرُ بِذٰلِكَ رِجالُهُم. مَا خَلَا هٰذِهِ التَّنُوخِيَّةَ
الَّتِي أَسَّسَ جَدِّي اجتِماعَها وَشَدَّ مَملَكَتَها وَمَنَعَها مِن عَدُوِّها. فَجَرَى
لَها ذٰلِكَ إِلَى يَومِنا هٰذا. وَإِنَّ لَها مَعَ ذٰلِكَ آثارًا وَلُبوسًا وَقُرًى وَحُصونًا
وَأُمورًا تُشبِهُ بَعضَ أُمورِ النّاسِ (يَعني اليَمَن). ثُمَّ لَا أَراكُم تَستَكينونَ
عَلَى ما بِكُم مِنَ الذِّلَّةِ وَالقِلَّةِ وَالفاقَةِ وَالبُؤسِ حَتّى تَفتَخِروا وَتُريدوا أَن
تَنزِلوا فَوقَ مَراتِبِ النّاسِ. قالَ النُّعمانُ: أَصلَحَ اللهُ المَلِكَ. حَقٌّ لِأُمَّةٍ
المَلِكُ مِنها أَن يَسمُوَ فَضلُها وَيَعظُمَ خَطبُها وَتَعلُوَ دَرَجَتُها. إِلّا أَنَّ عِندي
جَوابًا فِي كُلِّ ما نَطَقَ بِهِ المَلِكُ فِي غَيرِ رَدٍّ عَلَيهِ وَلَا تَكذيبٍ لَهُ. فَإِن
أَمِنَّني مِن غَضَبِهِ نَطَقتُ بِهِ. قالَ كِسرى: قُل فَأَنتَ آمِنٌ. قالَ النُّعمانُ:
أَمّا أُمَّتُكَ أَيُّها المَلِكُ فَلَيسَت تُنازِعُ فِي الفَضلِ لِموضِعِها الَّذي هِيَ
بِهِ مِن عُقولِها وَأَحلامِها وَبَسطَةِ حُكمِها بِنُجوحَةِ عِزِّها. وَما أَكرَمَها اللهُ بِهِ
مِن وِلايَةِ آبائِكَ وَوِلايَتِكَ. وَأَمَّا الأُمَمُ الَّتي ذَكَرتَ فَأَيُّ أُمَّةٍ
تَقرِنُها بِالعَرَبِ إِلّا فَضَلَتَها. قالَ كِسرى: بِماذا. قالَ النُّعمانُ: بِعِزِّها
وَمَنَعَتِها وَحُسنِ وُجوهِها وَبَأسِها وَسَخائِها وَحِكمَةِ أَلسِنَتِها وَشِدَّةِ عُقولِها
وَأَنَفَتِها وَوَفائِها. فَأَمّا (عِزُّها وَمَنَعَتُها) فَإِنَّها لَم تَزَل مُجاوِرَةً لِآبائِكَ الَّذينَ
دَوَّخوا البِلادَ وَوَطَّدوا المُلكَ وَقادوا الجُندَ. وَلَم يَطمَع فيهِم طامِعٌ وَلَم
يَنالَهُم نائِلٌ. حُصونُهُم ظُهورُ خَيلِهِم وَمِهادُهُمُ الأَرضُ وَسُقوفُهُمُ السَّماءُ.
وَجُنَّتُهُمُ السُّيوفُ وَعُدَّتُهُمُ الصَّبرُ. إِذ غَيرُهُم مِنَ الأُمَمِ إِنَّما عِزُّها الحِجارَةُ
وَالطّينُ وَجَزائِرُ البُحورِ. وَأَمّا (حُسنُ وُجوهِها وَأَلوانِها) فَقَد يُعرَفُ فَضلُهُم في

ذٰلِكَ عَلَى غَيرِهِم مِنَ الهِندِ المُنحَرِفَةِ. وَالصّينِ المُنتَحَفَةِ. وَالتُّركِ المُشَوَّهَةِ.
وَالرّومِ المُقشَرَةِ. وَأَمّا (أَنسابُها وَأَحسابُها) فَلَيسَت أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ إِلّا
وَقَد جَهِلَت آباءَها وَأُصولَها وَكَثيرًا مِن أَوَّلِها وَآخِرِها. حَتّى أَنَّ أَحَدَهُم يُسأَلُ
عَمَّن وَراءَ أَبيهِ دُنيا فَلَا يَنسُبُهُ وَلَا يَعرِفُهُ. وَلَيسَ أَحَدٌ مِنَ العَرَبِ إِلّا
يُسَمّي آباءَهُ أَبًا فَأَبًا. أَحاطوا بِذٰلِكَ أَحسابَهُم. وَحَفِظوا بِهِ أَنسابَهُم.
فَلَا يَدخُلُ رَجُلٌ فِي غَيرِ قَومِهِ. وَلَا يَنتَسِبُ إِلى غَيرِ نَسَبِهِ وَلَا يَدَّعي
إِلى غَيرِ أَبيهِ. وَأَمّا (سَخاؤُها) فَإِنَّ أَدناهُم رَجُلًا الَّذي تَكونُ عِندَهُ البَكرَةُ
أَوِ النّابُ. عَلَيها بَلاغُهُ فِي حُمولَتِهِ وَشِبعِهِ وَرِيِّهِ. فَيَطرُقُهُ الطّارِقُ الَّذي
يَكتَفي بِالفَلذَةِ وَيَجتَزِئُ بِالشَّربَةِ. فَيَعقِرُها لَهُ وَيَرضى أَن يَخرُجَ عَن
دُنياهُ كُلِّها فيما يَكسِبُهُ حُسنُ الأُحدوثَةِ وَطيبُ الذِّكرِ. وَأَمّا (حِكمَةُ
أَلسِنَتِهِم) فَإِنَّ اللهَ تَعالى أَعطاهُم فِي أَشعارِهِم وَرَونَقِ كَلامِهِم وَحُسنِهِ
وَوَزنِهِ وَقَوافيهِ مَعَ مَعرِفَتِهِم بِالإِشارَةِ وَضَربِهِم لِلأَمثالِ وَإِبلاغِهِم فِي
الصِّفاتِ ما لَيسَ لِشَيءٍ مِن أَلسِنَةِ الأَجناسِ. ثُمَّ خَيلُهُم أَفضَلُ الخَيلِ
وَنِساؤُهُم أَعَفُّ النِّساءِ. وَلِباسُهُم أَفضَلُ اللِّباسِ. وَمَعادِنُهُمُ الذَّهَبُ
وَالفِضَّةُ. وَحِجارَةُ جِبالِهِمُ الجَزعُ. وَمَطايا هُمُ الَّتي لَا يُبلَغُ عَلى مِثلِها
سُفُنٌ وَلَا يُقطَعُ بِمِثلِها بَلدٌ قَفرٌ. وَأَمّا (دينُها وَشَريعَتُها) فَإِنَّهُم مُتَمَسِّكونَ
بِهِ حَتّى يَبلُغَ أَحَدُهُم مِن نُسكِهِ بِدينِهِ أَنَّ لَهُم أَشهُرًا حُرُمًا وَبَلَدًا مُحَرَّمًا
وَبَيتًا مَحجوجًا. يَتَسَكونَ فيهِ مَناسِكَهُم وَيَذبَحونَ فيهِ ذَبائِحَهُم. فَيَلقى
الرَّجُلُ قاتِلَ أَبيهِ أَو أَخيهِ وَهُوَ قادِرٌ عَلى أَخذِ ثَأرِهِ وَإِدراكِ رُغمِهِ مِنهُ

فيحجزه كرمه ويمنعه دينه عن تناوله بأذى. وأمّا (وفاؤها) فإنّ أحدهم يلحظ اللحظة ويومئ الإيماء فهي ولث وعقدة لا يحلّها إلّا خروج نفسه. وإنّ أحدهم ليرفع عودًا من الأرض فيكون رهنًا بدينه فلا يغلق رهنه ولا تخفر ذمّته. وإنّ أحدهم ليبلغه أنّ رجلًا استجار به وعسى أن يكون نائيًا عن داره فيصاب. فلا يرضى حتّى يفني تلك القبيلة التي أصابته أو تفنى قبيلته لما أخفر من جواره. وإنّه ليلجأ إليهم المجرم المحدث من غير معرفة ولا قرابة فتكون أنفسهم دون نفسه وأموالهم دون ماله. وأمّا قولك أيّها الملك (يئدون أولادهم) فإنّما يفعله بعض جهلتهم بالإناث أنفة من العار. وأمّا قولك (إنّ أفضل طعامهم لحوم الإبل على ما وصفت منها) فما تركوا ما دونها إلّا احتقارًا له. فعمدوا إلى أجلّها وأفضلها فكانت مراكبهم وطعامهم. مع أنّها أكثر البهائم شحومًا وأطيبها لحومًا. وأرقّها ألبانًا وأقلّها غائلة. وأحلاها مضغة. وإنّه لا شيء من اللحمان يعالج بما يعالج به لحمها إلّا استبان فضلها عليه. وأمّا (تحاربهم وأكل بعضهم بعضًا وتركهم الانقياد لرجل يسوسهم ويجمعهم). فإنّما يفعل ذلك من يفعله من الأمم إذا آنست من نفسها ضعفًا وتخوّفت نهوض عدوّها إليها بالزّحف. وإنّه إنّما يكون في المملكة العظيمة أهل بيت واحد يعرف فضلهم على سائر غيرهم فيلقون إليهم أمورهم وينقادون لهم بأزمّتهم. وأمّا العرب فإنّ ذلك كثير فيهم حتّى لقد حاولوا أن يكونوا ملوكًا

أجمعين مع أنفتهم من أداء الخراج والعشر والصبر على القسر. أمّا اليمن التي وصفها الملك فلمّا أتى جدّ الملك الذي أتاه عند غلبة الحبش له على ملك متّسق وأمر مجتمع فأتاه مسلوبًا طريدًا مستصرخًا قد تقاصر عن إيوائه. وصغر في عينه ما شيّد من بنائه. ولولا ما وتر به من يليه من العرب لمال إلى مجال. ولوجد من يجيد الطعان ويغضب للأحرار من غلبة العبيد الأشرار. (قال) فعجب كسرى لما أجابه النّعمان به وقال: إنّك لأهل لموضعك من الرّئاسة في أهل إقليمك ولما هو أفضل. ثمّ كساه من كسوته وسرّحه إلى موضعه من الحيرة

فلمّا قدم النّعمان الحيرة وفي نفسه ما فيها ممّا سمع من كسرى من تنقّص العرب وتهجين أمرهم بعث إلى أكثم بن صيفيّ وحاجب بن زرارة التّميميّين وإلى الحارث بن ظالم وقيس بن مسعود البكريّين وإلى عمرو بن معديكرب الزّبيديّ والحارث بن ظالم المرّيّ. فلمّا قدموا عليه في الخورنق قال لهم: قد عرفتم هذه الأعاجم وقرب جوار العرب منها. وقد سمعت من كسرى مقالات تخوّفت أن يكون لها غور. أو يكون إنّما أظهرها لأمر أراد أن يتّخذ به العرب خولًا كبعض طماطمته في تأديتهم الخراج إليه كما يفعل بملوك الأمم الّذين حوله. فاقتصّ عليهم مقالات كسرى وما ردّ عليه. فقالوا: أيّها الملك وفّقك الله ما أحسن ما رددت وأبلغ ما أجبت به. فمرنا بأمرك وادعنا إلى ما شئت. قال: إنّما أنا رجل منكم وإنّما ملكت

وعززت بمكانكم وما يتخوف من ناحيتكم . وليس شيء أحب إلي مما سدد الله به أمركم وأصلح به شأنكم وأدام به عزكم . والرأي أن تسيروا بجماعتكم أيها الرهط وتنطلقوا إلى كسرى . فإذا دخلتم فنطق كل رجل منكم بما حضره ليعلم أن العرب على غير ما ظن أوحدثته نفسه . ولا ينطق رجل منكم بما يغضبه فإنه ملك عظيم السلطان كثير الأعوان مترف معجب بنفسه . ولا تخزلوا له انخزال الخاضع الذليل . وليكن أمر بين ذلك تظهر به وثاقة حلومكم وفضل منزلتكم وعظيم أخطاركم . وليكن أول من يبدأ منكم بالكلام أكثم بن صيفي لسنى حاله ثم تتابعوا على الأمر من منازلكم التي وضعتكم بها . فإنما دعاني إلى التقدمة إليكم علمي بجميل كل رجل منكم على التقدم قبل صاحبه . فلا يكونن ذلك منكم فيجد في آدابكم مطعنا . فإنه ملك مترف وقادر مسلط . ثم دعا لهم بما في خزائنه من طرائف حلل الملوك لكل رجل منهم حلة وعممه عمامة وختمه بياقوته . وأمر لكل رجل منهم بنجيبة مهرية وفرس نجيبة وكتب معهم كتابا : أما بعد فإن الملك ألقى إلي من أمر العرب ما قد علم . وأجبته بما قد فهم . بما أحببت أن يكون منه على علم . ولا يتلجلج في نفسه أن أمة من الأمم التي احتجزت دونه بمملكتها وحميت ما يليها بفضل قوتها تبلغها في شيء من الأمور التي يتعزز بها ذوو الحزم والقوة والتدبير والمكيدة . وقد أوفدت أيها الملك رهطا من العرب لهم

فضل في أحسابهم وأنسابهم وعقولهم وآدابهم . فليسمع الملك وليغامض عن جفاء إن ظهر من منطقهم . وليكرمني بإكرامهم وتعجيل سراحهم . وقد نسبتهم في أسفل كتابي هذا إلى عشائرهم

فخرج القوم في أهبتهم حتى وقفوا بباب كسرى بالمدائن . فدفعوا إليه الكتاب فقرأه وأمر بإنزالهم إلى أن يجلس لهم مجلسا يسمع منهم . فلما أن كان بعد ذلك بأيام أمر مرازبته ووجوه أهل مملكته فحضروا وجلسوا على كراسي عن يمينه وشماله . ثم دعا بهم على الولاء والمراتب التي وصفهم النعمان بها في كتابه . وأقام الترجمان ليؤدي إليه كلامهم فأقام كل منهم خطبة أخذت بمجامع قلب الملك .... فلما انتهوا عن الكلام . قال كسرى : قد فهمت ما نطقت به خطباؤكم وتفنن فيه متكلمكم . ولولا أني أعلم أن الأدب لم يثقف أودكم ولم يحكم أمركم وأنه ليس لكم ملك يجمعكم فتنطقون عنده منطق الرعية الخاضعة الباخعة فطفقتم بما استولى على ألسنتكم وغلب على طباعكم . لم أجز لكم كثيرا مما تكلمتم به وإني لأكره أن أجبه وفودي أو أحنق صدورهم . والذي أحب هو إصلاح مدبركم وتأليف شواذكم والإعذار إلى الله فيما بيني وبينكم . وقد قبلت ما كان في منطقكم من صواب وصفحت عما كان فيه من خلل . فانصرفوا إلى ملككم فأحسنوا مؤازرته والتزموا طاعته وأردعوا سفهاءكم وأقيموا أودهم . وأحسنوا أدبهم فإن في ذلك صلاح العامة (لابن عبد ربه)

أَلْبَابُ السَّادِسُ
فِي الْحِكَايَاتِ وَاللَّطَائِفِ

الاعرابيّ ومعن بن زائدة

١١٧ كَانَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ أَمِيرًا عَلَى الْعِرَاقِ وَكَانَ لَهُ فِي الْكَرَمِ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ وَهُوَ مِنَ الْحِلْمِ عَلَى أَعْظَمِ جَانِبٍ. فَقَدِمَ عَلَيْهِ أَعْرَابِيٌّ ذَاتَ يَوْمٍ يَمْتَحِنُ حِلْمَهُ. فَلَمَّا وَقَفَ قَالَ:

أَتَذْكُرُ إِذْ لِحَافُكَ جِلْدُ شَاةٍ ... وَإِذْ نَعْلَاكَ مِنْ جِلْدِ الْبَعِيرِ

قَالَ مَعْنٌ: أَذْكُرُ ذَلِكَ وَلَا أَنْسَاهُ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ:

فَسُبْحَانَ الَّذِي أَعْطَاكَ مُلْكًا ... وَعَلَّمَكَ الْجُلُوسَ عَلَى السَّرِيرِ

قَالَ مَعْنٌ: سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ:

فَلَسْتُ مُسَلِّمًا إِنْ عِشْتُ دَهْرًا ... عَلَى مَعْنٍ بِتَسْلِيمِ الْأَمِيرِ

قَالَ مَعْنٌ: يَا أَخَا الْعَرَبِ السَّلَامُ سُنَّةٌ وَشَأْنَكَ فِي الْأَمِيرِ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ:

سَأَرْحَلُ عَنْ بِلَادٍ أَنْتَ فِيهَا ... وَلَوْ جَارَ الزَّمَانُ عَلَى الْفَقِيرِ

قَالَ مَعْنٌ: يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنْ جَاوَرْتَنَا فَمَرْحَبًا بِكَ وَإِنْ رَحَلْتَ فَمَصْحُوبٌ بِالسَّلَامَةِ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ:

فَجُدْ لِي يَا ابْنَ نَاقِصَةٍ بِشَيْءٍ ... فَإِنِّي قَدْ عَزَمْتُ عَلَى الْمَسِيرِ

قَالَ مَعْنٌ: أَعْطُوهُ أَلْفَ دِينَارٍ يَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى سَفَرِهِ. فَأَخَذَهَا وَقَالَ:

قَلِيلٌ مَا أَتَيْتَ بِهِ وَإِنِّي ... لَأَطْمَعُ مِنْكَ بِالْمَالِ الْكَثِيرِ

قَالَ مَعْنٌ: أَعْطُوهُ أَلْفًا آخَرَ. فَأَخَذَهَا وَقَالَ:

سَأَلْتُ اللهَ أَنْ يُبْقِيكَ ذُخْرًا ... فَمَالَكَ فِي الْبَرِيَّةِ مِنْ نَظِيرِ

فَقَالَ مَعْنٌ: أَعْطُوهُ أَلْفًا آخَرَ. فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا جِئْتُ إِلَّا مُخْتَبِرًا حِلْمَكَ لِمَا بَلَغَنِي عَنْهُ. فَلَقَدْ جَمَعَ اللهُ فِيكَ مِنَ الْحِلْمِ مَا لَوْ قُسِمَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ لَكَفَاهُمْ. فَقَالَ مَعْنٌ: يَا غُلَامُ كَمْ أَعْطَيْتَهُ عَلَى نَظْمِهِ قَالَ: ثَلَاثَةَ آلَافِ دِينَارٍ. فَقَالَ: أَعْطِهِ عَلَى نَثْرِهِ مِثْلَهَا. فَأَخَذَهَا وَمَضَى فِي طَرِيقِهِ شَاكِرًا

الشاعر المتعصّب للعجم

١١٨ (قَالَ بَدِيعُ الزَّمَانِ الْهَمَذَانِيُّ) كُنْتُ عِنْدَ الصَّاحِبِ كَافِي الْكُفَاةِ أَبِي الْقَاسِمِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ عَبَّادٍ يَوْمًا وَقَدْ دَخَلَ عَلَيْهِ شَاعِرٌ مِنْ شُعَرَاءِ الْعَجَمِ. فَأَنْشَدَهُ قَصِيدَةً يُفَضِّلُ فِيهَا قَوْمَهُ عَلَى الْعَرَبِ وَهِيَ:

غَنِينَا بِالطُّبُولِ عَنِ الطُّلُولِ ... وَعَنْ عَنْسٍ عُذَافِرَةٍ ذَمُولِ

فَلَسْتُ بِتَارِكٍ إِيوَانَ كِسْرَى ... لِتُوضِحَ أَوْ لِحَوْمَلَ فَالدَّخُولِ

وَضَبٍّ بِالْفَلَا سَاعٍ وَذِئْبٍ ... بِهَا يَعْوِي وَلَيْثٍ وَسْطَ غِيلِ

يَسُنُّونَ السُّيُوفَ لِرَأْسِ ضَبٍّ ... حِرَاشًا بِالْعَدَاةِ وَبِالْأَصِيلِ

إِذَا ذَبَحُوا فَذَلِكَ يَوْمُ عِيدٍ ... وَإِنْ نَحَرُوا فَفِي عُرْسٍ جَلِيلِ

أَمَا لَوْ لَمْ يَكُنْ لِلْفُرْسِ إِلَّا ... نِجَارُ الصَّاحِبِ الْقَرْمِ النَّبِيلِ

لَكَانَ لَهُمْ بِذٰلِكَ خَيْرُ فَخْرٍ ... وَجِيلُهُمْ بِذٰلِكَ خَيْرُ جِيلِ

فَلَمَّا وَصَلَ إِلَى هٰذَا الْمَوْضِعِ مِنْ إِنْشَادِهِ قَالَ لَهُ الصَّاحِبُ : فَقَدْكَ . ثُمَّ أَشْرَأَبَّ يَنْظُرُ إِلَى الزَّوَايَا وَأَهْلِ الْمَجْلِسِ وَكُنْتُ جَالِسًا فِي زَاوِيَةِ الْبَهْوِ فَلَمْ يَرَنِي . فَقَالَ : ابْنَ أَبِي الْفَضْلِ . فَقُمْتُ وَقَبَّلْتُ الْأَرْضَ وَقُلْتُ : أَمْرُكَ . قَالَ : أَجِبْ عَنْ ثَلَاثَتِكَ . قُلْتُ : وَمَا هِيَ . قَالَ : أَدَبُكَ وَنَسَبُكَ وَمَذْهَبُكَ . فَأَقْبَلْتُ عَلَى الْمَشَاعِرِ فَقُلْتُ : لَا فُسْحَةَ لِلْقَوْلِ وَلَا رَاحَةَ لِلطَّبْعِ إِلَّا السَّرْدُ كَمَا تَسْمَعُ ثُمَّ أَنْشَدْتُ أَقُولُ :

أَرَاكَ عَلَى شَفَا خَطَرٍ مَهُولِ ... بِمَا أَوْدَعْتَ لَفْظَكَ مِنْ فُضُولِ

تُرِيدُ عَلَى مَكَارِمِنَا دَلِيلًا ... مَتَى احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ

أَلَسْنَا الضَّارِبِينَ جِزًى عَلَيْكُمْ ... وَإِنَّ الْجِزْيَ أَوْلَى بِالذَّلِيلِ

مَتَى قَرَعَ الْمَنَابِرَ فَارِسِيٌّ ... مَتَى عَرَفَ الْأَغَرَّ مِنَ الْحُجُولِ

مَتَى عَرَفَتْ وَأَنْتَ بِهَا زَعِيمٌ ... أَكُفُّ الْفُرْسِ أَعْرَافَ الْخُيُولِ

فَخَرْتَ بِمِلْءِ مَاضِغَتَيْكَ هُجْرًا ... عَلَى قَحْطَانَ وَالْبَيْتِ الْأَصِيلِ

وَتَفْخَرُ أَنَّ مَأْكُولًا وَلُبْسًا ... وَذٰلِكَ فَخْرُ رَبَّاتِ الْحُجُولِ

فَفَاخِرْهُنَّ فِي خَدٍّ أَسِيلٍ ... وَفَرْعٍ فِي مَفَارِقِهَا رَسِيلِ

وَأَمْجَدُ مِنْ أَبِيكَ إِذَا تَرَيَّا ... عُرَاةً كَاللُّيُوثِ عَنِ الْخُيُولِ

(قَالَ) فَلَمَّا أَتْمَمْتُ إِنْشَادِي الْتَفَتَ إِلَيَّ الصَّاحِبُ وَقَالَ لَهُ : كَيْفَ رَأَيْتَ . قَالَ : لَوْ سَمِعْتُ بِهِ مَا صَدَّقْتُ . قَالَ : فَإِذَنْ جَائِزَتُكَ جَوَازُكَ . إِنْ رَأَيْتُكَ بَعْدَهَا ضَرَبْتُ عُنُقَكَ . ثُمَّ قَالَ : لَا أَدْرِي أَحَدًا يُفَضِّلُ الْعَجَمَ عَلَى

الْعَرَبِ إِلَّا وَفِيهِ عِرْقٌ مِنَ الْمَجُوسِيَّةِ يَنْزِعُ إِلَيْهِ (بدائع البدائه للازدي)

١١٩ رَوَى عُقَيْلُ بْنُ خَالِدٍ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ أَنَّ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ وَعَبْدَ اللهِ بْنَ الزُّبَيْرِ اجْتَمَعَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي حُجْرَةِ عَائِشَةَ وَالْحِجَابُ بَيْنَهُمَا وَبَيْنَهَا يُحَدِّثُهَا وَيَسْأَلُهَا . فَجَرَى الْحَدِيثُ بَيْنَ مَرْوَانَ وَابْنِ الزُّبَيْرِ سَاعَةً وَعَائِشَةُ تَسْمَعُ . فَقَالَ مَرْوَانُ :

فَمَنْ يَشَإِ الرَّحْمٰنُ يَخْفِضْ بِقَدْرِهِ ... وَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَرْفَعِ اللهُ رَافِعُ

فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ :

فَفَوِّضْ إِلَى اللهِ الْأُمُورَ إِذَا اعْتَرَتْ ... وَبِاللهِ لَا بِالْأَقْرَبِينَ أُدَافِعُ

فَقَالَ مَرْوَانُ :

وَدَاوِ ضَمِيرَ الْقَلْبِ بِالْبِرِّ وَالتُّقَى ... فَلَا يَسْتَوِي قَلْبَانِ قَاسٍ وَخَاشِعُ

فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ :

وَلَا يَسْتَوِي عَبْدَانِ هٰذَا مُكَذَّبٌ ... عُتُلٌّ لِأَرْحَامِ الْعَشِيرَةِ قَاطِعُ

فَقَالَ مَرْوَانُ :

وَعَبْدٍ يُجَافِي جَنْبُهُ عَنْ فِرَاشِهِ ... يَبِيتُ يُنَاجِي رَبَّهُ وَهُوَ رَاكِعُ

فَقَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ :

وَلِلْخَيْرِ أَهْلٌ يَعْرِفُونَ بِهَدْيِهِمْ ... إِذَا اجْتَمَعَتْ عِنْدَ الْخُطُوبِ الْمَجَامِعُ

فَقَالَ مَرْوَانُ :

وَلِلشَّرِّ أَهْلٌ يَعْرِفُونَ بِشَكْلِهِمْ ... تُشِيرُ إِلَيْهِمْ بِالْفُجُورِ الْأَصَابِعُ

فَسَكَتَ ابْنُ الزُّبَيْرِ وَلَمْ يُجِبْ فَقَالَتْ عَائِشَةُ : يَا عَبْدَ اللهِ مَا لَكَ

لَمْ تُجِبْ صَاحِبَكَ . فَوَاللهِ مَا سَمِعْتُ تَجَاوُلًا فِي نَحْوٍ مَا تَجَاوَلْتُمَا فِيهِ أَعْجَبَ إِلَيَّ مِنْ تَجَاوُلِكُمَا . فَقَالَ ٱبْنُ ٱلزُّبَيْرِ : إِنِّي خِفْتُ عَوَارَ ٱلْقَوْلِ فَكَفَفْتُ

١٢٠ جَلَسَ أَبُو إِسْحَاقَ ٱلنَّجِيرَمِيُّ عِنْدَ كَافُورٍ ٱلْإِخْشِيدِيِّ فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو ٱلْفَضْلِ بْنُ عَيَّاشٍ فَقَالَ : أَدَامَ ٱللهُ أَيَّامَ مَوْلَانَا (وَكَسَرَ مِيمَ أَيَّامَ) فَتَبَسَّمَ كَافُورٌ إِلَى أَبِي إِسْحَاقَ . فَفَطِنَ لِذٰلِكَ فَقَالَ ٱرْتِجَالًا :

لَا غَرْوَ أَنْ لَحَنَ ٱلدَّاعِي لِسَيِّدِنَا ... وَغَصَّ مِنْ دَهَشٍ بِٱلرِّيقِ أَوْ بَهَرِ
فَمِثْلُ سَيِّدِنَا حَالَتْ مَهَابَتُهُ ... بَيْنَ ٱلْأَدِيبِ وَبَيْنَ ٱلْفَتْحِ بِٱلْحَصَرِ
وَإِنْ يَكُنْ خَفْضُ ٱلْأَيَّامِ عَنْ غَلَطٍ ... فِي مَوْضِعِ ٱلنَّصْبِ لَا عَنْ قِلَّةِ ٱلْبَصَرِ
فَإِنَّ أَيَّامَهُ خَفْضٌ بِلَا نَصَبٍ ... وَإِنَّ دَوْلَتَهُ صَفْوٌ بِلَا كَدَرِ

فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِمِائَةِ دِينَارٍ وَلِلنَّجِيرَمِيِّ بِمِائَتَيْنِ

١٢١ أَخْبَرَ ٱلشَّيْخُ تَاجُ ٱلدِّينِ ٱلْعَلَّامَةُ أَبُو ٱلْيُمْنِ ٱلْكِنْدِيُّ قَالَ : بَلَغَنِي أَنَّ عَلْقَمَةَ بْنَ عَبْدِ ٱلرَّزَّاقِ ٱلْعُلَيْمِيَّ لَمَّا قَصَدَ بَدْرًا ٱلْجَمَالِيَّ بِمِصْرَ رَأَى عَلَى بَابِهِ أَشْرَافَ ٱلنَّاسِ وَكُبَرَاءَهُمْ وَشُعَرَاءَهُمْ . فَسَأَلَهُمْ عَنْ حَالِهِمْ فَكُلٌّ أَخْبَرَهُ عَنْ طُولِ مُقَامِهِ بِبَابِهِ وَتَعَذُّرِ لِقَائِهِ لَهُ . وَسَأَلُوهُ عَنْ حَالِهِ فَأَخْبَرَهُمْ بِقُدُومِهِ قَاصِدًا لَهُ . فَكُلٌّ أَيِسَهُ مِنْ لِقَائِهِ . فَبَيْنَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ خَرَجَ بَدْرٌ يُرِيدُ ٱلصَّيْدَ . فَلَمَّا رَآهُ مُقْبِلًا عَلَا نَشَزًا مِنَ ٱلْأَرْضِ ثُمَّ جَعَلَ فِي عِمَامَتِهِ رِيشَةَ نَعَامٍ يَشْهَرُ بِهَا نَفْسَهُ . فَلَمَّا قَرُبَ إِلَيْهِ أَوْمَأَ بِرُقْعَةٍ كَانَتْ مَعَهُ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

نَحْنُ ٱلتِّجَارُ وَهٰذِهِ أَعْلَاقُنَا ... دُرَرٌ وَجُودُ يَمِينِكَ ٱلْمُبْتَاعُ

قُلْ وَفَتِّشْهَا بِسَمْعِكَ إِنَّمَا ... هِيَ جَوْهَرٌ تَخْتَارُهُ ٱلْأَسْمَاعُ
كَسَدَتْ عَلَيْنَا بِٱلشَّآمِ وَكُلَّمَا ... قَلَّ ٱلنِّفَاقُ تَعَطَّلَ ٱلصُّنَّاعُ
فَأَتَاكَ يَحْمِلُهَا إِلَيْكَ تِجَارُهَا ... وَمَطِيُّهَا ٱلْآمَالُ وَٱلْأَطْمَاعُ
حَتَّى أَنَاخُوهَا بِبَابِكَ وَٱلرَّجَا ... مِنْ دُونِهَا ٱلسِّمْسَارُ وَٱلْبَيَّاعُ
فَوَهَبْتَ مَا لَمْ يُعْطِهِ فِي دَهْرِهِ ... هَرِمٌ وَلَا كَعْبٌ وَلَا ٱلْقَعْقَاعُ
وَسَبَقْتَ هٰذَا ٱلنَّاسَ فِي طَلَبِ ٱلْعُلَى ... فَٱلنَّاسُ بَعْدَكَ كُلُّهُمْ أَتْبَاعُ
يَا بَدْرُ أُقْسِمُ لَوْ بِكَ ٱعْتَصَمَ ٱلْوَرَى ... وَلَجَوْا إِلَيْكَ جَمِيعُهُمْ مَا ضَاعُوا

(قَالَ) وَكَانَ عَلَى يَدِ بَدْرٍ بَازٌ فَدَفَعَهُ إِلَى ٱلْبَازْدَارِ فَضَرَبَ عَلَى يَدِهِ وَٱنْفَرَدَ بِهِ عَنِ ٱلْجَيْشِ وَجَعَلَ يَسْتَعِيدُهُ ٱلْأَبْيَاتَ وَهُوَ يُنْشِدُهَا إِلَى أَنِ ٱسْتَقَرَّ فِي مَجْلِسِهِ . ثُمَّ ٱلْتَفَتَ إِلَى جَمَاعَةِ غِلْمَانِهِ وَخَاصَّتِهِ وَأَصْحَابِهِ وَقَالَ : مَنْ أَحَبَّنِي فَلْيَخْلَعْ عَلَى هٰذَا ٱلشَّاعِرِ . قَالَ عَلْقَمَةُ : فَوَاللهِ لَقَدْ خَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَمَعِي سَبْعُونَ بَغْلًا تَحْمِلُ ٱلْخِلَعَ

١٢٢ أَهْدَى ٱبْنُ عَبَّادٍ إِلَى فَخْرِ ٱلدَّوْلَةِ ٱبْنِ بُوَيْهِ دِينَارًا وَزْنُهُ أَلْفُ مِثْقَالٍ . وَكَانَ عَلَى أَحَدِ جَانِبَيْهِ مَكْتُوبًا :

وَأَحْمَرَ يَحْكِي ٱلشَّمْسَ شَكْلًا وَصُورَةً ... فَأَوْصَافُهُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ صِفَاتِهِ
فَإِنْ قِيلَ دِينَارٌ فَقَدْ صَدَقَ ٱسْمُهُ ... وَإِنْ قِيلَ أَلْفٌ كَانَ بَعْضَ سِمَاتِهِ
بَدِيعٌ وَلَمْ يُطْبَعْ عَلَى ٱلدَّهْرِ مِثْلُهُ ... وَلَا ضُرِبَتْ أَضْرَابُهُ لِسَرَاتِهِ
فَقَدْ أَبْرَزَتْهُ دَوْلَةٌ فَلَكِيَّةٌ ... أَقَامَ بِهَا ٱلْإِقْبَالُ صَدْرَ فَتَاتِهِ
وَصَارَ إِلَى شَاهِنْشَاهَ ٱنْتِسَابُهُ ... عَلَى أَنَّهُ مُسْتَصْغَرٌ لِعُفَاتِهِ

يُخَيَّرُ أَنْ يَبْقَى سِنِينَ كَوَزْنِهِ ... لِتَسْتَبْشِرَ الدُّنْيَا بِطُولِ حَيَاتِهِ
تَأَنَّقَ فِيهِ عَبْدُهُ وَابْنُ عَبْدِهِ ... وَغَرْسُ أَيَادِيهِ وَكَافِي كِفَايَتِهِ
وَكَانَ عَلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ وَلَقَبُ الْخَلِيفَةِ الطَّائِعِ لِلّٰهِ وَلَقَبُ فَخْرِ الدَّوْلَةِ وَاسْمُ جُرْجَانَ لِأَنَّهُ ضُرِبَ بِهَا

١٢٣ كَتَبَ الْبَهَاءُ زُهَيْرٌ إِلَى نَجْمِ الدِّينِ الْبَادَرَانِيِّ رَسُولِ الدِّيوَانِ يَعْتَذِرُ لِتَأْخِيرِهِ عَنْ لِقَائِهِ لَمَّا وَصَلَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ قَصِيدَةً مِنْهَا :

عَلَى الطَّائِرِ الْمَأْمُونِ تَأْخِيرُ قَادِمِ ... وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْعُلَى وَالْمَكَارِمِ
قَدِمْتَ بِحَمْدِ اللّٰهِ أَكْرَمَ مَقْدَمٍ ... مَدَى الدَّهْرِ يَبْقَى ذِكْرُهُ فِي الْمَوَاسِمِ
قُدُومًا بِهِ الدُّنْيَا أَضَاءَتْ وَأَشْرَقَتْ ... بِبِشْرِ وُجُوهٍ أَوْ بِضَوْءِ مَبَاسِمِ
فَيَا حُسْنَ رَكْبٍ جِئْتَ فِيهِ مُسَلَّمًا ... وَيَا طِيبَ مَا أَهْدَتْهُ أَيْدِي الرَّوَاسِمِ
أَمَوْلَايَ سَامِحْنِي فَإِنَّكَ أَهْلُهُ ... وَإِنْ لَمْ تُسَامِحْنِي فَمَا أَنْتَ ظَالِمِي
وَوَاللّٰهِ مَا حَالَتْ عُهُودُ مَوَدَّتِي ... وَتِلْكَ يَمِينٌ لَسْتُ فِيهَا بِآثِمِ
مُقِيمٌ وَقَلْبِي فِي رِحَالِكَ سَائِرٌ ... لَعَلَّكَ تَرْضَاهُ لِبَعْضِ الْمَوَاسِمِ
وَلَوْ كُنْتَ عَنْهُ سَائِلًا لَوَجَدْتَهُ ... عَلَى بَابِكَ الْمَيْمُونِ أَوَّلَ قَادِمِ
وَإِلَّا فَسَلْ عَنْهُ رِكَابَكَ فِي الدُّجَا ... لَقَدْ بُرِيَتْ مِنْ لَثْمِهِ لِلْمَنَاسِمِ

البندبيجي والحمامة

اِجْتَازَ الْمَنَازِيُّ الْبَنْدَبِيجِيُّ الشَّاعِرُ (وَبَنْدَبِيجُ قَصْرٌ بِالرَّافِقَانِ بَيْنَ بَغْدَادَ وَحُلْوَانَ) بِسُوقِ بَابِ الطَّاقِ بِبَغْدَادَ حَيْثُ تُبَاعُ الطَّيْرُ. فَسَمِعَ حَمَامَةً تُلَحِّنُ فِي قَفَصٍ فَاشْتَرَاهَا وَأَرْسَلَهَا وَقَالَ :

نَاحَتْ مُطَوَّقَةٌ بِبَابِ الطَّاقِ ... فَجَرَى سَوَابِقُ مَدْمَعِي الْمِهْرَاقِ
حَنَّتْ إِلَى أَرْضِ الْحِجَازِ بِحُرْقَةٍ ... تُشْجِي فُؤَادَ الْهَائِمِ الْمُشْتَاقِ
إِنَّ الْحَمَائِمَ لَمْ تَزَلْ بِحَنِينِهَا ... قِدَمًا تُبَكِّي أَعْيُنَ الْعُشَّاقِ
كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي الْأَرَاكِ وَرُبَّمَا ... كَانَتْ تُفَرِّخُ فِي فُرُوعِ السَّاقِ
تَعِسَ الْفِرَاقُ وَجُذَّ حَبْلُ وَتِينِهِ ... وَسَقَاهُ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ سَاقِي
يَا وَيْحَهُ مَا بَالُهُ قُمْرِيَّةً ... لَمْ تَدْرِ مَا بَغْدَادُ فِي الْآفَاقِ
فَأَتَى الْفِرَاقُ بِهَا الْعِرَاقَ فَأَصْبَحَتْ ... بَعْدَ الْأَرَاكِ تَنُوحُ فِي الْأَسْوَاقِ
فَشَرِيتُهَا لَمَّا سَمِعْتُ حَنِينَهَا ... وَعَلَى الْحَمَامَةِ عُدْتُ بِالْإِطْلَاقِ
بِي مِثْلُ مَا بِكِ يَا حَمَامَةُ فَاسْأَلِي ... مَنْ فَكَّ أَسْرَكِ أَنْ يَحُلَّ وِثَاقِي

(نثار الازهار لابن منظور)

الفرزدق والاسير

١٢٤ حُكِيَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَمَرَ الْفَرَزْدَقَ بِضَرْبِ أَعْنَاقِ أَسَارَى مِنَ الرُّومِ فَاسْتَعْفَاهُ الْفَرَزْدَقُ فَلَمْ يَفْعَلْ. فَقَامَ فَضَرَبَ عُنُقَ رُومِيٍّ مِنْهُمْ فَنَبَا السَّيْفُ عَنْهُ. فَضَحِكَ سُلَيْمَانُ وَمَنْ حَوْلَهُ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ :

أَيَعْجَبُ النَّاسُ إِنْ أَضْحَكْتُ سَيِّدَهُمْ ... خَلِيفَةَ اللّٰهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
لَمْ يَنْبُ سَيْفِي مِنْ رُعْبٍ وَلَا دَهَشٍ ... عَنِ الْأَسِيرِ وَلٰكِنْ أَخَّرَ الْقَدَرُ
وَلَنْ يُقَدِّمَ نَفْسًا قَبْلَ مِيتَتِهَا ... جَمْعُ الْيَدَيْنِ وَلَا الصَّمْصَامَةُ الذَّكَرُ

ثُمَّ أَغْمَدَ سَيْفَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

مَا إِنْ يُعَابُ سَيِّدٌ إِذَا حَبَا وَلَا يُعَابُ صَارِمٌ إِذَا نَبَا
وَلَا يُعَابُ شَاعِرٌ إِذَا كَبَا

ثُمَّ جَلَسَ وَهُوَ يَقُولُ :

كَذَاكَ سُيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَتَقْطَعُ أَحْيَانًا مَنَاطَ التَّمَائِمِ
وَلَنْ نَقْتُلَ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفُكُّهُمْ إِذَا أَثْقَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَغَارِمِ
وَهَلْ ضَرْبَةُ الرُّومِيِّ جَاعِلَةٌ لَكُمْ أَبًا عَنْ كُلَيْبٍ أَوْ أَخًا مِثْلَ دَارِمِ

فَشَاعَ حَدِيثُ الْفَرَزْدَقِ بِهٰذَا حَتَّى حُكِيَ أَنَّ الْمَهْدِيَّ أُتِيَ بِأَسْرَى مِنَ الرُّومِ فَأَمَرَ بِقَتْلِهِمْ وَكَانَ عِنْدَهُ شَبِيبُ بْنُ شَيْبَةَ فَقَالَ لَهُ : اضْرِبْ عُنُقَ هٰذَا الْعِلْجِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرُ قَدْ عَلِمْتَ مَا ابْتُلِيَ بِهِ الْفَرَزْدَقُ فَعَيَّرَهُ بِهِ قَوْمٌ إِلَى الْيَوْمِ . فَقَالَ : إِنَّمَا أَرَدْتُ تَشْرِيفَكَ وَقَدْ أَعْفَيْتُكَ . وَكَانَ أَبُو الْهَوْلِ الشَّاعِرُ حَاضِرًا فَقَالَ :

جَزِعْتَ مِنَ الرُّومِيِّ وَهْوَ مُقَيَّدٌ فَكَيْفَ وَلَوْ لَاقَيْتَهُ وَهْوَ مُطْلَقُ
دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَتْلِهِ فَكَادَ شَبِيبٌ عِنْدَ ذٰلِكَ يَفْرَقُ
فَنَحِّ شَبِيبًا عَنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ وَأَدْنِ شَبِيبًا مِنْ كَلَامٍ يُلَفَّقُ

(ادب الدنيا والدين للماوردي)

١٢٥ كتاب ابن التعاويذي الشاعر الى الامام الناصر لدين الله يسأله ان يجدد له راتبًا لمعاشه :

خَلِيفَةَ اللّٰهِ أَنْتَ بِالدِّينِ وَالدُّنْيَا وَأَمْرِ الْإِسْلَامِ مُضْطَلِعُ
أَنْتَ لِمَا سَنَّهُ الْأَئِمَّةُ أَعْـ ـلَامُ الْهُدَى مُقْتَفٍ وَمُتَّبِعُ

فَالنَّاسُ فِي الشَّرْعِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْـ إِحْسَانِ وَالْعَدْلِ كُلُّهُمْ شَرَعُ
يَا مَلِكًا يَرْدَعُ الْحَوَادِثَ وَالْـ أَيَّامَ عَنْ ظُلْمِهَا فَتَرْتَدِعُ
أَرْضِي قَدْ أَجْدَبَتْ وَلَيْسَ لِمَنْ أَجْدَبَ يَوْمًا سِوَاكَ مُنْتَجَعُ
وَلِي عِيَالٌ لَا دَرَّ دَرُّهُمُ قَدْ أَكَلُوا دَهْرَهُمْ وَمَا شَبِعُوا
إِذَا رَأَوْنِي ذَا ثَرْوَةٍ جَلَسُوا حَوْلِي وَمَالُوا إِلَيَّ وَاجْتَمَعُوا
وَطَالَمَا قَطَعُوا حِبَالِيَ إِعْـ ـرَاضًا إِذَا لَمْ تَكُنْ مَعِي قِطَعُ
يَمْشُونَ حَوْلِيَ شَتَّى كَأَنَّهُمُ عَقَارِبٌ كُلَّمَا سَعَوْا لَسَعُوا
فَمِنْهُمُ الطِّفْلُ وَالْمُرَاهِقُ وَالرَّ ضِيعُ يَحْبُو وَالْكَهْلُ وَالْيَفَعُ
لَا فَارِحٌ مِنْهُمُ أُؤَمِّلُ أَنْ يَنَالَنِي خَيْرُهُ وَلَا جَذِعُ
لَهُمْ خُلُوقٌ تُفْضِي إِلَى مِعَدٍ تَحْمِلُ فِي الْأَكْلِ فَوْقَ مَا تَسَعُ
مِنْ كُلِّ رَحْبِ الْمَعَاءِ أَجْوَفِهِ نَادِي الْحَشَا لَا يَمَسُّهُ الشِّبَعُ
لَا يُحْسِنُ الْمَضْغَ فَهْوَ يَتْرُكُ فِي فِيهِ بِلَا كُلْفَةٍ وَيَبْتَلِعُ
فَاسْتَأْنِفُوا لِي رَسْمًا أَعُودُ عَلَى ضَنْكِ مَعَاشِي بِهِ فَيَتَّسِعُ
وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنِّي أَتَيْتُ بِهَا خَدِيعَةً فَالْكَرِيمُ يَنْخَدِعُ
حَاشَا لِرَسْمِ الْكَرِيمِ يُنْسَخُ مِنْ نَسْخِ دَوَاوِينِكُمْ فَيَنْقَطِعُ
فَوَقِّعُوا لِي بِمَا سَأَلْتُ فَقَدْ أَطْمَعْتُ نَفْسِي وَاسْتَحْكَمَ الطَّمَعُ
وَلَا تُطِيلُوا مَعِي فَلَسْتُ وَلَوْ دَفَعْتُمُونِي بِالرَّاحِ أَنْدَفِعُ

أَلْبَابُ السَّابِعُ
فِي ٱلْفُكَاهَاتِ

بغلة ابي دلامة

١٢٦ كَانَ أَبُو دُلَامَةَ كُوفِيًّا أَسْوَدَ مَوْلًى لِبَنِي أَسَدٍ أَدْرَكَ آخِرَ أَيَّامِ بَنِي أُمَيَّةَ وَنَبَغَ فِي أَيَّامِ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ وَمَدَحَ ٱلسَّفَّاحَ وَٱلْمَنْصُورَ وَٱلْمَهْدِيَّ. وَكَانَ صَاحِبَ نَوَادِرَ وَمُلَحٍ. وَأَمَّا بَغْلَتُهُ فَكَانَتْ جَامِعَةً لِعُيُوبِ ٱلدَّوَابِّ كُلِّهَا. وَكَانَتْ أَشْوَهَ ٱلدَّوَابِّ خَلْقًا فِي مَنْظَرِ ٱلْعَيْنِ وَأَسْوَأَهَا خُلُقًا فِي مَخْبَرِهَا. فَكَانَ إِذَا رَكِبَهَا تَبِعَهُ ٱلصِّبْيَانُ يَتَضَاحَكُونَ بِهِ. وَكَانَ يَقْصِدُ رُكُوبَهَا فِي مَوَاكِبِ ٱلْخُلَفَاءِ وَٱلْكُبَرَاءِ لِيُضْحِكَهُمْ بِشِمَاسِهَا حَتَّى نَظَمَ فِيهَا قَصِيدَتَهُ ٱلْمَشْهُورَةَ وَهِيَ:

أَبَعْدَ ٱلْخَيْلِ أَرْكَبُهَا كِرَامًا ... وَبَعْدَ ٱلْفَرْدِ مِنْ خُضْرِ ٱلْبِغَالِ
رُزِقْتُ بُغَيْلَةً فِيهَا وِكَالٌ ... وَلَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ ٱلْوِكَالِ
رَأَيْتُ عُيُوبَهَا كَثُرَتْ وَلَيْسَتْ ... وَإِنْ أَكْثَرْتُ ثُمَّ مِنَ ٱلْمُقَالِ
لِيُحْصِي مَنْطِقِي وَكَلَامُ غَيْرِي ... عَشِيرَ خِصَالِهَا شَرَّ ٱلْخِصَالِ
فَأَهْوَنُ عَيْبِهَا أَنِّي إِذَا مَا ... نَزَلْتُ وَقُلْتُ إِمْشِي لَا تُبَالِي
تَقُومُ فَمَا تَبُتُّ هُنَاكَ شِبْرًا ... وَتَرْمِحُنِي وَتَأْخُذُ فِي قِتَالِي
وَإِنِّي إِنْ رَكِبْتُ أَذَيْتُ نَفْسِي ... بِضَرْبٍ بِٱلْيَمِينِ وَبِٱلشِّمَالِ
وَبِٱلرِّجْلَيْنِ أَرْكُلُهَا جَمِيعًا ... فَيَالَكَ فِي ٱلشَّقَاءِ وَفِي ٱلْكَلَالِ

أَتَانِي خَائِبٌ يَسْتَامُ مِنِّي ... عَرِيقٌ فِي ٱلْخَسَارَةِ وَٱلضَّلَالِ
وَقَالَ تَبِيعُهَا قُلْتُ ٱرْتَبِطْهَا ... بِحُكْمِكَ إِنَّ بَيْعِي غَيْرُ غَالِ
فَأَقْبَلَ ضَاحِكًا نَحْوِي سُرُورًا ... وَقَالَ أَرَاكَ سَهْلًا ذَا جَمَالِ
هَلُمَّ إِلَيَّ يَخْلُو بِي خِدَاعًا ... وَمَا يَدْرِي ٱلشَّقِيُّ لِمَنْ يُخَالِي
فَقُلْتُ بِأَرْبَعِينَ فَقَالَ أَحْسِنْ ... إِلَيَّ فَإِنَّ مِثْلَكَ ذُو سِجَالِ
فَأَتْرُكُ خَمْسَةً مِنْهَا لِعِلْمِي ... بِمَا فِيهِ يَصِيرُ مِنَ ٱلْخَبَالِ
فَلَمَّا ٱبْتَاعَهَا مِنِّي وَبَتَّتْ ... لَهُ فِي ٱلْبَيْعِ غَيْرِ ٱلْمُسْتَقَالِ
أَخَذْتُ بِثَوْبِهِ أَبْرَأْتُ مِمَّا ... أَعُدُّ عَلَيْهِ مِنْ سُوءِ ٱلْخِلَالِ
بَرِئْتُ إِلَيْكَ مِنْ مَشْيِ يَدَيْهَا ... وَمِنْ جَرْذٍ وَمِنْ بَلَلِ ٱلْمَخَالِي
وَمِنْ فَتْقٍ بِهَا فِي ٱلْبَطْنِ ضَخْمٍ ... وَمِنْ عُقَّالِهَا وَمِنِ ٱنْفِتَالِ
وَمِنْ قَطْعِ ٱللِّسَانِ وَمِنْ بَيَاضٍ ... بِعَيْنَيْهَا وَمِنْ قَرْضِ ٱلْحِبَالِ
وَمِنْ عَضِّ ٱلْغُلَامِ وَمِنْ خِرَاطٍ ... إِذَا مَا هُمَّ صَحْبُكَ بِٱرْتِحَالِ
وَأَفْطَى مِنْ فُرَيْخِ ٱلذَّرِّ مَشْيًا ... بِهَا عَرَنٌ وَدَاءٌ مِنْ سُلَالِ
وَتَكْسِرُ سَرْجَهَا أَبَدًا شِمَاسًا ... وَتَقْمُصُ لِلْإِكَافِ عَلَى ٱعْتِيَالِ
وَيَدْبَرُ ظَهْرُهَا مِنْ مَسِّ كَفٍّ ... وَتَهْرَمُ فِي ٱلْجِمَامِ وَفِي ٱلْجَلَالِ
تَظَلُّ لِرُكْبَةٍ مِنْهَا وَقِيذًا ... يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ وَرَمِ ٱلطِّحَالِ
وَمِشْغَارٌ تُقَدِّمُ كُلَّ سَرْجٍ ... تُصَيِّرُ دَفَّتَيْهِ عَلَى ٱلْقَذَالِ
وَتَخْفَى لَوْ تَسِيرُ عَلَى ٱلْحَشَايَا ... وَلَوْ تَمْشِي عَلَى دِمَثِ ٱلرِّمَالِ
وَتَرْمِحُ أَرْبَعِينَ إِذَا وَقَفْنَا ... عَلَى أَهْلِ ٱلْمَجَالِسِ لِلسُّؤَالِ

فَتَقْطَعُ مَنْطِقِي وَتَحُولُ بَيْنِي ... وَبَيْنَ حَدِيثِهِمْ فِيمَا تُوَالِي
وَتُذْعِرُ لِلدَّجَاجَةِ إِذْ تَرَاهَا ... وَتَنْفِرُ لِلصَّفِيرِ وَلِلْخَيَالِ
فَأَمَّا الْإِعْتِلَافُ فَأَدْنِ مِنْهَا ... مِنَ الْأَتْبَانِ أَمْثَالَ الْجِبَالِ
وَأَمَّا الْقَتُّ فَأْتِ بِأَلْفِ وَقْرٍ ... كَأَعْظَمِ حِمْلِ أَحْمَالِ الْجِمَالِ
فَلَسْتَ بِعَالِفٍ مِنْهُ ثَلَاثًا ... وَعِنْدَكَ مِنْهُ عُودٌ لِلْخِلَالِ
وَإِنْ عَطِشَتْ فَأَوْرِدْهَا دُجَيْلًا ... إِذَا أَوْرَدْتَ أَوْ نَهْرِي بِلَالِ
فَذَاكَ لِرِيِّهَا سُقِيَتْ حَمِيمًا ... وَإِنْ مَدَّ الْفُرَاتُ فَلِلنِّهَالِ
وَكَانَتْ قَارِحًا أَيَّامَ كِسْرَى ... وَتَذْكُرُ تُبَّعًا عِنْدَ الْفِصَالِ
وَقَدْ دَبَرَتْ وَنُعْمَانٌ صَبِيٌّ ... وَقَبْلَ فِصَالِهِ تِلْكَ اللَّيَالِي
وَتَذْكُرُ إِذْ نَشَا بَهْرَامُ جُورٍ ... وَعَامِلُهُ عَلَى خَرْجِ الْجَوَالِي
وَقَدْ مَرَّتْ بِقَرْنٍ بَعْدَ قَرْنٍ ... وَآخِرُ عَهْدِهَا لِهَلَاكِ مَالِي
فَأَبْدِلْنِي بِهَا يَا رَبِّ طِرْفًا ... يَزِينُ جَمَالُ مَرْكَبِهِ جَمَالِي

وَأَنْشَدَهَا الْمَهْدِيَّ فَقَالَ : لَقَدْ أَقْلَلْتَ مِنْ بَلَاءٍ عَظِيمٍ . فَقَالَ : وَاللهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَقَدْ مَكَثْتُ شَهْرًا أَتَوَقَّعُ صَاحِبَهَا أَنْ يَرُدَّهَا . فَقَالَ الْمَهْدِيُّ لِصَاحِبِ دَوَابِّهِ : خَيِّرْهُ بَيْنَ مَرْكَبَيْنِ فِي الْإِصْطَبْلِ . فَقَالَ : إِنْ كَانَ الِاخْتِيَارُ إِلَيَّ فَقَدْ وَقَعْتُ فِي شَرٍّ مِنَ الْبَغْلَةِ وَلَكِنْ مُرْهُ يَخْتَرْ لِي . فَفَعَلَ

(شرح مقامات الحريري للشريشي ووافي الوفيات للصفدي)

الخليفة والأصمعي

١٢٧ مِنْ أَلْطَفِ مَا اتُّفِقَ أَنَّ بَعْضَ الْخُلَفَاءِ كَانَ يَحْفَظُ الشِّعْرَ مِنْ

مَرَّةٍ . وَعِنْدَهُ مَمْلُوكٌ يَحْفَظُهُ مِنْ مَرَّتَيْنِ وَجَارِيَةٌ مِنْ ثَلَاثِ مَرَّاتٍ . وَكَانَ بَخِيلًا جِدًّا فَكَانَ الشَّاعِرُ إِذَا أَتَاهُ بِقَصِيدَةٍ قَالَ لَهُ : إِنْ كَانَتْ مَطْرُوقَةً بِأَنْ يَكُونَ أَحَدٌ مِنَّا يَحْفَظُهَا نَعْلَمُ أَنَّهَا لَيْسَتْ لَكَ فَلَا نُعْطِيكَ لَهَا جَائِزَةً . وَإِنْ لَمْ نَكُنْ نَحْفَظُهَا فَنُعْطِيكَ وَزْنَ مَا هِيَ فِيهِ مَكْتُوبَةٌ . فَيَقْرَأُ الشَّاعِرُ الْقَصِيدَةَ فَيَحْفَظُهَا الْخَلِيفَةُ مِنْ أَوَّلِ مَرَّةٍ وَلَوْ كَانَتْ أَلْفَ بَيْتٍ . وَيَقُولُ لِلشَّاعِرِ : اسْمَعْهَا عَلَيَّ فَإِنِّي أَحْفَظُهَا وَيُنْشِدُهَا بِكَمَالِهَا . ثُمَّ يَقُولُ : وَهٰذَا الْمَمْلُوكُ أَيْضًا يَحْفَظُهَا . وَقَدْ سَمِعَهَا الْمَمْلُوكُ مَرَّتَيْنِ مَرَّةً مِنَ الشَّاعِرِ وَمَرَّةً مِنَ الْخَلِيفَةِ فَيَحْفَظُهَا وَيَقْرَأُهَا . ثُمَّ يَقُولُ الْخَلِيفَةُ : وَهٰذِهِ الْجَارِيَةُ الَّتِي وَرَاءَ السِّتْرِ تَحْفَظُهَا أَيْضًا . وَقَدْ سَمِعَتْهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مَرَّةً مِنَ الشَّاعِرِ وَمَرَّةً مِنَ الْخَلِيفَةِ وَمَرَّةً مِنَ الْمَمْلُوكِ فَتَقْرَأُهَا بِحُرُوفِهَا . فَيَخْرُجُ الشَّاعِرُ صِفْرَ الْيَدَيْنِ . وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ مِنْ جُلَسَائِهِ وَنُدَمَائِهِ . فَنَظَمَ أَبْيَاتًا مُسْتَصْعَبَةً وَنَقَشَهَا فِي أُسْطُوَانَةٍ وَلَفَّهَا فِي مُلَاءَةٍ وَجَعَلَهَا عَلَى ظَهْرِ بَعِيرٍ . وَلَبِسَ جُوخَةً بَدَوِيَّةً مُفَرَّجَةً مِنْ وَرَاءٍ وَمِنْ قُدَّامٍ . وَضَرَبَ لَهُ لِثَامًا لَمْ يُبَيِّنْ مِنْهُ غَيْرَ عَيْنَيْهِ وَجَاءَ إِلَى الْخَلِيفَةِ وَقَالَ : إِنِّي امْتَدَحْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِقَصِيدَةٍ . فَقَالَ : يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنْ كَانَتْ لِغَيْرِكَ فَلَا نُعْطِيكَ لَهَا جَائِزَةً . وَإِنْ كَانَتْ لَكَ نُعْطِيكَ زِنَةَ مَا هِيَ مَكْتُوبَةٌ فِيهِ . قَالَ : قَدْ رَضِيتُ وَأَنْشَدَ :

صَوْتُ صَفِيرِ الْبُلْبُلِ ... هَيَّجَ قَلْبَ الثَّمِلِ
أَلْمَاءُ وَالزَّهْرُ مَعًا ... مَعَ حُسْنِ لَحْظِ الْمُقَلِ

وَأَنْتَ حَقًّا سَيِّدِي وَسُؤْدُدِي وَمَوْلَى
وَطَابَ لِي نَوْحُ الْحَمَا مِ قُوقُقُو بِالزَّجَلِ
قَدْ فَاحَ مِنْ لَحْظَاتِهَا عَبِيرُ وَرْدِ الْخَجَلِ
وَقُلْتُ وَصْوَصْ وَصْوَصْ فَجَاءَ صَوْتٌ مِنْ عَلِ
وَقَالَ لَا لَا لَا لَا وَقَدْ غَدَا يُهَرْوِلِي
وَفِتْيَةٍ يَسْقُونَنِي قُهْيَوَةً كَالْعَسَلِ
شَمِمْتُهَا فِي أَنْفِي أَذْكَى مِنَ الْقَرَنْفُلِ
فِي بُسْتَانٍ حَسَنٍ بِالزَّهْرِ وَالسَّرْوَلِ
وَالْعُودُ دَنْدَنْ دَنْدَنْ وَالطَّبْلُ طَبْطَبْطَبَ لِي
وَالرَّقْصُ أَرْطَبْ طَبْطَبْ وَالْمَاءُ شَقْشَقْشَقَ لِي
شَوَوْا شَوَوْا شَوَوْا عَلَى وُرَيْقِ السَّفَرْجَلِ
وَغَرَّدَ الْقُمْرِي يَصِحْ مِنْ مَلَلٍ مِنْ مَلَلِي
فَلَوْ تَرَانِي رَاكِبًا عَلَى حِمَارٍ أَعْزَلِ
أَمْشِي عَلَى ثَلَاثَةٍ كَمِشْيَةِ الْعَرَنْجَلِي
وَالنَّاسُ قَدْ تَرْحَمُنِي فِي السُّوقِ بِالْبَقَلِّ
وَالْكُلُّ كَعْ كَعْ كَعْ خَلْفِي وَمِنْ حُوَيْلِي
لَكِنْ مَشَيْتُ هَارِبًا مِنْ خَشْيَةٍ فِي عَقْلِي
إِلَى لِقَاءِ مَلِكٍ مُعَظَّمٍ مُبَجَّلِ
يَأْمُرُ لِي بِخِلْعَةٍ حَمْرَاءَ كَالدَّمْلَمِلِ

أَجُرُّ فِيهَا مَأْرِبًا بِبَغْدَدٍ كَالدُّلْدُلِ

(قَالَ) فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِنْشَادِهَا بُهِتَ الْمَلِكُ فِيهَا وَلَمْ يَحْفَظْهَا الْخَلِيفَةُ لِصُعُوبَتِهَا. ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْمَلِكِ فَأَشَارَ إِلَيْهِ أَنَّهُ مَا حَفِظَ مِنْهَا شَيْئًا. وَفَهِمَ مِنَ الْجَارِيَةِ أَنَّهَا مَا حَفِظَتْ مِنْهَا شَيْئًا. فَقَالَ الْخَلِيفَةُ: يَا أَخَا الْعَرَبِ إِنَّكَ صَادِقٌ وَهِيَ لَكَ بِلَا شَكٍّ فَإِنِّي مَا سَمِعْتُهَا قَبْلَ ذَلِكَ. فَهَاتِ الرُّقْعَةَ الَّتِي هِيَ مَكْتُوبَةٌ فِيهَا حَتَّى نُعْطِيَكَ زِنَتَهَا. فَقَالَ: يَا مَوْلَايَ إِنِّي لَمْ أَجِدْ وَرَقًا أَكْتُبُ فِيهِ. وَكَانَ عِنْدِي قِطْعَةُ عَمُودِ رُخَامٍ مِنْ عَهْدِ أَبِي وَهِيَ مُلْقَاةٌ فِي الدَّارِ لَيْسَ لِي بِهَا حَاجَةٌ فَنَقَشْتُهَا فِيهَا. وَلَمْ يَسَعِ الْخَلِيفَةَ إِلَّا أَنْ أَعْطَاهُ زِنَتَهَا ذَهَبًا. فَنَفَدَ جَمِيعُ مَا فِي خِزَانَةِ الْمَلِكِ مِنَ الْمَالِ فَأَخَذَ الْأَصْمَعِيُّ ذَلِكَ وَانْصَرَفَ. فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: يَغْلِبُ عَلَى ظَنِّي أَنَّ هَذَا الْأَعْرَابِيَّ هُوَ الْأَصْمَعِيُّ. فَأَحْضَرَهُ وَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ فَإِذَا هُوَ الْأَصْمَعِيُّ. فَتَعَجَّبَ مِنْ صَنِيعِهِ وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ يُعَامِلُ بِهِ الشُّعَرَاءَ وَأَجْرَاهُمْ عَلَى عَوَائِدِ الْمُلُوكِ (حلبة الكميت للنواجي)

١٢٨ قَالَ أَبُو الْفَتْحِ كُشَاجِمُ يَرْثِي سِكِّينًا سُرِقَتْ لَهُ فِي قَصِيدَةٍ بَدِيعَةٍ مِنْهَا:

يَا قَاتَلَ اللهُ كُتَّابَ الدَّوَاوِينِ مَا يَسْتَحِلُّونَ مِنْ أَخْذِ السَّكَاكِينِ
لَقَدْ دَهَانِي لَطِيفٌ مِنْهُمُ خَتِلٌ فِي ذَاتِ حَدٍّ كَحَدِّ السَّيْفِ مَسْنُونِ
فَأَقْفَرَتْ بَعْدَ عُمْرَانٍ بِمَوْقِعِهَا مِنْهَا دَوَاةُ فَتًى بِالْكُتْبِ مَفْتُونِ
تَبْكِي عَلَى مُدْيَةٍ أَوْدَى الزَّمَانُ بِهَا كَانَتْ عَلَى جَائِرِ الْأَقْلَامِ تُغْرِينِي

كَانَتْ تُقَوِّمُ أَقْلَامِي وَتَنْحِتُهَا ... نَحْتًا وَتَسْخِطُهَا بَرْيًا فَتُرْضِينِي
وَأَضْحَكُ الطِّرْسَ وَالْقِرْطَاسَ عَنْ حُلَلٍ ... تَنُوبُ لِلْعَيْنِ عَنْ نَوْرِ الْبَسَاتِينِ
هَيْفَاءُ مُرْهَفَةٌ بَيْضَاءُ مُذْهَبَةٌ ... قَالَ الْإِلٰهُ لَهَا سُبْحَانَهُ كُونِي
لٰكِنْ مِقَطِّيَ أَمْسَى شَامِتًا جَذِلًا ... وَكَانَ فِي ذِلَّةٍ مِنْهَا وَفِي هُونِ
فَصِينَ حَتَّى يُضَاهِي فِي صِيَانَتِهِ ... جَاهِي لِصَوْنِيهِ عَمَّنْ لَا يُدَانِينِي
وَلَسْتُ عَنْهَا بِسَالٍ مَا حَيِيتُ وَلَا ... بِوَاجِدٍ عِوَضًا مِنْهَا بِسِكِّينِ

رثاء هِرّ لابن العلّاف

١٢٩ قَالَ الصَّاحِبُ ابْنُ عَبَّادٍ: أَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ الْعَلَّافُ الْبَغْدَادِيُّ الْمُقْرِئُ الْأَدِيبُ قَصِيدَةَ وَالِدِهِ فِي الْهِرِّ كَنَّى بِهِ عَنِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ حِينَ قَتَلَهُ الْمُقْتَدِرُ. فَخَشِيَ مِنَ الْمُقْتَدِرِ وَنَسَبَهَا إِلَى الْهِرِّ وَعَرَّضَ بِهِ فِي أَبْيَاتٍ مِنْهَا. وَقِيلَ إِنَّمَا كَنَّى بِالْهِرِّ عَنِ الْمُحْسِنِ ابْنِ الْوَزِيرِ أَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ الْفُرَاتِ أَيَّامَ مِحْنَتِهِ لِأَنَّهُ لَمْ يَجْسُرْ أَنْ يَذْكُرَهُ وَيُرِيبَهُ. وَقِيلَ كَانَ لَهُ هِرٌّ يَأْنَسُ بِهِ فَكَانَ يَدْخُلُ أَبْرَاجَ الْحَمَامِ الَّتِي لِجِيرَانِهِ وَيَأْكُلُ فِرَاخَهَا. فَأَمْسَكَهُ أَرْبَابُهَا فَذَبَحُوهُ فَرَثَاهُ بِقَصِيدَةٍ. وَقَالَ ابْنُ خَلِّكَانَ: وَهِيَ مِنْ أَحْسَنِ الشِّعْرِ وَأَبْدَعِهِ وَعَدَدُهَا خَمْسَةٌ وَسِتُّونَ بَيْتًا. وَطُولُهَا يَمْنَعُ مِنَ الْإِتْيَانِ بِجَمِيعِهَا فَنَأْتِي بِمَحَاسِنِهَا فِيهَا أَبْيَاتٌ مُشْتَمِلَةٌ عَلَى حِكَمٍ. أَوَّلُهَا:

يَا هِرُّ فَارَقْتَنَا وَلَمْ تَعُدِ ... وَكُنْتَ عِنْدِي بِمَنْزِلِ الْوَلَدِ
فَكَيْفَ نَنْفَكُّ عَنْ هَوَاكَ وَقَدْ ... كُنْتَ لَنَا عُدَّةً مِنَ الْعُدَدِ

تَطْرُدُ عَنَّا الْأَذَى وَتَحْرُسُنَا ... بِالْغَيْبِ مِنْ حَيَّةٍ وَمِنْ جُرَدِ
وَتُخْرِجُ الْفَأْرَ مِنْ مَكَامِنِهَا ... مَا بَيْنَ مَفْتُوحِهَا إِلَى السُّدَدِ
يَلْقَاكَ فِي الْبَيْتِ مِنْهُمُ مَدَدٌ ... وَأَنْتَ تَلْقَاهُمْ بِلَا مَدَدِ
لَا عَدَدٌ كَانَ مِنْكَ مُنْفَلِتًا ... مِنْهُمْ وَلَا وَاحِدٌ مِنَ الْعَدَدِ
لَا تَرْهَبُ الصَّيْفَ عِنْدَ هَاجِرَةٍ ... وَلَا تَهَابُ الشِّتَاءَ فِي الْجَمَدِ
وَكَانَ يَجْرِي وَلَا سِدَادَ لَهُمْ ... أَمْرُكَ فِي بَيْتِنَا عَلَى سَدَدِ
حَتَّى اعْتَقَدَتِ الْأَذَى لِجِيرَتِنَا ... وَلَمْ تَكُنْ لِلْأَذَى بِمُعْتَقِدِ
وَحُمْتَ حَوْلَ الرَّدَى لِظُلْمِهِمِ ... وَمَنْ يَحُمْ حَوْلَ حَوْضِهِ يَرِدِ
وَكَانَ قَلْبِي عَلَيْكَ مُرْتَعِدًا ... وَأَنْتَ تَنْسَابُ غَيْرَ مُرْتَعِدِ
تَدْخُلُ بُرْجَ الْحَمَامِ مُتَّئِدًا ... وَتَبْلُغُ الْفَرْخَ غَيْرَ مُتَّئِدِ
وَتَطْرَحُ الرِّيشَ فِي الطَّرِيقِ لَهُمْ ... وَتَبْلَعُ اللَّحْمَ بَلْعَ مُزْدَرِدِ
أَطْعَمَكَ أَلْغَى لَحْمَهَا فَرَأَى ... قَتْلَكَ أَرْبَابَهَا مِنَ الرَّشَدِ
حَتَّى إِذَا دَاوَمُوكَ وَاجْتَهَدُوا ... وَسَاعَدَ النَّصْرُ كَيْدَ مُجْتَهِدِ
كَادُوكَ دَهْرًا فَمَا وَقَعْتَ وَكَمْ ... أَفْلَتَّ مِنْ كَيْدِهِمْ وَلَمْ تَكِدِ
فَحِينَ أَخْفَرْتَ وَانْهَمَكْتَ وَكَا ... شَفْتَ وَأَسْرَفْتَ غَيْرَ مُقْتَصِدِ
صَادُوكَ غَيْظًا عَلَيْكَ وَانْتَقَمُوا ... مِنْكَ وَزَادُوا وَمَنْ يَصِدْ يُصَدِ
ثُمَّ شَفَوْا بِالْحَدِيدِ أَنْفُسَهُمْ ... مِنْكَ وَلَمْ يَرْعَوُوا عَلَى أَحَدِ
فَلَمْ تَزَلْ لِلْحَمَامِ مُرْتَصِدًا ... حَتَّى سُقِيتَ الْحِمَامَ بِالرَّصَدِ
لَمْ يَرْحَمُوا صَوْتَكَ الضَّعِيفَ كَمَا ... لَمْ تَرْثِ مِنْهَا لِصَوْتِهَا الْغَرِدِ

أَذَاقَكَ ٱلْمَوْتَ رَبُّهُنَّ كَمَا أَذَقْتَ أَفْرَاخَهُ يَدًا بِيَدِ
كَأَنَّ حَبْلًا حَوَى بِجُودَتِهِ جِيدَكَ لِلْخَنْقِ كَانَ مِنْ مَسَدِ
كَأَنَّ عَيْنِي تَرَاكَ مُضْطَرِبًا فِيهِ وَفِي فِيكَ رُغْوَةُ ٱلزَّبَدِ
وَقَدْ طَلَبْتَ ٱلْخَلَاصَ مِنْهُ فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى حِيلَةٍ وَلَمْ تَجِدِ
فَمَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ مَوْتِكَ إِذْ مُتَّ وَلَا مِثْلِ عَيْشِكَ ٱلنَّكِدِ
فَجُدْتَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْبَخِيلُ بِهَا أَنْتَ وَمَنْ لَمْ يَجُدْ بِهَا يَجِدِ
عِشْتَ حَرِيصًا يَقُودُهُ طَمَعٌ وَمُتَّ ذَا قَاتِلٍ بِلَا قَوَدِ
يَا مَنْ لَذِيذُ ٱلْفِرَاخِ أَوْقَعَهُ وَيْحَكَ هَلَّا قَنِعْتَ بِٱلْغُدَدِ
أَلَمْ تَخَفْ وَثْبَةَ ٱلزَّمَانِ كَمَا وَثَبْتَ فِي ٱلْبُرْجِ وِثْبَةَ ٱلْأَسَدِ
عَاقِبَةُ ٱلظُّلْمِ لَا تَنَامُ وَإِنْ تَأَخَّرَتْ مُدَّةً مِنَ ٱلْمُدَدِ
أَرَدْتَ أَنْ تَأْكُلَ ٱلْفِرَاخَ وَلَا يَأْكُلُكَ ٱلدَّهْرُ أَكْلَ مُضْطَهِدِ
هٰذَا بَعِيدٌ مِنَ ٱلْقِيَاسِ وَمَا أَعَزَّهُ فِي ٱلدُّنُوِّ وَٱلْبُعُدِ
لَا بَارَكَ ٱللّٰهُ فِي ٱلطَّعَامِ إِذَا كَانَ هَلَاكُ ٱلنُّفُوسِ فِي ٱلْمِعَدِ
كَمْ دَخَلَتْ لُقْمَةٌ حَشَا شَرِهٍ فَأَخْرَجَتْ رُوحَهُ مِنَ ٱلْجَسَدِ
مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ تَسَوُّرِكَ ٱلْـ بُرْجَ وَلَوْ كَانَ جَنَّةَ ٱلْخُلْدِ
قَدْ كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ وَفِي دَعَةٍ مِنَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْمُهَيْمِنِ ٱلصَّمَدِ
تَأْكُلُ مِنْ فَأْرِ بَيْتِنَا رَغَدًا فَأَيْنَ بِٱلشَّاكِرِينَ لِلرَّغَدِ
وَكُنْتَ بَدَّدْتَ شَمْلَهُمْ زَمَنًا فَٱجْتَمَعُوا بَعْدَ ذٰلِكَ ٱلْبَدَدِ
فَلَمْ يُبْقُوا لَنَا عَلَى سَبَدٍ فِي جَوْفِ أَبْيَاتِنَا وَلَا لَبَدِ

وَفَتَّتُوا ٱلْخُبْزَ فِي ٱلسِّلَالِ وَكَمْ تَفَتَّتَتْ لِلْعِيَالِ مِنْ كَبِدِ
وَفَرَّغُوا قَعْرَهَا وَمَا تَرَكُوا مَا عَلَّقَتْهُ يَدٌ عَلَى وَتَدِ
وَمَزَّقُوا مِنْ ثِيَابِنَا جُدُدًا فَكُلُّنَا فِي ٱلْمَصَائِبِ ٱلْجُدُدِ

رثاء ديكٍ لابن معمعة الحمصيّ

١٣٠

يَا ٱبْنَ أَقْيَالِ وَائِلٍ وَٱلْكِرَامِ ٱلصِّيدِ مِنْ تَغْلِبٍ قُرُومِ ٱلْقُرُومِ
وَٱلْأَمِيرُ ٱلَّذِي عَلَيْهِ أَمَارَا تُ ٱلْمَعَالِي مِنْ حَادِثٍ وَقَدِيمِ
قَدْ مَدَحْتُ ٱلْأَمِيرَ بِٱلْأَمْسِ مَنْثُو رًا وَجِئْتُ ٱلْغَدَاةَ بِٱلْمَنْظُومِ
فَٱسْتَمِعْ قِصَّتِي وَفَرِّجْ بِإِحْسَا نِكَ مَا بِي مِنْ طَارِقَاتِ ٱلْهُمُومِ
لِي دِيكٌ حَضَنْتُهُ وَهْوَ فِي ٱلْبَيْـ ـضَةِ مِنْ مَنْصِبٍ كَرِيمِ ٱلْحَمِيمِ
ثُمَّ رَبَّيْتُهُ كَتَرْبِيَةِ ٱلطِّـ ـفْلِ رَضِيعًا وَعِنْدَ حَالِ ٱلْفَطِيمِ
يَأْكُلُ ٱلْعَفْوَ كَيْفَ مَا شَاءَ مِنْ مَا لِي أَكْلَ ٱلْوَلِيِّ مَالَ ٱلْيَتِيمِ
هُوَ عِنْدِي بِصُورَةِ ٱلْوَلَدِ ٱلْبَـ ـرِّ وَفِي صُورَةِ ٱلصَّدِيقِ ٱلْحَمِيمِ
أَبْيَضُ ٱللَّوْنِ أَفْرَقُ ٱلْعُرْفِ نَظَّا رُ بِعَيْنٍ كَأَنَّهَا عَيْنُ رِيمِ
وَعَلَى نَحْرِهِ وَشَاحَانِ مِنْ شَذْ رٍ بَدِيعٍ وَلُؤْلُؤٍ مَنْظُومِ
رَافِعٌ رَايَةً مِنَ ٱلذَّنَبِ ٱلْمُشْـ ـرِفِ يَسْعَى بِهَا كَسَعْيِ ٱلظَّلِيمِ
وَإِذَا مَا مَشَى تَبَخْتَرَ مَشْيَ ٱلطَّـ ـرَبِ ٱلْمُنْتَشِي مِنَ ٱلْخُرْطُومِ
وَسَمُ ٱلْأَرْضَ وَسْمَ طِينِ كِتَابٍ بِخَوَاتِيمِ كَاتِبٍ مَخْتُومِ
وَلَهُ خِنْجَرَانِ فِي قَصَبِ ٱلسَّا قَيْنِ قَدْ رُكِّبَا لِحِفْظِ ٱلْحَرِيمِ
وَعَلَيْهِ مِنْ رِيشِهِ طَيْلَسَانٌ صِيغَ مِنْ صِيغَةِ ٱللَّطِيفِ ٱلْحَكِيمِ

وَجَمِيعُ ٱلدِّيُوكِ تَشْهَدُ فِي حِمْصٍ لَهُ بِٱلْجَلَالِ وَٱلتَّعْظِيمِ
يَتَجَاوَبْنَ بِٱلصِّيَاحِ مُشِيرَا تٍ إِلَيْهِ فِي ذَاكَ بِٱلتَّسْلِيمِ
وَإِذَا مَا رَأَيْتَهُ بَيْنَ خَمْسٍ مِنْ دَجَاجَاتِهِ كِبَارِ ٱلْجُسُومِ
قُلْتَ مَلْكٌ يَخْدُمُنَهُ فَتَيَاتٌ يَتَهَادَيْنَ بَيْنَ زَنْجٍ وَرُومِ
وَتَرَى عُرْفَهُ فَتَحْسَبُهُ ٱلتَّا جَ عَلَى رَأْسِ كِسْرَوِيٍّ كَرِيمِ
ثَاقِبِ ٱلْعِلْمِ بِٱلْمَوَاقِيتِ لَيْلًا وَنَهَارًا وَحَاذِقٍ بِٱلنُّجُومِ
وَيَحُثُّ ٱلْجِيرَانَ حَوْلِي عَلَى ٱلْبِرِّ مَ كَحَثِّ ٱلْمُدِيرِ كَأْسَ ٱلنَّدِيمِ
وَلَهُ أَيُّهَا ٱلْأَمِيرُ عَلَيَّ ٱلْعَهْدُ فِي سَالِفِ ٱلزَّمَانِ ٱلْقَدِيمِ
أَنَّهُ آمِنٌ مِنَ ٱلشَّرِّ عِنْدِي غَيْرَ يَوْمِ ٱلْمَشِيئَةِ ٱلْمَحْتُومِ
وَقَدِ ٱحْتَجْتُ أَنْ أُضَحِّيَ فِي ٱلْعِيـ ـدِ بِهِ حَاجَةَ ٱلْأَدِيبِ ٱلْعَدِيمِ
وَبَنَاتِي يَقُلْنَ يَا أَبَتَانَا أَنْتَ فِي ذَاكَ بَيْنَ غَدْرٍ وَلُومِ
وَتَرَاهُنَّ حَوْلَهُ يَتَبَاكَيْـ ـنَ بِدَمْعٍ لِفَقْدِهِ مَسْجُومِ
وَعَزِيزٌ سِوَاكَ مَنْ يَفْتَدِيهِ فَأُفْدِهِ سَيِّدِي بِذَبْحٍ عَظِيمِ
تَبْقَ فِي ذَاكَ سُنَّةٌ لَكَ يُبْقِي ذِكْرَهَا ذِكْرُ كَبْشِ إِبْرَهِيمِ

١٣١ قصيدة مساور الورّاق في وصف وليمة

إِسْمَعْ بِنَعْتِي لِلْمُلُوكِ وَلَا تُرَى فِيمَا سَمِعْتَ كَمِيِّتِ ٱلْأَحْيَاءِ
إِنَّ ٱلْمُلُوكَ لَهُمْ طَعَامٌ طَيِّبٌ يَسْتَأْثِرُونَ بِهِ عَلَى ٱلْفُقَرَاءِ
إِنِّي نَعَتُّ لَذِيذَ عَيْشِي كُلَّهُ وَٱلْعَيْشُ لَيْسَ لَذِيذُهُ بِسَوَاءِ
ثُمَّ ٱخْتَصَصْتُ مِنَ ٱللَّذِيذِ وَعَيْشِهِ صِفَةَ ٱلطَّعَامِ بِشَهْوَةِ ٱلْحُلَوَاءِ

فَبَدَأْتُ بِٱلْعَسَلِ ٱلشَّدِيدِ بَيَاضُهُ شَهْدٌ تُبَاكِرُهُ بِمَاءِ سَمَاءِ
إِنِّي سَمِعْتُ لِقَوْلِ رَبِّكَ فِيهِمَا فَجَمَعْتُ بَيْنَ مُبَارَكٍ وَشِفَاءِ
أَيَّامَ أَنْتَ هُنَاكَ بَيْنَ عِصَابَةٍ حَضَرُوا لِيَوْمِ تَنَعُّمِ ٱلْأَكْفَاءِ
لَا يَنْطِقُونَ إِذَا جَلَسْتُ إِلَيْهِمِ فِيمَا يَكُونُ بِلَفْظَةٍ عَوْرَاءِ
مُتَنَسِّمِينَ رِيَاحَ كُلِّ هُبُوبَةٍ بَيْنَ ٱلنَّخِيلِ بِغُرْفَةٍ فَيْحَاءِ
فَقَعَدْتُ ثُمَّ دَعَوْتُ لِي بِمُبَذْرِقٍ مُتَشَمِّرًا يَسْعَى بِغَيْرِ رِدَاءِ
قَدْ لَفَّ كُمَّيْهِ عَلَى عَضَلَاتِهِ قَلِصِ ٱلْقَمِيصِ مُشَمِّرٍ سَعَّاءِ
فَأَتَى بِخُبْزٍ كَٱلْمَلَاءِ مُنَقَّطٍ فَبَنَاهُ فَوْقَ أَخَوَاتِ ٱلسِّيرَاءِ
حَتَّى مَلَاهَا ثُمَّ تَرْجَمَ عِنْدَهَا بِٱلْفَارِسِيَّةِ دَاعِيًا بِوِجَاءِ
فَإِذَا ٱلْقِصَاعُ مِنَ ٱلْخَلَنْجِ لَدَيْهِمِ تَبْدُو جَوَانِبُهَا مَعَ ٱلْوُصَفَاءِ
إِرْفَعْ وَضَعْ وَهُنَا وَهَاكَ وَهٰهُنَا قَصْفُ ٱلْمُلُوكِ وَنَهْمَةُ ٱلْفُقَرَاءِ
يَأْتُونَ ثُمَّ يَلُونَ كُلَّ طَرِيفَةٍ قَدْ حَاقَتَهُ مَوَائِدُ ٱلْخُلَفَاءِ
مِنْ كُلِّ ذِي قَرْنٍ وَجَدْيٍ رَاضِعٍ وَدَجَاجَةٍ مَرْبُوبَةٍ عَشْوَاءِ
وَثَرِيدَةٍ مَلْمُومَةٍ قَدْ صُفِّقَتْ مِنْ فَوْقِهَا بِأَطَايِبِ ٱلْأَعْضَاءِ
هٰذَا ٱلثَّرِيدُ وَمَا سِوَاهُ تَعَلُّلٌ ذَهَبَ ٱلثَّرِيدُ بِنَهْمَتِي وَهَوَائِي
وَلَقَدْ كَافَتْ بِنَعْتِ جَدْيٍ رَاضِعٍ قَدْ صُنْتُهُ شَهْرَيْنِ بَيْنَ رُعَاءِ
قَدْ نَالَ مِنْ لَبَنٍ كَثِيرٍ طَيِّبٍ حَتَّى تَفَتَّقَ مِنْ رِضَاعِ ٱلشَّاءِ
مِنْ كُلِّ أَحْمَرَ لَا يَقُرُّ إِذَا ٱرْتَوَى مِنْ بَيْنِ رَقْصٍ دَائِمٍ وَثُغَاءِ
مُتَعَكِّنِ ٱلْجَنْبَيْنِ صَافٍ لَوْنُهُ عَبِلِ ٱلْقَوَائِمِ مِنْ غِذَاءِ رَخَاءِ

فَإِذَا مَرِضْتُ فَدَاوِنِي بِلُحُومِهَا إِنِّي وَجَدْتُ لُحُومَهُنَّ دَوَائِي
وَدَعِ الطَّبِيبَ وَلَا تَثِقْ بِدَوَائِهِ مَا خَالَقَتْكَ رَوَاضِعُ الْأَجْدَاءِ
إِنَّ الطَّبِيبَ إِذَا حَبَاكَ بِشَرْبَةٍ تَرَكَتْكَ بَيْنَ مَخَافَةٍ وَرَجَاءِ
وَإِذَا تَنَطَّعَ فِي دَوَاءِ صَدِيقِهِ لَمْ يَعْدُ مَا فِي جَوْنَةِ الرَّقَّاءِ
نَعَتَ الطَّبِيبُ هَيْلَجًا وَبَلِيلَجًا وَنَعَتُّ غَيْرَهُمَا مِنَ الْأَدْوَاءِ
رُطَبَ الْمَشَانِ مُجَزَّعًا يُؤْتَى بِهِ وَالرَّازِقِيُّ فَمَا هُمَا بِسَوَاءِ
وَضَآنِيًا زُرْقًا كَأَنَّ بُطُونَهَا قِطَعُ الثُّلُوجِ نَقِيَّةَ الْأَمْعَاءِ

محمد بن بشير والشاة

١٣٢ كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ مِنْ شُعَرَاءِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ وَأُدَبَائِهِمْ وَهُوَ مِنْ خَثْعَمٍ وَكَانَ مِنْ بُخَلَاءِ النَّاسِ. وَكَانَ لَهُ فِي دَارِهِ بُسْتَانٌ قَدْرُهُ أَرْبَعُ طَوَابِيقَ قَلَعَهَا مِنْ دَارِهِ فَغَرَسَ فِيهِ أَصْلَ رُمَّانٍ وَفَسِيلَةً لَطِيفَةً وَزَرَعَ حَوَالَيْهِ بَقْلًا. فَأَفْلَتَتْ شَاةٌ لِمَنِيعٍ جَارٍ لَهُ. فَأَكَلَتِ الْبَقْلَ وَمَضَغَتِ الْخُوصَ وَدَخَلَتْ إِلَى بَيْتِهِ فَلَمْ تَجِدْ فِيهِ إِلَّا الْقَرَاطِيسَ فِيهَا شِعْرُهُ وَأَشْيَاءُ مِنْ سَمَاعَاتِهِ فَأَكَلَتْهَا. وَخَرَجَتْ فَعَدَا إِلَى الْجِيرَانِ فِي الْمَسْجِدِ يَشْكُو مَا جَرَى عَلَيْهِ وَعَادَ فَزَرَعَ الْبُسْتَانَ. وَقَالَ يَصِفُهُ وَيَهْجُو شَاةَ مَنِيعٍ:

لِي بُسْتَانٌ أَنِيقٌ زَاهِرٌ نَاضِرُ الْخُضْرَةِ رَيَّانُ تَرِفْ
رَاسِخُ الْأَعْرَاقِ رَيَّانُ الثَّرَى غَدِقٌ تُرْبَتُهُ لَيْسَتْ تَجِفْ
مُشْرِقُ الْأَنْوَارِ مِيَادُ النَّدَى مُنْثَنٍ فِي كُلِّ رِيحٍ مُنْعَطِفْ
تَمْلِكُ الرِّيحُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ فَإِذَا لَمْ يُؤْنِسِ الرِّيحُ وَقَفْ

يَكْتَسِي فِي الشَّرْقِ ثَوْبَيْ يُمْنِهِ وَمَعَ اللَّيْلِ عَلَيْهَا يَلْتَحِفْ
يَنْطَوِي اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَإِذَا وَاجَهَ الشَّرْقَ تَجَلَّى وَانْكَشَفْ
صَابِرٌ لَيْسَ يُبَالِي كَثْرَةً حُزَّ بِالْمِنْجَلِ أَوْ مِنْهُ نُتِفْ
لَا تَرَى لِلْكَفِّ فِيهِ أَثَرًا فِيهِ بَلْ يَنْمِي عَلَى مَسِّ الْأَكُفْ
فَتَرَى الْأَطْبَاقَ لَا تُمْهِلُهُ صَادِرَاتٍ وَارِدَاتٍ تَخْتَلِفْ
فِيهِ لِلْخَارِفِ مِنْ جِيرَانِهِ كُلُّ مَا احْتَاجَ إِلَيْهِ مُخْتَرَفْ
أُقْحُوَانٌ وَبَهَارٌ مُؤْنِقٌ وَسِوَى ذَلِكَ مِنْ كُلِّ الطُّرَفْ
وَهُوَ زَهْرٌ لِلنُّدَامَى أُصُلًا يُرْضِي قَاطِفَهُمْ مِمَّا قُطِفْ
وَهُوَ فِي الْأَيْدِي يُحَيُّونَ بِهِ وَعَلَى الْآنَافِ طَوْدًا يَسْتَشِفْ
أَعْفِهِ يَا رَبِّ مِنْ وَاحِدَةٍ ثُمَّ لَا أَحْفِلُ أَنْوَاعَ التَّلَفْ
إِكْفِهِ شَاةَ مَنِيعٍ وَحْدَهَا يَوْمَ لَا يُصْبِحُ فِي الْبَيْتِ عَلَفْ
إِكْفِهِ ذَاتَ سُعَالٍ شَهْلَةً مُتْعَتْ فِي شَرِّ عَيْشٍ بِالْخُرَفْ
إِكْفِهِ يَا رَبِّ وَفْصَاءَ الطُّلَى أَلْحِمِ الْكَتْفَيْنِ مِنْهَا بِالْكَتِفْ
وَغَدَا الصِّبْيَةُ مِنْ جِيرَانِهَا لِيَجُرُّوهَا إِلَى مَأْوَى الْجَيِفْ
فَتَرَاهَا بَيْنَهُمْ مَسْحُوبَةً تَجْرُفُ التُّرْبَ بِجَنْبٍ مُنْحَرِفْ
فَإِذَا صَارُوا إِلَى الْمَأْوَى بِهَا أَعْمَلُوا الْآجَرَّ فِيهَا وَالْخَزَفْ
ثُمَّ قَالُوا ذَا جَزَاءٌ لِلَّذِي تَأْكُلُ الْبُسْتَانَ مِنَّا وَالصُّحُفْ
لَا تَلُومُونِي فَلَوْ أَبْصَرْتُ ذَا كُلَّهُ فِيهَا إِذَنْ لَمْ أَنْتَصِفْ

أَلْبَابُ الثَّامِنُ
فِي الْمَدِيحِ

١٣٣ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ يَمْدَحُ أَبَا سَعِيدٍ :

أَبَا سَعِيدٍ وَمَا وَصْفِي بِمُتَّهَمٍ ... عَلَى الْمَعَالِي وَمَا شُكْرِي بِمُجْتَرِمِ
لَئِنْ جَحَدْتُكَ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ ... إِنِّي لَفِي اللُّؤْمِ أَحْظَى مِنْكَ فِي الْكَرَمِ
أَمْسَى ابْتِسَامُكَ وَالْأَلْوَانُ كَاسِفَةٌ ... تَبَسُّمَ الصُّبْحِ فِي دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ
كَذَا أَخُوكَ النَّدَى لَوْ أَنَّهُ بَشَرٌ ... لَمْ يُلْفَ طَرْفَةَ عَيْنٍ غَيْرَ مُبْتَسِمِ
رَدَدْتَ رَوْنَقَ وَجْهِي فِي صَحِيفَتِهِ ... رَدَّ الصِّقَالِ بَهَاءَ الصَّارِمِ الْخَذِمِ
وَمَا أُبَالِي وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ ... حَقَنْتَ لِي مَاءَ وَجْهِي أَوْ حَقَنْتَ دَمِي

قصيدة خلف بن خليفة مولى قيس بن ثعلبة في قومه

عَدَلْتُ إِلَى فَخْرِ الْعَشِيرَةِ وَالْهَوَى ... إِلَيْهِمْ وَفِي تَعْدَادِ مَجْدِهِمِ شُغْلُ
إِلَى هَضْبَةٍ مِنْ آلِ شَيْبَانَ أَشْرَفَتْ ... لَهَا الذِّرْوَةُ الْعُلْيَاءُ وَالْكَاهِلُ الْعَبْلُ
إِلَى النَّفَرِ الْبِيضِ الْأُلَاءِ كَأَنَّهُمْ ... صَفَائِحُ يَوْمَ الرَّوْعِ أَخْلَصَهَا الصَّقْلُ
إِلَى مَعْدِنِ الْعِزِّ الْمُؤَيَّدِ وَالنَّدَى ... هُنَاكَ هُنَاكَ الْفَضْلُ وَالْخُلُقُ الْجَزْلُ
أُحِبُّ بَقَاءَ الْقَوْمِ لِلنَّاسِ إِنَّهُمْ ... مَتَى يَظْعَنُوا مِنْ مِصْرِهِمْ سَاعَةً يَحْلُوا
عِذَابٌ عَلَى الْأَفْوَاهِ مَا لَمْ يَذُقْهُمُ ... عَدُوٌّ وَبِالْأَفْوَاهِ أَسْمَاؤُهُمْ تَحْلُو
عَلَيْهِمْ وَقَارُ الْحِلْمِ حَتَّى كَأَنَّمَا ... وَلِيدُهُمُ مِنْ أَجْلِ هَيْبَتِهِ كَهْلُ
إِذَا اسْتُجْهِلُوا لَمْ يَغْرُبِ الْحِلْمُ عَنْهُمُ ... وَإِنْ آثَرُوا أَنْ يَجْهَلُوا عَظُمَ الْجَهْلُ

هُمُ الْجَبَلُ الْأَعْلَى إِذَا مَا تَنَاكَرَتْ ... مُلُوكُ الرِّجَالِ أَوْ تَخَاطَرَتِ الْبُزْلُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْقَتْلَ غَالٍ إِذَا رَضُوا ... وَإِنْ غَضِبُوا فِي مَوْطِنٍ رَخُصَ الْقَتْلُ
لَنَا فِيهِمِ حِصْنٌ حَصِينٌ وَمَعْقِلٌ ... إِذَا حَرَّكَ النَّاسَ الْمَخَاوِفُ وَالْأَزْلُ
لَعَمْرِي لَنِعْمَ الْحَيُّ يُدْعُو صَرِيخُهُمْ ... إِذَا الْجَارُ وَالْمَأْكُولُ أَرْهَقَهُ الْأَكْلُ
سُعَاةٌ عَلَى أَفْنَاءِ بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ ... وَتَبْلُ أَقَاصِي قَوْمِهِمْ لَهُمُ تَبْلُ
إِذَا طَلَبُوا ذَحْلًا فَلَا الذَّحْلُ فَائِتٌ ... وَإِنْ ظَلَمُوا أَكْفَاءَهُمْ بَطَلَ الذَّحْلُ
مَوَاعِيدُهُمْ فِعْلٌ إِذَا مَا تَكَلَّمُوا ... بِتِلْكَ الَّتِي إِنْ سُمِّيَتْ وَجَبَ الْفِعْلُ
بُحُورٌ تُلَاقِيهَا بُحُورٌ غَزِيرَةٌ ... إِذَا زَخَرَتْ قَيْسٌ وَإِخْوَتُهَا ذُهْلُ

١٣٤ قصيدة محمد بن هانئ في جعفر بن عليّ بن غلبون

فُتِقَتْ لَكُمْ رِيحُ الْجِلَادِ بِعَنْبَرٍ ... وَأَمَدَّكُمْ فَاقُ الصَّبَاحِ الْمُسْفِرِ
وَجَنَيْتُمُ ثَمَرَ الْوَقَائِعِ يَانِعًا ... بِالنَّصْرِ مِنْ وَرَقِ الْحَدِيدِ الْأَخْضَرِ
وَضَرَبْتُمُ هَامَ الْكُمَاةِ وَرُعْتُمُ ... بِيضَ الْخُدُورِ بِكُلِّ لَيْثٍ مُخْدِرِ
أَبْنِي الْعَوَالِي السُّمْهُرِيَّةِ وَالسُّيُو ... فِ الْمُشْرَفِيَّةِ وَالْعَدِيدِ الْأَكْثَرِ
مَنْ مِنْكُمُ الْمَلِكُ الْمُطَاعُ كَأَنَّهُ ... تَحْتَ السَّوَابِغِ تُبَّعٌ فِي حِمْيَرِ
أَلْقَائِدُ الْخَيْلَ الْعِتَاقَ شَوَازِبًا ... خُزْرًا إِلَى لَحْظِ السِّنَانِ الْأَخْزَرِ
شُعْثُ النَّوَاصِي حَشْرَةً آذَانُهَا ... قُبُّ الْأَيَاطِلِ دَامِيَاتُ الْأَنْسُرِ
تَلْبُو سَنَابِكُهُنَّ عَنْ عَفَرِ الثَّرَى ... فِيطَانُ فِي خَدِّ الْعَزِيزِ الْأَصْعَرِ
فِي فِتْيَةٍ صَدَأُ الدُّرُوعِ عَبِيرُهُمْ ... وَخُلُوقُهُمْ عَاقُ النَّجِيعِ الْأَحْمَرِ
لَا يَأْكُلُ السِّرْحَانُ شِلْوَ طَعِينِهِمْ ... مِمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْقَنَا الْمُتَكَسِّرِ

أَنِسُوا بِهِجْرَانِ الْأَنِيسِ كَأَنَّهُمْ ... فِي عَبْقَرِيِّ الْبِيدِ جِنَّةُ عَبْقَرِ
وَمَشَوْا عَلَى قِطَعِ النُّفُوسِ كَأَنَّمَا ... تَمْشِي سَنَابِكُ خَيْلِهِمْ فِي مَرْمَرِ
قَوْمٌ يَبِيتُ عَلَى الْحَشَايَا غَيْرُهُمْ ... وَمَبِيتُهُمْ فَوْقَ الْجِيَادِ الضُّمَّرِ
وَتَظَلُّ تَسْبَحُ فِي الدِّمَاءِ قِبَابُهُمْ ... فَكَأَنَّهُنَّ سَفَائِنٌ فِي أَبْحُرِ
فَحِيَاضُهُمْ مِنْ كُلِّ مُهْجَةِ ضَالِعٍ ... وَخِيَامُهُمْ مِنْ كُلِّ لِبْدَةِ قَسْوَرِ
وَكَفَاكَ مِنْ حُبِّ السَّمَاحَةِ أَنَّهَا ... مِنْهُمْ بِمَوْضِعِ مُقْلَةٍ مِنْ مُحْجِرِ

١٣٥ قصيدة المتنبي في شجاع بن محمد الطائي المنجبي

إِلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ ... شُجَاعَ الَّذِي لِلَّهِ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ
إِلَى الثَّمَرِ الْحُلْوِ الَّذِي طَيِّئٌ لَهُ ... فُرُوعٌ وَقَحْطَانُ بْنُ هُودٍ لَهَا أَصْلُ
إِلَى الْقَابِضِ الْأَرْوَاحِ وَالضَّيْغَمِ الَّذِي ... تَحَدَّثُ عَنْ وَقْفَاتِهِ الْخَيْلُ وَالرَّجْلُ
إِلَى رَبِّ مَالٍ كُلَّمَا شَتَّ شَمْلُهُ ... تَجَمَّعَ فِي تَشْتِيتِهِ لِلْعُلَى شَمْلُ
هُمَامٌ إِذَا مَا فَارَقَ الْغِمْدَ سَيْفُهُ ... وَعَايَنَتْهُ لَمْ تَدْرِ أَيُّهُمَا النَّصْلُ
رَأَيْتَ ابْنَ أُمِّ الْمَوْتِ لَوْ أَنَّ بَأْسَهُ ... فَشَا بَيْنَ أَهْلِ الْأَرْضِ لَانْقَطَعَ النَّسْلُ
عَلَى سَابِحٍ مَوْجُ الْمَنَايَا بِنَحْرِهِ ... غَدَاةَ كَأَنَّ النَّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَبْلُ
وَكَمْ عَيْنِ قِرْنٍ حَدَّقَتْ لِنِزَالِهِ ... فَلَمْ تُغْضِ إِلَّا وَالسِّنَانُ لَهَا كَحْلُ
إِذَا قِيلَ رِفْقًا قَالَ لِلْحِلْمِ مَوْضِعٌ ... وَحِلْمُ الْفَتَى فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ جَهْلُ
وَلَوْلَا تَوَلِّي نَفْسِهِ حَمْلَ حِلْمِهِ ... عَنِ الْأَرْضِ لَانْهَدَّتْ وَنَاءَ بِهَا الْحَمْلُ
تَبَاعَدَتِ الْآمَالُ عَنْ كُلِّ مَقْصِدٍ ... وَضَاقَتْ بِهَا إِلَّا إِلَى بَابِهِ السُّبْلُ
وَنَادَى النَّدَى بِالنَّائِمِينَ عَنِ السُّرَى ... فَأَسْمَعَهُمْ هُبُّوا فَقَدْ هَلَكَ الْبُخْلُ

وَحَالَتْ عَطَايَا كَفِّهِ دُونَ وَعْدِهِ ... فَلَيْسَ لَهُ إِنْجَازُ وَعْدٍ وَلَا مَطْلُ
فَأَقْرَبُ مِنْ تَحْدِيدِهَا رَدُّ فَائِتٍ ... وَأَيْسَرُ مِنْ إِحْصَائِهَا الْقَطْرُ وَالرَّمْلُ
وَمَا تَنْقُمُ الْأَيَّامُ مِمَّنْ وُجُوهُهَا ... لِأَخْمَصِهِ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ نَعْلُ
وَمَا عَزَّهُ فِيهَا مُرَادٌ أَرَادَهُ ... وَإِنْ عَزَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُ
كَفَى ثُعَلًا فَخْرًا بِأَنَّكَ مِنْهُمُ ... وَدَهْرٌ لِأَنْ أَمْسَيْتَ مِنْ أَهْلِهِ أَهْلُ
وَوَيْلٌ لِنَفْسٍ حَاوَلَتْ مِنْكَ غِرَّةً ... وَطُوبَى لِعَيْنٍ سَاعَةً مِنْكَ لَا تَخْلُو
فَمَا بِفَقِيرٍ شَامَ بَرْقَكَ فَاقَةٌ ... وَلَا فِي بِلَادٍ أَنْتَ صَيِّبُهَا مَحْلُ

١٣٦ جمالية ابن نباتة في ابن الشهاب محمود

كَمْ مِنْ جَمَالٍ عِنْدَهُ ضُرُّ الْفَتَى ... وَلَكَمْ جَمَالٍ عِنْدَهُ السَّرَّاءُ
كَجَمَالِ دِينِ اللهِ وَابْنِ شِهَابِهِ ... لَا الظُّلْمُ حَيْثُ يُرَى وَلَا الظَّلْمَاءُ
أَلْمَاجِدُ الرَّاقِي مَرَاتِبَ سُؤْدُدٍ ... قَدْ رُصِّعَتْ بِجِوَارِهِ الْجَوْزَاءُ
ذَاكَ الَّذِي أَمْسَى السُّهَى جَارًا لَهُ ... لَكِنَّ حَاسِدَ مَجْدِهِ الْعَوَّاءُ
عَمَّتْ مَكَارِمُهُ وَسَارَ حَدِيثُهُ ... فَبِكُلِّ أَرْضٍ نِعْمَةٌ وَثَنَاءُ
وَسَعَتْ يَرَاعَتُهُ بِأَرْزَاقِ الْوَرَى ... فَكَأَنَّهَا قُلْبٌ وَتِلْكَ رِشَاءُ
وَحَمَى الْعَوَاصِمَ رَأْيُهُ وَلَطَالَمَا ... قَعَدَ الْحُسَامُ وَقَامَتِ الْآرَاءُ
عَجَبًا لِنَارِ ذُكَائِهِ مَشْبُوبَةً ... وَبِظِلِّهِ تَتَفَيَّأُ الْأَفْيَاءُ
غَنَّى الْيَرَاعُ بِهِ وَأَزْهَرَ طِرْسُهُ ... وَكَذَا تَكُونُ الرَّوْضَةُ الْغَنَّاءُ
يَا رَاكِبَ الْعَزَمَاتِ غَايَاتُ الْمُنَى ... مَنْنَى شِهَابِ الدِّينِ وَالشُّهَبَاءُ
ذِي الْمَجْدِ لَا فِي سَاعِدَيْهِ عَنِ الْعُلَا ... قِصَرٌ وَلَا فِي عَزْمِهِ إِعْيَاءُ

وَالْعَدْلُ يَرْدَعُ قَادِرًا عَنْ عَاجِزٍ ... فَالذِّئْبُ هَاجِعَةٌ لَدَيْهِ الشَّاءُ
وَالْحِلْمُ يَرْوِي جَابِرٌ عَنْ فَضْلِهِ ... وَالْفَضْلُ يَرْوِي عَنْ يَدَيْهِ عَطَاءُ
يَا أَكْمَلَ الرُّؤَسَاءِ لَا مُسْتَثْنِيًا ... أَحَدًا إِذَا مَا عُدَّتِ الرُّؤَسَاءُ
يَا مَنْ مَلِلْتُ مِنَ الْمَعَادِ لَهُ وَمَا ... مَلَّتْ لَدَيَّ مَعَادَهَا النُّعَمَاءُ
إِنْ لَمْ يَقُمْ بِحُقُوقِ مَا أَوْلَيْتَنِي ... مَدْحِي فَأَرْجُو أَنْ يَقُومَ دُعَاءُ
شَهِدَتْ مَعَالِيكَ الرَّفِيعَةُ وَالنَّدَى ... أَنَّ الْوَرَى أَرْضٌ وَأَنْتَ سَمَاءُ

١٣٧ من قصيدة ابن مطروح في الوزير عماد الدين

وَهَبَّتْ عَلَيْنَا نَفْحَةٌ عَنْبَرِيَّةٌ ... كَعَرْفِ عِمَادِ الدِّينِ حِينَ تُقَابِلُهْ
فَقُمْتُ مِنَ الْإِجْلَالِ أُنْشِدُ مَدْحَهُ ... وَقَدْ سَبَقَتْنِي قَبْلَ ذَاكَ فَوَاضِلُهْ
تَكَافَأَ فِي الْإِحْسَانِ شِعْرِي وَمَدْحُهُ ... وَلَكِنْ بِخَصْلِ السَّبْقِ فَازَتْ أَنَامِلُهْ
وَمَا كُنْتُ إِلَّا الرَّوْضَ بَاكَرَهُ الْحَيَا ... فَأَيْنَعَ ذَاوِيهِ وَرَقَّتْ خَمَائِلُهْ
وَضَاعَ شَذَا أَزْهَارِهِ وَتَدَفَّقَتْ ... بِمَدْحِكَ مِنْ هٰذَا الثَّنَاءِ جَدَاوِلُهْ
تَخَافُ عِدَاهُ مِنْ تَوَقُّدِ عَزْمِهِ ... وَتَأْمَنُ إِذْ يَطْفُو وَيَطْفَحُ نَائِلُهْ
يُبَشِّرُ مِنْهُ الْبِشْرُ رَاجِي نَوَالِهِ ... كَذَا الْغَيْثُ لَا تَخْفَى عَلَيْنَا مَخَايِلُهْ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْبَرْقَ يَبْدُو أَمَامَهُ ... وَتَتْبَعُهُ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ هَوَاطِلُهْ
لَمْ أَرَ غَيْثًا مِثْلَ غَيْثِ سَمَاحَةٍ ... تَيَمَّمَ مِصْرًا مِنْ ذُرَى الشَّرْقِ وَابِلُهْ
كَفَى وَالِدًا مِنْ حَمْلِ هَمٍّ لِوُلْدِهِ ... فَكُلُّ الْوَرَى أَيْتَامُهُ وَأَرَامِلُهْ
عَلَى مَهْلٍ يَا مَنْ يُحَاوِلُ مَجْدَهُ ... فَبَيْنَ الثُّرَيَّا وَالسِّمَاكِ مَنَازِلُهْ
كَرِيمٌ لَهُ بَيْتٌ كَرِيمٌ تَقَاسَمَتْ ... أَوَاخِرُهُ إِرْثَ الْعُلَى وَأَوَائِلُهْ

لَهُ شِيَمٌ لَوْ أَنَّ فِي الدَّهْرِ بَعْضَهَا ... لَمَا غَالَتِ الْحُرَّ الْكَرِيمَ غَوَائِلُهْ
يَلِيغُ إِذَا مَا أَوْرَدَ اللَّفْظَ خِلْتَهُ ... عَنِ الْوَحْيِ يُمْلِينَا الَّذِي هُوَ قَائِلُهْ
تَحَلَّى بِهِ الدَّهْرُ الَّذِي كَانَ عَاطِلًا ... فَأَضْحَى مَلِيًّا بِالنَّبَاهَةِ خَامِلُهْ
وَأُثْنِي عَلَيْهِ لَيْلُهُ وَنَهَارُهُ ... وَطَابَتْ بِهِ أَسْحَارُهُ وَأَصَائِلُهْ
وَإِنِّي وَإِنْ أَتْحَفْتُهُ بِمَدَائِحٍ ... هِيَ السِّحْرُ إِلَّا أَنَّ فِكْرِي بَابِلُهْ
فَمَا تَعِبَتْ لِي فِكْرَةٌ فِي مَدِيحِهِ ... لِأَنِّي رَاوِي الْفَضْلِ عَنْهُ وَنَاقِلُهْ
فَلَا حَمْدَ لِي فِيمَا أَقُولُ وَإِنَّمَا ... كَتَبْتُ الَّذِي أَمْلَتْ عَلَيَّ فَضَائِلُهْ
عَفَافٌ وَإِقْدَامٌ وَحَزْمٌ وَنَائِلٌ ... أَلَا فِي سَبِيلِ الْمَجْدِ مَا أَنْتَ فَاعِلُهْ
إِذَا سَارَ فَوْقَ الرَّاسِيَاتِ تَزَعْزَعَتْ ... وَصَدَّعَتِ السَّبْعَ الشِّدَادَ صَوَاهِلُهْ
وَرُبَّ خَمِيسٍ طَبَّقَ السَّهْلَ وَالرُّبَى ... وَزَاحَمَتِ الْجَوْزَاءَ مِنْهُ عَوَامِلُهْ
بِكُمْ يَا بَنِي شَيْخِ الشُّيُوخِ تَأَيَّدَتْ ... قَوَاعِدُ هٰذَا الدِّينِ وَاشْتَدَّ كَاهِلُهْ
وَقَدْ عَلِمَ السُّلْطَانُ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ ... بِأَنَّكَ كَافِيهِ وَأَنَّكَ كَافِلُهْ
وَأَخْلِقْ بِمَلْكٍ أَنْتَ حَارِسُ سَرْحِهِ ... وَحَامِي حِمَاهُ أَنْ تُصَانَ مَعَاقِلُهْ

١٣٨ قصيدة ابن الحسن القاضي في الوزير الحسن بن اضحى

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ مَضْمُونٌ لَكَ الظَّفَرُ ... أَبْشِرْ فَمِنْ جُنْدِكَ التَّأْيِيدُ وَالْقَدَرُ
وَأَبْ لَنَا سَالِمًا وَالسَّعْدُ مُقْتَبِلٌ ... وَالدِّينُ مُنْتَظِمٌ وَالْكُفْرُ مُنْتَثِرُ
وَقَدْ طَلَعْتَ عَلَى الْبَيْضَاءِ مِنْ كَثَبٍ ... كَمَا تَطَلَّعَ فِي جُنْحِ الدُّجَى الْقَمَرُ
حَلَلْتَ فِي أَرْضِهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبٍ ... كَمَا يَحِلُّ بِهَا فِي الْأَزْمَةِ الْمَطَرُ
وَحَوْلَكَ الصِّيدُ مِنْ لَمْتُونَةٍ وَهُمُ ... أَبْطَالُ يَوْمِ الْوَغَى وَالْأَنْجُمُ الزُّهُرُ

وَالْعُرْبُ تَرْفُلُ فَوْقَ الْغَرْبِ سَابِحَةً ... كَالْأُسْدِ لَيْسَ لَهَا إِلَّا الْقَنَا ظُفُرُ

مِنْ كُلِّ أَرْوَعَ وَضَّاحٍ عِمَامَتُهُ ... كَالْبَدْرِ نَحْوَ لِقَاءِ الْجَيْشِ يَبْتَدِرُ

شِعَارُهُ الْبِرُّ وَالتَّقْوَى وَمُؤْنِسُهُ ... فِي لَيْلِهِ رُمْحُهُ وَالصَّارِمُ الذَّكَرُ

ذُؤَابَةُ الْمَجْدِ مِنْ قَحْطَانَ كُلُّهُمُ ... أَبُوهُمُ حِمْيَرٌ ذُو الْمَجْدِ أَوْ مُضَرُ

وَمِنْ زَنَاتَةَ أَبْطَالٌ غَطَارِفَةٌ ... ذَوُوا تَجَارِبَ فِي يَوْمِ الْوَغَى صُبُرُ

وَلَمْطَةٍ وَهُمُ أَهْلُ الطِّعَانِ لَدَى الْـ ... ـهَيْجَاءِ فِي زُمَرٍ تَقْتَادُهَا زُمَرُ

كَأَنَّهُمْ فِي جَبِينِ الْمَجْدِ إِذْ رَكِبُوا ... مُصَمِّمِينَ إِلَى أَعْدَائِهِمْ غُرَرُ

١٣٩ وقعت حربٌ بالجزيرة بين بني تغلب فتولى الإصلاح بينهم الفتح بن خاقان فقال البحتري فيما تعلّق بعضهُ بذكر الهيبة :

بَنِي تَغْلِبٍ أَعْزِزْ عَلَيَّ بِأَنْ أَرَى ... دِيَارَكُمُ أَمْسَتْ وَلَيْسَ لَهَا أَهْلُ

خَلَتْ دِمْنَةٌ مِنْ سَاكِنِيهَا وَأَوْحَشَتْ ... مَرَابِعُ مِنْ سِنْجَارَ يَهْمِي بِهَا الْوَبْلُ

إِذَا مَا الْتَقَوْا يَوْمَ الْهِيَاجِ تَحَاجَزُوا ... وَلِلْمَوْتِ فِيمَا بَيْنَهُمْ قِسْمَةٌ عَدْلُ

كَفِيٌّ مِنَ الْأَحْيَاءِ لَاقَى كَفِيَّهُ ... وَمِثْلٌ مِنَ الْأَقْوَامِ رَاجَعَهُ مِثْلُ

إِذَا مَا أَخُو جَرِّ الرِّمَاحِ انْتَهَى لَهُ ... أَخٌ لَا بَلِيدٌ فِي الطِّعَانِ وَلَا وَغْلُ

تَحُوطُهُمُ الْبِيضُ الرِّقَاقُ وَصُمَّرٌ ... عِتَاقٌ وَأَحْسَابٌ بِهَا يُدْرَكُ التَّبَلُ

بِطَعْنٍ يَكُبُّ الدَّارِعِينَ دِرَاكُهُ ... وَضَرْبٍ كَمَا تَرْغُو الْمَخَزَّمَةُ الْبُزْلُ

تَجَافَى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَنِ الَّتِي ... عَلِمْتُمْ وَلِلْجَانِينَ فِي مِثْلِهَا النِّكْلُ

وَكَانَتْ يَدُ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ عِنْدَكُمْ ... يَدَ الْغَيْثِ عِنْدَ الْأَرْضِ أَجْدَبَهَا الْمَحْلُ

وَلَوْلَاهُ طُلَّتْ بِالْعُقُوقِ دِمَاؤُكُمْ ... فَلَا فَوْدٌ يُعْطَى الْأَذَلَّ وَلَا عَقْلُ

تَلَافَيْتَ يَا فَتْحَ الْأَرَاقِمَ بَعْدَ مَا ... سَقَاهُمْ بِأَوْحَى سُمِّهِ الْأَرْقَمُ الصِّلُّ

وَهَبْتَ لَهُمْ بِالسِّلْمِ بَاقِيَ نُفُوسِهِمْ ... وَقَدْ أَشْرَفُوا أَنْ يَسْتَبِيحَهُمُ الْقَتْلُ

أَتَاكَ وُفُودُ الشُّكْرِ يُثْنُونَ بِالَّذِي ... تَقَدَّمَ مِنْ نُعْمَاكَ عِنْدَهُمُ قَبْلُ

فَلَمْ أَرَ يَوْمًا كَانَ أَكْثَرَ سُؤْدُدًا ... مِنَ الْيَوْمِ ضَمَّتْهُمْ إِلَى بَابِكَ السُّبْلُ

تَرَاءَوْكَ مِنْ أَقْصَى السِّمَاطِ فَقَصَّرُوا ... خُطَاهُمْ وَقَدْ جَازُوا السُّتُورَ وَهُمْ عَجْلُ

وَلَمَّا قَضَوْا صَدْرَ السَّلَامِ تَهَافَتُوا ... عَلَى يَدِ بَسَّامٍ سَجِيَّتُهُ الْبَذْلُ

إِذَا شَرَعُوا فِي خُطْبَةٍ قَطَّعَتْهُمُ ... جَلَالَةُ طَلْقِ الْوَجْهِ جَانِبُهُ سَهْلُ

إِذَا نَكَسُوا أَبْصَارَهُمْ مِنْ مَهَابَةٍ ... وَمَالُوا بِلَحْظٍ خِلْتَ أَنَّهُمُ قُبْلُ

نَصَبْتَ لَهُمْ طَرْفًا حَدِيدًا وَمَنْطِقًا ... سَدِيدًا وَرَأْيًا مِثْلَ مَا انْتَضِيَ النَّصْلُ

وَسَلَّ سَخِيمَاتِ الصُّدُورِ فَعَالُكَ الْـ ... ـكَرِيمُ وَأَبْرَى غُلَّهَا قَوْلُكَ الْفَصْلُ

بِكَ الْتَأَمَ الشَّعْبُ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ ... عَلَى حِينِ بُعْدٍ مِنْهُ وَاجْتَمَعَ الشَّمْلُ

فَمَا بَرِحُوا حَتَّى تَعَاطَتْ أَكُفُّهُمْ ... قِرَاكَ فَلَا ضَغْنٌ لَدَيْهِمْ وَلَا ذَحْلُ

وَجَرُّوا بُرُودَ الْعَصْبِ تَضْفُو ذُيُولُهَا ... عَطَاءَ كَرِيمٍ مَا تَكَاءَدَهُ بُخْلُ

وَمَا عَمَّهُمْ عَمْرُو بْنُ غُنْمٍ بِنِسْبَةٍ ... كَمَا عَمَّهُمْ بِالْأَمْسِ نَائِلُكَ الْجَزْلُ

فَهُمَّا رَأَوْا مِنْ غِبْطَةٍ فِي اصْطِلَاحِهِمْ ... فَمِنْكَ بِهَا النُّعْمَى جَرَتْ وَلَكَ الْفَضْلُ

١٤٠ من قصيدة لابرهيم بن العباس في الفضل بن سهل

يَمْضِي الْأُمُورَ عَلَى بَدِيهَتِهِ ... وَتُرِيهِ فِكْرَتُهُ عَوَاقِبَهَا

فَيَظَلُّ يُصْدِرُهَا وَيُورِدُهَا ... فَيَعُمُّ حَاضِرَهَا وَغَائِبَهَا

وَإِذَا أَلَمَّتْ صَعْبَةٌ عَظُمَتْ ... فِيهَا الرَّزِيَّةُ كَانَ صَاحِبَهَا

أَلْمُسْتَقِلُّ بِهَا وَقَدْ رَسَبَتْ وَلَوَتْ عَلَى ٱلْأَيَّامِ جَانِبَهَا
وَعَدَلْتَهَا بِٱلْحَقِّ فَٱعْتَدَلَتْ وَوَسِعْتَ رَاغِبَهَا وَرَاهِبَهَا
وَإِذَا ٱلْحُرُوبُ بَدَتْ بَعَثْتَ لَهَا رَأْيًا تَفُلُّ بِهَا كَتَائِبَهَا
رَأْيًا إِذَا نَبَتِ ٱلسُّيُوفُ مَضَى عَزْمٌ بِهَا فَشَفَى مَضَارِبَهَا
وَإِذَا ٱلْخُطُوبُ تَأَثَّلَتْ وَرَسَتْ هَدَّتْ فَوَاضِلُهُ نَوَائِبَهَا
وَإِذَا جَرَتْ بِضَمِيرِهِ يَدُهُ أَبَدَتْ بِهِ ٱلدُّنْيَا مَنَاقِبَهَا

١٤١ قصيدة ابي محمّد عبد الله بن ايوب التيمي في عمرو بن مسعدة

غَرِيبٌ يَحِنُّ لِأَوْطَانِهِ وَيَبْكِي عَلَى عَصْرِهِ ٱلذَّاهِبِ
كَفَاكَ أَبُو ٱلْفَضْلِ عَمْرٌو ٱلنَّدَى مُطَالَعَةُ ٱلْأَمَلِ ٱلْكَاذِبِ
وَصِدْقُ ٱلرَّجَاءِ وَحُسْنُ ٱلْوَفَاءِ لِعَمْرِو بْنِ مُسْعَدَةَ ٱلْكَاتِبِ
عَرِيضُ ٱلْفِنَاءِ طَوِيلُ ٱلْبِنَا ءِ فِي ٱلْعِزِّ وَٱلشَّرَفِ ٱلثَّاقِبِ
هُوَ ٱلْمُرْتَجَى لِصُرُوفِ ٱلزَّمَانِ وَمُعْتَصَمُ ٱلرَّاغِبِ ٱلرَّاهِبِ
جَوَادٌ بِمَا مَلَكَتْ كَفُّهُ عَلَى ٱلضَّيْفِ وَٱلْجَارِ وَٱلصَّاحِبِ
تُؤَمِّلُهُ لِجِسَامِ ٱلْأُمُورِ وَتَرْجُوهُ لِلْجَلَلِ ٱلْكَارِبِ
خَصِيبُ ٱلْجَنَابِ مَطِيرُ ٱلسَّحَابِ بِشِيمَتِهِ لَيِّنُ ٱلْجَانِبِ
يُرَوِّي ٱلْقَنَا مِنْ نُحُورِ ٱلْعِدَى وَيَغْرَقُ فِي ٱلْجُودِ كَٱللَّاعِبِ
إِلَيْكَ تَبَدَّتْ بِأَكْوَارِهَا حَرَاجِيجُ فِي مَهْمَهٍ لَاحِبِ
كَأَنَّ نَعَامًا تُبَارِي بِنَا بَوَابِلَ مِنْ بَرَدٍ عَاصِبِ
يَرِدْنَ نَدَى كَفِّكَ ٱلْمُرْتَجَى وَيَقْضِينَ مِنْ حَقِّكَ ٱلْوَاجِبِ

وَلِلّٰهِ مَا أَنْتَ مِنْ خَابِرٍ بِمُسْجِلٍ لِقَوْمٍ وَمِنْ خَارِبِ
فَتَسْقِي ٱلْعِدَى بِكُؤُوسِ ٱلرَّدَى وَتَسْبُقُ مَسْأَلَةَ ٱلطَّالِبِ
وَكَمْ رَاغِبٍ نِلْتَهُ بِٱلْعَطَا وَكَمْ نِلْتَ بِٱلْعَطْفِ مِنْ هَارِبِ
وَتِلْكَ ٱلْخَلَائِقُ أَعْطِيتَهَا وَفَضْلٌ مِنَ ٱلْمَانِعِ ٱلْوَاهِبِ
كَسَبْتَ ٱلثَّنَاءَ وَكَسْبُ ٱلثَّنَا ءِ أَفْضَلُ مَكْسَبَةِ ٱلْكَاسِبِ
يَقِينُكَ يَجْلُو سُتُورَ ٱلدُّجَا وَظَنُّكَ يُخْبِرُ بِٱلْغَائِبِ

وَهٰذَا ٱلشِّعْرُ يَتَدَفَّقُ طَبْعًا وَسَلَاسَةً

١٤٢ لمّا خلّص محمدُ بنُ عبد الله بن طاهر إبرهيمَ بن المُدَبِّر جوَّد المسألة في امرهِ وبذل أن يُحتمل في مالهِ كل ما يطالب بهِ فأعفاهُ المتوكل من ذلك ولم يلتفت الى عبيد الله ووهبهُ لابن طاهر وكان ابرهيم استغاث بهِ ومدحهُ بقولهِ:

دَعَوْتُكَ مِنْ كَرْبٍ وَلَبَّيْتَ دَعْوَتِي وَلَمْ تَعْتَرِضْنِي إِذْ دَعَوْتُ ٱلْمَعَاذِرُ
إِلَيْكَ وَقَدْ جَلَّيْتُ أَوْرَدَتُّ هِمَّتِي وَقَدْ أَعْجَزَتْنِي عَنْ هُمُومِي ٱلْمَصَادِرُ
نَمَى بِكَ عَبْدُ ٱللّٰهِ فِي ٱلْعِزِّ وَٱلْعُلَا وَحَازَ لَكَ ٱلْمَجْدَ ٱلْمُؤَثَّلَ طَاهِرُ
فَأَنْتُمْ بَنُو ٱلدُّنْيَا وَأَمْلَاكُ جَوِّهَا وَسَاسَتُهَا وَٱلْأَعْظَمُونَ ٱلْأَكَابِرُ
مَآثِرُ كَانَتْ لِلْحُسَيْنِ وَمُصْعَبٍ وَطَلْحَةَ لَا تَحْوِي مَدَاهَا ٱلْمَفَاخِرُ
إِذَا بَذَلُوا قِيلَ ٱلْغُيُوثُ ٱلْبَوَاكِرُ وَإِنْ غَضِبُوا قِيلَ ٱللُّيُوثُ ٱلْهَوَاصِرُ
تُطِيعُكُمُ يَوْمَ ٱللِّقَاءِ ٱلْبَوَاتِرُ وَتَرْهُو بِكُمْ يَوْمَ ٱلْمُقَامِ ٱلْمَنَابِرُ
وَمَا لَكُمْ غَيْرَ ٱلْأَسِرَّةِ مَجْلِسٌ وَلَا لَكُمْ غَيْرَ ٱلسُّيُوفِ مَخَاصِرُ
وَلِي حَاجَةٌ إِنْ شِئْتَ أَحْرَزْتَ مَجْدَهَا وَسَرَّكَ مِنْهَا أَوَّلٌ ثُمَّ آخِرُ
كَلَامُ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَعَطْفُهُ فَمَا لِيَ بَعْدَ ٱللّٰهِ غَيْرَكَ نَاصِرُ

وَإِنْ سَاعَدَ ٱلْمَقْدُورُ فَٱلنُّجْحُ وَاقِعٌ وَإِلَّا فَإِنِّي مُخْلِصُ ٱلْوُدِّ شَاكِرُ

١٤٣ قال عنترة بن شدّاد يمدح الملك كسرى انوشروان

يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي رَاحَاتُهُ قَامَتْ مَقَامَ ٱلْغَيْثِ فِي أَزْمَانِهِ
يَا قِبْلَةَ ٱلْقُصَّادِ يَا تَاجَ ٱلْعُلَى يَا بَدْرَ هٰذَا ٱلْعَصْرِ فِي كَيْوَانِهِ
يَا مُخْجِلًا نَوْءَ ٱلسَّمَاءِ بِجُودِهِ يَا مُنْقِذَ ٱلْمَحْزُونِ مِنْ أَحْزَانِهِ
يَا سَاكِنَيْنِ دِيَارَ عَبْسٍ إِنَّنِي لَاقَيْتُ مِنْ كِسْرَى وَمِنْ إِحْسَانِهِ
مَا لَيْسَ يُوصَفُ أَوْ يُقَدَّرُ أَوْ يُفِي أَوْصَافَهُ أَحَدٌ بِوَصْفِ لِسَانِهِ
مَلِكٌ حَوَى رُتَبَ ٱلْمَعَالِي كُلَّهَا بِسُمُوِّ مَجْدٍ حَلَّ فِي إِيوَانِهِ
مَوْلًى بِهِ شَرُفَ ٱلزَّمَانُ وَأَهْلُهُ وَٱلدَّهْرُ نَالَ ٱلْفَخْرَ مِنْ تِيجَانِهِ
وَإِذَا سَطَا خَافَ ٱلْأَنَامُ جَمِيعُهُمْ مِنْ بَأْسِهِ وَٱللَّيْثُ عِنْدَ عِيَانِهِ
أَلْمُظْهِرُ ٱلْإِنْصَافَ فِي أَيَّامِهِ بِخِصَالِهِ وَٱلْعَدْلَ فِي بُلْدَانِهِ
أَمْسَيْتُ فِي رَبْعٍ خَصِيبٍ عِنْدَهُ مُتَنَزَّهًا فِيهِ وَفِي بُسْتَانِهِ
وَنَظَرْتُ بِرْكَتَهُ تَفِيضُ وَمَاؤُهَا يَحْكِي مَوَاهِبَهُ وَجُودَ بَنَانِهِ
فِي مَرْبَعٍ جَمَعَ ٱلرَّبِيعَ بِرَبْعِهِ مِنْ كُلِّ فَنٍّ لَاحَ فِي أَفْنَانِهِ
وَطُيُورُهُ مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَنْشَدَتْ جَهْرًا بِأَنَّ ٱلدَّهْرَ طَوْعُ عِنَانِهِ
مَلِكٌ إِذَا مَا جَالَ فِي يَوْمِ ٱللِّقَا وَقَفَ ٱلْعِدُوُّ مُحَيَّرًا فِي شَانِهِ
وَٱلنَّصْرُ مِنْ جُلَسَائِهِ دُونَ ٱلْوَرَى وَٱلسَّعْدُ وَٱلْإِقْبَالُ مِنْ أَعْوَانِهِ
فَلَأَشْكُرَنَّ صَنِيعَهُ بَيْنَ ٱلْمَلَا وَأُطَاعِنُ ٱلْفُرْسَانَ فِي مَيْدَانِهِ

قَالَ أَبُو نُوَاسٍ فِي ٱلْبَرَامِكَةِ:

إِنَّ ٱلْبَرَامِكَةَ ٱلْكِرَامَ تَعَلَّمُوا فِعْلَ ٱلْجَمِيلِ وَعَلَّمُوهُ ٱلنَّاسَا
كَانُوا إِذَا غَرَسُوا سَقَوْا وَإِذَا بَنَوْا لَا يَهْدِمُونَ لِمَا بَنَوْهُ أَسَاسَا
وَإِذَا هُمُ صَنَعُوا ٱلصَّنَائِعَ فِي ٱلْوَرَى جَعَلُوا لَهَا طِيبَ ٱلْبَقَاءِ لِبَاسَا

١٤٤ لشمس الدين القادريّ الشاعر المفلق في جلال الدين السيوطي

إِمَامُ ٱجْتِهَادٍ عَالِمُ ٱلْعَصْرِ عَامِلٌ بِجَامِعِ فَضْلٍ نَاسِكٌ مُتَهَجِّدُ
وَيَحْسُدُ طَرْفُ ٱلنَّجْمِ بِٱلْعِلْمِ طَرْفَهُ إِذَا بَاتَ لَيْلًا فِيهِ وَهْوَ مُسَهَّدُ
وَيَقْدَحُ زَنْدُ ٱلْعَزْمِ زَنْدَ ذَكَائِهِ فَيُصْبِحُ مِنْهُ فِكْرُهُ يَتَوَقَّدُ
وَمِنْ مَدَدِ ٱلْمَوْلَى وَعَيْنِ عِنَايَةٍ وَتَوْفِيقِهِ يَحْيَا وَيَحْيِي وَيُحْمَدُ
وَمُجْتَهِدٌ قَدْ طَالَ فِي ٱلْعِلْمِ مُدْرَكًا وَبَاعًا فَفِي كُلِّ ٱلْعُلُومِ لَهُ يَدُ
فَحَقَّ لَهُ دَعْوَى ٱجْتِهَادٍ لِأَنَّهُ هُوَ ٱلْبَحْرُ عِلْمًا زَاخِرُ ٱللُّجِّ مُزْبِدُ
فَمِنْ ذَاكَ عِلْمٌ بِٱلْكِتَابِ وَسُنَّةٌ تُبَيِّنُ مَا فِي بَحْرِهِ فَهْوَ مَوْرِدُ
وَفَحْوَى خِطَابٍ ثُمَّ مَفْهُومُ مَا بِهِ يَدُلُّ عَلَى مَفْهُومِهِ حَيْثُ يُوجَدُ
وَمَعْرِفَةُ ٱلْأَخْبَارِ ثُمَّ رُوَاتِهَا عُدُولًا وَمَنْ بِٱلطَّعْنِ فِيهِ تَرَدَّدُ
وَفِي ٱلنَّحْوِ وَٱلتَّصْرِيفِ لِلْمَرْءِ عِصْمَةٌ مِنَ ٱللَّحْنِ فَٱللَّحَّانُ بِٱللَّحْنِ مُكْمَدُ
وَمَعْرِفَةُ ٱلْإِعْرَابِ أَرْفَعُ مُرْتَقًى فَطُوبَى لِمَنْ يَرْقَى إِلَيْهِ وَيَصْعَدُ
وَعِلْمُ ٱلْمَعَانِي وَٱلْبَيَانِ كِلَاهُمَا مَرَاقٍ إِلَى عِلْمِ ٱلْبَدِيعِ وَمَصْعَدُ
وَسُلْطَانُ مَنْقُولِ ٱلْفَقِيهِ مَتَى يَجِدْ وَزِيرًا مِنَ ٱلْمَعْقُولِ فَهْوَ مُؤَيَّدُ
وَإِنَّ ٱلْجَلَالَ ٱلسُّيُوطِيَّ لِلْهُدَى كَكَوْكَبِ عِلْمٍ بِٱلضِّيَا يَتَوَقَّدُ
وَقَدْ جَادَ صَوْبُ ٱلْعِلْمِ رَوْضَةَ أَصْلِهِ فَطَابَ لَهُ بِٱلْعِلْمِ فَرْعٌ وَمَحْتِدُ

وَذِي حَسَدٍ مُغْرًى بِتَعْدَادِ فَضْلِهِ ... عَلَى نَفْسِهِ يَبْكِي أَسًى وَيُعَدِّدُ
فَلَوْ أَبْصَرَ الْكُفَّارُ فِي الْعِلْمِ دَرْسَهُ ... وَقَدْ شَاهَدُوا تَقْرِيرَهُ لَتَشَهَّدُوا
فَخُذْهَا جَلَالَ الدِّينِ فِي الْمَدْحِ كَاعِبًا ... لَهَا جِيدُ حُسْنٍ بِالنُّجُومِ مُقَلَّدُ
وَلَا تَبْتَئِسْ مِنْ قَوْلِ وَاشٍ وَحَاسِدٍ ... فَمَا بَرِحَتْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ تُحْسَدُ
وَمَنْ لَحَظَتْ مَسْعَاهُ عَيْنُ عِنَايَةٍ ... فَطَرْفُ أَعَادِيهِ مَدَى الدَّهْرِ أَرْمَدُ
فَهٰذَا اعْتِقَادُ الْمُؤْمِنِينَ أُولِي النُّهَى ... فَلَا يَكُ فِي هٰذَا لَدَيْكَ تَرَدُّدُ
وَإِنَّ جَلَالَ الدِّينِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُ ... بِيُمْنَى عُلُومِ الدِّينِ سَيْفٌ مُجَرَّدُ
وَإِنَّ الْقَوَافِي ضِفْنَ ذَرْعًا عَنِ الَّذِي ... لَهُ مِنْ تَصَانِيفٍ فَلَيْسَتْ تُعَدَّدُ
وَإِنَّ الْفَقِيرَ الْقَادِرِيَّ لَعَاجِزٌ ... عَنِ الْمَدْحِ فِي عُلْيَاهُ إِذْ يَتَقَصَّدُ
وَقَاهُ إِلٰهُ الْعَرْشِ مِنْ كُلِّ مِحْنَةٍ ... وَمَا أَضْمَرَتْ يَوْمًا عِدَاهُ وَحُسَّدُ

مديح الخلفاء

١٤٥ مديح معاوية لابن ارطاة

وَإِنِّي امْرُؤٌ أُنْمَى إِلَى أَفْضَلِ الْوَرَى ... عَدِيدًا إِذَا ارْفَضَّتْ عَصَا الْمُتَحَلِّفِ
إِلَى نَضَدٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ كَأَنَّهُمْ ... هِضَابُ أَجَا أَرْكَانُهَا لَمْ تَقَصَّفِ
مَيَامِينُ يَرْضَوْنَ الْكِفَايَةَ إِنْ كُفُوا ... وَيَكْفُونَ مَا وَلُّوا بِغَيْرِ تَكَلُّفِ
غَطَارِفَةٌ سَاسُوا الْبِلَادَ فَأَحْسَنُوا ... سِيَاسَتَهَا حَتَّى أَقَرَّتْ لِمُرْدِفِ
فَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُوسِرًا يَفْشُ فَضْلُهُ ... وَمَنْ يَكُ مِنْهُمْ مُعْسِرًا يَتَعَفَّفِ
وَإِنْ تَبْسُطِ النُّعْمَى لَهُمْ يَبْسُطُوا بِهَا ... أَكُفًّا سِبَاطًا نَفْعُهَا غَيْرُ مُقْرِفِ
وَإِنْ تَرْوِ عَنْهُمْ لَا يَضُجُّوا وَتُلْفِهِمْ ... قَلِيلِي التَّشَكِّي عِنْدَهَا وَالتَّكَلُّفِ

إِذَا انْصَرَفُوا لِلْحَقِّ يَوْمًا تَصَرَّفُوا ... إِذَا الْجَاهِلُ الْحَيْرَانُ لَمْ يَتَصَرَّفِ
سَمَوْا فَعَلَوْا فَوْقَ الْبَرِيَّةِ كُلِّهَا ... بِبُنْيَانِ عَالٍ مِنْ مُنِيفٍ وَمُشْرِفِ

١٤٦ دخل كُثيِّر ابو صخرٍ والأحوص على عُمر بن عبد العزيز فانشده كُثيِّر:

وَلِيتَ فَلَمْ تَشْتُمْ عَلِيًّا وَلَمْ تَخَفْ ... بَذِيًّا وَلَمْ تَتْبَعْ مَقَالَةَ مُجْرِمِ
وَقُلْتَ فَصَدَّقْتَ الَّذِي قُلْتَ بِالَّذِي ... فَعَلْتَ فَأَضْحَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمِ
أَلَا إِنَّمَا يَكْفِي الْفَتَى بَعْدَ زَيْغِهِ ... مِنَ الْأَوْدِ الْبَادِي ثِقَافُ الْمُقَوِّمِ
لَقَدْ لَبِسَتْ لُبْسَ الْمُلُوكِ ثِيَابَهَا ... تَرَاءَتْ لَكَ الدُّنْيَا بِكَفٍّ وَمِعْصَمِ
وَتُومِضُ أَحْيَانًا بِعَيْنٍ مَرِيضَةٍ ... وَتَبْسِمُ عَنْ مِثْلِ الْجُمَانِ الْمُنَظَّمِ
فَأَعْرَضْتَ عَنْهَا مُشْمَئِزًّا كَأَنَّمَا ... سَقَتْكَ مَدُوفًا مِنْ سَمَامٍ وَعَلْقَمِ
وَقَدْ كُنْتَ مِنْ أَجْيَالِهَا فِي مُمَنَّعٍ ... وَمِنْ بَحْرِهَا فِي مُزْبِدِ الْمَوْجِ مُفْعَمِ
وَمَا زِلْتَ سَبَّاقًا إِلَى كُلِّ غَايَةٍ ... صَعِدْتَ بِهَا أَعْلَى الْبِنَاءِ الْمُقَدَّمِ
فَلَمَّا أَتَاكَ الْمُلْكُ عَفْوًا وَلَمْ يَكُنْ ... لِطَالِبِ دُنْيَا بَعْدَهُ مِنْ تَكَلُّمِ
تَرَكْتَ الَّذِي يَفْنَى وَإِنْ كَانَ مُوْنِقًا ... وَآثَرْتَ مَا يَبْقَى بِرَأْيٍ مُصَمِّمِ
فَأَضْرَرْتَ بِالْفَانِي وَثَمَّرْتَ لِلَّذِي ... أَمَامَكَ فِي يَوْمٍ مِنَ الْهَوْلِ مُظْلِمِ
وَمَا لَكَ إِذْ كُنْتَ الْخَلِيفَةَ مَانِعٌ ... سِوَى اللّٰهِ مِنْ مَالٍ رَغِيبٍ وَلَا دَمِ
سَمَالَكَ هَمٌّ فِي الْفُؤَادِ مُؤَرِّقٌ ... صَعِدْتَ بِهِ أَعْلَى الْمَعَالِي بِسُلَّمِ
فَلَوْ يَسْتَطِيعُ الْمُسْلِمُونَ تَقَسَّمُوا ... لَكَ الشَّطْرَ مِنْ أَعْمَارِهِمْ غَيْرَ نَدَمِ
فَعِشْتَ بِهِ مَا حَجَّ لِلّٰهِ رَاكِبٌ ... مُعَذٌّ مُطِيفٌ بِالْمَقَامِ وَزَمْزَمِ
فَأَرْبِحْ بِهَا مِنْ صَفْقَةٍ لِمُبَايِعٍ ... وَأَعْظِمْ بِهَا أَعْظِمْ بِهَا ثُمَّ أَعْظِمِ

فقال لهُ يا كُثيِّر إنَّ الله سائلك عن كل ما قلتَ . ثم تقدَّم إليهِ الأحوص فاستأذنهُ فقال: قُل ولا تقُل إلَّا حقًّا فانَّ الله سائلك فأنشدهُ :

وَمَا ٱلشِّعْرُ إلَّا خُطْبَةٌ مِنْ مُؤَلِّفٍ ... بِمَنْطِقِ حَقٍّ أَوْ بِمَنْطِقِ بَاطِلِ
فَلَا تَقْبَلَنْ إلَّا ٱلَّذِي وَافَقَ ٱلرِّضَا ... وَلَا تُرْجِعَنَّا كَٱلنِّسَاءِ ٱلْأَرَامِلِ
رَأَيْنَاكَ لَمْ تَعْدِلْ عَنِ ٱلْحَقِّ يَمْنَةً ... وَلَا يَسْرَةً فِعْلَ ٱلظَّلُومِ ٱلْمُجَادِلِ
وَلٰكِنْ أَخَذْتَ ٱلْحَقَّ جُهْدَكَ كُلَّهُ ... وَتَقْفُو مِثَالَ ٱلصَّالِحِينَ ٱلْأَوَائِلِ
فَقُلْنَا وَلَمْ نَكْذِبْ بِمَا قَدْ بَدَا لَنَا ... وَمَنْ ذَا يَرُدُّ ٱلْحَقَّ مِنْ قَوْلِ عَاذِلِ
وَمَنْ ذَا يَرُدُّ ٱلسَّهْمَ بَعْدَ صُدُوفِهِ ... عَلَى فُوقِهِ إنْ عَادَ مِنْ نَزْعِ نَابِلِ
وَلَوْلَا ٱلَّذِي قَدْ عَوَّدَتْنَا خَلَائِفٌ ... غَطَارِيفُ كَانَتْ كَٱللُّيُوثِ ٱلْبَوَاسِلِ
لَمَا وَخَدَتْ شَهْرًا بِرَحْلِيَ جَسْرَةٌ ... تَقُدُّ مُتُونَ ٱلْبِيدِ بَيْنَ ٱلرَّوَاحِلِ
وَلٰكِنْ رَجَوْنَا مِنْكَ مِثْلَ ٱلَّذِي بِهِ ... صُرِفْنَا قَدِيمًا مِنْ ذَوِيكَ ٱلْأَفَاضِلِ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِلشِّعْرِ عِنْدَكَ مَوْضِعٌ ... وَإِنْ كَانَ مِثْلَ ٱلدُّرِّ مِنْ قَوْلِ قَائِلِ
وَكَانَ مُصِيبًا صَادِقًا لَا يَعِيبُهُ ... سِوَى أَنَّهُ يُبْنَى بِنَاءَ ٱلْمَنَازِلِ
فَإِنَّ لَنَا قُرْبَى وَمَحْضَ مَوَدَّةٍ ... وَمِيرَاثَ آبَاءٍ مَشَوْا بِٱلْمَنَاصِلِ
فَذَادُوا عَدُوَّ ٱلسِّلْمِ عَنْ عُقْرِ دَارِهِمْ ... وَأَرْسَوْا عَمُودَ ٱلدِّينِ بَعْدَ تَمَايُلِ
فَقَبْلَكَ مَا أَعْطَى ٱلْهُنَيْدَةَ جُلَّةٌ ... عَلَى ٱلشِّعْرِ كَعْبًا مِنْ سَدِيسٍ وَبَازِلِ
فَكُلُّ ٱلَّذِي عَدَّدْتَ يَكْفِيكَ بَعْضُهُ ... وَنَيْلُكَ خَيْرٌ مِنْ بُحُورٍ سَوَائِلِ

١٤٧ أخبر عليُّ بن سليمان الأخفش قال : كان الرشيد قد أخذ صالح بن عبد القدُّوس وعليّ بن الخليل في الزندقة وكان عليّ بن الخليل استأذن أبا نُواسٍ في الشعر فانشدهُ عليّ بن الخليل قصيدةً منها :

خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ أَنْتَ كُلِّهِمِ ... فِي يَوْمِكَ ٱلْغَادِي وَفِي أَمْسِ
وَكَذَاكَ لَنْ تَنْفَكَّ خَيْرَهُمُ ... تُمْسِي وَتُصْبِحُ فَوْقَ مَا تُمْسِي
لِلّٰهِ مَا هَارُونُ مِنْ مَلِكٍ ... بَرِّ ٱلسَّرِيرَةِ طَاهِرِ ٱلنَّفْسِ
مَلِكٌ عَلَيْهِ لِرَبِّهِ نِعَمٌ ... تَزْدَادُ جِدَّتُهَا عَلَى ٱلْلُّبْسِ
تَحْكِي خِلَافَتُهُ بِبَهْجَتِهَا ... أَنَقَ ٱلسُّرُورِ صَبِيحَةَ ٱلْعُرْسِ
مِنْ عِتْرَةٍ طَابَتْ أُرُومَتُهَا ... أَهْلِ ٱلْعَفَافِ وَمُنْتَهَى ٱلْقُدْسِ
نُطَقٍ إِذَا ٱحْتُضِرَتْ مَجَالِسُهُمْ ... وَعَنِ ٱلسَّفَاهَةِ وَٱلْخَنَا خُرْسِ
إِنِّي إِلَيْكَ لَجَأْتُ مِنْ هَرَبٍ ... قَدْ كَانَ شَرَّدَنِي وَمِنْ لَبْسِ
وَٱخْتَرْتُ حِلْمَكَ لَا أُجَاوِزُهُ ... حَتَّى أُوَسَّدَ فِي ثَرَى رَمْسِي
لَمَّا ٱسْتَخَرْتُ ٱللّٰهَ فِي مَهَلٍ ... يَمَّمْتُ نَحْوَكَ رِحْلَةَ ٱلْعُنُسِ
كَمْ قَدْ قَطَعْتُ إِلَيْكَ مُدَّرِعًا ... لَيْلًا بَهِيمَ ٱللَّوْنِ كَٱلنِّقْسِ
إِنْ هَاجَنِي مِنْ هَاجِسٍ جَزَعٌ ... كَانَ ٱلتَّوَكُّلُ عِنْدَهُ تُرْسِي

فأطلقهُ الرشيد وقتل صالح بن عبد القدُّوس واحتجَّ عليهِ في أنهُ لا يقبل لهُ توبةً بقولهِ :

والشيخُ لا يترُكُ أخلاقهُ ... حتى يُوارى في ثرى رمسهِ

١٤٨ أخبر محمد بن العبَّاس اليزيديُّ قال : حدَّثني عمّي عبد الله وأخي أحمد قالا : لمَّا بلغ المأمون وصار في حدّ الرجال أمرنا الرشيد أن نعمل لهُ خطبةً يقوم بها يوم الجمعة . فعملنا لهُ خطبتهُ المشهورة وكان جهير الصوت حسن اللهجة . فلمَّا خطب بها رقَّت لهُ قلوب الناس وابكى من سمعهُ . فقال أبو محمد اليزيديُّ يمدح المأمون :

لِتَهْنِ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ كَرَامَةٌ ... عَلَيْهِ بِهَا شُكْرُ ٱلْإِلٰهِ وُجُوبُ
بِأَنَّ وَلِيَّ ٱلْعَهْدِ مَأْمُونَ هَاشِمٍ ... بَدَا فَضْلُهُ إِذْ قَامَ وَهْوَ خَطِيبُ
وَلَمَّا رَمَاهُ ٱلنَّاسُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... بِأَبْصَارِهِمْ وَٱلْعُودُ مِنْهُ صَلِيبُ

رَمَاهُمْ بِقَوْلٍ أَنْصَتُوا عَجَبًا لَهُ ... وَفِي دُونِهِ لِلسَّامِعِينَ عَجِيبُ
وَلَمَّا وَعَتْ آذَانُهُمْ مَا أَتَى بِهِ ... أَنَابَتْ وَرَقَّتْ عِنْدَ ذَاكَ قُلُوبُ
فَأَبْكَى عُيُونَ النَّاسِ أَبْلَغُ وَاعِظٍ ... أَغَرُّ بِطَاحِيُّ النِّجَارِ نَجِيبُ
مَهِيبٌ عَلَيْهِ لِلْوَقَارِ سَكِينَةٌ ... جَرِيءُ جَنَانٍ لَا أَكَعُّ هَيُوبُ
وَلَا وَاجِبٌ فَوْقَ الْمَنَابِرِ قَلْبُهُ ... إِذَا مَا اعْتَرَى قَلْبَ النَّجِيبِ وَجِيبُ
إِذَا مَا عَلَا الْمَأْمُونُ أَعْوَادَ مِنْبَرٍ ... فَلَيْسَ لَهُ فِي الْعَالَمِينَ ضَرِيبُ
تَصَدَّعَ عَنْهُ النَّاسُ وَهْوَ حَدِيثُهُمْ ... تَحَدَّثَ عَنْهُ نَازِحٌ وَقَرِيبُ
شَبِيهُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ حَزَامَةً ... إِذَا وَرَدَتْ يَوْمًا عَلَيْهِ خُطُوبُ
إِذَا طَابَ أَصْلٌ فِي عُرُوقٍ مَشَاجِهِ ... فَأَغْصَانُهُ مِنْ طِيبِهِ سَتَطِيبُ
فَقُلْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي بِهِ ... يُقَدِّمُ عَبْدُ اللهِ فَهْوَ أَدِيبُ
كَأَنْ لَمْ تَغِبْ عَنْ بَلْدَةٍ كَانَ وَالِيًا ... عَلَيْهَا وَلَا التَّدْبِيرُ مِنْكَ يَغِيبُ
تَتَبَّعَ مَا يُرْضِيكَ فِي كُلِّ أَمْرِهِ ... فَسِيرَتُهُ شَخْصٌ إِلَيْكَ حَبِيبُ
وَرِثْتُمْ بَنِي الْعَبَّاسِ إِرْثَ مُحَمَّدٍ ... فَلَيْسَ لِحَيٍّ فِي التُّرَاثِ نَصِيبُ

فلمَّا وصلت هذه الأبيات الى الرشيد أمر لأبي محمدٍ بخمسين الف درهمٍ ولابنهِ محمد بن ابي محمدٍ بمثلهِ (الاغاني)

١٤٩ انشد حسين بن الضحاك يوم بُويع بالخلافة للمعتصم

خَيْرُ الْوُفُودِ مُبَشِّرٌ بِخِلَافَةٍ ... خَصَّتْ بِبَهْجَتِهَا أَبَا إِسْحَاقِ
وَافَتْهُ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ سَلِيمَةً ... مِنْ كُلِّ مُشْكِلَةٍ وَكُلِّ شِقَاقِ
أَعْطَتْهُ صَفْقَتُهَا الضَّمَائِرُ طَاعَةً ... قَبْلَ الْأَكُفِّ بِأَوْكَدِ الْمِيثَاقِ

سَكَنَ الْأَنَامُ إِلَى إِمَامِ سَلَامَةٍ ... عَفِّ الضَّمِيرِ مُهَذَّبِ الْأَخْلَاقِ
فَحَمَى رَعِيَّتَهُ وَدَافَعَ دُونَهَا ... وَأَجَارَ مُلْقَهَا مِنَ الْإِمْلَاقِ
قُلِ لِلْأُولَى صَرَفُوا الْوُجُوهَ عَنِ الْهُدَى ... مُتَعَسِّفِينَ تَعَسُّفَ الْمُرَّاقِ
إِنِّي أُحَذِّرُكُمْ بَوَادِرَ ضَيْغَمٍ ... دَرِبٍ بِحَطْمِ مَوَائِلِ الْأَعْنَاقِ
مُتَأَهِّبٍ لَا يَسْتَفِزُّ جَنَانَهُ ... زَجَلُ الرُّعُودِ وَلَامِعُ الْأَبْرَاقِ
لَمْ يُبْقِ مِنْ مُتَعَزِّمِينَ تَوَثَّبُوا ... بِالشَّأْمِ غَيْرُ جَامِحٍ أَفْلَاقِ
مِنْ بَيْنِ مُنْجَدِلٍ تَمُجُّ عُرُوقُهُ ... عَلَقَ الْأَخَادِعِ أَوْ أَسِيرِ وِثَاقِ
وَثَنَى الْخُيُولَ إِلَى مَعَاقِلِ قَيْصَرٍ ... تَخْتَالُ بَيْنَ أَجِرَّةٍ وَدِقَاقِ
يَحْمِلْنَ كُلَّ مُشَمِّرٍ مُتَغَشِّمٍ ... لَيْثٍ هِزَبْرٍ أَهْرَتِ الْأَشْدَاقِ
حَتَّى إِذَا أَمَّ الْحُصُونَ مَنَازِلًا ... وَالْمَوْتُ بَيْنَ تَرَائِبٍ وَتَرَاقِي
هَرَّتْ بَطَارِقُهَا هَرِيرَ قَسَاوِرٍ ... بُدِهَتْ بِأَكْرَهِ مَنْظَرٍ وَمَذَاقِ
ثُمَّ اسْتَكَانَتْ لِلْحِصَارِ مُلُوكُهَا ... ذُلًّا وَنَاطَ حُلُوقَهَا بِخِنَاقِ
هَرَبَتْ وَأَسْلَمَتِ اللِّوَاءَ عَشِيَّةً ... لَمْ يُبْقِ غَيْرُ حُشَاشَةِ الْأَرْمَاقِ

حتى أتمَّها فقال لهُ المعتصم: ادنُ مني. فدنا منهُ فملأَ فمهُ جوهرًا من جوهرٍ كان بين يديهِ. ثمَّ أمرهُ بان يُخرجهُ من فيهِ فاخرجهُ وأمر بان يُنظَم ويدفع اليهِ. ويخرج الى الناس وهو في يدهِ ليعلموا موقعهُ من رأيهِ ويعرفوا فعلهُ فكان أحسن ما مُدح بهِ يومئذٍ (الاغاني)

١٥٠ أخبر إبرهيم بن حسن بن سهلٍ قال: كنَّا مع الواثق بالقاطول وهو يتصيَّد فصاد صيدًا حسنًا وهو في الزوّ من الاوزّ والدرَّاج وطير الماء وغير ذلك. ثمَّ رجع فتغدَّى ودعا بالجلساء والمغنّين وطرب وقال: من يُنشد. فقام الحسين بن الضحَّاك فانشده:

سَقَى اللهُ بِالْقَاطُولِ مَسْرَحَ طِرْفِكَا ... وَخَصَّ بِسُقْيَاهُ مَنَاكِبَ قَصْرِكَا

حتَّى انتهى إلى قولهِ:

تَحِنُّ لِلدُّرَّاجِ فِي جَنَبَاتِهِ ... وَلِلْغُرِّ آجَالٌ قُدِرْنَ بِكَفِّكَا
حُتُوفًا إِذَا وَجَّهْتَهُنَّ قَوَاضِبًا ... عِجَالًا إِذَا أَغْرَيْتَهُنَّ بِزَجْرِكَا
أَبِحْتَ حِمَامًا مُصْعِدًا وَمُصَوِّبًا ... وَمَا رُمْتَ فِي حَالَيْكَ مَجْلِسَ لَهْوِكَا
تَصَرَّفُ فِيهِ بَيْنَ نَايٍ وَمُسْمِعٍ ... وَمَشْمُولَةٍ مِنْ كَفِّ ظَبْيٍ لِسَفْكِكَا
قَضَيْتَ لُبَانَاتٍ وَأَنْتَ مُخَيِّمٌ ... مُرِيحٌ وَإِنْ شَطَّتْ مَسَافَةُ عَزْمِكَا
وَمَا نَالَ طِيبَ الْعَيْشِ إِلَّا مُوَدَّعٌ ... وَمَا طَابَ عَيْشٌ نَالَ مَجْهُودَ كَدِّكَا

فقال الواثق : ما يعدل الراحة ولذّة الدعة شيءٌ فلمّا انتهى الى قوله :

خُلِقْتَ أَمِينَ اللهِ لِلْخَلْقِ عِصْمَةً ... وَأَمْنًا فَكُلٌّ فِي ذَرَاكَ وَظِلِّكَا
وَثِقْتَ بِمَنْ سَمَّاكَ بِالْغَيْبِ وَاثِقًا ... وَثَبَّتَ بِالتَّأْيِيدِ أَرْكَانَ مُلْكِكَا
فَأَعْطَاكَ مُعْطِيكَ الْخِلَافَةَ شُكْرَهَا ... وَأَسْعَدَ بِالتَّقْوَى سَرِيرَةَ قَلْبِكَا
وَزَادَكَ مِنْ أَعْمَارِنَا غَيْرَ مِنَّةٍ ... عَلَيْكَ بِهَا أَضْعَافَ أَضْعَافِ عُمْرِكَا
وَلَا زَالَتِ الْأَقْدَارُ فِي كُلِّ حَالَةٍ ... عُدَاةً لِمَنْ عَادَاكَ سِلْمًا لِسِلْمِكَا
إِذَا كُنْتُ مِنْ جَدْوَاكَ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ ... فَلَا كُنْتُ إِنْ لَمْ أَفْنِ عُمْرِي بِشُكْرِكَا

فطرب الواثق فضرب الأرض بمخصرةٍ كانت في يده وقال : لله درُّك يا حُسين ما أقرب قلبك من لسانك . فقال : يا أمير المؤمنين جودك يُنطق المفحم بالشعر والجاحد بالشكر . فقال له : لن تنصرف إلّا مسرورًا ثمّ أمر له بخمسين الف درهمٍ

١٥١ قصيدة ابي بكر بن عمّار في الخليفة المعتضد بالله العبّاديّ

مَلِكٌ إِذَا ازْدَحَمَ الْمُلُوكُ بِمَوْرِدٍ ... وَنَحَاهُ لَا يَرِدُونَ حَتَّى يَصْدُرَا
أَنْدَى عَلَى الْأَكْبَادِ مِنْ قَطْرِ النَّدَى ... وَأَلَذُّ فِي الْأَجْفَانِ مِنْ سِنَةِ الْكَرَى
قَدَّاحُ زَنْدِ الْمَجْدِ لَا يَنْفَكُّ عَنْ ... نَارِ الْوَغَى إِلَّا إِلَى نَارِ الْقِرَى

لَا خَلْقَ أَقْرَأُ مِنْ شِفَارِ حُسَامِهِ ... إِنْ كُنْتَ شَبَّهْتَ الْمَوَاكِبَ أَسْطُرَا
أَيْقَنْتُ أَنِّي مِنْ ذَرَاهُ بِجَنَّةٍ ... لَمَّا سَقَانِي مِنْ نَدَاهُ الْكَوْثَرَا
وَعَلِمْتُ حَقًّا أَنَّ رَبْعِيَ مُخْصِبٌ ... لَمَّا سَأَلْتُ بِهِ الْغَمَامَ الْمُمْطِرَا
مَنْ لَا تُوَازِنُهُ الْجِبَالُ إِذَا احْتَبَى ... مَنْ لَا تُسَابِقُهُ الرِّيَاحُ إِذَا جَرَى
مَاضٍ وَصَدْرُ الرُّمْحِ يَكْهُمُ وَالظُّبَى ... تَنْبُو وَأَيْدِي الْخَيْلِ تَعْثُرُ فِي الْبَرَى
فَإِذَا الْكَتَائِبُ كَالْكَوَاكِبِ فَوْقَهُمْ ... مِنْ لَاهِبٍ مِثْلِ السَّحَابِ كَنُهُورَا
مِنْ كُلِّ أَبْيَضَ قَدْ تَقَلَّدَ أَبْيَضًا ... عَضْبًا وَأَسْمَرَ قَدْ تَأَبَّطَ أَسْمَرَا
مَلِكٌ يَرُوقُكَ خَلْقُهُ أَوْ خُلْقُهُ ... كَالرَّوْضِ يَحْسُنُ مَنْظَرًا أَوْ مَخْبَرَا
أَقْسَمْتُ بِاسْمِ الْفَضْلِ حَتَّى ثِمْتُهُ ... فَرَأَيْتُهُ فِي بُرْدَتَيْهِ مُصَوَّرَا
وَجَهِلْتُ مَعْنَى الْجُودِ حَتَّى زُرْتُهُ ... فَقَرَأْتُهُ فِي رَاحَتَيْهِ مُفَسَّرَا
فَاحَ الثَّرَى مُتَعَطِّرًا بِثَنَائِهِ ... حَتَّى حَسِبْنَا كُلَّ تُرْبٍ عَنْبَرَا
وَتَوَجَّتْ بِالزَّهْرِ صُلْعُ هِضَابِهِ ... حَتَّى ظَنَنَّا كُلَّ هَضْبٍ قَيْصَرَا
هَصَرَتْ يَدِي غُصْنَ النَّدَى مِنْ كَفِّهِ ... وَجَنَتْ بِهِ رَوْضَ السُّرُورِ مُنَوَّرَا
حَسْبِي عَلَى الصُّنْعِ الَّذِي أَوْلَاهُ أَنْ ... أَسْعَى بِجِدٍّ أَوْ أَمُوتَ فَأُعْذَرَا
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي حَازَ الْمُنَى ... وَحَبَاهُ مِنْهُ بِمِثْلِ حَمْدِي أَنْوَرَا
اَلسَّيْفُ أَفْصَحُ مِنْ زِيَادٍ خُطْبَةً ... فِي الْحَرْبِ إِنْ كَانَتْ يَمِينُكَ مِنْبَرَا
مَا زِلْتَ تُغْنِي مَنْ عَنَى لَكَ رَاجِيًا ... نَيْلًا وَتُفْنِي مَنْ عَتَا وَتَجَبَّرَا
حَتَّى حَلَلْتَ مِنَ الرِّئَاسَةِ مُحْجِرًا ... رَحْبًا وَضَمَّتْ مِنْكَ طَرْفًا أَحْوَرَا
شَقِيَتْ بِسَيْفِكَ أُمَّةٌ لَمْ تَعْتَقِدْ ... إِلَّا الْيَهُودَ وَإِنْ تَسَمَّتْ بَرْبَرَا

أَثْمَرْتَ رُمْحَكَ مِنْ رُؤُوسِ كُمَاتِهِمْ ... لَمَّا رَأَيْتَ ٱلْغُصْنَ يُعْشَقُ مُثْمِرَا
وَصَبَغْتَ دِرْعَكَ مِنْ دِمَاءِ مُلُوكِهِمْ ... لَمَّا عَلِمْتَ ٱلْحُسْنَ يُلْبَسُ أَحْمَرَا
نَمَّقْتَهَا وَشْيًا بِذِكْرِكَ مُذْهَبًا ... وَفَتَقْتَهَا مِسْكًا بِحَمْدِكَ أَذْفَرَا
مَنْ ذَا يُنَافِحُنِي وَذِكْرُكَ صَنْدَلٌ ... أَوْرَدْتُهُ مِنْ نَارِ فِكْرِي مَجْمَرَا
فَلَئِنْ وَجَدتَّ نَسِيمَ حَمْدِي عَاطِرًا ... فَلَقَدْ وَجَدتُّ نَسِيمَ بِرِّكَ أَعْطَرَا
وَإِلَيْكَهَا كَالرَّوْضِ زَارَتْهُ ٱلصَّبَا ... وَحَنَا عَلَيْهِ ٱلنَّوْرُ حَتَّى نَوَّرَا

١٥٢ لمَّا عقد المتوكل لوُلاة العهود من وُلده ركب بسُرَّ مَن رأى ركبةً لم يُرَ أحسن منها وركب وُلاة العهود بين يديهِ والأتراك بين أيديهم الطَّبَرْزينات المحلاَّة بالذهب. ثم نزل في الماء فجلس فيهِ والجيش معهُ في الجوانحيَّات وسائر السفن. وجاءَ حتى نزل في القصر الذي يُقال لهُ العروس وأذن للناس فدخلوا اليهِ. فلمَّا تكاملوا بين يديهِ مثَل ابرهيم بن العبَّاس بين الصفَّين فاستأذن في الإنشاد فأذن لهُ فأنشد:

وَلَمَّا بَدَا جَعْفَرٌ فِي ٱلْخَمِيسِ ... مِ بَيْنَ ٱلْمُطَلِّ وَبَيْنَ ٱلْعَرُوسِ
بَدَا لَابِسًا بِهِمَا حُلَّةً ... أُزِيلَتْ بِهَا طَالِعَاتُ ٱلنُّحُوسِ
وَلَمَّا بَدَا بَيْنَ أَحْبَابِهِ ... وُلَاةِ ٱلْعُهُودِ وَعِزِّ ٱلنُّفُوسِ
غَدَا قَمَرًا بَيْنَ أَقْمَارِهِ ... وَشَمْسًا مُكَلَّلَةً بِٱلشُّمُوسِ
لِإِيقَادِ نَارٍ وَإِطْفَائِهَا ... وَيَوْمٍ أَنِيقٍ وَيَوْمٍ عَبُوسِ

ثم أقبل على وُلاة العهود فقال:

أَضْحَتْ عُرَى ٱلْإِسْلَامِ وَهِيَ مَنُوطَةٌ ... بِٱلنَّصْرِ وَٱلْإِعْزَازِ وَٱلتَّأْيِيدِ
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةٍ ... كَنَفُوا ٱلْخِلَافَةَ مِنْ وُلَاةِ عُهُودِ
قَمَرٌ تَوَافَتْ حَوْلَهُ أَقْمَارُهُ ... فَحَفَفْنَ مَطْلِعَ سَعْدِهِ بِسُعُودِ
رَفَعَتْهُمُ ٱلْأَيَّامُ وَٱرْتَفَعُوا بِهَا ... فَسَعَوْا بِأَكْرَمِ أَنْفُسٍ وَجُدُودِ

فأمر لهُ المتوكل بمائة الف درهم وأمر لهُ وُلاة العهود بمثلها

١٥٣ قصيدة البحتري في الخليفة المتوكل لما دخل الموصل يوم الفطر

أَللهُ مَكَّنَ لِلْخَلِيفَةِ جَعْفَرٍ ... مُلْكًا يُحَسِّنُهُ ٱلْخَلِيفَةُ جَعْفَرُ
نُعْمَى مِنَ ٱللهِ ٱصْطَفَاهُ بِفَضْلِهَا ... وَٱللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَيُقْدِرُ
فَاسْلَمْ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَزَلْ ... تُعْطَى ٱلزِّيَادَةَ فِي ٱلْبَقَاءِ وَتُشْكَرُ
عَمَّتْ فَوَاضِلُكَ ٱلْبَرِيَّةَ فَٱلْتَقَى ... فِيهَا ٱلْمُقِلُّ عَلَى ٱلْغِنَى وَٱلْمُكْثِرُ
بِٱلْبِرِّ صُمْتَ وَأَنْتَ أَفْضَلُ صَائِمٍ ... وَبِسُنَّةِ ٱللهِ ٱلرَّضِيَّةِ تُفْطِرُ
فَٱنْعَمْ بِيَوْمِ ٱلْفِطْرِ عَيْنًا إِنَّهُ ... يَوْمٌ أَغَرُّ مِنَ ٱلزَّمَانِ مُشَهَّرُ
أَظْهَرْتَ عِزَّ ٱلْمُلْكِ فِيهِ بِمَحْفَلٍ ... لَجِبٍ يُحَاطُ ٱلدِّينُ فِيهِ وَيُنْصَرُ
خِلْنَا ٱلْجِبَالَ تَسِيرُ فِيهِ وَقَدْ غَدَتْ ... عُدَدًا يَسِيرُ بِهَا ٱلْعَدِيدُ ٱلْأَكْثَرُ
فَٱلْخَيْلُ تَصْهَلُ وَٱلْفَوَارِسُ تَدَّعِي ... وَٱلْبِيضُ تَلْمَعُ وَٱلْأَسِنَّةُ تَزْهَرُ
وَٱلْأَرْضُ خَاشِعَةٌ تَمِيدُ بِثِقْلِهَا ... وَٱلْجَوُّ مُعْتَكِرُ ٱلْجَوَانِبِ أَغْبَرُ
وَٱلشَّمْسُ مَاتِعَةٌ تَوَقَّدُ فِي ٱلضُّحَى ... طَوْرًا وَيُطْفِئُهَا ٱلْعَجَاجُ ٱلْأَكْدَرُ
حَتَّى طَلَعْتَ بِضَوْءِ وَجْهِكَ فَٱنْجَلَى ... ذَاكَ ٱلدُّجَى وَٱنْجَابَ ذَاكَ ٱلْعَثْيَرُ
وَٱفْتَنَّ فِيكَ ٱلنَّاظِرُونَ فَإِصْبَعٌ ... يُومَا إِلَيْكَ بِهَا وَعَيْنٌ تَنْظُرُ
يَجِدُونَ رُؤْيَتَكَ ٱلَّتِي فَازُوا بِهَا ... مِنْ أَنْعُمِ ٱللهِ ٱلَّتِي لَا تُكْفَرُ
ذَكَرُوا بِطَلْعَتِكَ ٱلرَّشِيدَ فَهَلَّلُوا ... لَمَّا طَلَعْتَ مِنَ ٱلصُّفُوفِ وَكَبَّرُوا
حَتَّى ٱنْتَهَيْتَ إِلَى ٱلْمُصَلَّى لَابِسًا ... نُورَ ٱلْهُدَى يَبْدُو عَلَيْكَ وَيَظْهَرُ
وَمَشَيْتَ مِشْيَةَ خَاشِعٍ مُتَوَاضِعٍ ... لِلهِ لَا تُزْهَى وَلَا تَتَكَبَّرُ

فَلَوْ أَنَّ مُشْتَاقًا تَكَلَّفَ غَيْرَ مَا ... فِي وُسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمِنْبَرُ
أُيِّدتَّ مِنْ فَصْلِ الْخِطَابِ بِحِكْمَةٍ ... تُنْبِي عَنِ الْحَقِّ الْمُنِيرِ وَتُخْبِرُ
وَوَقَفْتَ فِي بُرْدِ الْخَطِيبِ مُذَكِّرًا ... بِاللهِ تُنْذِرُ تَارَةً وَتُبَشِّرُ
صَلَّوْا وَرَاءَكَ آخِذِينَ بِعِصْمَةٍ ... مِنْ رَبِّهِمْ وَبِذِمَّةٍ لَا تُخْفَرُ
وَمَوَاعِظٍ شَفَتِ الصُّدُورَ مِنَ الَّذِي ... يَعْتَادُهَا وَشِفَاؤُهَا مُتَعَذِّرُ
حَتَّى لَقَدْ عَلِمَ الْجَهُولُ وَأَخْلَصَتْ ... نَفْسُ الْمُرَائِي وَاهْتَدَى الْمُتَحَيِّرُ
فَأَسْعِدْ بِمَغْفِرَةِ الْإِلٰهِ فَلَمْ يَزَلْ ... يَهَبُ الذُّنُوبَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ
أَللهُ أَعْطَاكَ الْمَحَبَّةَ فِي الْوَرَى ... وَحَبَاكَ بِالْفَضْلِ الَّذِي لَا يُنْكَرُ
وَلَأَنْتَ أَمْلَأُ لِلْعُيُونِ لَدَيْهِمِ ... وَأَجَلُّ قَدْرًا فِي الصُّدُورِ وَأَكْبَرُ

١٥٤ من قصيدةٍ لكمال الدين المعروف بابن النبيه في الناصر احمد امير المومنين

إِمَامُ عَدْلٍ لِتَقْوَى اللهِ بَاطِنُهُ ... وَلِلْجَلَالَةِ وَالْإِحْسَانِ ظَاهِرُهُ
تَجَسَّدَ الْحَقُّ فِي أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ ... وَتَوَّجَتْ بِاسْمِهِ الْعَالِي مَنَابِرُهُ
لَهُ عَلَى سِتْرِ سِرِّ الْغَيْبِ مُطَّلَعٌ ... فَمَا مَوَارِدُهُ إِلَّا مَصَادِرُهُ
رَاعٍ بِطَرْفٍ حِمَى الْإِيمَانِ سَاهِرُهُ ... سَاطٍ بِسَيْفٍ أَبَادَ الْجَوْرَ شَاهِرُهُ
فِي صَدْرِهِ الْبَحْرُ أَوْ فِي بَطْنِ رَاحَتِهِ ... كِلَاهُمَا يَغْمُرُ السُّؤَّالَ زَاخِرُهُ
مُحَجَّبٌ فِي سُجُوفِ الْعِزِّ لَوْ فُرِجَتْ ... عَنْ نُورِ وَجْهٍ يُبَاهِي الصُّبْحَ بَاهِرُهُ
نَضَاهُ سَيْفًا عَلَى أَعْدَاءِ دَوْلَتِهِ ... مَا كُلُّ سَيْفٍ لَهُ تُثْنَى خَنَاصِرُهُ
فَضْلُ اصْطِفَاءٍ أَتَى مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ ... يَغْنَى بِهِ عَنْ أَخٍ بِرٍّ يُؤَازِرُهُ
تَهْنَ نُعْمَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَدُمْ ... يَا أَيُّهَا الْأَشْرَفُ الْمَيْمُونُ طَائِرُهُ

بِمَجَدِّ سَيْفِكَ آيَاتُ الْعِصِي نُسِخَتْ ... إِذَا تَنَفَّرَ عَنْ يَوْمِ الرَّوْعِ كَافِرُهُ
سَلِ الْكُلَى وَالطُّلَى يَا مَنْ يُسَاجِلُهُ ... فَالرُّمْحُ نَاظِمُهُ وَالسَّيْفُ نَاثِرُهُ
تَنَجَّسَتْ بِدَمِ الْقَتْلَى صَوَارِمُهُ ... وَطُهِّرَتْ بِيَدِ التَّقْوَى مَآزِرُهُ
جَمُّ النَّوَالِ سَرِيعُ الْبَطْشِ مُتَّئِدٌ ... كَالدَّهْرِ يُرْجَى كَمَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ
إِذَا حَبَا أَغْنَتِ الْأَيْدِي مَوَاهِبُهُ ... وَإِنْ سَطَا سَدَّتِ الدُّنْيَا عَسَاكِرُهُ
أَيْنَ الْمَفَرُّ لِمَنْ عَادَاهُ مِنْ يَدِهِ ... وَالْوَحْشُ وَالطَّيْرُ أَتْبَاعٌ تُسَايِرُهُ
إِنْ يَصْعَدِ الْجَوَّ نَاشَتْهُ خَوَاطِفُهُ ... أَوْ يَهْبِطِ الْأَرْضَ غَالَتْهُ كَوَاسِرُهُ
يَا جَامِعًا بِالْعَطَايَا شَمْلَ عِتْرَتِهِ ... كَالْقُطْبِ لَوْلَاهُ مَا صَحَّتْ دَوَائِرُهُ
إِنْ جَادَ شِعْرِي فَهٰذَا الْفَضْلُ عَلَّمَنِي ... مَنْ غَاصَ فِي الْبَحْرِ جَاءَتْهُ جَوَاهِرُهُ

١٥٥ وقال ايضًا يمدح السلطان موسى الاشرف

يَسْتَوْجِبُ النَّصْرَ مَنْ صَحَّتْ عَزَائِمُهُ ... وَيُقْتَنَى الشُّكْرَ مَنْ عَمَّتْ مَكَارِمُهُ
بِالْمَالِ وَالنَّفْسِ نَالَ الْمَجْدَ طَالِبُهُ ... إِنَّ الْعَظِيمَ لَمَنْ هَانَتْ عَظَائِمُهُ
فِي كُلِّ دَوْرٍ لِهٰذَا الدِّينِ مُنْتَظَرٌ ... يَشِيدُهُ بَعْدَ مَا تَخْفَى مَعَالِمُهُ
فَالْيَوْمَ كُلُّ إِمَامِيٍّ يُوَافِقُنَا ... بِأَنَّ شَاهَ أَرْمَنَ الْمَهْدِيَّ قَائِمُهُ
مَنْ يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا بَعْدَ مَا مُلِئَتْ ... جَوْرًا وَتَكْشِفُ غُمَّاهَا صَوَارِمُهُ
يَا يَوْمَ دِمْيَاطَ مَا أَبْقَيْتَ مِنْ شَرَفٍ ... لِمَنْ تَقَدَّمَ إِلَّا أَنْتَ هَادِمُهُ
رَأَتْ بَنُو الْأَصْفَرِ الْأَعْلَامَ طَالِعَةً ... وَالنَّقْعُ يُرْمِدُ عَيْنَ الشَّمْسِ فَاحِمُهُ
وَالْجَيْشُ يَلْتَفُّ مِرْطَاهُ عَلَى مَلِكٍ ... كَاللَّيْثِ تَزْأَرُ حَوْلَيْهِ ضَرَاغِمُهُ
وَالْجَوُّ يَبْكِي سِمَاهَا كُلَّمَا ضَحِكَتْ ... عَنْ كُلِّ بَرْقٍ يَمَانِيٍّ غَمَائِمُهُ

وَكُلُّ طِرْفٍ إِذَا طَالَ ٱلطِّرَادُ بِهِ ... يَطِيرُ مِنْ حِدَّةٍ لَوْلَا شَكَائِمُهُ

وَدُونَ دِمْيَاطَ بَحْرٌ حَالَ بَيْنَهُمُ ... مِنَ ٱلظُّبَا لَيْسَ يَنْجُو مِنْهُ عَائِمُهُ

ذَلُّوا لِمُلْكٍ أَعَانَ ٱللهُ صَاحِبَهُ ... مُوسَى سُلَيْمَانُهُ وَٱلسَّيْفُ خَاتِمُهُ

وَسَلَّمُوهَا وَرَدُّوا أَهْلَهَا وَمَضَوْا ... وَٱلثَّغْرُ مِنْ فَرَحٍ يَفْتَرُّ بَاسِمُهُ

كَأَنَّهُمْ أَبْصَرُوا مَا قَدْ مَضَى زَمَنًا ... كَمَا يَرَى مُزْعِجَ ٱلْأَحْلَامِ نَائِمُهُ

أَشْبَهْتَ جَدَّكَ إِبْرَهِيمَ وَٱتَّفَقَتْ ... عَلَى عَزَائِمِكَ ٱلْعُلْيَا عَزَائِمُهُ

قُلْ لِلْكُمَاةِ وَسَرَّتْهُ سَلَامَتُهُ ... هٰذَا هُوَ ٱلْمَوْتُ فَٱحْذَرْ أَنْ تُلَائِمَهُ

عَادُوا بِحُزْنٍ إِلَى أَوْطَانِهِمْ وَمَضَوْا ... وَكُلُّ بَيْتٍ وَقَاهُمْ فِيهِ مَأْتَمُهُ

تَبْكِي ٱلنِّسَاءُ عَلَى أَسْرَى مُلُوكِهِمِ ... وَذَاكَ أَمْرٌ قَضَى بِٱلْعَدْلِ حَاكِمُهُ

يَا بَاذِلًا فِي سَبِيلِ ٱللهِ مُهْجَتَهُ ... لِلهِ لَا لِلَّذِي جَادَتْ مَعَالِمُهُ

لَوْلَاكَ زُلْزِلَ دِينُ ٱلْمُصْطَفَى وَهَوَى ... وَأَصْبَحَ ٱلْبَيْتُ قَدْ حَلَّتْ مَحَارِمُهُ

أَقُولُ لِلْحَاسِدِ ٱلْمَحْزُونِ ذَا مَلِكٌ ... وَٱلنَّجْمُ وَٱلْفَلَكُ ٱلدَّوَّارُ خَادِمُهُ

هٰذَا ٱخْتِصَاصٌ إِلٰهِيٌّ وَمَرْتَبَةٌ ... مَا فِي ٱلْمُلُوكِ عَلَيْهَا مَنْ يُزَاحِمُهُ

لَا فَارَقَتْ أَلْسُنَ ٱلْمَدَّاحِ دَوْلَتُهُ ... فَأَحْسَنُ ٱلرَّوْضِ مَا غَنَّتْ حَمَائِمُهُ

١٥٦ ولهُ فيهِ ايضًا

حَظِّي مِنَ ٱلزَّمَنِ ٱلْقَلِيلُ وَهٰذِهِ ... نَفَثَاتُ فِيَّ وَهٰذِهِ كَلِمَاتِي

أَشْكُو إِلَى شَاهِ ٱرْمَنٍ مُوسَى ٱلْمَلِيـ ... ـكِ ٱلْأَشْرَفِ ٱلسَّبَّاقِ لِلْغَايَاتِ

مَلِكٌ إِذَا ٱعْتَكَرَ ٱلْعَجَاجُ رَأَيْتَهُ ... طَلْقَ ٱلْمُحَيَّا وَاضِحَ ٱلْقَسَمَاتِ

لَوْ كَانَ قَبْلَ ٱلْيَوْمِ كَانَ جَبِينُهُ ... أَوْلَى مِنَ ٱلتَّشْبِيهِ بِٱلْمِشْكَاةِ

جَرَّارُ أَذْيَالِ ٱلْجُيُوشِ يَخُفُّهَا ... طَيْرُ ٱلسَّمَاءِ وَكَاسِرُ ٱلْفَلَوَاتِ

ضَمِنَتْ لَهَا عَادَاتُ نَصْرِ ٱللهِ أَنْ ... تَجْرِي جَرَايَتُهَا عَلَى ٱلْعَادَاتِ

أُسْدٌ بَرَاثِنُهَا ٱلنِّصَالُ تَقَحَّمَتْ ... أَجَمَ ٱلْوَشِيجِ فَغَبْنَ فِي غَابَاتِ

طَلَعَتْ مِنَ ٱلْخُوذِ ٱلْحَدِيدِ وُجُوهُهُمْ ... فَكَأَنَّهَا ٱلْأَقْمَارُ فِي ٱلْهَالَاتِ

وَٱسْتَلْأَمَتْ حَلَقُ ٱلدُّرُوعِ عَلَيْهِمِ ... فَكَأَنَّهَا لُجَجٌ عَلَى هَضَبَاتِ

يَرْمِي بِهَا سُبُلَ ٱلْمَهَالِكِ مَاجِدٌ ... كَمْ خَاضَ دُونَ ٱلْمَوْتِ فِي غَمَرَاتِ

كَمْ رَكْعَةٍ لِقَنَاهُ فِي ثُغَرِ ٱلْعِدَى ... وَلِسَيْفِهِ فِي ٱلْهَامِ مِنْ سَجَدَاتِ

سُمْرٌ ذَوَابِلُ لَا يُبَلُّ غَلِيلُهَا ... إِلَّا إِذَا سُقِيَتْ دَمَ ٱلْمُهَجَاتِ

يُلْهِي مَسَامِعَهُ ٱلصَّلِيلُ وَأَيْنَ مِنْ ... طَبْعِ ٱلْقُيُونِ تَطَبُّعُ ٱلْقَيْنَاتِ

ظِلُّ ٱلْبُنُودِ مَقِيلُهُ وَمِهَادُهُ ... جُرْدٌ تَطِيرُ بِهِ إِلَى ٱلْغَايَاتِ

دُهْمٌ تُخَيِّرُهَا ٱلصَّبَاحُ عَلَى ٱلدُّجَى ... فَغَدَا وَمَطْلِعُهُ مِنَ ٱلْجَبَهَاتِ

حُمْرٌ تَرَبَّتْ بَيْنَ مُشْتَجَرِ ٱلْقَنَا ... لَا بُدَّ دُونَ ٱلْوِرْدِ مِنْ شَوْكَاتِ

شُهُبٌ بِهَا قُذِفَتْ شَيَاطِينُ ٱلْعِدَى ... فَجَرَتْ كَجَرْيِ ٱلشُّهْبِ مُشْتَعِلَاتِ

هٰذَا ٱلَّذِي أَرْضَى ٱلْعِبَادَ وَرَبَّهُمْ ... بِغَرَائِبِ ٱلْإِحْسَانِ وَٱلْحَسَنَاتِ

هٰذَا ٱلَّذِي ٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلْوُزَرَاءِ فِي ... تَدْبِيرِ عَقْدِ ٱلرَّأْيِ وَٱلرَّايَاتِ

سُبْحَانَ مَنْ جَمَعَ ٱلْمَكَارِمَ عِنْدَهُ ... وَقَضَى عَلَى أَمْوَالِهِ بِشَتَاتِ

١٥٧ وقال ايضًا يمدحهُ

قَدْ مَسَّنِي ٱلضُّرُّ وَمَا لِي سِوَى ... مَنْ يَمْنَعُ ٱلْجَارَ وَلَا يَمْنَعُ

أَلْمَلِكُ ٱلْأَشْرَفُ شَاهُ ٱرْمَنٌ ... مُظَفَّرُ ٱلدِّينِ ٱلْفَتَى ٱلْأَرْوَعُ

إِنْ غَاضَ مَاءُ الرِّزْقِ مُوسَى وَإِنْ شَمْسِي تَغْرُبْ إِنَّهُ يُوشَعُ
لَهُ يَدٌ ظَاهِرُهَا كَعْبَةٌ وَفِي النَّدَى بَاطِنُهَا مَشْرَعُ
بَيْضَاءُ فِي السِّلْمِ وَلَكِنَّهَا حَمْرَاءُ إِذْ سِنُّ الْقَنَا يَقْرَعُ
إِذَا دَجَا النَّقْعُ وَصَلَّتْ بِهِ بِيضٌ سُجُودٌ وَقَنًا رُكَّعُ
سَلَّ حُسَامًا وَامْتَطَى أَشْقَرًا فَأَيُّ بَرْقَيْهِ بِهِ أَسْرَعُ
طِرْفٌ مِنَ الصُّبْحِ لَهُ غُرَّةٌ وَمِنْ رِيَاحٍ أَرْبَعٍ أَرْبَعُ
فِي جَحْفَلٍ يُحْمَدُ يَوْمَ الْوَغَى فِي جَمْعِهِ تَفْرِيقُ مَا يُجْمِعُ
بَحْرٌ حَدِيدٌ مَوْجُ أَبْطَالِهِ يُزْبِدُ بِيضًا وَقَنًا يَلْمَعُ
مَلَكٌ لَهُ الْأَمْلَاكُ مِنْ رَهْبَةٍ وَرَغْبَةٍ أَعْنَاقُهَا خُضَّعُ
يُخِيفُهَا السَّطْوَةُ مِنْ بَأْسِهِ لَكِنَّهَا فِي جُودِهِ تَطْمَعُ
لَا تَرْتَضِي هِمَّتُهُ غَايَةً مِنْ رُتَبِ الْمَجْدِ وَلَا تَقْنَعُ
مُبْتَكِرٌ لِلْمَجْدِ مُدَّاحُهُ تَبْتَكِرُ الْمَدْحَ الَّذِي يَصْنَعُ
تَنَزَّهَتْ أَفْعَالُهُ فَهْوَ عَنْ مَا تَمْدَحُ النَّاسُ بِهِ أَرْفَعُ
يَا ابْنَ الَّذِي لَوْ كَادَهُ تُبَّعٌ لَكَانَ كَالْعَبْدِ لَهُ يُتْبَعُ
كَفَاهُ فَخْرًا أَنْ تَكُونَ ابْنَهُ وَأَنْتَ فِي أَوْلَادِهِ إِنْ دُعُوا
بَقِيتَ لِلْإِسْلَامِ مَا غَرَّدَتْ قُمْرِيَّةٌ فِي دَوْحِهَا تَسْجَعُ

١٥٨ وقال يمدحهُ ويستعطفهُ

أَللهُ أَبْدَى الْبَدْرَ مِنْ أَزْرَارِهِ وَالشَّمْسَ مِنْ قَسَمَاتِ مُوسَى أَطْلَعَا
أَلْأَشْرَفُ الْمَلِكُ الَّذِي سَادَ الْوَرَى كَهْلًا وَمُكْتَمِلَ الشَّبَابِ وَمُرْضَعَا

رُدَّتْ بِهِ شَمْسُ السَّمَاحِ عَلَى الْوَرَى فَاسْتَبْشَرُوا وَرَأَوْا بِمُوسَى يُوشَعَا
سَهْلٌ إِذَا لَمَسَ الصَّفَا سَالَ النَّدَى صَعْبٌ إِذَا لَحَظَ الْأَصَمَّ تَصَدَّعَا
دَانٍ وَلَكِنْ مِنْ سُؤَالِ عُفَاتِهِ سَامٍ عَلَى سَمْكِ السَّمَاءِ تَرَفَّعَا
يَا بَرْقُ هٰذَا مِنْكَ أَصْدَقُ شِيمَةً يَا غَيْثُ هٰذَا مِنْكَ أَحْسَنُ مَوْقِعَا
يَا رَوْضُ هٰذَا مِنْكَ أَبْهَجُ مَنْظَرًا يَا بَحْرُ هٰذَا مِنْكَ أَعْذَبُ مَشْرَعَا
يَا سَهْمُ هٰذَا مِنْكَ أَصْوَبُ مَقْصَدًا يَا سَيْفُ هٰذَا مِنْكَ أَسْرَعُ مَقْطَعَا
يَا صُبْحُ هٰذَا مِنْكَ أَسْفَرُ غُرَّةً يَا نَجْمُ هٰذَا مِنْكَ أَهْدَى مَطْلَعَا
حَمَلَتْ أَنَامِلُهُ السُّيُوفَ فَلَمْ تَزَلْ شُكْرًا لِذَاكَ سُجَّدًا أَوْ رُكَّعَا
حَلَّتْ فَلَا بَرِحَتْ مَكَانًا لَمْ يَزَلْ مِنْ دُرِّ أَفْوَاهِ الْمُلُوكِ مُرَصَّعَا
أَمُظَفَّرَ الدِّينِ اسْتَمِعْ قَوْلِي وَقُلْ لِعِثَارِ عَبْدٍ أَنْتَ مَاسِكُهُ لَعَا
أَيَضِيقُ بِي حَرَمُ اصْطِنَاعِكَ بَعْدَمَا قَدْ كَانَ مُنْفَرِجًا عَلَيَّ مُوَسَّعَا
وَعَلَى كِلَا الْحَالَيْنِ إِنِّي شَاكِرٌ دَاعٍ لِأَنَّ اللهَ يَسْمَعُ مَنْ دَعَا

١٥٩ وقال يمدحهُ وهي من القصائد المرقصة

وَاللهِ لَوْ قِيسَ بِهِ حَاتِمٌ لَقَلَّ مَا قَدْ قِيلَ فِيهِ وَهَانْ
ذَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ بِإِحْسَانِهِ وَذَاكَ يَمْتَنُّ بِمِلْءِ الْجِفَانْ
يَرْوِي الْعُلَى عَنْ نَفْسِهِ عَنْ أَبٍ عَالٍ فَمَا فِي نَصِّهِ عَنْ فُلَانْ
قَدْ نَظَّمَ الْمَجْدُ لَهُ نِسْبَةً كَالدُّرِّ تَجْلُوهُ وُجُوهُ الْحِسَانْ
طَلْقُ النَّدَى طَلْقُ الْحَيَا طَلْقُ نَصْـ ـلِ السَّيْفِ طَلْقُ الْأَمْرِ طَلْقُ اللِّسَانْ
يَقُولُ مَنْ يَسْمَعُ أَلْفَاظَهُ هٰذَا جَنِيٌّ يَانِعٌ أَمْ جِنَانْ

لَهُ عَلَى وَقْعِ الظُّبَى هِزَّةٌ إِذَا الْتَقَى الْجَمْعَانِ يَوْمَ الرِّهَانْ
صَالَتْ وَصَلَّتْ فِي رُؤُوسِ الْعِدَى كَأَنَّ فِي الْآذَانِ مِنْهَا أَذَانْ
مَوْلَايَ جُدْ وَانْعَمْ وَصُلْ وَاقْتَدِرْ وَافْتُكْ فَمَا تَفْرَحُ أُمُّ الْجَبَانْ
وَارْكَبْ جَوَادَ الدَّهْرِ وَاسْبُقْ إِلَى مَا تَشْتَهِيهِ قَدْ مَلَكْتَ الْعِنَانْ
دُمْتُمْ بَنِي أَيُّوبَ فِي نِعْمَةٍ تَجُوزُ فِي التَّخْلِيدِ حَدَّ الزَّمَانْ
وَاللهِ مَا زُلْتُمْ مُلُوكَ الْوَرَى شَرْقًا وَغَرْبًا وَعَلَيَّ الضَّمَانْ

١٦٠ قال ابن عُنَينٍ في الملك العادل وفي اولاده

وَلَهُ الْبَنُونَ بِكُلِّ أَرْضٍ مِنْهُمُ مَلِكٌ يَقُودُ إِلَى الْأَعَادِي عَسْكَرَا
مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ تَخَالُهُ بَدْرًا وَإِنْ شَهِدَ الْوَغَى فَغَضَنْفَرَا
مُتَقَدِّمٌ حَتَّى إِذَا النَّقْعُ انْجَلَى بِالْبِيضِ عَنْ سَبْيِ الْحَرِيمِ تَأَخَّرَا
قَوْمٌ زَكَوْا أَصْلًا وَطَابُوا مَحْتِدًا وَتَدَفَّقُوا جُودًا وَرَاقُوا مَنْظَرَا
وَتَعَافُ خَيْلُهُمُ الْوُرُودَ بِمَنْهَلٍ مَا لَمْ يَكُنْ بِدَمِ الْوَقَائِعِ حُمِّرَا
يَعْشُو إِلَى نَارِ الْوَغَى شَغَفًا بِهَا وَيَجِلُّ أَنْ يَعْشُو إِلَى نَارِ الْقِرَى
أَلْعَادِلُ الْمَلِكُ الَّذِي أَسْمَاؤُهُ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ تُشَرِّفُ مِنْبَرَا
وَبِكُلِّ أَرْضٍ جَنَّةٌ مِنْ عَدْلِهِ الصَّافِي أَسَالَ نَدَاهُ فِيهَا كَوْثَرَا
عَدْلٌ يُبِيتُ الذِّئْبَ مِنْهُ عَلَى الطَّوَى غَرْثَانَ وَهْوَ يَرَى الْغَزَالَ الْأَعْفَرَا
مَا فِي أَبِي بَكْرٍ لِمُعْتَقِدِ الْهُدَى شَكٌّ مُرِيبٌ أَنَّهُ خَيْرُ الْوَرَى
سَيْفٌ صِقَالُ الْمَجْدِ أَخْلَصَ مَتْنَهُ وَأَبَانَ طِيبُ الْأَصْلِ مِنْهُ الْجَوْهَرَا
مَا مَدْحُهُ بِالْمُسْتَعَارِ لَهُ وَلَا آيَاتُ سُؤْدُدِهِ حَدِيثٌ يُفْتَرَى

بَيْنَ الْمُلُوكِ الْغَابِرِينَ وَبَيْنَهُ فِي الْفَضْلِ مَا بَيْنَ الثُّرَيَّا وَالثَّرَى
نَسَخَتْ خَلَائِقُهُ الْحَمِيدَةُ مَا أَتَى فِي الْكُتْبِ عَنْ كِسْرَى الْمُلُوكِ وَقَيْصَرَا
مَلِكٌ إِذَا خَفَّتْ حُلُومُ ذَوِي النُّهَى فِي الرَّوْعِ زَادَ رَصَانَةً وَتَوَقُّرَا
ثَبْتُ الْجَنَانِ تُرَاعُ مِنْ وَثَبَاتِهِ وَثَبَاتِهِ يَوْمَ الْوَغَى أُسْدُ الشَّرَى
يَقِظٌ يَكَادُ يَقُولُ عَمَّا فِي غَدٍ بِبَدِيهَةٍ أَغْنَتْهُ أَنْ يَتَفَكَّرَا
حِلْمٌ تَخِفُّ لَهُ الْحُلُومُ وَرَاءَهُ رَأْيٌ وَعَزْمٌ يَخْفِرُ الْإِسْكَنْدَرَا
يَعْفُو عَنِ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ تَكَرُّمًا وَيَصُدُّ عَنْ قَوْلِ الْخَنَا مُتَكَبِّرَا
لَا تَسْمَعَنَّ حَدِيثَ مَلْكٍ غَيْرِهِ يُرْوَى فَكُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا

١٦١ قال الصاحب جمال الدين يحيي بن مطروح يمدح المستنصر بالله

لَادَرَّ دَرِّي إِنْ وَنَتْ بِي هِمَّةٌ عَنْ قَصْدِ دَارٍ ظِلُّهَا لَا يَبْرَحُ
بَغْدَادُ أَيَّتُهَا الْمَذَاكِي إِنَّهَا أَنْجَى وَأَنْجَعُ لِلشُّؤُونِ وَأَنْجَحُ
خِبًّا وَتَقْرِيبًا وَإِنْضَاءً فَبِي شَوْقٌ إِلَى ذَاكَ الْجَنَابِ مُبَرِّحُ
هٰذَا هُوَ الْمُلْكُ الَّذِي لَا يُبْتَغَى لِسِوَاكَ وَالشَّرَفُ الَّذِي لَا يُرْجَحُ
مُسْتَنْصِرًا بِاللهِ يُمْسِي دَائِبًا فِيمَا يَعِزُّ بِهِ لَدَيْهِ وَيُصْبِحُ
تَعْرُو الْمَنَابِرَ حِينَ يُذْكَرُ هَيْبَةٌ حَتَّى الْجَمَادُ لِذِكْرِهِ يَتَرَنَّحُ
تُغْشَى النَّوَاظِرُ إِنْ بَدَتْ أَنْوَارُهُ فَالطَّرْفُ يَطْرِفُ وَالْجَوَانِحُ تَجْنَحُ
يَعْفُو وَيَصْفَحُ قَادِرًا عَمَّنْ جَنَى عَمَلًا بِقَوْلِ اللهِ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا
مَنْ مُبْلِغٌ قَوْمًا بِمِصْرَ تَرَكْتُهُمْ فِرَقًا وَأَعْيُنُهُمْ لِعَوْدِيَ تَطْمَحُ
مَا نِلْتُ مِنْ شَرَفٍ وَمَجْدٍ بَاذِخٍ وَغَدَا بِنَا فَوْقَ الْكَوَاكِبِ مَطْرَحُ

فَبِذٰلِكَ ٱلشَّرَفِ ٱلَّذِي أُوتِيتَهُ ... وَبِحُسْنِ مُنْقَلَبِي إِذَا فَلْيَفْرَحُوا
إِنِّي لَأَرْبَحُ مَتْجَرًا مِنْ مَعْشَرٍ ... أَضْحَتْ بَضَائِعُهُمْ تُذَالُ وَتُطْرَحُ
جَلَبُوا ٱلَّذِي يَفْنَى وَيَنْفَدُ عَاجِلًا ... وَجَلَبْتُ مَا يَبْقَى فَمَنْ هُوَ أَرْبَحُ
ٱللّٰهُ حَسْبُكَ يَا ٱبْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... فَلْيَسْمِطِ مَدْحَكَ ذِي ٱللَّآلِي تَصْلُحُ
لَا تُلَّ عَرْشُ خِلَافَةٍ مُذْ حُطْتَهَا ... قَرَأَتْ عَلَى أَعْدَائِهَا لَنْ تُفْلِحُوا
وَقَدِ ٱسْتَقَرَّ ٱلْمُلْكُ فَوْقَ سَرِيرِهَا ... وَٱلْعِزُّ تَحْتَ لِوَائِهَا لَا يَبْرَحُ
فِي ظِلِّهِ لِلَّائِذِينَ فَلُذْ بِهِ ... إِنْ كُنْتَ تَقْبَلُ مِنْ نَصِيحٍ يَنْصَحُ
مَا لَا رَأَتْ عَيْنٌ وَلَا سَمِعَتْ بِهِ ... أُذُنٌ وَلَا أَمْسَى بِبَالٍ يَسْنَحُ
إِنَّ ٱلْخِلَافَةَ لَمْ تَكُنْ إِلَّا لَكُمْ ... مِنْ آدَمٍ وَهَلُمَّ جَرًّا تَصْلُحُ

١٦٢ وقال يمدح الملك الاشرف مظفر الدين ابا الفتح موسى اخا الملك الكامل

لَا شَيْءَ يُطْرِبُ سَامِعًا كَحَدِيثِهِ ... إِلَّا ٱلثَّنَاءُ عَلَى عَلَاشَاهَ ٱرْمَنِ
ٱلْأَشْرَفِ ٱلْمَلِكِ ٱلْكَرِيمِ ٱلْمُجْتَبَى ... مُوسَى وَتَيِّمْ بِٱلرَّحِيمِ ٱلْمُحْسِنِ
مَلِكٌ إِذَا أَنْفَقْتَ عُمْرَكَ كُلَّهُ ... فِي نَظْرَةٍ مِنْ وَجْهِهِ لَمْ تُغْبَنِ
وَإِذَا ٱنْتَخَبْتَ لَهُ دُعَاءً صَالِحًا ... لَمْ تَلْقَ غَيْرَ مُشَارِكٍ وَمُؤَمِّنِ
يَا أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ ٱلَّذِي مَنْ فَاتَهُ ... نَظَرٌ إِلَيْكَ فَمَا أَرَاهُ بِمُؤْمِنِ
أَفْنَيْتَ خَيْلَكَ وَٱلصَّوَارِمَ وَٱلْقَنَا ... وَعِدَاكَ وَٱلْأَمْوَالَ مَاذَا تَقْتَنِي
أَبْقَتْ لَكَ ٱلذِّكْرَ ٱلْجَمِيلَ مُخَلَّدًا ... شِيَمٌ لَهَا ٱلْأَمْلَاكُ لَمْ تَتَفَطَّنِ
وَشَجَاعَةٌ رَجَفَ ٱلْعِرَاقُ لِذِكْرِهَا ... وَتِهَامَةٌ وَبِلَادُ عَبْدِ ٱلْمُؤْمِنِ
وَلَّى ٱلْخُوَارَزْمِيُّ مِنْهَا هَارِبًا ... وَهَلُمَّ جَرًّا قَلْبُهُ لَمْ يَسْكُنِ

وَدُعَاؤُهُ فِي لَيْلِهِ وَنَهَارِهِ ... يَا رَبِّ مِنْ سَطَوَاتِ مُوسَى نَجِّنِي
مَا كَانَ أَشْوَقَنِي لِثَمِ بَنَانِهِ ... وَلَقَدْ ظَفِرْتُ بِلَثْمِهَا فَلْيَهْنِنِي
وَدَخَلْتُ مِنْ أَبْوَابِهِ فِي جَنَّةٍ ... يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِأَنَّنِي
يَا مُكْثِرِي ٱلدَّعْوَى ٱخْفِضُوا أَصْوَاتَكُمْ ... مَا كُلُّ رَافِعِ صَوْتِهِ بِمُؤَذِّنِ
أَنَا مَنْ يُحَدَّثُ عَنْهُ فِي أَقْطَارِهَا ... مَنْ كَانَ فِي شَكٍّ بِهِ فَلْيُوقِنِ
هٰذَا مَقَامٌ لَا ٱلْفَرَزْدَقُ مَاهِرٌ ... فِيهِ وَلَا نُظَرَاؤُهُ ٱلْكِنِّنِي
مَلِكُ ٱلْمُلُوكِ إِلَيْكَهَا مِنْ نَاظِمٍ ... مُتَرَسِّلٍ مُتَنَوِّعٍ مُتَفَنِّنِ
إِنْ شِئْتَ نَظْمًا فَٱلَّذِي أَمْلَيْتَهُ ... أَوْ شِئْتَ نَثْرًا فَٱقْتَرِحْ وَٱسْتَحْسِنِ
لَا تُخْدَعَنَّ بِظَاهِرٍ عَنْ بَاطِنٍ ... قَدْ يُظْهِرُ ٱلْإِنْسَانُ مَا لَمْ يُبْطِنِ
وَٱلسَّبْعَةُ ٱلْأَفْلَاكُ مَا حَرَكَاتُهَا ... إِلَّا مَخَافَةَ أَنْ تَقُولَ لَهَا ٱسْكُنِي
عَاشَتْ عِدَاكَ وَلَا أَشَحَّ عَلَيْهِمِ ... عُمْيُ ٱلنَّوَاظِرِ عَنْكَ خُرْسُ ٱلْأَلْسُنِ

١٦٣ حدَّث العلامة لسان الدين بن الخطيب قال: نظمتُ للسلطان الظافر وأنا بمدينة سِلا لمَّا انفصل طالبًا حقَّهُ بالأندلس قصيدةً كان صُنْعُ الله مطابقًا لاستهلالها. ووجَّهتُ بها إلى رندة قبل الفتح. ثمَّ لمَّا قدِمتُ أنشدتها بين يديه بعد الفتح وفاءً بنذري. وسمَّيتها الفتح الغريب في الفتح القريب:

أَلْحَقُّ يَعْلُو وَٱلْأَبَاطِلُ تَسْفُلُ ... وَٱلْحَقُّ عَنْ أَحْكَامِهِ لَا يُسْأَلُ
فَإِذَا ٱسْتَحَالَتْ حَالَةٌ وَتَبَدَّلَتْ ... فَٱللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَبَدَّلُ
وَٱلْيُسْرُ بَعْدَ ٱلْعُسْرِ مَوْعُودٌ بِهِ ... وَٱلصَّبْرُ بِٱلْفَرَجِ ٱلْقَرِيبِ مُوَكَّلُ
وَٱلْمُسْتَعِدُّ بِمَا يُؤَمِّلُ ظَافِرٌ ... وَكَفَاكَ شَاهِدُ قَيِّدُوا وَتَوَكَّلُوا
أَمُحَمَّدٌ وَٱلْحَمْدُ مِنْكَ سَجِيَّةٌ ... بِحُلِيِّهَا بَيْنَ ٱلْوَرَى يَتَجَمَّلُ

أَمَّا سُعُودُكَ فَهْوَ دُونَ مُنَازِعٍ ... عَقْدٌ بِأَحْكَامِ ٱلْقَضَاءِ يُسَجَّلُ
وَلَكَ ٱلسَّجَايَا ٱلْغُرُّ وَٱلشِّيَمُ ٱلَّتِي ... بِغَرِيبِهَا يَتَمَثَّلُ ٱلْمُتَمَثِّلُ
وَلَكَ ٱلْوَقَارُ إِذَا تَزَلْزَلَتِ ٱلرُّبَى ... وَهَفَتْ مِنَ ٱلرَّوْعِ ٱلْهِضَابُ ٱلْمُثَّلُ
عَوِّذْ كَمَالَكَ مَا ٱسْتَطَعْتَ فَإِنَّهُ ... قَدْ تَنْقُصُ ٱلْأَشْيَاءُ مِمَّا تَكْمُلُ
إِنْ كَانَ مَاضٍ مِنْ زَمَانِكَ قَدْ مَضَى ... بِإِسَاءَةٍ قَدْ سَرَّكَ ٱلْمُسْتَقْبِلُ
هٰذَا بِذَاكَ فَشَفِّعِ ٱلثَّانِي ٱلَّذِي ... أَرْضَاكَ فِيمَا قَدْ جَنَاهُ ٱلْأَوَّلُ
وَٱللهُ قَدْ وَلَّاكَ أَمْرَ عِبَادِهِ ... لَمَّا ٱرْتَضَاكَ وَلَايَةً لَا تُعْزَلُ
وَإِذَا تَعَمَّدَكَ ٱلْإِلٰهُ بِنَصْرِهِ ... وَقَضَى لَكَ ٱلْحُسْنَى فَمَنْ ذَا يَخْذُلُ
وَظَعَنْتَ عَنْ أَوْطَانِ مُلْكِكَ رَاكِبًا ... مَتْنَ ٱلْعُبَابِ فَأَيُّ صَبْرٍ يَحْمِلُ
وَٱلْبَحْرُ قَدْ حُنِيَتْ عَلَيْكَ ضُلُوعُهُ ... وَٱلرِّيحُ تَقْطَعُ لِلزَّفِيرِ وَتُرْسِلُ
وَلَكَ ٱلْجَوَارِي ٱلْمُنْشَآتُ قَدِ ٱغْتَدَتْ ... تَخْتَالُ فِي بُرْدِ ٱلشَّبَابِ وَتَرْفُلُ
غَرِقَتْ بِصَفْحَتِهِ ٱلنِّمَالُ وَأَوْشَكَتْ ... تَبْغِي ٱلنَّجَاةَ فَأَوْثَقَتْهَا ٱلْأَرْجُلُ
فَٱلصَّرْحُ مِنْهُ مُمَرَّدٌ وَٱلصَّفْحُ مِنْهُ مُوَرَّدٌ وَٱلشَّطُّ مِنْهُ مُهَدَّلُ
وَبِكُلِّ أَزْرَقَ إِنْ شَكَتْ أَلْحَاظُهُ ... مَرَهَ ٱلْعُيُونِ فَبِٱلْعَجَاجَةِ يُكْحَلُ
مُتَأَوِّدًا أَعْطَافُهُ فِي نَشْوَةٍ ... مِمَّا يُعَلُّ مِنَ ٱلدِّمَاءِ وَيُنْهَلُ
عَجَبًا لَهُ إِنَّ ٱلنَّجِيعَ بِطَرْفِهِ ... رَمَدٌ وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَقْتَلُ
لِلّٰهِ مَوْقِفُكَ ٱلَّذِي وَثَبَاتُهُ ... وَثَبَاتُهُ مَثَلٌ بِهِ يُتَمَثَّلُ
وَٱلْخَيْلُ خَطٌّ وَٱلْمَجَالُ صَحِيفَةٌ ... وَٱلسُّمْرُ تَنْقُطُ وَٱلصَّوَارِمُ تَشْكُلُ
وَٱلْبِيضُ قَدْ كُسِرَتْ حُرُوفُ جُفُونِهَا ... وَعَوَامِلُ ٱلْأَسَلِ ٱلْمُثَقَّفِ تُعْمَلُ

١٦٤ لابن رشيد يمدح امير المؤمنين عبد المؤمن الكومي

دَرَارِيُّ مِنْ نُورِ ٱلْهُدَى تَتَوَقَّدُ ... مَطَالِعُهَا فَوْقَ ٱلْحُجَّةِ أَسْعَدُ
وَأَنْهَارُ جُودٍ كُلَّمَا أَمْسَكَ ٱلْحَيَا ... يُمِدُّ بِهَا طَامِي ٱلْغَوَارِبِ مُزْبِدُ
وَآسَادُ حَرْبٍ غَابُهَا شَجَرُ ٱلْقَنَا ... وَلَا لَبَدٌ إِلَّا ٱلْعَجَاجُ ٱلْمُلَبَّدُ
مَسَاعِيرُ فِي ٱلْهَيْجَا مَسَاعِيرُ لِلنَّدَى ... بِأَيْدِيهِمِ يَحْمَى ٱلْهَجِيرُ وَيَبْرُدُ
تُشَبُّ بِهِمْ نَارَانِ لِلْحَرْبِ وَٱلْقِرَى ... وَيَجْرِي بِهِمْ سَيْلَانِ جَيْشٌ وَعَسْجَدُ
وَيَسْتَمْطِرُونَ ٱلْبَرْقَ وَٱلْبَرْقُ عِنْدَهُمْ ... سُيُوفٌ عَلَى أُفُقِ ٱلْعُدَاةِ تُجَرَّدُ
سَلَامٌ عَلَى ٱلْمَهْدِيِّ أَمَّا قَضَاؤُهُ ... فَحَتْمٌ وَأَمَّا أَمْرُهُ فَمُؤَكَّدُ
إِمَامُ ٱلْوَرَى عَمَّ ٱلْبَسِيطَةَ عَدْلُهُ ... عَلَى حِينِ وَجْهُ ٱلْأَرْضِ بِٱلْجَوْرِ أَرْبَدُ
بَصِيرٌ رَأَى ٱلدُّنْيَا بِعَيْنٍ جَلِيلَةٍ ... فَلَمْ يُغْنِهِ إِلَّا ٱلْمَقَامُ ٱلْمُمَجَّدُ
وَلَمَّا مَضَى وَٱلْأَمْرُ لِلّٰهِ وَحْدَهُ ... وَبُلِّغَ مَأْمُولٌ وَأُنْجِزَ مَوْعِدُ
تَرَدَّى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِدَاءَهُ ... وَقَامَ بِأَمْرِ ٱللهِ وَٱلنَّاسُ هُجَّدُ
بِعَزْمَةِ شَيْخَانِ ٱلْفُؤَادِ مُصَمِّمٍ ... يَقُومُ بِهِ أَقْصَى ٱلْوُجُودِ وَيَقْعُدُ
مَشِيئَتُهُ مَا شَاءَهُ ٱللهُ إِنَّهُ ... إِذَا هَمَّ فَٱلْحُكْمُ ٱلْإِلٰهِيُّ يُسْعِدُ
كَتَائِبُهُ مَشْفُوعَةٌ بِمَلَائِكٍ ... تُزَادُ بِهَا فِي كُلِّ حَالٍ وَتُرْفَدُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا نِيَّةٌ خَلُصَتْ لَهُ ... فَلَيْسَ لَهُ فِيمَا سِوَى ٱللهِ مَقْصِدُ
إِذَا خَطَبَتْ رَايَاتُهُ وَسْطَ مَحْفِلٍ ... تَرَى قُمَمَ ٱلْأَعْدَاءِ فِي ٱلتُّرْبِ تَسْجُدُ
وَإِنْ نَطَقَتْ بِٱلْفَضْلِ فِيهِمْ سُيُوفُهُ ... أَقَرَّ بِأَمْرِ ٱللهِ مَنْ كَانَ يَجْحَدُ
مُعِيدُ عُلُومِ ٱلدِّينِ بَعْدَ ٱرْتِفَاعِهَا ... وَمُبْدِي عُلُومٍ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تُعْهَدُ

جَزَى اللهُ عَنْ هٰذَا الْأَنَامَ خَلِيفَةً ... بِهِ شَرِبُوا مَاءَ الْحَيَاةِ فَخُلِّدُوا
وَحَيَّاهُ مَا دَامَتْ مَحَاسِنُ ذِكْرِهِ ... عَلَى مَدْرَجِ الْأَيَّامِ تُتْلَى وَتُنْشَدُ
فَدُمْ لِلْوَرَى غَيْثًا وَعِزًّا وَرَحْمَةً ... فَقُرْبُكَ فِي الدَّارَيْنِ مَنْحٌ وَمَسْعَدُ
وَزَادَتْ بِكَ الْأَعْيَادُ حُسْنًا وَبَهْجَةً ... كَأَنَّكَ لِلْأَعْيَادِ زِيٌّ مُجَدَّدُ
وَلَا زِلْتَ لِلْأَيَّامِ تُبْلِي جَدِيدَهَا ... وَعُمْرُكَ فِي رَيْعَانِهِ لَيْسَ يَنْفَدُ

١٦٥ قال ابن صردر يمدح السلطان ملكشاه

قَدْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى نِصَابِهِ ... وَأَنْتَ مِنْ كُلِّ الْوَرَى أَوْلَى بِهِ
مَا كُنْتَ إِلَّا السَّيْفَ سَلَّتْهُ يَدٌ ... ثُمَّ أَعَادَتْهُ إِلَى قِرَابِهِ
هَزَّتْهُ حَتَّى أَبْصَرَتْهُ صَارِمًا ... رَوْنَقُهُ يُغْنِيهِ عَنْ ضِرَابِهِ
أَكْرِمْ بِهَا وِزَارَةً مَا سَلَّمَتْ ... مَا اسْتُودِعَتْ إِلَّا إِلَى أَصْحَابِهِ
مَشُوقَةٌ إِلَيْكَ مُذْ فَارَقْتَهَا ... شَوْقَ أَخِي الشَّيْبِ إِلَى شَبَابِهِ
مِثْلُكَ مَحْسُودٌ وَلٰكِنْ مُعْجِزٌ ... أَنْ يُدْرِكَ الْبَارِقُ فِي سَحَابِهِ
حَاوَلَهَا قَوْمٌ وَمَنْ هٰذَا الَّذِي ... يُخْرِجُ لَيْثًا خَادِرًا مِنْ غَابِهِ
يُدْمِي أَبُو الْأَشْبَالِ مَنْ زَاحَمَهُ ... فِي جَيْشِهِ بِظُفْرِهِ وَنَابِهِ
وَهَلْ رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ لَابِسًا ... مَا خَلَعَ الْأَرْقَمُ مِنْ إِهَابِهِ
تَيَقَّظُوا لَمَّا رَأَوْهَا ضَيْعَةً ... أَنْ لَيْسَ لِلْجَوِّ سِوَى عُقَابِهِ
إِنَّ الْهِلَالَ يُرْتَجَى طُلُوعُهُ ... بَعْدَ السَّرَارِ لَيْلَةَ احْتِجَابِهِ
وَالشَّمْسُ لَا يُؤْيَسُ مِنْ طُلُوعِهَا ... وَإِنْ طَوَاهَا اللَّيْلُ فِي جَنَابِهِ
مَا أَطْيَبَ الْأَوْطَانَ إِلَّا أَنَّهَا ... لِلْمَرْءِ أَحْلَى أَثَرَ اغْتِرَابِهِ

كَمْ عَوْدَةٍ دَلَّتْ عَلَى مَآبِهَا ... وَالْخُلْدُ لِلْإِنْسَانِ فِي مَآبِهِ
لَوْ قَرَّبَ الدُّرَّ عَلَى طَالِبِهِ ... مَا نَجَحَ الْغَائِصُ فِي طِلَابِهِ
وَلَوْ أَقَامَ لَازِمًا أَصْدَافَهُ ... لَمْ تَكْتَنِ التِّيجَانُ فِي حِسَابِهِ
مَا لُؤْلُؤُ الْبَحْرِ وَلَا مَنْ صَانَهُ ... إِلَّا وَرَاءَ الْهَوْلِ مِنْ عُبَابِهِ

١٦٦ قال أحمد بن ابي القاسم الخلوف في الملك المسعود

وَافْتَرَّ ثَغْرُ الزَّهْرِ بِشْرًا إِذْ رَأَى ... وَجْهَ الْمَلِيكِ تَحُفُّهُ الْبُشَرَاءُ
سَاسَ الْخِلَافَةَ بِالْمَكَارِمِ وَالْحِجَى ... إِذْ لَمْ يَسُسْهَا مِثْلَهُ الْخُلَفَاءُ
تَعْلُو السَّمَاءَ ثَلَاثَةٌ مِنْ أَرْضِهِ ... أَلْفَضْلُ وَالْإِفْضَالُ وَالنَّعْمَاءُ
وَثَلَاثَةٌ تَغْشَاكَ أَنَّى زُرْتَهُ ... أَلْبِرُّ وَالْإِرْفَادُ وَالسَّرَّاءُ
وَثَلَاثَةٌ قَدْ جُنِّبَتْ أَخْلَاقَهُ ... أَلْخُلْفُ وَالْآثَامُ وَالشَّحْنَاءُ
وَثَلَاثَةٌ فِي الْعَزْمِ مِنْ أَفْعَالِهِ ... أَلنَّقْضُ وَالْإِبْرَامُ وَالْآرَاءُ
وَالْمَجْدُ وَهُوَ اثْنَانِ أَحْرَزَ وَاحِدًا ... أَعْمَامُهُ وَالْآخَرَ الْآبَاءُ
يَقَظَاتُهُ وَاللَّيْلُ مُرْخٍ سَجْفَهُ ... تَرَكَتْ عُيُونًا مَا لَهَا إِغْفَاءُ
بَحْرٌ لِكَفِّي تُجْرِهِ نَعْمَاؤُهُ ... بَدْرٌ لِعَيْنِي تُبْدِهِ الْأَضْوَاءُ
لَوْ عَايَنَتْ مِنْهُ السَّحَائِبُ مَا أَرَى ... حَارَتْ فَلَمْ تَتَجَسَّسِ الْأَنْوَاءُ
وَإِذَا اخْتَفَى عَنْ مُنْكِرِيهِ فَعَاذِرٌ ... أَنْ لَا تَرَاهُ مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ
هٰذِي الْمَآثِرُ لَيْسَ يُنْشِي مِثْلَهَا ... بَانٍ وَلَمْ يَسْمُ بِهَا النُّظَرَاءُ
تَتَحَيَّرُ الشُّعَرَاءُ فِيهَا إِذْ تَذِلُّ م ... بِبَحْرِهَا الْكُبَرَاءُ وَالْعُظَمَاءُ
لَمْ يَثْنِ فِي طَلَبٍ أَعِنَّةَ خَيْلِهِ ... لَمَّا اعْتَرَتْ مَهْزُومَهَا النُّكَبَاءُ

أَوَ مَا سَمِعْتَ بِيَوْمِهِ ٱلْمَشْهُودِ فِي ... سُرَّاطَ إِذْ سَارَتْ بِهِ ٱلْأَنْبَاءُ
مَلَكَ ٱلْعِبَادَ فَأَظْهَرَتْ آرَاؤُهُ ... عَفْوًا فَتَمَّمَ فَضْلَهُ ٱلْإِبْدَاءُ
فَضْلٌ أَقَرَّ بِهِ ٱلْعُدَاةُ وَلَمْ أَجِدْ ... كَٱلْفَضْلِ قَدْ شَهِدَتْ بِهِ ٱلْأَعْدَاءُ
لَا يَعْدَمَنْكَ ٱلسَّائِلُونَ فَإِنَّهُمْ ... فِي ظِلِّ عِزٍّ أَدْرَكُوا مَا شَاءُوا
كُنْ حَيْثُ شِئْتَ أَسِرْ إِلَيْكَ فَإِنَّنِي ... أُهْدِي إِلَيْكَ وَلَمْ وَأَنْتَ ذُكَاءُ
فَنَظَمْتُ فِيكَ بَدِيعَ شِعْرٍ فَاتَ أَنْ ... تَرْقَى إِلَى حُجُرَاتِهِ ٱلشُّعَرَاءُ

١٦٧ وقال ايضاً فيه

مَلِيكٌ تَصَدَّى يَنْصُرُ ٱلْحَقَّ فِي ٱلْوَرَى ... إِذَا عُصْبَةٌ مِنْهُمْ لِظُلْمٍ تَصَدَّتِ
زَعِيمٌ بِهِ أَيْدِي ٱلْمَكَارِمِ أُيِّدَتْ ... وَلَيْثٌ بِهِ كَفُّ ٱلْمَظَالِمِ كُفَّتِ
أَخُو ٱلْبَأْسِ وَٱلنُّعْمَى يُرَجَّى وَيُخْتَشَى ... لِأَيَّامِ سِلْمٍ أَوْ لِأَيَّامِ فِتْنَةِ
رَؤُوفٌ عَلَى ٱلْعَانِي إِذَا ٱلدَّهْرُ خَانَهُ ... صَفُوحٌ عَنِ ٱلْجَانِي إِذَا ٱلرِّجْلُ زَلَّتِ
هَجُومٌ عَلَى ٱلْأَعْدَاءِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... شَفُوقٌ عَلَى ٱلْأَصْحَابِ مِنْ كُلِّ وِجْهَةِ
مُدَبِّرُ أَمْرٍ لَيْسَ يُصْدِرُ رَأْيَهُ ... فَيَقْرَعُ فِي إِصْدَارِهِ سِنَّ غَفْلَةِ
حَلِيفُ نَدًى يَأْوِي إِلَى بَيْتِ سُؤْدُدٍ ... دَعَائِمُهُ مِثْلُ ٱلسِّمَاكِ تَعَلَّتِ
تَرَقَّى مَحَلًّا لَوْ تَرَقَّتْ لِبَابِهِ ... بُدُورُ ٱلدَّيَاجِي رِفْعَةً مَا تَهَدَّتِ
جَوَادٌ يُعِيدُ ٱلْجَدْبَ خِصْبًا كَأَنَّمَا ... أَيَادِيهِ بِٱلْغَيْثِ ٱلسَّكُوبِ ٱسْتَهَلَّتِ
وَلَا عَيْبَ فِي نُعْمَائِهِ غَيْرَ أَنَّهَا ... لِسَائِلِهِ قَبْلَ ٱلسُّؤَالِ أُعِدَّتِ
لَهُ هِمَّةٌ فَاقَتْ عَلَى كُلِّ هِمَّةٍ ... بِدَوْلَةِ مَلْكٍ أَخْجَلَتْ كُلَّ دَوْلَةِ
هَنِيئًا لِوَفْدٍ سَائِرِينَ لِبَابِهِ ... لَقَدْ حَمِدُوا ٱلْمَسْرَى بِصُبْحِ ٱلْمَسَرَّةِ

أَمَوْلَايَ إِنَّ ٱلْقَصْدَ آلَ مَآلُهُ ... إِلَيْكَ وَأَيْدِي ٱلْحَالِ تَحْوِكَ مُدَّتِ
فَجُدْ لِلْخَلُوفِ ٱلنَّازِحِ ٱلدَّارِ بِٱلرِّضَا ... عَلَى مُهْجَةٍ لِلْهُلْكِ فِيكَ ٱسْتَعَدَّتِ
فَأَنْتَ مَلَاذِي وَٱعْتِمَادِي وَغَايَتِي ... وَعِزِّي وَسُلْطَانِي وَذُخْرِي وَعُمْدَتِي
وَلَا زِلْتَ فِي أَمْنٍ وَيُمْنٍ وَبَهْجَةٍ ... وَيُسْرٍ وَخَيْرٍ وَٱرْتِقَاءٍ وَعِزَّةِ
وَجَاهٍ وَنَصْرٍ وَٱعْتِلَاءٍ وَسُؤْدُدٍ ... وَفَخْرٍ وَمَجْدٍ وَٱقْتِدَارٍ وَرِفْعَةِ

١٦٨ وله فيه ايضاً من قصيدة

مَلِكٌ سَمَتْ أَخْلَاقُهُ فَتَرَفَّعَتْ ... عَنْ رُتْبَةِ ٱلْأَشْبَاهِ وَٱلْأَمْثَالِ
قَمَرٌ جَلَا ظُلَمَ ٱلْخُطُوبِ ضِيَاؤُهُ ... عَنَّا وَبَدْرٌ كَامِلُ ٱلْإِجْلَالِ
إِنْ كَانَ عَالٍ فِي ٱلْخِلَافَةِ قَدْرُهُ ... فَأَبُوهُ مِنْهَا فِي مَحَلِّ عَالِ
ذُو هِمَّةٍ رَفَعَتْ عَوَامِلَ نَصْبِهَا ... فَقَضَتْ بِجَزْمِ ٱلْخَفْضِ لِلْأَفْعَالِ
وَعَوَامِلٍ حُدَّتْ لِقَطْعِ مَكِيدِهَا ... فَهِيَ ٱلْقَوَاضِبُ فِي مَضًا وَصِقَالِ
لَا عَيْبَ فِي نُعْمَاهُ إِلَّا أَنَّهَا ... تُوفِيكَ مَا وَعَدَتْ بِغَيْرِ مِطَالِ
عَجَبًا لَهَا وَهِيَ ٱلَّتِي مَعَ عَدْلِهَا ... ظَلَّامَةٌ فِي بَذْلِهَا لِلْمَالِ
تُولِي ٱلْعَطَايَا بِغَيْرِ مَنٍّ مُتْبَعٍ ... وَتُجِيبُ رَاجِيَهَا بِغَيْرِ سُؤَالِ
حَسُنَتْ مَعَالِيهِ فَلَيْسَ لِلَطْفِهَا ... حَدٌّ فَيُعْرِبَهُ لِسَانُ مَقَالِ
هٰذَا هُوَ ٱلشَّرَفُ ٱلَّذِي قَدْ جَلَّ أَنْ ... تُطْرَى لَدَيْهِ غَرَائِبُ ٱلْأَمْثَالِ
مِنْ مَعْشَرٍ هُمْ فِي ٱلنَّدَى سُحْبٌ وَفِي ... لَقْعِ ٱلْحُرُوبِ هُمُ حُمَى ٱلْأَبْطَالِ
فَهُمُ هُمُ ٱلْأَسَادُ فِي يَوْمِ ٱلْوَغَى ... وَهُمُ هُمُ ٱلْأَقْيَالُ يَوْمَ سِجَالِ
شَادُوا حِمَى ٱلْإِسْلَامِ بِٱلْبِيضِ ٱلَّتِي ... مِنْهَا تَهُلُّ سَحَائِبُ ٱلْآجَالِ

أَللهُ أَعْلَى قَدْرَهُمْ وَأَحَلَّهُمْ ... رُتَبَ الْوَفَا وَالْجُودِ وَالْإِفْضَالِ

يَا مَالِكًا عَوَّذْتُ طَلْعَتَهُ وَجُو ... دَ بَنَانِهِ بِالشَّمْسِ وَالْأَنْفَالِ

قُلْ لِلَّذِي قَدْ رَاحَ يُنْكِرُ أَنَّنِي ... فِي النَّظْمِ غَيْرُ مُصَدَّقِ الْأَقْوَالِ

قَامَ الدَّلِيلُ عَلَى افْتِرَاهُ وَقَدْ مَحَا ... فَلَقُ الْبَيَانِ غَيَاهِبَ الْإِشْكَالِ

فَدَعِ اسْتِمَاعَ مَقَالِ حَاسِدِ نِعْمَةٍ ... يَسْعَى لَعَمْرُ أَبِيكَ سَعْيَ ضَلَالِ

فَهُوَ الْحَسُودُ وَهَلْ سَمِعْتُمْ حَاسِدًا ... قَدْ سَادَ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ

وَهُوَ الْكَذُوبُ تَعَرُّضًا وَخِيَانَةً ... صَبَّ الْإِلٰهُ عَلَيْهِ صَوْبَ نَكَالِ

وَالْبَدْرُ مَا أَبْدَى لِعَيْنِكَ عَاطِلًا ... إِلَّا لِتَعْلَمَ قَدْرَ قَدْرِ الْحَالِي

فَأَنَا الَّذِي أَوْضَحْتُ غَيْرَ مُدَافِعٍ ... سُبُلَ الظَّلَامِ لِغَازِلِ الْأَغْزَالِ

وَشُهِرْتَ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا ... بِعُلُومِ آدَابِ الْقَرِيضِ الْعَالِي

فَاحْفَظْ نَفِيسَ عُقُودِ نَظْمِي إِنَّهُ ... نِعْمَ النَّفِيسُ وَأَنْتَ نِعْمَ الْكَالِي

وَاسْتَجْلِ مِنْهُ كُلَّ نَسَمَاتٍ غَدَتْ ... تَفْتَرُّ عَنْ وَصْفِ السَّنَاءِ الْعَالِي

وَتَلَقَّهَا بِالرُّحْبِ مِنْكَ فَإِنَّمَا ... قَدْ قَابَلَتْكَ بِأَوْجُهِ الْإِقْبَالِ

لِمْ لَا وَمَدْحُكَ قَدْ كَفَاهَا حُلَّةً ... فَاقَتْ بِهَا فَخْرًا عَلَى الْأَمْثَالِ

فَلَكَ السَّلَامَةُ وَالْهَنَا مَا أَنْشَدَتْ ... سَفَرَتْ وُجُوهُ الْحُسْنِ عَنْ تِمْثَالِ

١٦٩ قصيدة خطيب مكة الشيخ محيي الدين الشهاب العُفيف في السلطان بايزيد

فَيَا رَاكِبًا يَسْرِي عَلَى ظَهْرِ ضَامِرٍ ... إِلَى الرُّومِ يَهْدِي نَحْوَهَا طِيبَ النَّشْرِ

لَكَ الْخَيْرُ إِنْ وَافَيْتَ بُرْسَا فَسِرْ بِهَا ... رُوَيْدًا لِإِسْطَنْبُولَ سَامِيَةِ الذِّكْرِ

لَدَى مَلِكٍ لَا يَبْلُغُ الْوَصْفُ كُنْهَهُ ... شَرِيفِ الْمَسَاعِي نَافِذِ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ

إِلَى بَايَزِيدَ الْخَيْرِ الْمَلِكِ الَّذِي ... حَمَى بَيْضَةَ الْإِسْلَامِ بِالْبِيضِ وَالسُّمْرِ

وَجَرَّدَ لِلدِّينِ الْحَنِيفِيِّ صَارِمًا ... أَبَادَ بِهِ جَمْعَ الطَّوَاغِيتِ وَالْكُفْرِ

وَجَاهَدَهُمْ فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ ... رَجَاءَ بِمَا يَبْغِي مِنَ الْفَوْزِ وَالْأَجْرِ

لَهُ هَيْبَةٌ مِلْءُ الصُّدُورِ وَصَوْلَةٌ ... مُقَسَّمَةٌ بَيْنَ الْمَخَافَةِ وَالذُّعْرِ

أَطَاعَ لَهُ مَا بَيْنَ رُومٍ وَفَارِسٍ ... وَدَانَ لَهُ مَا بَيْنَ بُصْرَى إِلَى مِصْرِ

هُوَ الْبَحْرُ إِلَّا أَنَّهُ دَائِمُ الْعَطَا ... وَذَاكَ لَا يَخْلُو مِنَ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ

هُوَ الْبَدْرُ إِلَّا أَنَّهُ كَامِلُ الضِّيَا ... وَذَاكَ حَلِيفُ النَّقْصِ فِي مُعْظَمِ الشَّهْرِ

هُوَ الْغَيْثُ إِلَّا أَنَّ لِلْغَيْثِ مُسْكَةً ... وَذَا لَا يَزَالُ الدَّهْرَ يَنْهَلُّ بِالْقَطْرِ

هُوَ السَّيْفُ إِلَّا أَنَّ لِلسَّيْفِ نَبْوَةً ... وَفَلًّا وَذَا مَاضِي الْعَزِيمَةِ فِي الْأَمْرِ

سَلِيلُ بَنِي عُثْمَانَ وَالسَّادَةِ الْأُلَى ... عَلَا مَجْدُهُمْ فَوْقَ السِّمَاكَيْنِ وَالنَّسْرِ

مُلُوكٌ كِرَامُ الْأَصْلِ طَابَتْ فُرُوعُهُمْ ... وَهَلْ يُنْسَبُ الدِّينَارُ إِلَّا إِلَى التِّبْرِ

مَحَوْا أَثَرَ الْأَعْدَاءِ بِالسَّيْفِ فَاغْتَدَتْ ... بِهِمْ حَوْزَةُ الْإِسْلَامِ سَامِيَةَ الْقَدْرِ

فَيَا مَلِكًا فَاقَ الْمُلُوكَ مَكَارِمًا ... فَكُلٌّ إِلَى أَدْنَى مَكَارِمِهِ يَجْرِي

فَدَتْكَ مُلُوكُ الْأَرْضِ طُرًّا لِأَنَّهَا ... سِرَارٌ وَأَنْتَ الْبَدْرُ فِي غُرَّةِ الشَّهْرِ

تَعَالَيْتَ عَنْهُمْ رِفْعَةً وَمَكَانَةً ... وَذَاتًا وَأَوْصَافًا تَجِلُّ عَنِ الْحَصْرِ

لَكَ الْعِزَّةُ الْقَعْسَاءُ وَالرُّتْبَةُ الَّتِي ... قَوَاعِدُهَا تَسْمُو عَلَى مَنْكِبِ النَّسْرِ

سَمَوْتَ عُلُوًّا إِذْ دَنَوْتَ تَوَاضُعًا ... وَقُمْتَ بِحَقِّ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْجَهْرِ

غَدَتْ بِكَ أَرْضُ الرُّومِ تَزْهُو مَلَاحَةً ... وَتَرْفُلُ فِي ثَوْبِ الْجَلَالَةِ وَالْفَخْرِ

أَلَسْتَ ابْنَ عُثْمَانَ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ ... مَسِيرَ ضِيَاءِ الشَّمْسِ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

يَمِينُكَ تَرْوِي عَنْ يَسَارٍ وَنَائِلٍ ... وَوَجْهُكَ يَرْوِي فِي ٱلْبَشَاشَةِ عَنْ بِشْرِ
وَإِنِّي لَصَوَّانٌ لِدُرِّ قَلَائِدِي ... عَنِ ٱلْمَدْحِ إِلَّا فِيكَ يَا مَلِكَ ٱلْعَصْرِ
فَقَابِلْ رَعَاكَ ٱللهُ شُكْرِي بِمِثْلِهِ ... فَإِنَّكَ لِلْمَعْرُوفِ مِنْ أَكْرَمِ ٱلذُّخْرِ
فَلَا زِلْتَ مَحْرُوسَ ٱلْجَنَابِ مُؤَيَّدًا ... مِنَ ٱللهِ بِٱلتَّوْفِيقِ وَٱلْعِزِّ وَٱلنَّصْرِ

١٧٠ قصيدة الشيخ قطب الدين النهروالي في السلطان سليم خان

لَكَ ٱلْحَمْدُ يَا مَوْلَايَ فِي ٱلسِّرِّ وَٱلْجَهْرِ ... عَلَى عِزَّةِ ٱلْإِسْلَامِ وَٱلْفَتْحِ وَٱلنَّصْرِ
كَذَا فَلْيَكُنْ فَتْحُ ٱلْبِلَادِ إِذَا سَعَتْ ... لَهُ ٱلْهِمَمُ ٱلْعُلْيَا إِلَى أَشْرَفِ ٱلذِّكْرِ
جُنُودٌ رَمَتْ فِي كَوْكَبَانَ خِيَامَهَا ... وَآخِرُهَا بِٱلنِّيلِ مِنْ شَاطِئَيْ مِصْرِ
تَجُرُّ مِنَ ٱلْأَبْطَالِ كُلَّ غَضَنْفَرٍ ... بِصَارِمِهِ يَسْطُو عَلَى مَفْرِقِ ٱلدَّهْرِ
عَسَاكِرُ سُلْطَانِ ٱلزَّمَانِ مَلِيكِنَا ... خَلِيفَةِ هٰذَا ٱلْعَصْرِ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ
حَمَى حَوْزَةَ ٱلدِّينِ ٱلْحَنِيفِيِّ بِٱلْقَنَا ... وَبِيضِ ٱلْمَوَاضِي وَٱلْمُثَقَّفَةِ ٱلسُّمْرِ
لَهُ فِي سَرِيرِ ٱلْمُلْكِ أَصْلٌ مُؤَثَّلٌ ... تَلَقَّاهُ عَنْ أَسْلَافِهِ ٱلسَّادَةِ ٱلْغُرِّ
مُلُوكٌ تَسَامَوْا لِلْعُلَا وَخَلَائِفٌ ... أُولُو ٱلْعَزْمِ فِي أَزْمَانِهِمْ وَأُولُو ٱلْأَمْرِ
سُمُوسٌ بِفَيْضِ ٱلنُّورِ تَمْحُو غَيَاهِبًا ... مِنَ ٱلْكُفْرِ مِنْهُمْ يَسْتَمِدُّ ضِيَا ٱلْبَدْرِ
هُمُ مَلَؤُوا عَيْنَ ٱلزَّمَانِ وَقَلْبَهُ ... فَقَرَّتْ عُيُونُ ٱلْعَالَمِينَ مِنَ ٱلْبِشْرِ
هُمُ ٱلْعِقْدُ مِنْ أَغْلَى ٱللَّآلِي مُنَظَّمًا ... وَسُلْطَانُنَا فِي ٱلْمُلْكِ وَاسِطَةُ ٱلدُّرِّ
شَهِنْشَاهُ سُلْطَانُ ٱلْمُلُوكِ جَمِيعِهِمْ ... سَلِيمٌ كَرِيمٌ أَصْلُهُ أَطْيَبُ ٱلنَّجْرِ
عِمَادٌ يَلُوذُ ٱلْمُسْلِمُونَ بِظِلِّهِ ... وَسَدٌّ مَنِيعٌ لِلْأَنَامِ مِنَ ٱلْكُفْرِ
وَحِينَ أَتَاهُ أَنْ قَدِ ٱحْتَلَّ جَانِبٌ ... مِنَ ٱلْيَمَنِ ٱلْأَقْصَى أَصَرَّ عَلَى ٱلْقَهْرِ

وَسَاقَ لَهَا جَيْشًا خَمِيسًا عَرَمْرَمًا ... يَدُكُّ فِجَاجَ ٱلْأَرْضِ فِي ٱلسَّهْلِ وَٱلْوَعْرِ
لَهُمْ أَسَدٌ شَاكِي ٱلسِّلَاحِ عَرِينُهُ ... طِوَالُ ٱلرِّمَاحِ ٱلسُّمْهُرِيَّةِ وَٱلْبُتْرِ
وَزِيرٌ عَظِيمُ ٱلشَّأْنِ ثَاقِبُ رَأْيِهِ ... يُجَهِّزُ فِي آنٍ جُيُوشًا مِنَ ٱلْفِكْرِ
يَقُومُ بِأَعْبَاءِ ٱلْوِزَارَةِ قَوْمَةً ... يَشُدُّ جُيُوشَ ٱلدِّينِ بِٱلْأَيْدِ وَٱلْأَزْرِ
أَيَادٍ لَهُ بِٱلْبَأْسِ كَاسِرَةُ ٱلْعِدَا ... وَلٰكِنَّهَا بِٱلْجُودِ جَابِرَةُ ٱلْكَسْرِ
بِهِ أَمَّنَ ٱللهُ ٱلْبِلَادَ وَطَمَّنَ ٱلْـ ... ـعِبَادَ وَأَضْحَى ٱلدِّينُ مُنْشَرِحَ ٱلصَّدْرِ
سِنَانٌ عَزِيزُ ٱلْقَدْرِ يُوسُفُ عَصْرِهِ ... أَلَمْ تَرَهُ فِي مِصْرَ أَحْكَامُهُ تَجْرِي
تَدَلَّى إِلَى أَقْصَى ٱلْبِلَادِ بِجَيْشِهِ ... وَمَهَّدَ مُلْكًا قَدْ تَمَزَّقَ بِٱلشَّرِّ
وَقَطَّعَ رُؤُسًا مِنْ كِبَارِ رُؤُوسِهِمْ ... لَهُمْ بَاطِنُ ٱلسِّرْحَانِ وَٱلطَّيْرُ كَٱلْقَبْرِ
وَكَانَ عَصَا مُوسَى تَلَقَّفُ كُلَّمَا ... بَدَا مِنْ صَنِيعِ ٱلْمُلْحِدِينَ مِنَ ٱلسِّحْرِ
وَلَا زَالَ فِيهِمْ عَامِلُ ٱلرُّمْحِ عَامِلًا ... وَلَا بَرِحُوا فِي ٱلذُّلِّ بِٱلْقَتْلِ وَٱلْأَسْرِ
وَمَا يَمَنٌ إِلَّا مَمَالِكُ تُبَّعٍ ... وَنَاهِيكَ مِنْ مُلْكٍ قَدِيمٍ وَمِنْ فَخْرِ
وَقَدْ مُلِّكَتْهَا آلُ عُثْمَانَ إِذْ مَضَتْ ... بَنُو طَاهِرٍ أَهْلُ ٱلشَّهَامَةِ وَٱلذِّكْرِ
فَهَلْ يَطْمَعُ ٱلزَّيْدِيُّ فِي مُلْكِ تُبَّعٍ ... وَيَأْخُذُهُ مِنْ آلِ عُثْمَانَ بِٱلْمَكْرِ
أَبَى ٱللهُ وَٱلْإِسْلَامُ وَٱلسَّيْفُ وَٱلْقَنَا ... وَسِرُّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَبِي بَكْرِ

أَلْبَابُ التَّاسِعُ
فِي ٱلْهَجْوِ

١٧١ قَالَ بَعْضُ ٱلشُّعَرَاءِ فِي عَذُولٍ :

وَقَالُوا فُلَانٌ فِي ٱلْوَرَى لَكَ شَاتِمٌ ... وَأَنْتَ لَهُ دُونَ ٱلْخَلَائِقِ تَمْدَحُ
فَقُلْتُ ذَرُوهُ مَا بِهِ وَطِبَاعُهُ ... فَكُلُّ إِنَاءٍ بِٱلَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ
إِذَا ٱلْكَلْبُ لَا يُؤْذِيكَ عِنْدَ نَبِيحِهِ ... فَذَرْهُ إِلَى يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ يَنْبَحُ

١٧٢ قَالَ آخَرُ فِي طَبِيبٍ :

يَا مَلَكَ ٱلْمَوْتِ وَٱبْنَ زُهْرٍ ... جَاوَزْتَا ٱلْحَدَّ وَٱلنِّهَايَهْ
تَرَفَّقَا بِٱلْوَرَى قَلِيلًا ... فِي وَاحِدٍ مِنْكُمَا ٱلْكِفَايَهْ

١٧٣ قَالَ غَيْرُهُ فِي قَاضٍ يُحِبُّ ٱلرُّشْوَةَ :

رَأَيْتُ شَاةً وَذِئْبًا وَهْيَ مَاسِكَةٌ ... بِأُذْنِهِ وَهْوَ مُنْقَادٌ لَهَا سَارِي
فَقُلْتُ أُعْجُوبَةٌ ثُمَّ ٱلْتَفَتُّ أَرَى ... مَا بَيْنَ نَابَيْهِ مُلْقًى نِصْفُ دِينَارِ
فَقُلْتُ لِلشَّاةِ مَاذَا ٱلْإِلْفُ بَيْنَكُمَا ... وَٱلذِّئْبُ يَسْطُو بِأَنْيَابٍ وَأَظْفَارِ
تَبَسَّمَتْ ثُمَّ قَالَتْ وَهْيَ ضَاحِكَةٌ ... بِٱلتِّبْرِ يُكْسَرُ ذَاكَ ٱلضَّيْغَمُ ٱلضَّارِي

١٧٤ قال خُفاف بن نُدبة يهجو العباس بن مرداس

أَرَى ٱلْعَبَّاسَ يَنْقُصُ كُلَّ يَوْمٍ ... وَيَزْعُمُ أَنَّهُ جَهْلًا يَزِيدُ
فَلَوْ نُقِصَتْ عَزَائِمُهُ وَبَادَتْ ... سَلَامَتُهُ لَكَانَ كَمَا يُرِيدُ
وَلَكِنَّ ٱلْمَعَائِبَ أَفْسَدَتْهُ ... وَكِذْبُ ٱلْمَرْءِ أَقْبَحُ مَا يُفِيدُ

فَأَبْشِرْ إِنْ بَقِيتَ بِيَوْمِ سَوْءٍ ... يَشِيبُ لَهُ مِنَ ٱلْخَوْفِ ٱلْوَلِيدُ
كَيَوْمِكَ إِذْ خَرَجْتَ تَفُوقُ رَكْضًا ... وَطَارَ ٱلْقَلْبُ وَٱنْتَفَخَ ٱلْوَرِيدُ
وَدَعْ قَوْلَ ٱلسَّفَاهَةِ لَا تَقُلْهُ ... فَقَدْ طَالَ ٱلتَّهَدُّدُ وَٱلْوَعِيدُ

وَقَالَ : أَعَبَّاسُ إِنَّا وَمَا بَيْنَنَا ... كَصَدْعِ ٱلزُّجَاجَةِ لَا يُجْبَرُ
فَلَسْتَ بِكُفْءٍ لِأَمْثَالِنَا ... وَشَتْمُكَ أَنْتَ بِهِ أَجْدَرُ
وَلَسْنَا بِأَهْلٍ لِمَا قُلْتَهُ ... وَنَحْنُ بِشَتْمِكُمُ نُعْذَرُ
فَقَصْرُكَ مِنِّي رَقِيقُ ٱلدُّبَا ... بِعَضْبٍ كَرِيهَتُهُ تُحْذَرُ
وَأَزْرَقُ فِي رَأْسِ خَطِّيَّةٍ ... إِذَا هُزَّ كَعْبٌ لَهَا تَخْطِرُ
يَلُوحُ ٱلسِّنَانُ عَلَى مَتْنِهَا ... كَنَارٍ عَلَى مَرْقَبٍ تُسْعَرُ

فَأَجَابَهُ العباس

خُفَافُ أَلَمْ تَرَ مَا بَيْنَنَا ... يَزِيدُ ٱسْتِعَارًا إِذَا يُسْعَرُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّا نُهِينُ ٱلْبِلَا ... دَ لِلسَّائِلِينَ وَمَا نَغْدُرُ
لَنَا شِيَمٌ غَيْرُ مَجْهُولَةٍ ... تَوَارَثَهَا ٱلْأَكْبَرُ ٱلْأَكْبَرُ
فَقَدْ يَعْلَمُ ٱلْحَيُّ عِنْدَ ٱلصَّبَا ... حِ أَنَّ ٱلْعَقِيلَةَ بِي تُسْتَرُ
وَقَدْ يَعْلَمُ ٱلْحَيُّ عِنْدَ ٱلرِّهَا ... نِ أَنِّي أَنَا ٱلشَّامِخُ ٱلْمُخْطِرُ
فَأَنَّى تُعَيِّرُنِي بِٱلْفَخَارِ ... أُرَى أَنَّ هَذَا هُوَ ٱلْمُنْكَرُ

١٧٥ لابي المُصبح اعشى هَمْدان يهجو مدينة مكران وكان الحجاج أتى به اليها اسيرًا

وَلَمْ تَكُ مِنْ حَاجَتِي مَكْرَانُ ... وَلَا ٱلْغَزْوُ فِيهَا وَلَا ٱلْمُتْجَرُ
وَخُبِّرْتُ عَنْهَا وَلَمْ آتِهَا ... فَمَا زِلْتُ مِنْ ذِكْرِهَا أَذْعَرُ

هجو طيلسان ابن حربٍ

١٧٦ كان أحمد بن حربٍ المهلّبيّ من المنعمين على الحمدوني الشاعر والمحسنين اليهِ ولهُ فيهِ مدائح كثيرة . فوهب لهُ طَيْلسانًا أخضر لم يرضهُ . قال أبو العبّاس المبرّد : فأنشد فيهِ عشر مقطعاتٍ فاستحلينا مذهبهُ فيهِ فجعلها فوق الخمسين فطارت كلّ مطارٍ وسارت كل مسارٍ فمنها :

يا ابْنَ حَرْبٍ كَسَوْتَنِي طَيْلَسَانًا ... مَلَّ مِنْ صُحْبَةِ الزَّمَانِ وَصَدَّا
فَحَسِبْنَا نَسْجَ الْعَنَاكِبِ قَدْ جِيـ ... ـلَ إِلَى ضُعْفِ طَيْلَسَانِكَ سَدَّا
طَالَ تَرْدَادُهُ إِلَى الرَّفْوِ حَتَّى ... لَوْ بَعَثْنَاهُ وَحْدَهُ لَتَهَدَّى

وَقَالَ فِيهِ أَيْضًا :

يَا طَيْلَسَانَ ابْنِ حَرْبٍ قَدْ هَمَمْتَ بِأَنْ ... تُودِيَ بِجِسْمِي كَمَا أَوْدَى بِكَ الزَّمَنُ
مَا فِيكَ مِنْ مَلْبَسٍ يُغْنِي وَلَا ثَمَنٍ ... قَدْ أَوْهَنَتْ حِيلَتِي أَرْكَانَكَ الْوُهُنُ
فَلَوْ تَرَانِي لَدَى الرَّفَّاءِ مُرْتَبِطًا ... كَأَنَّنِي فِي يَدَيْهِ الدَّهْرَ مُرْتَهَنُ
أَقُولُ حِينَ رَآنِي النَّاسُ أَلْزَمُهُ ... كَأَنَّمَا لِيَ فِي حَانُوتِهِ وَطَنُ
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنَّا أَيْنَ مَنْزِلُنَا ... فَالْأُقْحُوَانَةُ مِنَّا مَنْزِلٌ قَمِنُ

وَقَالَ أَيْضًا :

قُلْ لِابْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَا ... نُكَ قَوْمُ نُوحٍ مِنْهُ أَحْدَثْ
أَفْنَى الْقُرُونَ وَلَمْ يَزَلْ ... عَمَّنْ مَضَى مِنْ قَبْلُ يُورَثْ
وَإِذَا الْعُيُونُ لَحَظْنَهُ ... فَكَأَنَّهُ بِاللَّحْظِ يُحْرَثْ
يُودِي إِذَا لَمْ أَرْفُهُ ... فَإِذَا رَفَوْتُ فَلَيْسَ يَلْبَثْ
كَالْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْـ ... ـهِ الدَّهْرَ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ

وَقَالَ أَيْضًا :

بِأَنَّ الْكَثِيرَ بِهَا جَائِعٌ ... وَأَنَّ الْقَلِيلَ بِهَا مُقْتِرُ
وَأَنَّ لِحَى النَّاسِ مِنْ حَرِّهَا ... تَطُولُ فَتُجْلَمُ أَوْ تُضْفَرُ
وَيَزْعُمُ مَنْ جَاءَهَا قَبْلَنَا ... بِأَنَّا سَنُسْهَمُ أَوْ نُنْحَرُ
أَعُوذُ بِرَبِّي مِنَ الْمُخْزِيَا ... تِ فِيهَا أُسِرُّ وَمَا أَجْهَرُ
وَحُدِّثْتُ أَنْ مَا لَنَا رَجْعَةٌ ... سِنِينَ وَمِنْ بَعْدِهَا أَشْهُرُ
إِلَى ذَاكَ مَا شَابَ أَبْنَاؤُنَا ... وَبَادَ الْأَخِلَّاءُ وَالْمَعْشَرُ
وَمَا كَانَ بِي مِنْ نَشَاطٍ لَهَا ... وَإِنِّي لَذُو عُدَّةٍ مُوسِرُ
وَلَكِنْ بُعِثْتُ لَهَا كَارِهًا ... وَقِيلَ انْطَلِقْ كَالَّذِي يُؤْمَرُ
فَكَانَ النَّجَاءُ وَلَمْ أَلْتَفِتْ ... إِلَيْهِمْ وَشَرُّهُمُ مُنْكَرُ
هُوَ السَّيْفُ جُرِّدَ مِنْ غِمْدِهِ ... فَلَيْسَ عَنِ السَّيْفِ مُسْتَأْخَرُ
وَكَمْ مِنْ أَخٍ لِيَ مُسْتَأْنِسٍ ... يَظَلُّ بِهِ الدَّمْعُ يَسْتَحْسِرُ
يُوَدِّعُنِي أَنْتَحِبْ عَبْرَةً ... لَهُ كَالْجَدَاوِلِ أَوْ أَغْزَرُ
فَلَسْتُ بِلَاقِيهِ مِنْ بَعْدِهَا ... يَدَ الدَّهْرِ مَا هَبَّتِ الصَّرْصَرُ
وَقَدْ قِيلَ إِنَّكُمُ عَابِرُو ... نَ بَحْرًا لَهَا لَمْ يَكُنْ يُعْبَرُ
إِلَى السِّنْدِ وَالْهِنْدِ فِي أَرْضِهِمْ ... هُمُ الْجِنُّ لَكِنَّهُمْ أَنْكَرُ
وَمَا رَامَ غَزْوًا لَهَا قَبْلَنَا ... أَكَابِرُ عَادٍ وَلَا حِمْيَرُ
وَلَا رَامَ سَابُورُ غَزْوًا لَهَا ... وَلَا الشَّيْخُ كِسْرَى وَلَا قَيْصَرُ
وَمِنْ دُونِهَا مَعْبَرٌ وَاسِعٌ ... وَأَجْرٌ عَظِيمٌ لِمَنْ يُؤْجَرُ

قُلْ لِٱبْنِ حَرْبٍ طَيْلَسَانُكَ قَدْ ... أَوْهَى قُوَايَ بِكَثْرَةِ ٱلْغُرَمِ
مُتَبَيِّنٌ فِيهِ لِمُبْصِرِهِ ... آثَارُ رَفْوِ أَوَائِلِ ٱلْأُمَمِ
وَكَأَنَّهُ ٱلْخَمْرُ ٱلَّتِي وُصِفَتْ ... فِي يَا شَقِيقَ ٱلرُّوحِ مِنْ حِكَمِ
فَإِذَا رَمَمْنَاهُ فَقِيلَ لَنَا ... قَدْ صَحَّ قَالَ لَهُ ٱلْبِلَى ٱنْهَدِمِ
مِثْلُ ٱلسَّقِيمِ بَرَا فَرَاجَعَهُ ... نُكْسٌ فَأَسْلَمَهُ إِلَى سَقَمِ
أَنْشَدْتُ حِينَ طَغَى فَأَعْجَزَنِي ... وَمِنَ ٱلْعَنَاءِ رِيَاضَةُ ٱلْهَرِمِ

وَلَهُ: طَيْلَسَانٌ لِٱبْنِ حَرْبٍ جَاءَنِي ... خِلْعَةً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُسْتَمِرْ
فَإِذَا مَا صِحْتُ فِيهِ صَيْحَةً ... تَرَكَتْهُ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرْ
وَإِذَا مَا ٱلرِّيحُ هَبَّتْ نَحْوَهُ ... طَيَّرَتْهُ كَٱلْجَرَادِ ٱلْمُنْتَشِرْ
مُهْطِعُ ٱلدَّاعِي إِلَى ٱلرَّافِي إِذَا ... مَا رَآهُ قَالَ ذَا شَيْءٌ نُكُرْ
وَإِذَا رَقَّأُوهُ حَاوَلَ أَنْ ... يَتَلَافَاهُ تَعَاطَى فَعَقَرْ

١٧٧ قال الفرزدق يهجو إبليس

أَلَمْ تَرَنِي عَاهَدْتُ رَبِّي فَإِنَّنِي ... لَبَيْنَ رِتَاجٍ قَائِمٌ وَمُقَامِ
عَلَى قَسَمٍ لَا أَشْتِمُ ٱلدَّهْرَ مُسْلِمًا ... وَلَا خَارِجًا مِنْ فِي سُوءِ كَلَامِ
أَطَعْتُكَ يَا إِبْلِيسُ سَبْعِينَ حِجَّةً ... فَلَمَّا ٱنْتَهَى شَيْبِي وَتَمَّ تَمَامِي
فَرَرْتُ إِلَى رَبِّي وَأَيْقَنْتُ أَنَّنِي ... مُلَاقٍ لِأَيَّامِ ٱلْمَنُونِ حِمَامِي
وَلَمَّا دَنَا رَأْسُ ٱلَّتِي كُنْتُ خَائِفًا ... وَكُنْتُ أَرَى فِيهَا لِقَاءَ لِزَامِ
حَلَفْتُ عَلَى نَفْسِي لَأَجْتَهِدَنَّهَا ... عَلَى حَالِهَا مِنْ صِحَّةٍ وَسَقَامِ
أَلَا طَالَمَا قَدْ بِتُّ يُوضِعُ نَاقَتِي ... أَبُو ٱلْجِنِّ إِبْلِيسُ بِغَيْرِ خِطَامِ

يَظَلُّ يُمَنِّينِي عَلَى ٱلرَّحْلِ وَارِكًا ... يَكُونُ وَرَائِي مَرَّةً وَأَمَامِي
يُبَشِّرُنِي أَنْ لَنْ أَمُوتَ وَأَنَّهُ ... سَيُخْلِدُنِي فِي جَنَّةٍ وَسَلَامِ
فَقُلْتُ لَهُ هَلَّا أُخَيَّكَ أَخْرَجَتْ ... يَمِينُكَ مِنْ خُضْرِ ٱلْجُحُورِ طَوَامِي
رَمَيْتَ بِهِ فِي ٱلْيَمِّ لَمَّا رَأَيْتَهُ ... كَفُرْقَةِ طَوْدَيْ يَذْبُلٍ وَشَمَامِ
فَلَمَّا تَلَاقَى فَوْقَهُ ٱلْمَوْجُ طَامِيًا ... نَكَصْتَ وَلَمْ تَحْتَلْ لَهُ بِمَرَامِ
أَلَمْ تَأْتِ أَهْلَ ٱلْحِجْرِ وَٱلْحِجْرُ أَهْلُهُ ... بِأَنْعَمِ عَيْشٍ فِي بُيُوتٍ رُخَامِ
فَقُلْتَ ٱعْقِرُوا هٰذِي ٱللِّقَاحَ فَإِنَّهَا ... لَكُمْ أَوْ تُنِيخُوهَا لَقُوحُ غَرَامِ
فَلَمَّا أَنَاخُوهَا تَبَرَّأْتَ مِنْهُمُ ... وَكُنْتَ نَكُوصًا عِنْدَ كُلِّ ذِمَامِ
وَآدَمُ قَدْ أَخْرَجْتَهُ وَهْوَ سَاكِنٌ ... وَزَوْجَتُهُ مِنْ خَيْرِ دَارِ مُقَامِ
وَأَقْسَمْتَ يَا إِبْلِيسُ أَنَّكَ نَاصِحٌ ... لَهُ وَلَهَا إِقْسَامَ غَيْرِ أَثَامِ
فَظَلَّا يَخِيطَانِ ٱلْوَرَاقَ عَلَيْهِمَا ... بِأَيْدِيهِمَا مِنْ أَكْلِ شَرِّ طَعَامِ
وَكَمْ مِنْ قُرُونٍ قَدْ أَطَاعُوكَ أَصْبَحُوا ... أَحَادِيثَ كَانُوا فِي ظِلَالِ غَمَامِ
وَمَا أَنْتَ يَا إِبْلِيسُ بِٱلْمَرْءِ أَبْتَغِي ... رِضَاهُ وَلَا يَقْتَادُنِي بِزِمَامِ
سَأَجْزِيكَ مِنْ سَوْآتِ مَا كُنْتَ سُقْتَنِي ... إِلَيْهِ جُرُوحًا فِيكَ ذَاتَ كَلَامِ
تُعَيِّرُهَا فِي ٱلنَّارِ وَٱلنَّارُ تَلْتَقِي ... عَلَيْكَ بِزَقُّومٍ لَهَا وَضِرَامِ
وَإِنَّ ٱبْنَ إِبْلِيسٍ وَإِبْلِيسَ أَلْبَنَا ... لَهُمْ بِعَذَابِ ٱلنَّاسِ كُلَّ غُلَامِ
هُمَا تَفَلَا فِي فِيَّ مِنْ فَمَوَيْهِمَا ... عَلَى ٱلنَّابِحِ ٱلْعَاوِي أَشَدُّ رِجَامِ

١٧٨ من مليح شعر الخطيب الحصكفي في هجو مغنٍّ ردي الصوت

وَمُسْمِعٍ ... غِنَاءُهُ يُبْدِلُ بِٱلْفَقْرِ ٱلْغِنَى

أَبْصَرْتُهُ فَلَمْ تَخُبْ فِرَاسَتِي لَمَّا دَنَا
وَرُمْتُ أَنْ أَرُوحَ لِلظَّنِّ بِهِ مُمْتَحِنَا
فَقُلْتُ مِنْ بَيْنِهِمِ هَاتِ أَخِي غَنِّ لَنَا
فَانْشَالَ مِنْهُ حَاجِبٌ وَحَاجِبٌ مِنْهُ انْحَنَى
وَامْتَلَأَ الْمَجْلِسُ مِنْ فِيهِ نَسِيمًا مُنْتَنَا
أَوْقَعَ إِذْ وَقَّعَ فِي مِ الْأَنْفُسِ أَسْبَابَ الْعَنَا
وَمَا اكْتَفَى بِاللَّحْنِ وَالتَّخْلِيطِ حَتَّى لَحَنَا
يُوهِمُ زَمْرًا أَنَّهُ قَطَّعَهُ وَدَنْدَنَا
وَصَاحَ صَوْتًا نَافِرًا يَخْرُجُ مِنْ حَدِّ الْبِنَا
وَمَا دَرَى مَحْضَرُهُ مَاذَا عَلَى الْقَوْمِ جَنَى
فَذَا يَسُدُّ أَنْفَهُ وَذَا يَسُدُّ الْأُذُنَا
وَمِنْهُمُ جَمَاعَةٌ تَسْتُرُ عَنْهُ الْأَعْيُنَا
فَأُغْتِظْتُ حَتَّى كِدْتُ مِنْ غَيْظِي أَبُثُّ الشَّجَنَا
وَقُلْتُ يَا قَوْمُ اسْمَعُوا إِمَّا الْمُغَنِّي أَوْ أَنَا
أَقْسَمْتُ لَا أَجْلِسُ أَوْ يَخْرُجَ هٰذَا مِنْ هُنَا
قَالُوا لَقَدْ رَحِمْتَنَا وَزِلْتَ عَنَّا الْمِحَنَا
فَخُزْتُ فِي إِخْرَاجِهِ رَاحَةَ نَفْسٍ وَالثَّنَا
وَحِينَ وَلَّى شَخْصُهُ قَرَأْتُ فِيهِمْ مُعْلِنَا
أَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَا

١٧٩ قال الاديب كمال الدين عليّ بن محمد بن المبارك الشهير بابن الاعمى
في ذمّ دارٍ كان يسكنها

دَارٌ سَكَنْتُ بِهَا أَقَلُّ صِفَاتِهَا أَنْ تَكْثُرَ الْحَشَرَاتُ فِي جَنَبَاتِهَا
أَلْخَيْرُ عَنْهَا نَازِحٌ مُتَبَاعِدٌ وَالشَّرُّ دَانٍ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهَا
مِنْ بَعْضِ مَا فِيهَا الْبَعُوضُ عَدِمْتُهُ كَمْ أَعْدَمَ الْأَجْفَانَ طِيبَ سُبَاتِهَا
وَتَبِيتُ تُسْعِرُهَا بَرَاغِيثٌ مَتَى غَنَّتْ لَهَا رَقَصَتْ عَلَى نَغَمَاتِهَا
رَقْصٌ بِتَنْقِيطٍ وَلٰكِنْ قَافُهُ قَدْ قُدِّمَتْ فِيهِ عَلَى أَخَوَاتِهَا
وَبِهَا ذُبَابٌ كَالضَّبَابِ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ مَا طَرَبِي سِوَى غُنَّاتِهَا
أَيْنَ الصَّوَارِمُ وَالْقَنَا مِنْ فَتْكِهَا فِينَا وَأَيْنَ الْأُسْدُ مِنْ وَثَبَاتِهَا
وَبِهَا مِنَ الْخُطَّافِ مَا هُوَ مُعْجِزٌ أَبْصَارَنَا عَنْ وَصْفِ كَيْفِيَّاتِهَا
وَبِهَا خَفَافِيشٌ تَطِيرُ نَهَارَهَا مَعَ لَيْلِهَا لَيْسَتْ عَلَى عَادَاتِهَا
وَبِهَا مِنَ الْجِرْذَانِ مَا قَدْ قَصَّرَتْ عَنْهُ الْعِتَاقُ الْجُرْدُ فِي حَمَلَاتِهَا
وَبِهَا خَنَافِسُ كَالطَّنَافِسِ أُفْرِشَتْ فِي أَرْضِهَا وَعَلَتْ عَلَى جَنَبَاتِهَا
وَبَنَاتُ وَرْدَانٍ وَأَشْكَالٌ لَهَا مِمَّا يَفُوتُ الْعَيْنَ كُنْهُ ذَوَاتِهَا
أَبَدًا تَمَصُّ دِمَاءَنَا فَكَأَنَّهَا حَجَّامَةٌ لَبَدَتْ عَلَى كَاسَاتِهَا
وَبِهَا مِنَ النَّمْلِ السُّلَيْمَانِيِّ مَا قَدْ قَلَّ ذَرُّ الشَّمْسِ عَنْ ذَرَّاتِهَا
مَا رَاعَنِي شَيْءٌ سِوَى وَزَغَاتِهَا فَتَعَوَّذُوا بِاللّٰهِ مِنْ ذَرَّاتِهَا
سَجَعَتْ عَلَى أَوْكَارِهَا فَظَنَنْتُهَا وُرْقَ الْحَمَامِ سَجَعْنَ فِي شَجَرَاتِهَا
وَبِهَا زَنَابِيرٌ تُظَنُّ عَقَارِبًا حَرُّ السَّمُومِ أَخَفُّ مِنْ زَفَرَاتِهَا

وَبِهَا عَقَارِبُ كَالْأَقَارِبِ رُتَّعٌ فِينَا حِمَانَا اللهُ لَدْغَ حُمَاتِهَا
كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى النَّجَاةِ وَلَا نَجَا ةَ وَلَا حَيَاةَ لِمَنْ رَأَى حَيَّاتِهَا
مَنْسُوجَةٌ بِالْعَنْكَبُوتِ سَمَاؤُهَا وَالْأَرْضُ قَدْ نُسِجَتْ عَلَى آفَاتِهَا
فَضَجِيجُهَا كَالرَّعْدِ فِي جَنَبَاتِهَا وَتُرَابُهَا كَالرَّمْلِ فِي خُشُنَاتِهَا
وَالْبُومُ عَاكِفَةٌ عَلَى أَرْجَائِهَا وَالدُّودُ تَبْحَثُ فِي ثَرَى عَرَصَاتِهَا
وَالْجِنُّ تَأْتِيهَا إِذَا جَنَّ الدُّجَى تَحْكِي الْخُيُولَ الْجُرْدَ فِي حَمَلَاتِهَا
وَالنَّارُ جُزْءٌ مِنْ تَلَهُّبِ حَرِّهَا وَجَهَنَّمُ تُعْزَى إِلَى لَفَحَاتِهَا
شَاهَدْتُ مَكْتُوبًا عَلَى أَرْجَائِهَا وَرَأَيْتُ مَسْطُورًا عَلَى جَنَبَاتِهَا
لَا تَقْرَبُوا مِنْهَا وَخَافُوهَا وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى هَلَكَاتِهَا
أَبَدًا يَقُولُ الدَّاخِلُونَ بِبَابِهَا يَا رَبِّ نَجِّ النَّاسَ مِنْ آفَاتِهَا
قَالُوا إِذَا نَدَبَ الْغُرَابُ مَنَازِلًا يَتَفَرَّقُ السُّكَّانُ مِنْ سَاحَاتِهَا
وَبِدَارِنَا أَلْفَا غُرَابٍ نَاعِقٍ كَذَبَ الرُّوَاةُ فَأَيْنَ صِدْقُ رُوَاتِهَا
صَبْرًا لَعَلَّ اللهَ يُعْقِبُ رَاحَةً لِلنَّفْسِ إِذْ غَلَبَتْ عَلَى شَهَوَاتِهَا
دَارٌ تَبِيتُ الْجِنُّ تَحْرِسُ نَفْسَهَا فِيهَا وَتَنْدُبُ بِاخْتِلَافِ لُغَاتِهَا
كَمْ بِتُّ فِيهَا مُفْرَدًا وَالْعَيْنُ مِنْ شَوْقِ الصَّبَاحِ تَسُحُّ مِنْ عَبَرَاتِهَا
وَأَقُولُ يَا رَبَّ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى يَا رَازِقًا لِلْوَحْشِ فِي فَلَوَاتِهَا
أَسْكَنْتَنِي بِجَهَنَّمِ الدُّنْيَا فَفِي أُخْرَايَ هَبْ لِي الْخُلْدَ فِي جَنَّاتِهَا
وَاجْمَعْ بِمَنْ أَهْوَاهُ شَمْلِي عَاجِلًا يَا جَامِعَ الْأَرْوَاحِ بَعْدَ شَتَاتِهَا

أَلْبَابُ الْعَاشِرُ
فِي الزَّهْرِيَّاتِ

١٨٠ زهريَّة بديع الزمان الهمذاني

بَرَزَ الرَّبِيعُ لَنَا بِرَوْنَقِ مَائِهِ فَانْظُرْ لِرَوْعَةِ أَرْضِهِ وَسَمَائِهِ
فَالتُّرْبُ بَيْنَ مُمَسَّكٍ وَمُعَنْبَرٍ مِنْ نَوْرِهِ بَلْ مَائِهِ وَرُوَائِهِ
وَالْمَاءُ بَيْنَ مُصَنْدَلٍ وَمُكَفَّرٍ فِي حُسْنِ كُدْرَتِهِ وَلَوْنِ صَفَائِهِ
وَالطَّيْرُ مِثْلُ الْمُحْصَنَاتِ صَوَادِحٌ مِثْلَ الْمُغَنِّي شَادِيًا بِغِنَائِهِ
وَالْوَرْدُ لَيْسَ بِمُمْسِكٍ رَيَّاهُ إِذْ يُهْدِي لَنَا نَفَحَاتِهِ مِنْ مَائِهِ
زَمَنَ الرَّبِيعِ جَلَبْتَ أَزْكَى مَتْجَرٍ وَجَلَوْتَ لِلرَّائِينَ خَيْرَ جَلَائِهِ
فَكَأَنَّهُ هٰذَا الرَّئِيسُ إِذَا بَدَا فِي خَلْقِهِ وَصِفَائِهِ وَعَطَائِهِ
بِحِمًى أَعَزَّ مُحَجَّرٍ وَنَدًى أَغَرَّ مُحَجَّلٍ فِي خَلْقِهِ وَوَفَائِهِ
يَعْشُو إِلَيْهِ الْمُخْتَوِي وَالْمُجْتَدِي وَالْمُجْتَوِي هُوَ هَارِبٌ بِذِمَائِهِ
مَا الْبَحْرُ فِي تَزْخَارِهِ وَالْغَيْثُ فِي إِمْطَارِهِ وَالْجُودُ فِي أَنْوَائِهِ
بِأَجَلَّ مِنْهُ مَوَاهِبًا وَرَغَائِبًا لَا زَالَ هٰذَا الْمَجْدُ حَالِفَ فِنَائِهِ
وَالسَّادَةُ الْبَاقُونَ سَادَةُ عَصْرِهِمْ مُتَمَدَّحُونَ بِمَدْحِهِ وَثَنَائِهِ

نُخْبَةٌ من زهريَّة ابن الراجح الحلّي

نَثَرَتْ عُقُودَ سَمَائِهَا الْأَنْدَاءُ بِيَدِ النَّسِيمِ فَلِلثَّرَى إِثْرَاءُ
وَبَدَتْ تَبَاشِيرُ الرَّبِيعِ كَأَنَّمَا نَشَرَتْ حَبَائِرَ وَشْيِهَا صُنَعَاءُ

وَافْتَرَّ ثَغْرُ الْأُقْحُوَانَةِ بَاسِمًا ... إِذْ لِلشَّقِيقَةِ مُقْلَةٌ رَمْدَاءُ
وَالْأَرْضُ قَدْ زُهِيَتْ بِحُلِيِّ نَبَاتِهَا ... وَالْجَوُّ حُلَّةُ سُحْبِهِ دَكْنَاءُ
وَالرَّوْضُ فِي نَشَوَاتِ سُكْرَتِهِ وَقَدْ ... طَافَتْ عَلَيْهِ الدِّيمَةُ الْوَطْفَاءُ
وَثَنَى الْحَيَا عَطْفَ الْغَدِيرِ فَصَفَّقَتْ ... أَطْرَافُهُ وَتَغَنَّتِ الْوَرْقَاءُ
فَكَأَنَّ أَعْطَافَ الْغُصُونِ مَنَابِرٌ ... وَالْوُرْقَ فِي أَوْرَاقِهَا خُطَبَاءُ
هٰذَا الرَّبِيعُ أَجِبْ نِدَاءَ سُرُورِهِ ... تَشْمُلْكَ مِنْهُ بُرُوحُكَ السَّرَّاءُ

١٨١ نخبة من زهريّة لابن مكانس

قالها في وصف شجرة سَرْح على شاطئ النيل

يَا سَرْحَةَ الشَّاطِئِ الْمُنْسَابِ كَوْثَرُهُ ... عَلَى الْيَوَاقِيتِ فِي أَشْكَالِ حَصْبَاءِ
حَلَّتْ عَلَيْكِ عَزَالِيهَا السَّحَابُ إِذَا ... نَوْءُ الثُّرَيَّا اسْتَهَلَّتْ ذَاتَ أَنْوَاءِ
وَإِنْ تَبَسَّمَ فِيكِ النَّوْرُ مِنْ جَذَلٍ ... سَقَاكِ مِنْ كُلِّ غَيْمٍ كُلُّ بَكَّاءِ
لَا صَوَّحَ الدَّهْرُ مِنْكِ الزَّهْرَ وَانْبَجَسَتْ ... عَلَيْكِ كُلُّ هَتُونِ الْوَدْقِ سَوْدَاءِ
رَحْمَاكِ بِالْوَارِفِ الْمَعْهُودِ مِنْكِ فَكَمْ ... لَنَا بِظِلِّكِ مِنْ أَلْطَافِ أَهْوَاءِ
وَكَمْ نَزَلْنَا مَقِيلًا مِنْكِ مَا حَمِيَ الْـ ... ـهَجِيرُ إِذْ حَيْثُ لَا مَرْأَى لِحِرْبَاءِ
نَظَلُّ مِنْ فَيْئِكِ الْأَفْضَافِ فِي ظُلَلٍ ... مِنَ الْغَمَامِ يَقِينَا كُلَّ ضَرَّاءِ
يَا طَبَّةً بِدَوَاءِ الْقَيْظِ عَالِمَةً ... أَنْتِ الشِّفَاءُ مِنَ الرَّمْضَا لِذِي الدَّاءِ
لَهَا مَطَارِفُ ظِلٍّ سَجْسَجٍ فَمَصِيفُهَا ... يُعَادِلُ فِيهِ طِيبَ مَشْتَاءِ
خَمَائِلُ الرَّوْضِ مَنْشَاهَا وَمَرْضَعُهَا ... ضَرْعُ النَّمِيرَيْنِ مِنْ نِيلٍ وَأَنْوَاءِ
فَاسْتَمْهَدَتْ دَوْحَهَا الْمُخْضَلَّ وَافْتَرَشَتْ ... نَجْمَ الرُّبَى وَرَقَتْ عَرْشًا عَلَى الْمَاءِ

بَدِيعَةُ الْحُسْنِ قَدْ فَازَ الْجَنَاسُ لَهَا ... مِنَ الْمَعَانِي بِأَفْنَانٍ وَأَفْيَاءِ
وَصَوْتُ بُلْبُلِهَا الرَّاقِي ذُرَى غُصُنٍ ... فِي حُلَّةٍ مِنْ دِمَقْسِ الرِّيشِ دَكْنَاءِ
كَقَرْعِ نَاقُوسِ دَيْرِيٍّ عَلَى شَرَفٍ ... مُسَبِّحٍ فِي ظَلَامِ اللَّيْلِ دَعَّاءِ
كَمْ صَفَّقَ الْمَوْجُ مِنْ أَزْهَارِهَا طَرَبًا ... فَنَقَّطَتْهُ بِبَيْضَاءٍ وَصَفْرَاءِ
كَأَنَّهَا مِنْ جِنَانِ الْخُلْدِ قَدْ كَمُلَتْ ... حُسْنًا وَحَسْبُكَ مِنْ خَضْرَاءَ لَفَّاءِ
مَالَتْ عَلَى النَّهْرِ إِذْ جَاشَ الْخَرِيرُ بِهِ ... كَأَنَّهَا أُذُنٌ مَالَتْ لِإِصْغَاءِ
كَأَنَّمَا النَّهْرُ مِرْآةٌ وَقَدْ عَكَفَتْ ... عَلَيْهِ تُدْهِشُ فِي حُسْنٍ وَلَأْلَاءِ
ذُو شَاطِئٍ رَاقَ غَبَّ الْقَطْرِ فَهْوَ عَلَى ... نَهْرِ الْأُبُلَّةِ يُزْرِي أَيَّ إِزْرَاءِ
كَأَنَّهُ عِنْدَ تَفْرِيكِ النَّسِيمِ لَهُ ... فِرِنْدُ سَيْفٍ نَضَتْهُ كَفُّ جَلَّاءِ
كَأَنَّهُ حِينَ يَجْرِي زُرْقَةً وَصَفًا ... رَقْرَاقُ عَيْنٍ بِوَجْهِ الْأَرْضِ شَهْلَاءِ
إِذَا شَدَوْتِ حَمَامَاتِ الْأَرَاكِ عَلَى ... أَغْصَانِهَا فَتَرِينَا رَقْصَ هَيْفَاءِ
مِنْ كُلِّ وَرْقَاءَ فِي الْأَفْنَانِ صَادِحَةٍ ... بَيْنَ الْحَدَائِقِ فِي فَيْحَاءَ زَهْرَاءِ
وُرْقٌ تَغَنَّتْ بِجَنَّاتٍ رَقِينَ عَلَى ... عِيدَانِهَا فَأَلُهُ فِي مَغْنًى وَغَنَّاءِ

١٨٢ نخبة من زهريّة بدر الدين الذهبيّ

تَرَنَّحَ عِطْفُ الْبَانِ فِي الْحُلَلِ الْخُضْرِ ... وَغَنَّى بِأَلْحَانٍ عَلَى عُودِهِ الْقُمْرِي
وَرَاقَتْ أَزَاهِيرُ الْحَدَائِقِ بِالضُّحَى ... نَوَاظِرَ أَحْدَاقٍ بِنَوَّارِهَا النَّضْرِ
وَأَشْرَقَ خَدُّ الْوَرْدِ يُبْدِي نَضَارَهُ ... وَأَشْرَقَ جِيدُ الْغُصْنِ فِي لُؤْلُؤِ الْقَطْرِ
وَبَاتَ سَقِيطُ الطَّلِّ فِي كُلِّ رَوْضَةٍ ... يُنَبِّهُ فِي أَرْجَائِهَا نَاعِسَ الزَّهْرِ
وَقَدْ غَضَّ طَرْفَ النَّرْجِسِ الْغَضِّ مِنْ حَيَا ... ئِهِ وَالْأَقَاحِي مِنْهُ مُبْتَسِمُ الثَّغْرِ

وَمَاذَهَبَتْ شَمْسُ ٱلْأَصِيلِ عَشِيَّةً ... إِلَى ٱلْغَرْبِ حَتَّى أَذْهَبَتْ فِضَّةَ ٱلنَّهْرِ
وَغَنَّتْ قِيَانُ ٱلطَّيْرِ فِي كُلِّ أَيْكَةٍ ... وَقَدْ رَاقَ كُحْلُ ٱلطَّلِّ فِي مُقَلِ ٱلْغُدْرِ
قِيَانٌ كَسَاهَا ٱلْخَدُّ دِيبَاجَ وَجْهِهِ ... وَصَاغَتْ لَهَا ٱلْأَحْدَاقُ طَوْقًا عَلَى نَحْرِ
أَقَامَتْ لَهَا دَوْحُ ٱلْأَرَاكِ أَرَائِكًا ... وَأَرَخَتْ لَهَا أَوْرَاقُ أَسْتَارَهَا ٱلْخُضْرِ
وَأَمْسَى أَصِيلُ ٱلْيَوْمِ مُلْقًى مِنَ ٱلضُّنَا ... عَلَى فُرُشِ ٱلْأَزْهَارِ فِي آخِرِ ٱلْعُمْرِ
بَكَتْهُ حَمَامَاتُ ٱلْأَرَاكِ وَشَقَّقَتْ ... عَلَيْهِ ٱلصَّبَا أَثْوَابَ رَوْضَاتِهَا ٱلنُّضْرِ
فَكَمْ مِنْ نَحِيبٍ لِلْحَمَائِمِ بِٱلضُّحَى ... عَلَيْهِ وَلِلْأَنْوَاءِ مِنْ دَمْعَةٍ تَجْرِي

١٨٣ زهريّة ابن الوكيع

أَلَسْتَ تَرَى وَشْيَ ٱلرَّبِيعِ تَنَسَّمَا ... وَمَا صَنَعَ ٱلرَّبِيعُ فِيهِ وَنَظَّمَا
وَقَدْ حَكَتِ ٱلْأَرْضُ ٱلسَّمَاءَ بِنَوْرِهَا ... فَلَمْ أَرَ فِي ٱلتَّشْبِيهِ أَيُّهُمَا سَمَا
فَخُضْرَتُهَا كَٱلْجَوِّ فِي حُسْنِ لَوْنِهِ ... وَأَنْوَارُهَا تَحْكِي لِعَيْنِكَ أَنْجُمَا
فَمَنْ نَرْجِسٍ لَمَّا رَأَى حُسْنَ نَفْسِهِ ... تَدَاخَلَهُ عُجْبٌ بِهِ فَتَبَسَّمَا
وَأَبْدَى عَلَى ٱلْوَرْدِ ٱلْجَنِيِّ تَطَاوُلًا ... وَأَظْهَرَ غَيْظَ ٱلْوَرْدِ فِي خَدِّهِ دَمَا
وَزَهْرِ شَقِيقٍ نَازَعَ ٱلْوَرْدَ فَضْلَهُ ... فَزَادَ عَلَيْهِ ٱلْوَرْدُ فَضْلًا وَقُدِّمَا
فَظَلَّ لِفَرْطِ ٱلْحُزْنِ يَلْطِمُ خَدَّهُ ... فَأَظْهَرَ فِيهِ ٱللَّطْمُ جَمْرًا مُضَرَّمَا
وَمِنْ سُوسَنٍ لَمَّا رَأَى ٱلصِّبْغَ دُونَهُ ... عَلَى كُلِّ أَنْوَاعِ ٱلرِّيَاضِ تَقَسَّمَا
تَجَلْبَبَ مِنْ زُرْقِ ٱلْيَوَاقِيتِ حُلَّةً ... فَأَغْرَبَ فِي ٱلْمَلْبُوسِ فِيهَا وَأَحْكَمَا
وَأَنْوَارِ مَنْثُورٍ تَخَالَفَ شَكْلُهَا ... فَصَارَ بِهَا شَكْلُ ٱلرَّبِيعِ مُنَمْنَمَا
جَوَاهِرُ لَوْ قَدْ طَالَ فِيهَا حَيَاتُهَا ... رَأَيْتَ بِهَا كُلَّ ٱلْمُلُوكِ مُخَتَّمَا

ٱلْبَابُ ٱلْحَادِي عَشَرَ
فِي ٱلسَّيْفِ وَٱلْقَلَمِ

وصف السيف

١٨٤ قَالَ مَحْمُودُ بْنُ سُلَيْمَانَ ٱلْحَلَبِيُّ يَصِفُ سَيْفًا ٱسْتَوْهَبَهُ: وَقَلَّدَتْنِي مِنَّا سَيْفًا تَلْمَعُ مَخَايِلُ ٱلنَّصْرِ مِنْ غِمْدِهِ. وَتُشْرِقُ جَوَاهِرُ ٱلْفَتْحِ فِي فِرِنْدِهِ. وَإِذَا سَابَقَ ٱلْأَجَلَ إِلَى قَبْضِ ٱلنُّفُوسِ عَرَفَ ٱلْأَجَلُ قَدْرَهُ فَوَقَفَ عِنْدَ حَدِّهِ. وَمَتَى جَرَّدَهُ عَلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ ٱلْعِدَى وَهَتْ عَزَائِمُهُ وَعَجَزَ جَنَاحُ جَيْشِهِ. قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ:

بِكُلِّ رُدَيْنِيٍّ كَأَنَّ سِنَانَهُ ... شِهَابٌ بَدَا فِي ظُلْمَةِ ٱللَّيْلِ سَاطِعُ
تَقَاصَرَتِ ٱلْآجَالُ فِي طُولِ مَتْنِهِ ... وَعَادَتْ بِهِ ٱلْآمَالُ وَهِيَ فَجَائِعُ
وَسَاءَتْ ظُنُونُ ٱلْحَرْبِ فِي حُسْنِ ظَنِّهِ ... فَهُنَّ لِحَبَّاتِ ٱلْقُلُوبِ قَوَارِعُ
وَذِي شُطَبٍ تَقْضِي ٱلْمَنَايَا لِحُكْمِهِ ... وَلَيْسَ لِمَا تَقْضِي ٱلْمَنِيَّةُ دَافِعُ
فِرِنْدٌ إِذَا مَا أَعْتَنَّ لِلْعَيْنِ رَاكِدٌ ... وَبَرْقٌ إِذَا مَا ٱهْتَزَّ بِٱلْكَفِّ لَامِعُ
يُسَلِّلُ أَرْوَاحَ ٱلْكُمَاةِ ٱنْسِلَالُهُ ... وَيَرْتَاعُ مِنْهُ ٱلْمَوْتُ وَٱلْمَوْتُ رَائِعُ
إِذَا مَا ٱلْتَقَتْ أَمْثَالُهُ فِي وَقِيعَةٍ ... هُنَالِكَ ظَنُّ ٱلنَّفْسِ بِٱلنَّفْسِ وَاقِعُ

وصف سيف عمرو بن معدي كرب

١٨٥ لَمَّا صَارَ سَيْفُ عَمْرِو بْنِ مَعْدِي كَرِبَ وَكَانَ يُسَمَّى ٱلصَّمْصَامَةَ إِلَى ٱلْهَادِي. وَكَانَ عَمْرٌو وَهَبَهُ لِسَعِيدِ بْنِ ٱلْعَاصِ فَتَوَارَثَهُ وُلْدُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ

ٱلْمَهْدِيُّ فَٱشْتَرَاهُ مُوسَى ٱلْهَادِي بِمَالٍ جَلِيلٍ. وَكَانَ أَوْسَعَ بَنِي ٱلْعَبَّاسِ كَفًّا وَأَكْثَرَهُمْ عَطَاءً. وَدَعَا بِٱلشُّعَرَاءِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ مُكَتَّلٌ فِيهِ بَدْرَةٌ. فَقَالَ: قُولُوا فِي هٰذَا ٱلسَّيْفِ. فَبَدَرَ ٱبْنُ يَامِينَ ٱلْبَصْرِيُّ فَقَالَ:

حَازَ صَمْصَامَةَ ٱلزُّبَيْدِيِّ مِنْ بَيْنِ جَمِيعِ ٱلْأَنَامِ مُوسَى ٱلْأَمِينُ
سَيْفُ عَمْرٍو وَكَانَ فِيمَا سَمِعْنَا خَيْرَ مَا أُعْمِدَتْ عَلَيْهِ ٱلْجُفُونُ
أَخْضَرُ ٱللَّوْنِ بَيْنَ خَدَّيْهِ بُرْدٌ مِنْ ذُعَافٍ تَمِيسُ فِيهِ ٱلْمَنُونُ
أَوْقَدَتْ فَوْقَهُ ٱلصَّوَاعِقُ نَارًا ثُمَّ شَابَتْ بِهِ ٱلذُّعَافَ ٱلْقُيُونُ
فَإِذَا مَا سَلَلْتَهُ بَهَرَ ٱلشَّمْسَ ضِيَاءً فَلَمْ تَكَدْ تَسْتَبِينُ
مَا يُبَالِي مَنِ ٱنْتَضَاهُ لِحَرْبٍ أَشِمَالٌ سَطَتْ بِهِ أَمْ يَمِينُ
يَسْتَطِيرُ ٱلْأَبْصَارَ كَٱلْقَبَسِ ٱلْمُشْعَلِ مَا تَسْتَقِرُّ فِيهِ ٱلْعُيُونُ
وَكَأَنَّ ٱلْفِرِنْدَ وَٱلْجَوْهَرَ ٱلْجَا رِيَ عَلَى صَفْحَتَيْهِ مَاءٌ مَعِينُ
نِعْمَ مِخْرَاقُ ذَا ٱلْخَلِيفَةِ فِي ٱلْهَيْجَاءِ يَقْضِي بِهِ وَنِعْمَ ٱلْقَرِينُ

قَالَ مُوسَى: لَمْ يَتَعَدَّ مَا فِي نَفْسِي وَٱسْتَحَقَّهُ. وَأَمَرَ لَهُ بِٱلْمُكَتَّلِ وَٱلسَّيْفِ. فَلَمَّا خَرَجَ قَالَ لِلشُّعَرَاءِ: إِنَّمَا دَخَلْتُمْ مَعِي وَحُرِمْتُمْ مِنْ أَجْلِي فَشَأْنُكُمُ ٱلْمُكَتَّلُ وَفِي ٱلسَّيْفِ غَنَائِي (زهر الآداب للقيرواني)

١٨٦ قَالَ ٱلْبُحْتُرِيُّ يَصِفُ سَيْفًا:

قَدْ جُدْتَ بِٱلطَّرْفِ ٱلْجَوَادِ فَثَنِّهِ لِأَخِيكَ مِنْ جَدْوَى يَدَيْكَ بِمُقْصَلِ
يَتَنَاوَلُ ٱلرُّوحَ ٱلْبَعِيدَ مَنَالُهُ عَفْوًا وَيَفْتَحُ فِي ٱلْقَضَاءِ ٱلْمُقْفَلِ
بِإِنَارَةٍ فِي كُلِّ حَتْفٍ مُظْلِمٍ وَهِدَايَةٍ فِي كُلِّ نَفْسٍ مُجْهَلِ

يَغْشَى ٱلْوَغَى فَٱلتُّرْسُ لَيْسَ بِجُنَّةٍ مِنْ حَدِّهِ وَٱلدِّرْعُ لَيْسَ بِمُعْقِلِ
مَاضٍ وَإِنْ لَمْ تُمْضِهِ يَدُ فَارِسٍ بَطَلٍ وَمَصْقُولٌ وَإِنْ لَمْ يُصْقَلِ
مُصْغٍ إِلَى حُكْمِ ٱلرَّدَى فَإِذَا مَضَى لَمْ يَلْتَفِتْ وَإِذَا قَضَى لَمْ يَعْدِلِ
مُتَوَقِّدٌ يَبْرِي بِأَوَّلِ ضَرْبَةٍ مَا أَدْرَكَتْ وَلَوَانَّهَا فِي يَذْبُلِ
وَكَأَنَّ فَارِسَهُ إِذَا ٱسْتَغْنَى بِهِ فِي ٱلرَّوْعِ يَعْصِي بِٱلسِّمَاكِ ٱلْأَعْزَلِ
فَإِذَا أَصَابَ فَكُلُّ شَيْءٍ مَقْتَلٌ وَإِذَا أُصِيبَ فَمَا لَهُ مِنْ مَقْتَلِ

وصف القلم

١٨٧ ٱلْقَلَمُ هُوَ ٱلْيَرَاعُ ٱلَّذِي نُفِثَتِ ٱلْفَصَاحَةُ فِي رُوعِهِ. وَكَمَنَتِ ٱلشَّجَاعَةُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ. فَإِذَا قَالَ أَرَاكَ كَيْفَ نَسَقُ ٱلْقَرِيدِ فِي ٱلْأَجْيَادِ. وَإِذَا صَالَ أَرَاكَ كَيْفَ ٱلِٱخْتِلَافُ بَيْنَ ٱلْآسَادِ. وَلَهُ خَصَائِصُ أُخْرَى يُبْدِعُهَا إِبْدَاعًا. فَإِذَا لَمْ يَأْتِ بِهَا غَيْرُهُ تَصَنُّعًا أَتَى هُوَ بِهَا صَنَاعًا. فَطَوْرًا يُرَى نَحْلَةً تَجْنِي عَسَلًا. وَطَوْرًا يُرَى إِمَامًا يُلْقِي دَرْسًا. وَطَوْرًا يُرَى وَرْقَاءَ تَصْدَحُ بَيْنَ ٱلْأَوْرَاقِ. وَطَوْرًا يُرَى جَوَادًا مُخَلَّقًا بِخُلُوقِ ٱلسِّبَاقِ. وَطَوْرًا يُرَى أُغْوَانًا مُطْرِقًا وَٱلْعَجَبُ أَنَّهُ لَا يُزْهَى إِلَّا عِنْدَ ٱلْإِطْرَاقِ. وَلَطَالَمَا نَفَثَ سِحْرًا وَجَلَبَ عِطْرًا. وَأَدَارَ فِي ٱلْقِرْطَاسِ خَمْرًا. وَتَصَرَّفَ فِي وُجُوهِ ٱلْمَعَانِي.. فَلَا تَحْظَى بِهِ دَوْلَةٌ إِلَّا فَخَرَتْ عَلَى ٱلدُّوَلِ. وَغَنِيَتْ بِهِ عَنِ ٱلْخَيْلِ وَٱلْخَوَلِ. وَقَالَتْ: أَعْلَى ٱلْمَمَالِكِ عَلَى ٱلْأَقْلَامِ لَا عَلَى ٱلْأَسَلِ. وَلَرُبَّمَا لُقِّيَ هٰذَا ٱلْقَوْلُ بِإِعْظَامِ ٱلنَّكِيرِ. وَقَالُوا: مِنْ أَيْنَ لِلْقَصَبَةِ ٱلضَّعِيفَةِ هٰذَا ٱلْخَطَرُ ٱلْكَبِيرُ. وَلِلْبَهَائِمِ عُذْرٌ أَنْ

لَا تَعْرِفَ مِنْ مَلَاذِّ الْأَطْعِمَةِ غَيْرَ الشَّعِيرِ. وَلَوْ أَنْصَفَ هٰؤُلَاءِ لَعَلِمُوا أَنَّ الْقَلَمَ هُوَ مِزْمَارُ الْمَعَانِي. كَمَا أَنَّ أَخَاهُ فِي النَّسَبِ مِزْمَارُ الْأَغَانِي. فَهٰذَا يَأْتِي بِغَرَائِبِ الْحِكَمِ. كَمَا يَأْتِي ذٰلِكَ بِغَرَائِبِ النَّغَمِ. وَكِلَاهُمَا شَيْءٌ وَاحِدٌ فِي الْإِطْرَابِ. غَيْرَ أَنَّ أَحَدَهُمَا يَلْعَبُ بِالْأَسْمَاعِ وَالْآخَرَ يَلْعَبُ بِالْأَلْبَابِ (*)

١٨٨ (قَالَ) وَقَدْ أَوْرَدْتُ فِي وَصْفِ الْقَلَمِ فَصْلًا آخَرَ مِنْ كِتَابٍ إِلَى بَعْضِ الْإِخْوَانِ وَهُوَ: وَقَلَمُهُ هُوَ الْقَلَمُ الَّذِي إِذَا قَذَفَ بِشُهُبِ بَيَانِهِ رَأَيْتَ نُجُومًا. وَإِذَا ضَرَبَ بِشَبَا حَدِّهِ رَأَيْتَ كُلُومًا. فَإِذَا صَوَّرَ الْمَعَانِيَ فِي أَلْفَاظِهَا رَأَيْتَ أَرْوَاحًا وَجُسُومًا. وَقَدْ شَرَّفَ اللّٰهُ دَوْلَةً يَجْلِسُ فِي حَفْلِهَا. وَيَخْطُبُ عَنْ أَهْلِهَا. فَهُوَ لَهَا فِي الْحُسْنِ طِرَازٌ. وَفِي الذَّبِّ عَضْبٌ جُرَازٌ. وَلَطَالَمَا قَالَ فَاسْتَخَفَّ مُوَقَّرًا وَكَسَا وَقَارًا. وَأَطَالَ

(*) قال ابن الأثير: في هذا الكلام معانٍ مأخوذةٌ من الشعر ومعانٍ مُبتدَعةٌ لم يسبقني اليها شاعرٌ ولا كاتبٌ. فأمَّا التي في الشعر. فمنها قول أبي عبادة البحتري وهو:

في نظامٍ من البلاغة ما شكَّ م أمرؤٌ أنَّهُ نِظامُ فريدِ

ومنها قولهُ أيضًا:

طِعانٌ بأطراف القوافي كأنَّهُ طعانٌ بأطراف القنا المُتكسِّرِ

ومنها قول أبي الطيب المتنبي:

أعلى المماليك ما يُبنى على الأسلِ والطعنُ عندَ محبّيهنَّ كالقُبَلِ

وأمَّا الذي ابتدعتهُ ولم أُسبق اليهِ فهو اني جعلت القلم مِزمار المعاني كما أن أخاهُ في النسب مِزمار الأغاني وذاك ان كليهما قصبة. ولهذا جعلتُ المزمار الموضوع للقتال أخا القلم في النسب وجعلتُ معاني هذا كنغَم هذا. وأمَّا الأوصاف الباقية التي ذكرتها في كونهِ نحلةً وشَفَةً وإمامًا فاني لم اسمعها وإن كنت قد سُبقت اليها وهذه الأوصاف المجموعة ههنا في ذكر القلم لا تجدها في كلام آخر غير هذا الكلام

فَوَجَدْتُ إِطَالَتَهُ لِحَلَاوَتِهَا إِقْصَارًا. وَادَّعَى الِانْفِرَادَ بِهٰذِهِ الْمَزِيَّةِ فَأَقَرَّتْ لَهُ الْأَعْدَاءُ إِقْرَارًا. وَكُلُّ هٰذَا فَضْلٌ لِقَلَمِهِ غَيْرُ مَدْفُوعٍ. وَشَاهِدُهُ مَرْئِيٌّ لَدَيْهِ وَإِنْ غَدَا قَبْلَهُ وَهُوَ مَسْمُوعٌ. وَفِي طَاعَةِ الْبَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلَ. فَأَقْوَالُ غَيْرِهِ مُنْتَقِلَةٌ عَنْ أَوَّلَ إِلَى آخِرٍ وَالَّذِي يَقُولُهُ لَمْ يُقَلْ. فَهُوَ رَبُّ الْمَعَانِي الْمُخْتَرَعَةِ يَسْتَخْرِجُهَا مِنْ قَلِيبِهَا. وَيُبْرِزُهَا مِنْ ثَوْبِهَا الْقَشِيبِ وَلَيْسَ خَلَقُ الْأَثْوَابِ كَقَشِيبِهَا. وَقَدْ أَمْسَكَ الْقَلَمَ قَوْمٌ رَضُوا مِنَ الْكِتَابَةِ بِتَحْسِينِ السُّطُورِ. وَإِذَا أَتَى أَحَدُهُمْ بِشَيْءٍ مِنَ السَّجْعِ فَذٰلِكَ هُوَ الْكَاتِبُ الْمَشْهُورُ. وَهٰؤُلَاءِ قَصَرُوا هِمَمَهُمْ عَلَى الزَّيْفِ دُونَ اللُّبَابِ. وَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ الْقِشْرَ لِذَوِي الْقُشُورِ وَاللُّبَّ لِذَوِي الْأَلْبَابِ. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مِنَ الْأَقْلَامِ رَخَمَةً فِي كَفِّ رَخَمَةٍ وَعُقَابًا فِي كَفِّ عُقَابٍ (هٰذَا فَصْلٌ مِنَ الْكَلَامِ قَدِ اغْتَرَفْتُ مَعَانِيَهُ مِنْ بَحْرٍ. وَنَحَتُّ أَلْفَاظَهُ مِنْ صَخْرٍ. فَتَقْتُ مَعَانِيَهُ مِنْ صِوَارِ مِسْكٍ. وَأَخَذْتُ أَلْفَاظَهُ مِنْ فَرِيدِ سِلْكٍ. بَلْ جَنَيْتُ مَعَانِيَهُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفٍ طَعْمُهَا. وَنَسَجْتُ أَلْفَاظَهُ مِنْ دَبَابِيجَ مُؤْتَلِفٍ رَقْمُهَا. فَانْظُرْ أَيُّهَا الْمُتَأَمِّلُ إِلَيْهَا نَظَرَ الْمُتَعَجِّبِ بِمَا فِيهَا مِنَ الْإِعْجَابِ. وَاسْجُدْ لَهَا فَلِلْبَلَاغَةِ سُجُودُ كَسُجُودِ الْكِتَابِ) (الوشي المرقوم لابن الأثير)

١٨٩ صفة قلم لابن عبد ربّه

بِكَفِّهِ سَاحِرُ الْبَيَانِ إِذَا أَدَارَهُ فِي صَحِيفَةٍ سَحَرَا
يَنْطِقُ فِي عُجْمَةٍ بِلَفْظَتِهِ يُصَمُّ عَنْهُ وَيُسْمِعُ الْبَصَرَا

يَرَى ٱلْمَقَادِيرَ تَسْتَرِقُّ لَهُ وَتُنْفِذُ ٱلْحَادِثَاتُ مَا أَمَرَا
شَخْتٌ ضَئِيلٌ لِفِعْلِهِ خَطَرٌ أَعْظِمْ بِهِ فِي مَلَمَّةٍ خَطَرَا
تَبِجٌ فُكَاهُ رِيقَةً صَغُرَتْ وَخَطْبُهَا فِي ٱلْقُلُوبِ قَدْ كَبُرَا
إِذَا ٱمْتَطَى ٱلْخِنْصِرَيْنِ أَذْكَرَ مِنْ سَحْبَانَ فِيمَا أَطَالَ وَٱخْتَصَرَا
يُوَاقِعُ ٱلنَّفْسَ مِنْهُ مَا حَذِرَتْ وَرُبَّمَا جُنِّبَتْ بِهِ ٱلْحَذَرَا
مُهَفْهَفٌ تَزْدَهِي بِهِ صُحُفٌ كَأَنَّمَا جُلِّيَتْ بِهِ دُرَرَا
نَوَادِرُ تُقْرِعُ ٱلْقُلُوبَ بِهَا إِنْ تَسْتَبِنْهَا وَجَدْتَهَا صُوَرَا
يُخَاطِبُ ٱلْغَائِبَ ٱلْبَعِيدَ بِمَا يُخَاطِبُ ٱلشَّاهِدَ ٱلَّذِي حَضَرَا

وصف الشعر لعبد الله الناشىء

١٩٠ قَالَ ٱلنَّاشِئُ فِي فَصْلٍ مِنْ كِتَابِهِ فِي ٱلشِّعْرِ: أَلشِّعْرُ قَيْدُ ٱلْكَلَامِ وَعَقْلُ ٱلْآدَابِ. وَسُورُ ٱلْبَلَاغَةِ. وَمَعْدِنُ ٱلْبَرَاعَةِ. وَمَجَالُ ٱلْجَنَانِ. وَمَسْرَحُ ٱلْبَيَانِ. وَذَرِيعَةُ ٱلْمُتَوَسِّلِ. وَوَسِيلَةُ ٱلْمُتَوَصِّلِ. وَذِمَامُ ٱلْغَرِيبِ. وَحُرْمَةُ ٱلْأَدِيبِ. وَعِصْمَةُ ٱلْهَارِبِ. وَعُدَّةُ ٱلرَّاهِبِ. وَرُحْلَةُ ٱلدَّانِي. وَدَوْحَةُ ٱلْمُتَمَثِّلِ. وَمَنْحَةُ ٱلْمُتَجَمِّلِ. وَحَاكِمُ ٱلْأَعْرَابِ. وَشَاهِدُ ٱلصَّوَابِ. (ثُمَّ قَالَ) أَلشِّعْرُ مَا كَانَ سَهْلَ ٱلْمَطَالِعِ. فَصْلَ ٱلْمَقَاطِعِ. فَحْلَ ٱلْمَدِيحِ جَزْلَ ٱلِٱفْتِخَارِ. رَقِيقَ ٱلنَّسِيبِ سَائِرَ ٱلْمَثَلِ. سَلِيمَ ٱلزِّلَالِ. عَدِيمَ ٱلْخَلَلِ. رَائِعَ ٱلْهَجَاءِ. مُوجِبَ ٱلْمَعْذِرَةِ. مُحَبَّبَ ٱلْمَعْتَبَةِ. مُطْمِعَ ٱلْمَسَالِكِ. فَائِتَ ٱلْمَدَارِكِ. قَرِيبَ ٱلْبَيَانِ. بَعِيدَ ٱلْمَعَانِي. نَائِيَ ٱلْأَغْوَارِ. ضَاحِيَ ٱلْقَرَارِ. نَقِيَّ ٱلْمُسْتَشَفِّ. قَدْ

هُرِيقَ فِيهِ مَاءُ ٱلْفَصَاحَةِ. وَأَضَاءَ لَهُ نُورُ ٱلزُّجَاجَةِ. فَٱنْهَلَّ فِي صَادِي ٱلْفَهْمِ. وَأَضَاءَ فِي بُهَمِ ٱلْمَرَائِي. لِمُتَأَمِّلِهِ تَرَقْرُقٌ. وَلِمُسْتَشِفِّهِ تَأَلُّقٌ. يَرُوقُ ٱلْمُتَوَسِّمَ. وَيَسُرُّ ٱلْمُتَبَرْسِمَ. قَدْ أَيَّدَتْ صُدُورَهُ مُتُونُهُ. وَزَهَتْ فِي وُجُوهِهِ عُيُونُهُ. وَٱنْقَادَتْ كَوَاهِلُهُ لِهَوَادِيهِ. وَطَابَقَتْ آثَارُهُ لِمُسْتَوْضِحِهِ. وَأَشْبَهَ ٱلرَّوْضَ فِي وَشْيِ أَلْوَانِهِ. وَتَعَمُّمِ أَفْنَانِهِ. وَإِشْرَاقِ أَنْوَارِهِ. وَٱبْتِهَاجِ أَنْجَادِهِ وَأَغْوَارِهِ. وَأَشْبَهَ ٱلْوَشْيَ فِي ٱتِّفَاقِ رُقُومِهِ. وَٱتِّسَاقِ رُسُومِهِ. وَتَسْطِيرِ كُفُوفِهِ. وَتَحْبِيرِ حُرُوفِهِ. وَحَكَى ٱلْعِقْدَ فِي ٱلْتِئَامِ فُصُولِهِ. وَٱنْتِظَامِ وُصُولِهِ. وَٱزْدِيَانِ يَاقُوتِهِ بِدُرِّهِ. وَفَرِيدِهِ بِشَذْرِهِ. قَدْ كَشَفَ ٱلْإِيجَازُ مَوَارِدَهُ. وَصَقَلَتْ مَدَاوِسُ ٱلدُّرْبِ مَنَاصِلَهُ. وَشَحَذَتْ مَدَارِسُ ٱلْأَدَبِ فَوَاصِلَهُ. فَجَاءَ سَلِيمًا مِنَ ٱلْمَعَايِبِ مُهَذَّبًا مِنَ ٱلْأَدْنَاسِ يَتَحَاشَاهُ ٱلْأَبْنُ. وَتَتَحَامَاهُ ٱلْهُجْنُ. مُهْدِيًا إِلَى ٱلْأَسْمَاعِ بَهْجَتَهُ. وَإِلَى ٱلْعُقُولِ حِكْمَتَهُ. وَقَدْ قُلْتُ فِي ٱلشِّعْرِ قَوْلًا جَعَلْتُهُ مَثَلًا لِقَائِلِهِ. وَأُسْلُوبًا لِسَالِكِيهِ. وَهُوَ:

أَلشِّعْرُ مَا قَوَّمْتَ زَيْغَ صُدُورِهِ وَشَدَدْتَ بِٱلتَّهْذِيبِ أَسْرَ مُتُونِهِ
وَرَأَبْتَ بِٱلْإِطْنَابِ شِعْبَ صُدُوعِهِ وَفَتَحْتَ بِٱلْإِيجَازِ عُورَ عُيُونِهِ
وَجَمَعْتَ بَيْنَ قَرِيبِهِ وَبَعِيدِهِ وَوَصَلْتَ بَيْنَ مُجَمِّهِ وَمَعِينِهِ
وَعَمَدْتَ مِنْهُ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ يَقْتَضِي شَبَهًا بِهِ فَقَرَنْتَهُ بِقَرِينِهِ
فَإِذَا بَكَيْتَ بِهِ ٱلدِّيَارَ وَأَهْلَهَا أَجْرَيْتَ لِلْمَخْزُونِ مَاءَ شُؤُونِهِ
وَوَكَلْتَهُ بِهُمُومِهِ وَغُمُومِهِ دَهْرًا وَلَمْ يَسْرِ ٱلْكَرَى بِجُفُونِهِ

وَإِذَا مَدَحْتَ بِهِ جَوَادًا مَاجِدًا ... وَقَضَيْتَهُ بِالشُّكْرِ حَقَّ دُيُونِهِ
أَصْفَيْتَهُ بِنَفِيسِهِ وَرَصِينِهِ ... وَمَنَحْتَهُ بِخَطِيرِهِ وَثَمِينِهِ
فَيَكُونُ جَزْلًا فِي ٱتِّفَاقِ صُنُوفِهِ ... وَيَكُونُ سَهْلًا فِي ٱتِّسَاقِ فُنُونِهِ
وَإِذَا أَرَدتَّ كِنَايَةً عَنْ رِيبَةٍ ... بَايَنْتَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَبُطُونِهِ
فَجَعَلْتَ سَامِعَهُ يَشُوبُ شُكُوكَهُ ... بِبَيَانِهِ وَظُنُونَهُ بِيَقِينِهِ
وَإِذَا عَتَبْتَ عَلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ ... أَدْمَجْتَ شِدَّتَهُ لَهُ فِي لِينِهِ
فَتَرَكْتَهُ مُسْتَأْنِسًا بِدَمَاثَةٍ ... مُسْتَأْمِنًا لِوُعُوثِهِ وَحُزُونِهِ
وَإِذَا نَبَذْتَ إِلَى ٱلَّذِي عُلِّقْتَهُ ... إِذْ صَدَّ عَنْكَ بِفَاتِنَاتِ شُؤُونِهِ
تَيَّمْتَهُ بِلَطِيفِهِ وَدَقِيقِهِ ... وَشَغَفْتَهُ بِخَبِيئِهِ وَكَمِينِهِ
وَإِذَا ٱعْتَذَرْتَ إِلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ ... وَأَشَكْتَ بَيْنَ مُخِيلِهِ وَمُبِينِهِ
فَيَحُولُ ذَنْبُكَ عِنْدَ مَنْ يَعْتَدُّهُ ... عَتَبًا عَلَيْهِ مُطَالَبًا بِيَمِينِهِ
وَٱلْقَوْلُ يَحْسُنُ مِنْهُ فِي مَنْثُورِهِ ... مَا لَيْسَ يَحْسُنُ مِنْهُ فِي مَوْزُونِهِ

١٩١ قال ابن الرشيق يصف الصناعة الشعرية

لَعَنَ ٱللهُ صَنْعَةَ ٱلشِّعْرِ مَاذَا ... مِنْ صُنُوفِ ٱلْجُهَّالِ فِيهَا لَقِينَا
يُؤْثِرُونَ ٱلْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا ... كَانَ سَهْلًا لِلسَّامِعِينَ مُبِينَا
وَيَرَوْنَ ٱلْمُحَالَ مَعْنًى صَحِيحًا ... وَخَسِيسَ ٱلْكَلَامِ شَيْئًا ثَمِينَا
يَجْهَلُونَ ٱلصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَدْ ... رُونَ لِلْجَهْلِ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَا
فَهُمُ عِنْدَ مَنْ سِوَانَا يُلَامُو ... نَ وَفِي ٱلْحَقِّ عِنْدَنَا يُعْذَرُونَا
إِنَّمَا ٱلشِّعْرُ مَا تَنَاسَبَ فِي ٱلنَّظْـ ... ـمِ وَإِنْ كَانَ فِي ٱلصِّفَاتِ فُنُونَا

فَأَتَى بَعْضُهُ يُشَاكِلُ بَعْضًا ... وَأَقَامَتْ لَهُ ٱلصُّدُورُ ٱلْمُتُونَا
كُلُّ مَعْنًى أَتَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا ... تَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ أَنْ يَكُونَا
فَتَنَاهَى مِنَ ٱلْبَيَانِ إِلَى أَنْ ... كَادَ حُسْنًا يَبِينُ لِلنَّاظِرِينَا
فَكَأَنَّ ٱلْأَلْفَاظَ مِنْهُ وُجُوهٌ ... وَٱلْمَعَانِي رُكِّبْنَ فِيهِ عُيُونَا
قَائِمًا فِي ٱلْمَرَامِ حَسْبَ ٱلْأَمَانِي ... يَتَحَلَّى بِحُسْنِهِ ٱلْمُنْشِدُونَا
فَإِذَا مَا مَدَحْتَ بِٱلشِّعْرِ حُرًّا ... رُمْتَ فِيهِ مَذَاهِبَ ٱلْمُسْهِبِينَا
فَجَعَلْتَ ٱلنَّسِيبَ سَهْلًا قَرِيبًا ... وَجَعَلْتَ ٱلْمَدِيحَ صِدْقًا مُبِينَا
وَتَنَكَّبْتَ مَا تُهَجَّنُ فِي ٱلسَّمْـ ... ـعِ وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ مَوْزُونَا
وَإِذَا مَا قَرَضْتَهُ بِهِجَاءٍ ... عِبْتَ فِيهِ مَذَاهِبَ ٱلْمُرْفِثِينَا
فَجَعَلْتَ ٱلتَّصْرِيحَ مِنْهُ دَوَاءً ... وَجَعَلْتَ ٱلتَّعْرِيضَ دَاءً دَفِينَا
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ فِيهِ عَلَى ٱلْغَا ... دِينَ يَوْمًا لِلْبَيْنِ وَٱلظَّاعِنِينَا
حُلْتَ دُونَ ٱلْأَسَى وَذَلَّلْتَ مَا كَا ... نَ مِنَ ٱلدَّمْعِ فِي ٱلْعُيُونِ مَصُونَا
ثُمَّ إِنْ كُنْتَ عَاتِبًا شُبْتَ بِٱلْوَعْـ ... ـدِ وَعِيدًا وَبِٱلصُّعُوبَةِ لِينَا
فَتَرَكْتَ ٱلَّذِي عَتَبْتَ عَلَيْهِ ... حَذِرًا آمِنًا عَزِيزًا مَهِينَا
وَأَصَحُّ ٱلْقَرِيضِ مَا فَاتَ فِي ٱلنَّظْـ ... ـمِ وَإِنْ كَانَ وَاضِحًا مُسْتَبِينَا
فَإِذَا قِيلَ أَطْمَعُ ٱلنَّاسِ طُرًّا ... وَإِذَا رِيمَ أَعْجَزَ ٱلْمُعْجِزِينَا

جرير والفرزدق والأخطل

١٩٢ قَالَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ ٱلْمَلِكِ لِخَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ صِفْ لِي جَرِيرًا وَٱلْفَرَزْدَقَ وَٱلْأَخْطَلَ فَقَالَ: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَمَّا أَعْظَمُهُمْ فَخْرًا

وأبعدهم ذكرًا. وأحسنهم عذرًا. وأيسرهم مثلًا. وأحلاهم علًا. البحر الطامي إذا زخر. والحامي إذا دغر. والسامي إذا خطر. الذي إذا هدر قال. وإذا خطر صال. الفصيح اللسان. الطويل العنان. فالفرزدق. وأما أحسنهم نعتًا. وأمدحهم بيتًا. وأقلهم فوتًا. الذي إذا هجا وضع. وإذا مدح رفع. فالأخطل. وأما أغزرهم بحرًا. وأرقهم شعرًا. وأهتكهم سترًا. الأغر الأبلق. الذي إن طلب لم يسبق. وإن طلب لم يلحق. فجرير. وكلهم ذكي الفؤاد. رفيع العماد. وادي الزناد. قال مسلمة بن عبد الملك وكان حاضرًا: ما سمعنا بمثلك يا ابن صفوان في الأولين. ولا في الآخرين. أشهد أنك أحسنهم وصفًا. وألينهم عطفًا. وأخفهم مقالًا. وأكرمهم فعالًا. فقال خالد: أتم الله عليك نعمته. وأجزل لك قسمته. أنت والله أيها الأمير ما علمت كريم القراس. عالم بالناس. جواد في المحل. بسام عند البذل. حليم عند الطيش. في الذروة من قريش. من أشراف عبد شمس. ويومك خير من الأمس. فضحك هشام وقال: ما رأيت يا ابن صفوان لتخلصك في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعًا وسلمت منهم

(زهر الآداب للقيرواني)

وصف التاريخ

١٩٣ التأريخ معاد معنوي يعيد الأعصار وقد سلفت. وينشر أهلها وقد ذهبت آثارهم وعفت. وبه يستفيد عقول التجارب من

كان غرًا. ويلقى من بعده من الأمم وهلم جرًا. فهم لديه أحياء وقد تضمنتهم بطون القبور. وعنه غيب وقد جعلتهم الأخبار في عداد الحضور. ولولا التاريخ لجهلت الأنساب. ونسيت الأحساب. ولم يعلم الإنسان أن أصله من تراب. وكذلك لولاه لماتت الدول بموت زعمائها. وعمي على الأواخر حال قدمائها. ولم يحط علمًا بما تداولته الأرض من حوادث سمائها. ولمكان العناية به لم يخل منه كتاب من كتب الله المنزلة. فمنها ما أتى بأخباره المجملة. ومنها ما أتى بأخباره المفصلة. وقد ورد في التوراة مفردًا في سفر من أسفارها. وتضمن تفصيل أحوال الأمم السالفة ومدد أعمارها. وقد كانت العرب على جهلها بالقلم وخطه. والكتاب وضبطه. تصرف إلى التواريخ جمل دواعيها. وتجعل لها أول حظ من مساعيها. فتستغني بحفظ قلوبها. عن حفظ مكتوبها. وتعتاض برقم صدورها. عن رقم سطورها. كل ذلك عناية منها بأخبار أوائلها. وأيام فضائلها. وهل الإنسان إلا ما أسسه ذكره وبناه. وهل البقاء لصورة لحمه ودمه لولا بقاء معناه (*)

(لابن الأثير)

(*) وفي هذا الكلام شيء من شعر الحماسة وهو:

وإذا الفتى لاقى الحمام وجدته ... لولا الثناء كأنه لم يولد اه

وما أحسن ما قيل في التاريخ:

ليس بانسان ولا عاقل ... من لا يعي التاريخ في صدره

ومن درى أخبار من قبله ... أضاف أعمارًا الى عمره

ألباب الثاني عشر
في الوصف

وصف نزهة

١٩٤ حكى عمر بن علي المطوعي قال: رأى الأمير السيد أبو الفضل عبيد الله بن أحمد أدام الله عزه أيام مقامه بجوين أن يطالع قرية من قرى ضياعه تدعى نجاب على سبيل التنزه والتفرج. فكنت في جملة من استصحبه إليها من أصحابه. واتفق أنا وصلنا والسماء مصحية والجو صاف لم يطرز ثوبه بعلم الغمام. والأفق فيروزج لم يعبق به كافور السحاب. فوقع الاختيار على ظل شجرة باسقة الفروع متسقة الأوراق والغصون. قد سترت ما حواليها من الأرض طولا وعرضا. فنزلنا تحتها مستظلين بسماوة أفنانها. مستترين من وهج الشمس بستارة أغصانها. وأخذنا نتجاذب أذيال المذاكرة. ونتسالب أهداب المناشدة والمحاورة. فما شعرنا بالسماء إلا وقد أرعدت وأبرقت. وأظلمت بعد ما أشرقت. ثم جادت بمطر كأفواه القرب فأجادت. بل أوفت عليها وزادت. حتى كاد غيثها يعود غيثا. وهم وبلها أن يستحيل ويلا. فصبرنا على أذاها وقلنا سحابة صيف عما قليل تقشع. فإذا نحن بها قد أمطرتنا بردا كالثغور. لكنها من ثغور العذاب. لا من الثغور العذاب. فأيقنا بالبلاء. وسلمنا لأسباب القضاء. فما مرت

إلا ساعة من النهار. حتى سمعنا خرير الأنهار. ورأينا السيل قد بلغ الزبى. والماء قد غمر القيعان والربى. فبادرنا إلى حصن القرية لائذين من السيل بأفنيتها. وعائذين من القطر بأبنيتها. وأثوابنا قد صندل كافوريها ماء الوبل. وغلف طرازيها طين الوحل. ونحن نحمد الله تعالى على سلامة الأبدان. وإن فقدنا بياض الأكمام والأردان. فلما سل سيف الصبح من غمد الظلام. وصرف بوالي الصحو عامل الغمام. رأينا صواب الرأي أن نوسع الإقامة بها رفضا. ونتخذ الارتحال عنها فرضا. فما زلنا نطوي الصحاري أرضا فأرضا. إلى أن وافينا المستقر ركضا. فلما نفضنا غبار ذلك المسير. الذي جمعنا في ربقة الأسير. وأفضينا إلى ساحة التيسير. بعد ما أصبنا بالأمر العسير. وتذاكرنا ما لقينا من التعب والمشقة. في قطع ذلك الطريق وطي تلك الشقة. أخذ الأمير السيد القائم فعلق هذه الأبيات ارتجالا:

دهتنا السماء غداة السحاب ... بغيث على أفقه مسبل
وأشرف أصحابنا من أذاه ... على خطر هائل معضل
فمن لائذ بفناء الجدار ... وآو إلى نفق مهمل
ومن مستجير ينادي الغريق ... هناك ومن صارخ معول
وجادت علينا سماء السقوف ... بدمع من الوجد لم يهمل
كأن حراما لها أن ترى ... يبيسا من الأرض لم يبلل
وأقبل سيل له روعة ... فأدبر كل عن المقبل

فَيَقْلَعُ مَا شَاءَ مِنْ دَوْحَةٍ وَمَا يَلْقَ مِنْ صَخْرَةٍ يَحْمِلِ
فَمِنْ عَامِرٍ رَدَّهُ غَامِرًا وَمِنْ مُعْلَمٍ عَادَ كَالْمُجْهَلِ
كَفَانَا بِلِيَّتِهِ رَبُّنَا فَقَدْ وَجَبَ الشُّكْرُ لِلْمُفْضِلِ

١٩٥ لابن حجة الحموي يصف حماة ويتشوق اليها

يَا صَادِقَ الْأَنْفَاسِ يَا أَهْلَ الذَّكَا يَا طَاهِرَ الْأَذْيَالِ كَمْ لَكَ مِنْ نَبَا
يَا نَسْمَةَ الْخَيْرِ الَّذِي مِنْ طِيبِهِ نَتَنَشَّقُ الْأَخْبَارَ عَنْ تِلْكَ الرُّبَى
وَإِذَا تَنَسَّمْتَ الشَّذَا وَتَعَطَّرَتْ مِنْكَ الذُّيُولُ وَطِبْتَ يَا رِيحَ الصَّبَا
عَرِّجْ عَلَى وَادِي حَمَاةَ بِسُحْرَةٍ مُتَيَمِّمًا مِنْهُ صَعِيدًا طَيِّبَا
وَاجْعَلْ لَنَا فِي طَيِّ بُرْدِكَ نَشْرَهُ فَبِغَيْرِ ذَاكَ الطِّيبِ لَنْ نَتَطَيَّبَا
وَاسْرَعْ إِلَيَّ وَدَاوِ فِي مِصْرٍ بِهِ قَلْبًا عَلَى نَارِ الْبِعَادِ مُقَلَّبَا
لِلَّهِ ذَاكَ السَّفْحُ وَالْوَادِي الَّذِي مَا زَالَ رَوْضُ الْأُنْسِ فِيهِ مُخْصِبَا
وَأَنْعَمْ بِمِصْرٍ نِسْبَةً لَكِنْ أَرَى وَادِي حَمَاةَ وَلُطْفَهُ لِي أَنْسَبَا
أَرْضٌ رَضِعْتُ بِهَا ثُدِيَّ شَبِيبَتِي وَمَزَجْتُ لَذَّاتِي بِكَاسَاتِ الصِّبَا
يَا سَاكِنِي مَغْنَى حَمَاةَ وَحَقِّكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا ذُقْتُ عَيْشًا طَيِّبَا
وَمَهَالِكُ الْحِرْمَانِ تَمْنَعُ عَبْدَكُمْ مِنْ أَنْ يَنَالَ مِنَ التَّلَاقِي مَطْلَبَا
وَإِذَا اشْتَهَيْتُ السَّيْرَ نَحْوَ دِيَارِكُمْ قَرَأَ النَّوَى لِي فِي الْأَوَاخِرِ مِنْ سَبَا
وَقَدِ الْتَفَتُّ إِلَيْكَ يَا دَهْرِي بِطُو لِ تَعَتُّبِي وَيَحِقُّ لِي أَنْ أَعْتَبَا
قَرَّرْتَ لِي طُولَ الشَّتَاتِ وَظِيفَةً وَجَعَلْتَ دَمْعِي فِي الْخُدُودِ مُرَتَّبَا
وَأَسَرْتَنِي لَكِنْ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ يَا دَهْرُ كُنْ فِي مَخْلَصِي مُتَسَبِّبَا

فَمُحَمَّدٌ وَمَدِينَةٌ قَدْ حَلَّهَا لَمْ أَلْقَ غَيْرَهُمَا لِقَلْبِي مَطْلَبَا

وصف الخيل

١٩٦ أَهْدَى عَبْدُ اللهِ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى الْمَأْمُونِ فَرَسًا وَكَتَبَ إِلَيْهِ: قَدْ بَعَثْتُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِفَرَسٍ يَلْحَقُ الْأَرَانِبَ فِي الصَّعْدَاءِ. وَيُجَاوِزُ الظِّبَاءَ فِي الِاسْتِوَاءِ. وَيَسْبِقُ فِي الْحُدُورِ جَرْيَ الْمَاءِ كَمَا قَالَ تَأَبَّطَ شَرًّا:

وَيَسْبِقُ وَفْدَ الرِّيحِ مِنْ حَيْثُ تَنْتَحِي بِمُنْخَرِقٍ مِنْ شِدَّةِ الْمُتَدَارَكِ

جَمَعَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بَيْنَ هَذَيْنِ الْكَلَامَيْنِ وَزَادَ فِيهِ فَقَالَ يَصِفُ فَرَسًا: هُوَ حَسَنُ الْقَمِيصِ. جَيِّدُ الْفُصُوصِ. وَثِيقُ الْقَصَبِ. نَقِيُّ الْعَصَبِ. يُبْصِرُ بِأُذُنَيْهِ. وَيَتَبَوَّعُ بِيَدَيْهِ. وَيُدَاخِلُ بِرِجْلَيْهِ. كَأَنَّهُ مَوْجٌ فِي لُجَّةٍ أَوْ سَيْلٌ فِي حُدُورٍ. يُنَاهِبُ الْمَشْيَ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ. وَيَلْحَقُ الْأَرَانِبَ فِي الصَّعْدَاءِ. وَيُجَاوِزُ جَوَارِيَ الظِّبَاءِ فِي الِاسْتِوَاءِ. وَيَسْبِقُ فِي الْحُدُورِ جَرْيَ الْمَاءِ. إِنْ عَطَفَ جَارَ. وَإِنْ أُرْسِلَ طَارَ. وَإِنْ كُلِّفَ السَّيْرَ أَمْعَنَ وَسَارَ. وَإِنْ حُبِسَ صَفَنَ. وَإِنِ اسْتُوقِفَ قَطَنَ. وَإِنْ رَعَى أَبَنَّ. قَالَ أَبُو تَمَّامٍ:

مَا مُقْرَبٌ يَخْتَالُ فِي أَشْطَانِهِ مَلَآنَ مِنْ صَلَفٍ بِهِ وَتَهَوُّقِ
بِحَوَافِرٍ حُفْرٍ وَصُلْبٍ أَصْلَبٍ وَأَشَاعِرٍ شُعْرٍ وَخَلْقٍ أَخْلَقِ
ذُو أَوْلَقٍ تَحْتَ الْعَجَاجِ وَإِنَّمَا مِنْ صِحَّةٍ إِفْرَاطُ ذَاكَ الْأَوْلَقِ
صَافِي الْأَدِيمِ كَأَنَّمَا أَلْبَسْتَهُ مِنْ سُنْدُسٍ بُرْدًا وَمِنْ إِسْتَبْرَقِ
إِمْلِيسُهُ إِمْلِيدُهُ لَوْ عُلِّقَتْ فِي صَهْوَتَيْهِ الْعَيْنُ لَمْ تَتَعَلَّقِ

مُسْوَدُّ شَطْرٍ مِثْلَ مَا اسْوَدَّ الدُّجَى مُبْيَضُّ شَطْرٍ كَابْيِضَاضِ الْمُهْرَقِ

١٩٧ وَقَالَ إِسْحَاقُ بْنُ خَلَفٍ النَّهْرَوَانِيُّ لِأَبِي دُلَفَ وَكَانَ لَهُ فَرَسٌ أَدْهَمُ يُسَمِّيهِ غُرَابًا :

كَمْ كَمْ تُجَرِّعُهُ الْمَنُونَ وَيَسْلَمُ لَوْ يَسْتَطِيعُ شَكَا إِلَيْكَ لَهُ الْفَمُ

مِنْ كُلِّ مَنْبِتِ شَعْرَةٍ مِنْ جِلْدِهِ خَطٌّ يُنَمِّقُهُ الْحُسَامُ الْمِخْذَمُ

مَا تُدْرِكُ الْأَرْوَاحُ أَدْنَى جَرْيِهِ حَتَّى يَفُوتَ الرِّيحَ وَهْوَ مُقَدَّمُ

رَجَعَتْهُ أَطْرَافُ الْأَسِنَّةِ أَشْقَرًا وَاللَّوْنُ أَدْهَمُ حِينَ ضَرَّجَهُ الدَّمُ

وَكَأَنَّمَا عَقَدَ النُّجُومَ بِطَرْفِهِ وَكَأَنَّمَا بِعُرَى الْمَجَرَّةِ مُلْجَمُ

١٩٨ قال أبو نصر بن عمر التميمي السعدي وكان شاعرًا مجيدًا جمع بين حسن السبك وجودة المعنى طاف البلاد ومدح الملوك والوزراء والرؤساء ولهُ في سيف الدولة بن حمدان غُرر القصائد ونُخب المدائح وكان قد أعطاهُ فرسًا أدهم أغرَّ محجَّلًا فكتب اليهِ :

يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الَّذِي أَخْلَاقُهُ مِنْ خَلْقِهِ وَرُوَاؤُهُ مِنْ رَأْيِهِ

قَدْ جَاءَنَا الطِّرْفُ الَّذِي أَهْدَيْتَهُ هَادِيهِ يَعْقِدُ أَرْضَهُ بِسَمَائِهِ

يَحْتَلُّ مِنْهُ عَلَى أَغَرَّ مُحَجَّلٍ مَاءُ الدَّيَاجِي قَطْرَةٌ مِنْ مَائِهِ

فَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ فَاقْتَصَّ مِنْهُ فَخَاضَ فِي أَحْشَائِهِ

مُتَمَهِّلًا وَالْبَرْقُ مِنْ أَسْمَائِهِ مُتَبَرْقِعًا وَالْحُسْنُ مِنْ أَكْفَائِهِ

مَا كَانَتِ النِّيرَانُ تُكْمِنُ حَرَّهَا لَوْ كَانَ لِلنِّيرَانِ بَعْضُ ذَكَائِهِ

لَا تَعْلَقُ الْأَلْحَاظُ فِي أَعْطَافِهِ إِلَّا إِذَا كَفْكَفْتَ مِنْ غُلَوَائِهِ

لَا يُكْمِلُ الطِّرْفُ الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا حَتَّى يَكُونَ الطِّرْفُ مِنْ أُسَرَائِهِ

١٩٩ قَالَ آخَرُ فِي وَصْفِ فَرَسٍ :

لَهُ زَهْوُ طَاوُوسٍ وَخَطْرُ حَمَامَةٍ وَتَدْوِيمُ بَازٍ وَانْقِضَاضُ عُقَابِ

وَوَثْبُ ظَبْيٍ وَانْجِفَالُ نَعَامَةٍ وَإِهْذَابُ سِيدٍ وَانْسِيَابُ حُبَابِ

وَصَوْلَةُ ضَرْغَامٍ وَرَوْغُ ثُعَالَةٍ وَلَحْظُ قَطَامِيٍّ وَحَذْرُ غُرَابِ

وَجَدْلُ عِنَانٍ وَانْثِنَاءُ ذُؤَالَةٍ وَوَقْدُ ضِرَامٍ وَانْصِيَاعُ شِهَابِ

وَهَيْجُ أَخِي شَوْلٍ وَتَدْفِيقُ جَيْأَلٍ وَإِيمَاضُ بَرْقٍ وَالْتِمَاعُ سَرَابِ

وَإِعْصَافُ رِيحٍ وَاهْتِزَازُ يَرَاعَةٍ وَدَرَّةُ نَوْءٍ وَانْجِيَابُ سَحَابِ

٢٠٠ وصف بركار لابي الفتح كشاجم وكان استهداهُ من صاحبٍ

جُدْ لِي بِبِرْكَارِكَ الَّذِي صَنَعَتْ فِيهِ يَدَا قَيْنِهِ الْأَعَاجِيبَا

مُلْتَئِمُ الشُّعْبَتَيْنِ مُعْتَدِلٌ مَا شِينَ مِنْ جَانِبٍ وَلَا عِيبَا

أُوثِقَ مِسْمَارُهُ وَغُيِّبَ عَنْ نَوَاظِرِ النَّاقِدِينَ تَغْيِيبَا

فَعَيْنُ مَنْ يَجْتَلِيهِ يَحْسَبُهُ فِي قَالَبِ الْإِعْتِدَالِ مَصْبُوبَا

قَدْ ضَمَّ قُطْرَيْهِ مُحْكَمًا لَهُمَا ضَمَّ مُحِبٍّ إِلَيْهِ مَحْبُوبَا

يَزْدَادُ حِرْصًا عَلَيْهِ مُبْصِرُهُ مَا زَادَهُ بِالْبَنَانِ تَقْلِيبَا

ذُو مُقْلَةٍ بَصِيرَةٍ مُذْهَبَةٍ لَمْ تَأْلُهُ رِقَّةً وَتَهْذِيبَا

يَنْظُرُ مِنْهَا إِلَى الصَّوَابِ فَمَا بِهِ يَزَالُ الصَّوَابُ مَطْلُوبَا

لَوْلَاهُ مَا صَحَّ خَطُّ دَائِرَةٍ وَلَا وَجَدْنَا الْحِسَابَ مَحْسُوبَا

أَلْحَقُ فِيهِ فَإِنْ عَدَلْتَ إِلَى سِوَاهُ كَانَ الْحِسَابُ تَقْرِيبَا

لَوْ عَيْنُ أُقْلِيدُسٍ بِهِ بَصُرَتْ خَرَّ لَهُ بِالسُّجُودِ مَكْبُوبَا

فَابْعَثْهُ وَاجْنُبْهُ لِي بِمَسْطَرَةٍ تَلْقَى الثَّنَا بِالْعَلَاءِ مَجْنُوبَا

٢٠١ ولابي الفتح يصف أسطرلابًا

وَمُسْتَدِيرٍ كَجِرْمِ ٱلْبَدْرِ مَسْطُوحِ ... عَنْ كُلِّ رَابِقَةِ ٱلْإِشْكَالِ مَصْفُوحِ
صُلْبٍ يُدَارُ عَلَى قُطْبٍ يُثَبِّتُهُ ... تِمْثَالُ طِرْفٍ بِشَكْمِ ٱلْحِذْقِ مَكْبُوحِ
مِلْءُ ٱلْبَنَانِ وَقَدْ أَوْفَتْ صَفَائِحُهُ ... عَلَى ٱلْأَقَالِيمِ مِنْ أَقْطَارِهَا ٱلْفَيْحِ
تُلْفِي بِهِ ٱلسَّبْعَةَ ٱلْأَفْلَاكَ مُحْدِقَةً ... بِٱلْمَاءِ وَٱلنَّارِ وَٱلْأَرْضِينَ وَٱلرِّيحِ
تُنْبِيكَ عَنْ طَالِعِ ٱلْأَبْرَاجِ هَيْئَتُهُ ... بِٱلشَّمْسِ طَوْرًا وَطَوْرًا بِٱلْمَصَابِيحِ
وَإِنْ مَضَتْ سَاعَةٌ أَوْ بَعْضُ ثَانِيَةٍ ... عَرَفْتَ ذَاكَ بِعِلْمٍ فِيهِ مَشْرُوحِ
وَإِنْ تَعَرَّضَ فِي وَقْتٍ يُقَدِّرُهُ ... لَكَ ٱلتَّشَكُّكُ جَلَّاهُ بِتَصْحِيحِ
مُمَيِّزٌ فِي قِيَاسَاتِ ٱلطُّلُوعِ بِهِ ... بَيْنَ ٱلْمَشَائِمِ مِنْهَا وَٱلْمَنَاجِيحِ
لَهُ عَلَى ٱلظَّهْرِ عَيْنَا حِكْمَةٍ بِهِمَا ... يَحْوِي ٱلضِّيَاءَ وَيَجْنِيهِ مِنَ ٱللَّوْحِ
وَفِي ٱلدَّوَائِرِ مِنْ أَشْكَالِهِ حِكَمٌ ... تُنَقِّحُ ٱلْعَقْلَ مِنَّا أَيَّ تَنْقِيحِ
لَا يَسْتَقِلُّ لِمَا فِيهِ بِمَعْرِفَةٍ ... إِلَّا ٱلْحَصِيفُ ٱللَّطِيفُ ٱلْحِسِّ وَٱلرُّوحِ
حَتَّى تَرَى ٱلْغَيْبَ فِيهِ وَهْوَ مُنْغَلِقٌ ... أَبْوَابَ عَمَّنْ سِوَاهُ جَدَّ مَفْتُوحِ
تَبْجَةُ ٱلذِّهْنِ وَٱلتَّفْكِيرِ صَوَّرَهُ ... ذَوُو ٱلْعُقُولِ ٱلصَّحِيحَاتِ ٱلْمَرَاجِيحِ

٢٠٢ قال احمد صفيّ الدين بن صالح بن ابي الرجال يصف روضة صنعاء

رَوْضَةٌ قَدْ صَبَا لَهَا ٱلسَّعْدُ شَوْقًا ... قَدْ صَفَا لَيْلُهَا وَطَابَ ٱلْمَقِيلُ
جَوُّهَا سَجْسَجٌ وَفِيهَا نَسِيمٌ ... كُلُّ غُصْنٍ إِلَى لِقَاهُ يَمِيلُ
صَحَّ سُكَّانُهَا جَمِيعًا مِنَ ٱلدَّا ... ءِ وَجِسْمُ ٱلنَّسِيمِ فِيهَا عَلِيلُ
إِيهِ يَا مَاءَ نَهْرِهَا ٱلْعَذْبَ صَلْصِلْ ... حَبَّذَا يَا زُلَالُ مِنْكَ ٱلصَّلِيلُ

إِيهِ يَا وُرْقَهَا ٱلْمُرِنَّةَ غَنِّي ... فَحَيَاةُ ٱلنُّفُوسِ مِنْكِ ٱلْهَدِيلُ
رَوْضَ صَنْعَاءَ فُقْتَ طَبْعًا وَوَصْفًا ... فَكَثِيرُ ٱلثَّنَاءِ فِيكَ قَلِيلُ
تِهْ عَلَى ٱلشِّعْبِ شِعْبِ بَوَّانَ وَٱفْخَرْ ... فَعَلَى مَا تَقُولُ قَامَ ٱلدَّلِيلُ
نَهَرٌ دَافِقٌ وَجَوٌّ فَنِيقٌ ... زَهَرٌ فَائِقٌ وَظِلٌّ ظَلِيلُ
وَثِمَارٌ قِطَافُهَا دَانِيَاتٌ ... يَجْتَنِيهَا قَصِيرُنَا وَٱلطَّوِيلُ
لَسْتُ أُنْسَى ٱبْتِعَاشَ شُحْرُورِ غُصْنٍ ... طَرَبًا وَٱلْقَضِيبُ مِنْهُ يَمِيلُ
وَعَلَى رَأْسِ دَوْحَةٍ خَاطَبَ ٱلْوُرْ ... قَ وَدَمْعُ ٱلْغُصُونِ طَلًّا يَسِيلُ
وَلِسَانُ ٱلرُّعُودِ يَهْتِفُ بِٱلسُّحْـ ... ـبِ فَكَانَ ٱلْخَفِيفُ مِنْهَا ٱلثَّقِيلُ
وَفَمُ ٱلسُّحْبِ بَاسِمٌ عَنْ بُرُوقٍ ... مُسْتَطِيرٍ شُعَاعُهَا مُسْتَطِيلُ
وَزُهُورُ ٱلرُّبَى تَعَجَّبُ مِنْ ذَا ... شَاخِصًا طَرْفُهَا ٱلْمَلِيحُ ٱلْجَمِيلُ
فِيهِ لِي رِفْقَةٌ رِقَاقُ ٱلْحَوَاشِي ... كَادَ لِينُ ٱلطِّبَاعِ مِنْهُمْ يَسِيلُ
أَرَيَحْيُونَ لَوْ تَسُومُهُمُ ٱلنَّفْـ ... ـسَ لَجَادُوا فَلَيْسَ مِنْهُمْ بَخِيلُ
تَتَهَادَى مِنَ ٱلْعُلُومِ كُؤُوسًا ... طَيِّبَاتٍ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلُ
طَابَ لِي رَأْدُهَا وَطَابَ ضُحَاهَا ... كَيْفَ أَسْحَارُهَا وَكَيْفَ ٱلْأَصِيلُ

٢٠٣ قَالَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْمَعْرُوفُ بِٱبْنِ عِزِّ ٱلْقُضَاةِ يَصِفُ شُمُوعًا:

وَزَهْرِ شُمُوعٍ إِنْ مَدَدْنَ بَنَانَهَا ... لِتَمْحُوَ سُطُورَ ٱللَّيْلِ نَابَتْ عَنِ ٱلْبَدْرِ
وَفِيهِنَّ كَافُورِيَّةٌ خِلْتُ أَنَّهَا ... عَمُودُ صَبَاحٍ فَوْقَهُ كَوْكَبُ ٱلْفَجْرِ
وَصَفْرَاءُ تَحْكِي شَاحِبًا شَابَ رَأْسُهُ ... فَأَدْمُعُهَا تَجْرِي عَلَى ضَيْعَةِ ٱلْعُمْرِ
وَخَضْرَاءُ يَبْدُو وَقْدُهَا فَوْقَ خَدِّهَا ... كَنَرْجِسَةٍ تَزْهُو عَلَى ٱلْغُصْنِ ٱلنَّضِرِ

فَلاغَرْوَ أَنْ يَحْكِي الْأَزَاهِرَ حُسْنُهَا أَلَيْسَ جَنَاهَا النَّحْلُ قِدْمًا مِنَ الزَّهْرِ

٢٠٤ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَرَّجَانِيُّ يَصِفُ الشَّمْعَةَ وَقَدْ أَحْسَنَ فِيهَا كُلَّ الْإِحْسَانِ وَاسْتَغْرَقَ كُلَّ الصِّفَاتِ:

تَمَّتْ بِأَسْرَارِ لَيْلٍ كَانَ يُخْفِيهَا وَأَطْلَعَتْ قَلْبَهَا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا
قَلْبٌ لَهَا لَمْ يَرُعْنَا وَهْوَ مُكْتَمِنٌ أَلَا تَرَى فِيهِ نَارًا مِنْ تَرَاقِيهَا
غَرِيقَةٌ فِي دُمُوعٍ وَهْيَ تُحْرِقُهَا أَنْفَاسُهَا بِدَوَامٍ مِنْ تَلَظِّيهَا
تَنَفَّسَتْ نَفْسُ الْمَهْجُورِ إِذْ ذَكَرَتْ عَهْدَ الْخَلِيطِ فَبَاتَ الْوَجْدُ يُذْكِيهَا
يُخْشَى عَلَيْهَا الرَّدَى مَهْمَا أَلَمَّ بِهَا نَسِيمُ رِيحٍ إِذَا وَافَى يُحَيِّيهَا
قَدْ أَثْمَرَتْ وَرْدَةً حَمْرَاءَ طَالِعَةً تَجْنِي عَلَى الْكَفِّ إِنْ أَهْوَيْتَ تَجْنِيهَا
وَرْدٌ تُشَاكُ بِهِ الْأَيْدِي إِذَا قَطَفَتْ وَمَا عَلَى غُصْنِهَا شَوْكٌ يُوَقِّيهَا
صُفْرٌ غَلَائِلُهَا حُمْرٌ عَمَائِمُهَا سُودٌ ذَوَائِبُهَا بِيضٌ لَيَالِيهَا

صفة نزهة على نهر سرقسطة

٢٠٥ قَالَ عَلِيُّ بْنُ ظَافِرٍ: ذَكَرَ صَاحِبُ قَلَائِدِ الْعِقْيَانِ مَا هٰذَا مَعْنَاهُ:
إِنَّ الْمُسْتَعِينَ بِاللهِ أَحْمَدَ بْنَ الْمُؤْتَمِنِ بْنِ هُودٍ الْجُذَامِيَّ صَاحِبَ سَرَقُسْطَةَ وَالثُّغُورِ رَكِبَ نَهْرَ سَرَقُسْطَةَ يَوْمًا لِتَفَقُّدِ بَعْضِ مَعَاقِلِهِ الْمُنْتَظِمَةِ بِجِيدِ سَاحِلِهِ. وَهُوَ نَهْرٌ رَقَّ مَاؤُهُ وَرَاقَ. وَأَزْرَى عَلَى نِيلِ مِصْرَ وَدِجْلَةَ وَالْعِرَاقِ. وَقَدِ اكْتَنَفَتْهُ الْبَسَاتِينُ مِنْ جَانِبَيْهِ وَأَلْقَتْ ظِلَالَهَا عَلَيْهِ. فَمَا تَكَادُ عَيْنُ الشَّمْسِ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ. هٰذَا عَلَى اتِّسَاعِ عَرْضِهِ. وَبُعْدِ سَطْحِ الْمَاءِ مِنْ أَرْضِهِ. وَقَدْ تَوَسَّطَ زَوْرَقُهُ زَوَارِقَ حَاشِيَتِهِ تَوَسُّطَ الْبَدْرِ لِلْهَالَةِ.

وَأَحَاطَتْ بِهِ إِحَاطَةَ الطَّفَاوَةِ لِلْغَزَالَةِ. وَقَدْ أَعَدُّوا مِنْ مَكَايِدِ الصَّيْدِ مَا اسْتَخْرَجَ ذَخَائِرَ الْمَاءِ. وَأَخَافَ حَتَّى حُوتَ السَّمَاءِ. وَأَهَلَّةُ الْهَالَاتِ طَالِعَةٌ مِنَ الْمَوْجِ فِي سَحَابٍ. وَقَانِصَةٌ مِنْ بَنَاتِ الْمَاءِ كُلَّ طَائِرَةٍ كَالشِّهَابِ. فَلَا تَرَى إِلَّا صُيُودًا كَصَيْدِ الصَّوَارِمِ. وَقُدُودِ اللَّهَاذِمِ. فَقَالَ الْوَزِيرُ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ حَسْدَايَ وَالطَّرَبُ قَدِ اسْتَهْوَاهُ. وَبَدِيعُ ذٰلِكَ الْمَرْأَى اسْتَرَقَّ هَوَاهُ:

لِلّٰهِ يَوْمٌ أَنِيقٌ وَاضِحُ الْغُرَرِ مُفَضَّضٌ مُذْهَبُ الْآصَالِ وَالْبُكَرِ
كَأَنَّمَا الدَّهْرُ لَمَّا سَاءَ أَعْتَبَنَا فِيهِ بِعُتْبَى وَأَبْدَى صَفْحَ مُعْتَذِرِ
نَسِيرُ فِي زَوْرَقٍ حَفَّ السَّفِينُ بِهِ مِنْ جَانِبَيْهِ بِمَنْظُومٍ وَمُنْتَثِرِ
مَدَّ الشِّرَاعُ بِهِ نَشْرًا عَلَى مَلِكٍ بَذَّ الْأَوَائِلَ فِي أَيَّامِهِ الْأُخَرِ
هُوَ الْإِمَامُ الْهُمَامُ الْمُسْتَعِينُ حَوَى عَلْيَاءَ مُؤْتَمِنٍ فِي هَدْيِ مُقْتَدِرِ
تَحْوِي السَّفِينَةُ مِنْهُ آيَةً عَجَبًا بَحْرٌ تَجَمَّعَ حَتَّى صَارَ فِي نَهَرِ
تُثَارُ مِنْ قَعْرِهِ النِّينَانُ مُصْعِدَةً صَيْدًا كَمَا ظَفِرَ الْغَوَّاصُ بِالدُّرَرِ

صفة الليل

٢٠٦ قَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَظَرَكَ فِي الْعِلْمِ لَيْلًا. فَإِنَّ الْقَلْبَ فِي الصَّدْرِ كَالطَّيْرِ يَنْتَشِرُ بِالنَّهَارِ وَيَعُودُ إِلَى وَكْرِهِ فِي اللَّيْلِ. فَهُوَ فِي اللَّيْلِ سَاكِنٌ مَا أُلْقِيَتْ إِلَيْهِ مِنْ شَيْءٍ وَعَاهُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فِي اللَّيْلِ تَجُمُّ الْأَذْهَانُ وَتَنْقَطِعُ الْأَشْغَالُ. وَيَصِحُّ النَّظَرُ وَتُؤْلَفُ الْحِكْمَةُ وَتَدُرُّ الْخَوَاطِرُ. وَيَتَّسِعُ مَجَالُ الْقَلْبِ. وَاللَّيْلُ أَحْرَى فِي

مَذْهَبِ ٱلْفِكْرِ . وَأَخْفَى لِعَمَلِ ٱلْبِرِّ . وَأَعْوَنُ عَلَى صَدَقَةِ ٱلسِّرِّ . وَأَصَحُّ لِتِلَاوَةِ ٱلذِّكْرِ . وَأَرْبَابُ ٱلْأَمْرِ يَخْتَارُونَ ٱللَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ لِرِيَاضَةِ ٱلنُّفُوسِ . وَسِيَاسَةِ ٱلتَّدْبِيرِ فِي دَفْعِ ٱلْمُلِمِّ . وَإِمْضَاءِ ٱلْمُهِمِّ . وَإِنْشَاءِ ٱلْكُتُبِ وَنَظْمِ ٱلشِّعْرِ وَتَصْحِيحِ ٱلْمَعَانِي . وَإِظْهَارِ ٱلْحُجَجِ وَإِصَابَةِ غَرَضِ ٱلْكَلَامِ . وَتَقْرِيبِهِ مِنَ ٱلْأَفْهَامِ . وَفِي ٱللَّيْلِ تَتَزَاوَرُ ٱلْأَحْبَابُ . لَا يَطْرُقُكَ فِيهِ خَبَرٌ قَاطِعٌ . وَلَا شُغْلٌ مَانِعٌ

٢٠٧ سَأَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ ٱللهِ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ : كَيْفَ كَانَ سَيْرُكَ . فَقَالَ : بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ ذَاتَ لَيْلَةٍ إِذْ عَصَفَتْ رِيحٌ شَدِيدٌ ظَلْمَاؤُهَا . أَطْبَقَ سَمَاؤُهَا وَطَبَّقَ سَحَابُهَا . وَتَعَلَّقَ رُبَانُهَا . فَبَقِيتُ مُحْرَنْجِمًا كَالْأَشْقَرِ إِنْ تَقَدَّمَ نُحِرَ . وَإِنْ تَأَخَّرَ عُقِرَ . لَا أَسْمَعُ لِوَاطِئٍ هَمْسًا . وَلَا لِنَابِحٍ جَرْسًا . تَدَلَّتْ عَلَيَّ غُيُومُهَا . وَتَوَارَتْ عَنِّي نُجُومُهَا . فَلَا أَهْتَدِي بِنَجْمٍ طَالِعٍ . وَلَا بِعَلَمٍ لَامِعٍ . أَقْطَعُ مُحَجَّةً . وَأَهْبِطُ بُحَجَّةً . فِي دَيْمُومَةٍ قَفْرٍ بَعِيدَةِ ٱلْقَعْرِ . فَٱلرِّيحُ تَخْطَفُنِي . وَٱلشَّوْكُ يَخْبِطُنِي . فِي رِيحٍ عَاصِفٍ . وَبَرْقٍ خَاطِفٍ . قَدْ أَوْحَشَنِي إِكَامُهَا . وَقَطَعَنِي سِلَامُهَا . فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ مَعَارِجِي . وَسُدَّتْ مَخَارِجِي . إِذْ بَدَا نَجْمٌ لَائِحٌ . وَبَيَاضٌ وَاضِحٌ . عَرَّجْتُ إِلَى إِكَامٍ مُجَرِّ ذَيْلِهِ فَإِذَا أَنَا بِمَصَابِيحِكُمْ هٰذِهِ فَقَرَّتِ ٱلْعَيْنُ . وَٱنْكَشَفَ ٱلرَّيْنُ . فَقَالَ هِشَامٌ : لِلهِ دَرُّكَ . مَا أَحْسَنَ وَصْفَكَ (سر الليال لابن منظور)

صفة عاصفة

٢٠٨ ذَكَرَ ٱلسُّيُوطِيُّ عَاصِفَةً حَدَثَتْ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ قَالَ : كَانَ

فِي لَيْلَةِ ٱلْجُمُعَةِ ٱلتَّاسِعِ مِنْ جُمَادَى ٱلْآخِرَةِ أَتَى عَارِضٌ فِيهِ ظُلُمَاتٌ مُتَكَاثِفَةٌ . وَبُرُوقٌ خَاطِفَةٌ . وَرِيَاحٌ عَاصِفَةٌ . فَقَوِيَ أَهْوِيَتُهَا . وَٱشْتَدَّ هُبُوبُهَا . فَتَدَافَعَتْ لَهَا أَعِنَّةٌ مُطْلَقَاتٌ . وَٱرْتَفَعَتْ لَهَا صَوَاعِقُ مُصْعِقَاتٌ . فَرَجَفَتْ لَهَا ٱلْجُدْرَانُ وَٱصْطَفَقَتْ . وَتَلَاقَتْ عَلَى بُعْدِهَا وَٱعْتَنَقَتْ . وَثَارَ بَيْنَ ٱلسَّمَاءِ وَٱلْأَرْضِ عَجَاجٌ فَقِيلَ : لَعَلَّ هٰذِهِ عَلَى هٰذِهِ أَطْبَقَتْ . فَتَحَسَّبَ أَنَّ جَهَنَّمَ قَدْ سَالَ مِنْهَا وَادٍ . وَعَدَا مِنْهَا عَادٍ . وَزَادَ عَصْفُ ٱلرِّيَاحِ إِلَى أَنِ ٱنْطَفَأَتْ سُرُجُ ٱلنُّجُومِ . وَمَزَّقَتْ أَدِيمَ ٱلسَّمَاءِ وَمَحَتْ مَا فَوْقَهُ مِنَ ٱلرُّقُومِ . لَا عَاصِمَ مِنَ ٱلْخَطْفِ لِلْأَبْصَارِ . وَلَا مَلْجَأَ مِنَ ٱلْخَطْبِ إِلَّا مَعَاقِلُ ٱلِٱسْتِغْفَارِ . وَفَرَّ ٱلنَّاسُ نِسَاءً وَرِجَالًا . وَنَفَرُوا مِنْ دُورِهِمْ خِفَافًا وَثِقَالًا . لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا . فَٱعْتَصَمُوا بِٱلْمَسَاجِدِ ٱلْجَامِعَةِ . وَأَذْعَنُوا لِلنَّازِلَةِ بِأَعْنَاقٍ خَاضِعَةٍ . وَوُجُوهٍ عَانِيَةٍ . وَنُفُوسٍ عَنِ ٱلْأَهْلِ وَٱلْمَالِ سَالِيَةٍ . يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ . وَيَتَوَقَّعُونَ أَيَّ خَطْبٍ جَلِيٍّ . قَدِ ٱنْقَطَعَتْ مِنَ ٱلْحَيَاةِ عُلَقُهُمْ . وَغُمَّتْ عَنِ ٱلنَّجَاةِ طُرُقُهُمْ . وَوَقَعَتِ ٱلْفِكْرَةُ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ قَادِمُونَ . وَقَامُوا إِلَى صَلَاتِهِمْ وَوَدُّوا أَنْ لَوْ كَانُوا مِنَ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَيْهَا دَائِمُونَ . إِلَى أَنْ أَذِنَ ٱللهُ فِي ٱلرُّكُودِ . وَأَسْعَفَ ٱلْهَاجِدِينَ بِٱلْهُجُودِ . وَأَصْبَحَ كُلٌّ يُسَلِّمُ عَلَى رَفِيقِهِ . وَيُهَنِّيهِ بِسَلَامَةِ طَرِيقِهِ . وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ بُعِثَ بَعْدَ ٱلنَّفْخَةِ . وَأَفَاقَ بَعْدَ ٱلصَّيْحَةِ وَٱلصَّرْخَةِ . وَأَنَّ ٱللهَ قَدْ رَدَّ لَهُ ٱلْكَرَّةَ . وَأَدَّبَهُ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَأْخُذُهُ عَلَى ٱلْغِرَّةِ . وَوَرَدَتِ ٱلْأَخْبَارُ . بِأَنَّهَا كَسَرَتِ ٱلْمَرَاكِبَ فِي ٱلْبِحَارِ . وَٱلْأَشْجَارَ

فِي ٱلْقِفَارِ . وَأَتْلَفَتْ خَلْقًا كَثِيرًا مِنَ ٱلسُّفَّارِ . وَمِنْهُمْ مَنْ فَرَّ فَلَمْ يَنْفَعْهُ ٱلْفِرَارُ

(حسن المحاضرة للسيوطي)

صفة انكسار العدوّ

٢٠٩ وَصَفَ سُلَيْمَانُ ٱلْحَلَبِيُّ ٱلْعَدُوَّ بِٱلْخَوَرِ وَٱلْوَهْنِ فِي قِتَالِهِ وَمَا يُظْهِرُونَهُ مِنَ ٱلرَّهَجِ بِٱلْحَرَكَةِ وَإِعْدَادِ ٱلْأُهْبَةِ وَٱلِٱحْتِشَادِ . قَالَ : وَأَمَّا رَهَجُ ٱلْعَدُوِّ ٱلْمَخْذُولِ بِٱلْحَرَكَةِ وَرَمْيُ ٱلصِّيتِ بِهَا فَإِنَّ عُدَّتَهُ ٱلصِّيَاحُ . وَقُوَّةُ ٱلْجَبَانِ فِي ٱلْقَوْلِ وَٱلْقَوْلُ يَذْهَبُ فِي ٱلرِّيَاحِ . وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ مَا أَقْدَمُوا إِلَّا وَكَانَ أَحَدُّ سِلَاحِهِمِ ٱلْهَرَبَ . وَلَا طَمِعُوا فِي ٱلنَّجَاحِ فَكَانَ لَهُمْ فِي غَيْرِ ٱلنَّجَاةِ أَرَبٌ . يُبَالِغُونَ فِي ٱلِٱحْتِشَادِ وَٱلْجَازِرُ لَا يَهُولُهُ كَثْرَةُ ٱلْغَنَمِ . وَيَسْتَكْثِرُونَ مِنَ ٱلسَّوَادِ وَجُنُودُ مَنْ لَا يَنْفَعُ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِٱلْعَدَمِ . فَقُوَّتُهُمْ ضَعِيفَةٌ . وَوَطْأَتُهُمْ خَفِيفَةٌ . وَثَبَاتُهُمْ أَقْصَرُ مِنْ حَلِّ ٱلْعِقَالِ . وَصَبْرُهُمْ أَسْرَعُ مِنَ ٱلظِّلِّ فِي ٱلِٱنْتِقَالِ . وَخُيُولُهُمْ لَا تُطِيعُ أَمْرَ أَعِنَّتِهَا إِلَّا فِي ٱلْفِرَارِ . فَإِنْ طَمِعُوا فِي ٱللِّقَاءِ فَسَتَرُدُّهُمْ كَلَامُ سُيُوفِنَا كَأَقْسَامِ ٱلْكَلَامِ ٱلثَّلَاثَةِ هَزِيمًا وَأَسِيرًا وَصَرِيعًا

وصف ابن سليمان الحلبي غلبة على التتار

٢١٠ (قَالَ) إِنَّ ٱلتَّتَارَ ٱسْتَنْجَدُوا بِكُلِّ طَائِفَةٍ وَأَقْدَمُوا عَلَى ٱلْبِلَادِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ بِنُفُوسٍ طَامِعَةٍ . وَقُلُوبٍ خَائِفَةٍ . وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ قَامُوا مُدَّةً يَشْتَرُونَ ٱلْمَخَادِعَةَ بِٱلْمُوَادَعَةِ . وَيُسِرُّونَ ٱلْمُصَارَمَةَ فِي ٱلْمُسَالَمَةِ . وَحِينَ تَيَسَّرَ مُرَادُهُمْ . وَتَكَمَّلَ ٱحْتِشَادُهُمْ . ٱسْتَدْرَجْنَاهُمْ إِلَى مَصَارِعِهِمْ .

وَٱسْتَجْرَيْنَاهُمْ لِيَقْرُبُوا فِي ٱلْقَتْلِ مِنْ مَضَاجِعِهِمْ . وَيَبْعُدُوا فِي ٱلْهَرَبِ عَنْ مَوَاضِعِهِمْ . وَصَدَمْنَاهُمْ بِقُوَّةِ ٱللهِ صَدْمَةً لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بِهَا قِبَلٌ . وَحَمَلْنَا عَلَيْهِمْ حَمْلَةً أَلْجَأَهُمْ طُوفَانُهَا إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَبَلِ . وَهَلْ يَعْصِمُ مِنْ أَمْرِ ٱللهِ جَبَلٌ . فَحَصَرْنَاهُمْ فِي ذٰلِكَ ٱلْفَضَاءِ ٱلْمُتَّسِعِ . وَضَايَقْنَاهُمْ كَمَا قَدْ رَأَى وَمَزَّقْنَاهُمْ كَمَا قَدْ سَمِعَ . وَأَنْزَلْنَاهُمْ عَلَى حُكْمِ ٱلسَّيْفِ ٱلَّذِي نَهِلَ مِنْ دِمَائِهِمْ حَتَّى رَوِيَ وَأَكَلَ مِنْ لُحُومِهِمْ حَتَّى شَبِعَ . وَتَبِعَتْهُمْ جُيُوشُنَا ٱلْمَنْصُورَةُ تَتَخَطَّفُهُمْ رِمَاحُهَا . وَتَتَلَقَّفُهُمْ صِفَاحُهَا . وَيُبَدِّدُهُمْ فِي ٱلْفَلَوَاتِ رُعْبُهَا . وَيُفَرِّقُهُمْ فِي ٱلْقِفَارِ طَعْنُهَا ٱلْمُتَدَارِكُ وَضَرْبُهَا . وَيَقْتُلُ مَنْ فَاتَ ٱلسُّيُوفَ مِنْهُمُ ٱلْعَطَشُ وَٱلْجُوعُ . وَيُخَيَّلُ لِلْحَيِّ مِنْهُمْ أَنَّ وَطَنَهُ كَٱلدُّنْيَا ٱلَّتِي لَيْسَ لِلْمَيِّتِ إِلَيْهَا رُجُوعٌ . وَلَعَلَّهُ قَدْ رَأَى مِنْ ذٰلِكَ فَوْقَ مَا وُصِفَ عِيَانًا . وَأَنَّهُمْ مَا أَقْدَمُوا إِلَّا وَنَصَرَنَا ٱللهُ عَلَيْهِمْ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ . وَمَا سَاقَتْهُمُ ٱلْأَطْمَاعُ فِي وَقْتٍ مَا إِلَّا إِلَى حُتُوفِهِمْ . وَلَا عَادَ مِنْهُمْ قَطُّ فِي وَقْعَةٍ إِلَّا آحَادٌ تُخْبِرُ عَنْ مَصَارِعِ أُلُوفِهِمْ . وَلَقَدْ أَضَاعَ ٱلْحَزْمَ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَسْتَدِمْ نِعَمَ ٱللهِ عَلَيْهِ بِطَاعَتِنَا ٱلَّتِي كَانَ فِي بِهَادِ أَمْنِهَا وَوِهَادِ يُمْنِهَا . وَحِمَايَةِ عَفْوِهَا وَبَرْدِ رَأْفَتِهَا ٱلَّتِي كَدَّرَهَا بِٱلْمُخَالَفَةِ بَعْدَ صَفْوِهَا . يَصُونُ رَعَايَاهُ بِٱلطَّاعَةِ عَنِ ٱلْقَتْلِ وَٱلْإِسَارِ . وَيَحْمِي أَهْلَ مِلَّتِهِ بِٱلْحَذَرِ عَنِ ٱلْحَرَكَاتِ ٱلَّتِي مَا نَهَضُوا إِلَيْهَا إِلَّا وَجَرُّوا ذُيُولَ ٱلْخَسَارِ . وَلَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ وَأَصْحَابَهُ لِسُيُوفِنَا ٱلَّتِي كَانَ مِنْ سَطَوَاتِهَا فِي أَمَانٍ . وَوَثِقَ بِمَا ضَمِنَ لَهُ ٱلتَّتَارُ مِنْ

نَصْرِهِ . وَقَدْ رَأَى مَا آلَ إِلَيْهِ أَمْرُ ذٰلِكَ الضَّمَانِ . وَجَرَّ بِنَفْسِهِ بِمُوَالَاةِ التَّتَارِ عَنَاءً كَانَ عَنْهُ فِي غِنًى . وَأَوْقَعَ رُوحَهُ بِمُظَاهَرَةِ الْمُغُولِ فِي حَوْمَةِ السُّيُوفِ الَّتِي تَخَطَّفَتْ أَوْلِيَاءَهُ مِنْ هُنَا وَمِنْ هُنَا . وَاقْتَحَمَ بِنَفْسِهِ مَوَارِدَ هَلَاكٍ سَلَبَتْ رِدَاءَ الْأَمْنِ عَنْ مَنْكِبَيْهِ . وَاغْتَرَّ هُوَ وَقَوْمُهُ بِمَا زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ غُرُورِهِ فَنَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ . وَعَادَ كَيْدُهُ فِي نَحْرِهِ . بَعْدَ أَنْ تَعَرَّضَ لِلْوُقُوفِ بَيْنَ نَابِ الْأَسَدِ وَظُفْرِهِ . وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّنَا مَعَ ذٰلِكَ نَرْعَى لَهُ حُقُوقَ طَاعَةِ أَسْلَافِهِ الَّتِي مَاتُوا عَلَيْهَا . وَنَحْفَظُ لَهُ خِدْمَةَ آبَائِهِ الَّتِي بَذَلُوا نُفُوسَهُمْ وَنَفَائِسَهُمْ فِي التَّوَصُّلِ إِلَيْهَا . وَالسُّيُوفُ الْآنَ مُصْغِيَةٌ إِلَى جَوَابِهِ لِتَكُفَّ إِنْ أَبْصَرَ سُبُلَ الرَّشَادِ . أَوْ تَتَعَوَّضَ بِرُؤُوسِ حُمَاتِهِ وَكُمَاتِهِ عَنِ الْأَعْمَادِ . إِنْ أَصَرَّ عَلَى الْعِنَادِ . وَالْخَيْرُ يَكُونُ (حسن التوسل الى صناعة الترسل)

ذكر دار الوزير الصاحب بن عباد باصبهان

٢١١ جَرَى الشُّعَرَاءُ بِحَضْرَةِ الصَّاحِبِ بْنِ عَبَّادٍ فِي مَيْدَانِ اقْتِرَاحِهِ فِي ذِكْرِ الدَّارِ الَّتِي بَنَاهَا بِأَصْبَهَانَ وَانْتَقَلَ إِلَيْهَا . وَاقْتَرَحَ عَلَى أَصْحَابِهِ وَصْفَهَا فَقَالَ الْأُسْتَاذُ أَبُو الْعَبَّاسِ الضَّبِّيُّ :

دَارُ الْوَزَارَةِ مَمْدُودٌ سُرَادِقُهَا ... وَلَاحِقٌ بِذُرَى الْجَوْزَاءِ لَاحِقُهَا
وَالْأَرْضُ قَدْ وَاصَلَتْ غَيْظَ السَّمَاءِ بِهَا ... فَقَطْرُهَا أَدْمُعٌ تَجْرِي سَوَابِقُهَا
تَوَدُّ لَوْ أَنَّهَا مِنْ أَرْضِ عَرْصَتِهَا ... وَأَنَّ أَنْجُمَهَا فِيهَا طَوَابِقُهَا
تَفَرَّعَتْ شُرَفَاتٍ فِي مَنَاكِبِهَا ... يَرْتَدُّ عَنْهَا كَلِيلُ الْعَيْنِ رَامِقُهَا

مِثْلُ الْعَذَارَى وَقَدْ شُدَّتْ مَنَاطِقُهَا ... وَتُوِّجَتْ بِأَكَالِيلٍ مَفَارِقُهَا
دَارُ الْأَمِيرِ الَّتِي هٰذِي وَزِيرَتُهَا ... أَهْدَتْ لَهَا وُشُحًا رَاقَتْ نَمَارِقُهَا
تُزْهَى بِهَا مِثْلَ مَا تُزْهَى بِسَيِّدِنَا ... مُؤَيِّدِ الدَّوْلَةِ الْمَيْمُونِ طَارِقُهَا
هٰذِي الْمَعَالِي الَّتِي اغْتَصَّ الزَّمَانُ بِهَا ... وَافَتْكَ مَنْسُوقَةً وَاللّٰهُ نَاسِقُهَا
إِنَّ الْغَمَائِمَ قَدْ آلَتْ مُعَاهِدَةً ... لَا زَايَلَتْهَا وَلَا زَالَتْ تُعَانِقُهَا
لِأَرْضِهَا كُلُّ مَا جَادَتْ مَوَاهِبُهَا ... وَفِي دِيَارِ أَعَادِيهَا صَوَاعِقُهَا

٢١٢ وَمِنْهَا قَصِيدَةُ الشَّيْخِ أَبِي الْحَسَنِ صَاحِبِ الْبَرِيدِ أَوَّلُهَا :

دَارٌ عَلَى الْعِزِّ وَالتَّأْيِيدِ مَبْنَاهَا ... وَلِلْمَكَارِمِ وَالْعَلْيَاءِ مَغْنَاهَا
دَارٌ تَبَاهَى بِهَا الدُّنْيَا وَسَاكِنُهَا ... طُرًّا وَكَمْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَمَنَّاهَا
فَالْيُمْنُ أَقْبَلَ مَقْرُونًا بِيُمْنَاهَا ... وَالْيُسْرُ أَصْبَحَ مَقْرُونًا بِيُسْرَاهَا
مِنْ فَوْقِهَا شُرُفَاتٌ طَالَ أَدْنَاهَا ... يَدَ الثُّرَيَّا فَقُلْ لِي كَيْفَ أَقْصَاهَا
كَأَنَّهَا غِلْمَةٌ مُصْطَفَّةٌ لَبِسَتْ ... بِيضَ الْغَلَائِلِ أَمْثَالًا وَأَشْبَاهَا
أَنْظُرْ إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ مُذْهَبَةً ... كَأَنَّهَا الشَّمْسُ أَعْطَتْهَا مُحَيَّاهَا
لَمَّا بَنَى النَّاسُ فِي دُنْيَاكَ دُورَهُمُ ... بَنَيْتَ فِي دَارِكَ الْغَرَّاءِ دُنْيَاهَا

٢١٣ وَقَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ بْنُ الْمُنَجِّمِ :

هِيَ الدَّارُ قَدْ عَمَّ الْأَقَالِيمَ نُورُهَا ... فَلَوْ قَدَرَتْ بَغْدَادُ كَانَتْ تَزُورُهَا
وَلَوْ خُيِّرَتْ دَارُ الْخِلَافَةِ بَادَرَتْ ... إِلَيْهَا وَفِيهَا تَاجُهَا وَسَرِيرُهَا
لِتَسْعَدَ فِيهَا يَوْمَ حَانَ حُضُورُهَا ... وَتَشْهَدَ دُنْيَا لَا يُخَافُ غُرُورُهَا
فَمَا جُمِلَتْ عَيْنُ الزَّمَانِ بِمِثْلِهَا ... وَلَا خَالَ رَاءٍ أَنْ يَجِيءَ نَظِيرُهَا

يَقُولُ ٱلْأُولَى قَدْ فُوجِئُوا بِدُخُولِهَا ... وَحَيَّرَهُمْ تَحْيِيرُهَا وَحَبِيرُهَا
أَفِي كُلِّ قَصْرٍ غَادَةٌ وَحَبِيبُهَا ... وَفِي كُلِّ بَيْتٍ رَوْضَةٌ وَغَدِيرُهَا
وَقَالَ لَهَا ٱللَّهُ ٱلْعَلِيُّ صِفَاتُهُ ... سَأُخْمِيكِ مَا ضَمَّ ٱللَّيَالِي كُرُورُهَا
أُهَنِّيكِ بِٱلْعُمْرَانِ وَٱلْعُمْرُ دَائِمٌ ... لِبَانِيكِ مَا أَفْنَى ٱلدُّهُورَ مُرُورُهَا
وَقَدْ أَسْجَلَتْ عَلَيْكَ عُمْدَةَ مُلْكِهَا ... وَخُطَّتْ بِأَعْلَامِ ٱلسُّعُودِ سُطُورُهَا
وَدَارَتْ لَهَا ٱلْأَفْلَاكُ كَيْفَ أَدَرْتَهَا ... وَدَانَتْ إِلَى أَنْ قِيلَ أَنْتَ مُدِيرُهَا
وَهَاكَ ٱبْنَةَ ٱلْفِكْرِ ٱلَّتِي قَدْ خَطَبْتَهَا ... وَقُدِّمَ مِنْ قَبْلِ ٱلزَّمَانِ مُهُورُهَا
فَإِنْ كَانَ لِلدَّارِ ٱلَّتِي قَدْ بَنَيْتَهَا ... نَظِيرٌ فَفِي عُرْضِ ٱلْقَرِيضِ نَظِيرُهَا
وَإِلَّا جَرَرْتَ ٱلذَّيْلَ فِي سَاحَةِ ٱلْعُلَى ... وَقُلْتُ ٱلْقَوَافِي قَدْ أُعِيدَ جَرِيرُهَا

ذكر عبد الرحمن وغزواته

٢١٤ قَالَ ٱبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ: تَوَلَّى أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَبْدُ ٱلرَّحْمَانِ ٱلْقَمَرُ ٱلْأَزْهَرُ، وَٱلْأَسَدُ ٱلْغَضَنْفَرُ، ٱلْمَيْمُونُ ٱلنَّقِيبَةِ، ٱلْمَحْمُودُ ٱلضَّرِيبَةِ، سَيِّدُ ٱلْخُلَفَاءِ وَأَنْجَبُ ٱلنُّجَبَاءِ، صَبِيحَةَ هِلَالِ رَبِيعٍ ٱلْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثِمِائَةٍ (فَقُلْتُ فِيهِ:)

بَدَا ٱلْهِلَالُ جَدِيدًا ... وَٱلْمُلْكُ غَضٌّ جَدِيدُ
يَا نِعْمَةَ ٱللَّهِ زِيدِي ... مَا كَانَ فِيهِ مَزِيدُ

فَتَوَلَّى ٱلْمُلْكَ وَهِيَ جَمْرَةٌ تَحْتَدِمُ، وَنَارٌ تَضْطَرِمُ، وَشِقَاقٌ وَنِفَاقٌ فَأَخْمَدَ نِيرَانَهَا، وَسَكَّنَ زَلَازِلَهَا، وَٱفْتَتَحَهَا عَوْدًا كَمَا ٱفْتَتَحَهَا بَدْءًا. سَمَّتْهُ عَبْدَ ٱلرَّحْمَانِ بْنَ مُعَاوِيَةَ وَقَدْ قِيلَ فِي أَشْعَارِ غَزَوَاتِهِ كُلِّهَا أَشْعَارٌ قَدْ جَالَتْ فِي ٱلْأَمْصَارِ، وَشَرَدَتْ فِي ٱلْبُلْدَانِ حَتَّى أَتْهَمَتْ وَأَنْجَدَتْ وَأَعْرَقَتْ.

وَكَانَ أَوَّلَ غَزَاةٍ غَزَاهَا ٱلْغَزَاةُ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِغَزَاةِ ٱلْمُنْتَلُونِ ٱفْتَتَحَ بِهَا سَبْعِينَ حِصْنًا قَدْ نَكَّبَتْ عَنْهَا ٱلطَّوَائِفُ. وَأَعْيَتْ عَلَى ٱلْخَلَائِفِ. (وَفِيهَا أَقُولُ:)

قَدْ أَوْضَحَ ٱللَّهُ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَاجَا ... وَٱلنَّاسُ قَدْ دَخَلُوا فِي ٱلدِّينِ أَفْوَاجَا
وَقَدْ تَزَيَّنَتِ ٱلدُّنْيَا لِسَاكِنِهَا ... كَأَنَّمَا أُلْبِسَتْ وَشْيًا وَدِيبَاجَا
يَا ٱبْنَ ٱلْخَلَائِفِ إِنَّ ٱلْمُزْنَ لَوْ عَلِمَتْ ... نَدَاكَ مَا كَانَ مِنْهَا ٱلْمَاءُ ثَجَّاجَا
وَٱلْحَرْبُ لَوْ عَلِمَتْ بَأْسًا تَصُولُ بِهِ ... مَا هَيَّجَتْ مِنْ جِبَالِ ٱلدِّينِ أَهْيَاجَا
وَأَصْبَحَ ٱلنَّصْرُ مَعْقُودًا بِأَلْوِيَةٍ ... تَطْوِي ٱلْمَرَاحِلَ تَهْجِيرًا وَإِدْلَاجَا
أَدْخَلْتَ فِي قُبَّةِ ٱلْإِسْلَامِ مَارِقَةً ... أَخْرَجْتَهَا مِنْ دِيَارِ ٱلْجَوْرِ إِخْرَاجَا
بِمَجْفَلٍ تُشْرِقُ ٱلْأَرْضُ ٱلْفَضَاءُ بِهِ ... كَٱلْبَحْرِ يَقْذِفُ بِٱلْأَمْوَاجِ أَمْوَاجَا
يَقُودُهُ ٱلْبَدْرُ يَسْرِي فِي كَوَاكِبِهِ ... عَرَمْرَمًا كَسَوَادِ ٱللَّيْلِ رَجْرَاجَا
تَرُوقُ فِيهِ بُرُوقُ ٱلْمَوْتِ لَامِعَةً ... وَيَسْمَعُونَ بِهِ لِلرَّعْدِ أَهْزَاجَا
غَادَرْتَ فِي عِفْرَتَيْ جَيَّانَ مَلْحَمَةً ... أَبْكَيْتَ مِنْهَا بِأَرْضِ ٱلْغَدْرِ أَعْلَاجَا
فِي نِصْفِ شَهْرٍ تَرَكْتَ ٱلْأَرْضَ سَاكِنَةً ... مِنْ بَعْدِ مَا كَانَ فِيهَا ٱلطَّيْرُ قَدْ مَاجَا
تُمْلَا بِكَ ٱلْأَرْضُ عَدْلًا مِثْلَ مَا مُلِئَتْ ... جَوْرًا وَتُوضَعُ لِلْمَعْرُوفِ مِنْهَا جَا
يَا بَدْرَ ظُلْمَتِهَا يَا شَمْسَ صُبْحَتِهَا ... يَا لَيْثَ حَوْمَتِهَا إِنْ هَائِجٌ هَاجَا
إِنَّ ٱلْخِلَافَةَ لَنْ تَرْضَى وَلَا رَضِيَتْ ... حَتَّى عَقَدْتَ لَهَا فِي رَأْسِكَ ٱلتَّاجَا

وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ هٰذِهِ ٱلْغَزَاةِ لِمَلِكٍ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ وَٱلْإِسْلَامِ وَلَهُ غَزَاةُ مَارِتَشَ أُخْتِ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ وَلَهُ غَزَاةُ جَيَّانَ وَفِيهَا قُلْتُ فِي أُرْجُوزَتِي:

ثُمَّ ٱنْتَحَى جَيَّانَ فِي غَزَوَاتِهِ ... بِعَسْكَرٍ يَسْعَدُ مِنْ هِمَّاتِهِ

وَٱفْتَتَحَ ٱلْحُصُونَ حِصْنًا حِصْنَا وَأَوْسَعَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا أَمْنَا
وَلَمْ يَزَلْ حَتَّى ٱنْتَحَى جَيَّانَا فَلَمْ يَدَعْ بِأَرْضِهَا شَيْطَانَا
فَأَصْبَحَ ٱلنَّاسُ جَمِيعًا أُمَّهْ قَدْ عَقَدَ ٱلْإِلَّ لَهُمْ وَٱلذِّمَّهْ
وَلَمْ يَدَعْ مِنْ جِنِّهَا مَرِيدَا بِهَا وَلَا مِنْ إِنْسِهَا عَنِيدَا
إِلَّا كَسَاهُ ٱلذُّلَّ وَٱلصَّغَارَا وَعَمَّهُ وَأَهْلَهُ دَمَارَا
فَأَقْبَلَ ٱلْعِلْجُ لَهُمْ مُغِيثَا يَوْمَ ٱلْخَمِيسِ مُسْرِعًا حَثِيثَا
بَيْنَ يَدَيْهِ ٱلرَّجْلُ وَٱلْفَوَارِسُ وَحَوْلَهُ ٱلصُّلْبَانُ وَٱلنَّوَاقِسُ
وَكَانَ يَرْجُو أَنْ يُزِيلَ ٱلْعَسْكَرَا عَنْ جَانِبِ ٱلْحِصْنِ ٱلَّذِي قَدْ دُمِّرَا
فَٱعْتَاقَهُ بَدْرٌ بِمَنْ لَدَيْهِ مُسْتَبْصِرًا فِي زَحْفِهِ إِلَيْهِ
حَتَّى ٱلْتَقَتْ مَيْمَنَةٌ بِمَيْسَرَهْ وَٱعْتَلَتِ ٱلْأَرْوَاحُ عِنْدَ ٱلْحَنْجَرَهْ
فَقُتِلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا فَاشِيَا وَأَدْبَرَ ٱلْعِلْجُ ذَمِيمًا خَاسِيَا
فَأُشْرِعَتْ بَيْنَهُمُ ٱلرِّمَاحُ وَقَدْ عَلَا ٱلتَّكْبِيرُ وَٱلصِّيَاحُ
وَفَارَقَتْ أَعْمَادَهَا ٱلسُّيُوفُ وَفَغَرَتْ أَفْوَاهَهَا ٱلْحُتُوفُ
وَٱلْتَقَتِ ٱلرِّجَالُ بِٱلرِّجَالِ وَٱنْغَمَسُوا فِي غَمْرَةِ ٱلْقِتَالِ
فِي مَوْقِفٍ زَاغَتْ بِهِ ٱلْأَبْصَارُ وَقَصُرَتْ فِي طُولِهِ ٱلْأَعْمَارُ
فَٱنْقَضَّتِ ٱلْعِقْبَانُ وَٱلسَّلَالِقَهْ رَهْقًا عَلَى مُقَدَّمِ ٱلْجَلَالِقَهْ
عِقْبَانُ مَوْتٍ تَخْطَفُ ٱلْأَرْوَاحَا وَتُشْبِعُ ٱلسُّيُوفَ وَٱلرِّمَاحَا
فَٱنْهَزَمَ ٱلْأَعْدَاءُ عِنْدَ ذَاكَا وَٱنْكَشَفَتْ عَوْرَتُهُ هُنَاكَا
فَٱتَّصَلَ ٱلْفَتْحُ بِفَتْحٍ ثَانِ وَٱلنَّصْرُ بِٱلنَّصْرِ مِنَ ٱلرَّحْمَانِ

ٱلْبَابُ ٱلثَّالِثَ عَشَرَ
فِي ٱلرِّثَاءِ

٢١٥ قَالَتِ ٱلْقَارِعَةُ ٱلْمُرِّيَّةُ تَرْثِي أَخَاهَا مَسْعُودَ بْنَ شَدَّادٍ:

يَا عَيْنِ جُودِي لِمَسْعُودِ بْنِ شَدَّادِ بِكُلِّ ذِي عَبَرَاتٍ شَجْوُهُ بَادِي
شَهَّادُ أَنْدِيَةٍ رَفَّاعُ أَبْنِيَةٍ شَدَّادُ أَلْوِيَةٍ فَتَّاحُ أَسْدَادِ
نَحَّارُ رَاغِيَةٍ قَتَّالُ طَاغِيَةٍ حَلَّالُ رَابِيَةٍ فَكَّاكُ أَقْيَادِ
قَوَّالُ مُحْكَمَةٍ نَقَّاضُ مُبْرَمَةٍ فَرَّاجُ مُبْهَمَةٍ حَبَّاسُ أَوْرَادِ
حَلَّالُ مُمْرِعَةٍ حَمَّالُ مُعْضِلَةٍ قَرَّاعُ مُفْظِعَةٍ طَلَّاعُ أَنْجَادِ
جَمَّاعُ كُلِّ خِصَالِ ٱلْخَيْرِ قَدْ عَلِمُوا زَيْنُ ٱلْقَرِينِ وَخَطْلُ ٱلظَّالِمِ ٱلْعَادِي
أَبَا زُرَارَةَ لَا تَبْعَدْ فَكُلُّ فَتًى يَوْمًا رَهِينُ صَفِيحَاتٍ وَأَعْوَادِ

٢١٦ قال ابو مالكٍ يرثي ابا نضرٍ والدهُ لما قُتل

زَالَ عَنَّا ٱلسُّرُورُ إِذْ زُلْتَ عَنَّا وَأَزْدَهَانَا بُكَاؤُنَا وَٱلْعَوِيلُ
وَرَأَيْنَا ٱلْقَرِيبَ مِنَّا بَعِيدًا وَجَفَانَا صَدِيقُنَا وَٱلْخَلِيلُ
وَرَمَانَا ٱلْعَدُوُّ فِي كُلِّ وَجْهٍ وَتَجَنَّى عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلذَّلِيلُ
يَا أَبَا ٱلنَّضْرِ سَوْفَ أَبْكِيكَ مَا عِشْتُ سَوِيًّا وَذَاكَ مِنِّي قَلِيلُ
حَمَلَتْ نَعْشَكَ ٱلْمَلَائِكَةُ ٱلْأَبْرَارُ إِذْ مَا لَنَا إِلَيْهِ سَبِيلُ
غَيْرَ أَنِّي كَذَبْتُكَ ٱلْوُدَّ لَمْ تَقْطُرْ جُفُونِي دَمًا وَأَنْتَ قَتِيلُ
رَضِيَتْ مُقْلَتِي بِإِرْسَالِ دَمْعِي وَعَلَى مِثْلِكَ ٱلنُّفُوسُ تَسِيلُ

أَسِوَاكَ ٱلَّذِي أَجُودُ عَلَيْهِ ... بِدَمِي إِنَّنِي إِذًا لَبَخِيلُ
عَثَرَ ٱلدَّهْرُ فِيكَ عَثْرَةَ سَوْءٍ ... لَمْ يُقِلْ مِثْلَهَا ٱلْمُعِينُ ٱلْمُقِيلُ
قُلْ لِمَنْ ضَنَّ بِٱلْحَيَاةِ فَإِنَّا ... بَعْدَهُ فِي ٱلتُّرَابِ صَرْعَى حُلُولُ
حُفْرَةٌ حَشْوُهَا وَفَاءٌ وَحِلْمٌ ... وَنَدًى فَاضِلٌ وَلُبٌّ أَصِيلُ
وَعَفَافٌ عَمَّا يَشِينُ وَحِلْمٌ ... رَاجِحُ ٱلْوَزْنِ بِٱلرَّوَاسِي يَمِيلُ
وَبَنَانٌ يَمِينُهَا غَيْرُ جَعْدٍ ... وَجَبِينٌ صَلْتٌ وَخَدٌّ أَسِيلُ
وَٱمْرُؤٌ أَشْرَقَتْ صَفِيحَةُ خَدَّيْـ ... ـهِ عَلَيْهِ بَشَاشَةٌ وَقَبُولُ

٢١٧ تُوُفِّيَ وَلَدُ اعرابيٍّ فِي يَوْمِ عِيدٍ فقال يرثيه

لَبِسَ ٱلرِّجَالُ جَدِيدَهُمْ فِي عِيدِهِمْ ... وَلَبِسْتُ حُزْنَ أَبِي ٱلْحُسَيْنِ جَدِيدَا
أَيَسُرُّنِي عِيدٌ وَلَمْ أَرَ وَجْهَهُ ... فِيهِ أَلَا بُعْدًا لِذَٰلِكَ عِيدَا
فَارَقْتُهُ وَبَقِيتُ أَخْلُدُ بَعْدَهُ ... لَا كَانَ ذَاكَ بَقَا وَلَا تَخْلِيدَا
مَنْ لَمْ يَمُتْ جَزَعًا لِفَقْدِ حَبِيبِهِ ... فَهُوَ ٱلْخَؤُونُ مَوَدَّةً وَعُهُودَا
مُتْ مَعَ حَبِيبِكَ إِنْ قَدَرْتَ وَلَا تَعِشْ ... مِنْ بَعْدِهِ ذَا لَوْعَةٍ مَكْمُودَا
مَا أُمُّ خِشْفٍ قَدْ مَلَا أَحْشَاءَهَا ... حَذَرًا عَلَيْهِ وَجَفْنُهَا تَسْهِيدَا
إِنْ نَامَ لَمْ تَهْجَعْ وَطَافَتْ حَوْلَهُ ... فَبَيِتُّ مَكْلُوءًا بِهَا مَرْصُودَا
مِنِّي بِأَوْجَعَ إِذْ رَأَيْتُ نَوَائِحًا ... لِأَبِي ٱلْحُسَيْنِ وَقَدْ لَطَمْنَ خُدُودَا
وَلَقَدْ عَدِمْتُ أَبَا ٱلْحُسَيْنِ جَلَادَتِي ... لَمَّا رَأَيْتُ جَمَالَكَ ٱلْمَفْقُودَا
كُنْتُ ٱلْجَلِيدَ عَلَى ٱلرَّزَايَا كُلِّهَا ... وَعَلَى فِرَاقِكَ لَمْ أَجِدْ تَجْلِيدَا
وَلَئِنْ بَقِيتُ وَمَا هَلَكْتُ فَإِنَّ لِي ... أَجَلًا وَإِنْ لَمْ أُحْصِهِ مَعْدُودَا

لَا مَوْتَ لِي إِلَّا إِذَا ٱلْأَجَلُ ٱنْقَضَى ... فَهُنَاكَ لَا أَتَجَاوَزُ ٱلْمَحْدُودَا
حُزْنِي عَلَيْكَ بِقَدْرِ حُبِّكَ لَا أَرَى ... يَوْمًا عَلَى هٰذَا وَذَاكَ مَزِيدَا
مَا هُدَّ رُكْنِي بِٱلسِّنِينَ وَإِنَّمَا ... أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ بِٱلْأَسَى مَهْدُودَا
يَا لَيْتَ أَنِّي لَمْ أَكُنْ لَكَ وَالِدًا ... وَكَذَاكَ أَنَّكَ لَمْ تَكُنْ مَوْلُودَا
فَلَقَدْ شَقِيتُ وَرُبَّمَا شَقِيَ ٱلْفَتَى ... بِفِرَاقِ مَنْ يَهْوَى وَكَانَ سَعِيدَا
مَنْ ذَمَّ جَفْنًا بَاخِلًا بِدُمُوعِهِ ... فَعَلَيْكَ جَفْنِي لَمْ يَزَلْ مَحْمُودَا
فَلَأَنْظِمَنَّ مَرَاثِيًا مَشْهُورَةً ... تُنْسِي ٱلْأَنَامَ كُثَيِّرًا وَلَبِيدَا
وَجَمِيعَ مَنْ نَظَمَ ٱلْقَرِيضَ مُفَارِقًا ... وَلَدًا لَهُ أَوْ صَاحِبًا مَفْقُودَا

٢١٨ لابن حسن التهامي يرثي ولده الصغير

حُكْمُ ٱلْمَنِيَّةِ فِي ٱلْبَرِيَّةِ جَارِي ... مَا هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا بِدَارِ قَرَارِ
بَيْنَا يُرَى ٱلْإِنْسَانُ فِيهَا مُخْبِرًا ... حَتَّى يُرَى خَبَرًا مِنَ ٱلْأَخْبَارِ
طُبِعَتْ عَلَى كَدَرٍ وَأَنْتَ تُرِيدُهَا ... صَفْوًا مِنَ ٱلْأَكْدَارِ وَٱلْأَقْذَارِ
وَمُكَلِّفُ ٱلْأَيَّامِ ضِدَّ طِبَاعِهَا ... مُتَطَلِّبٌ فِي ٱلْمَاءِ جُذْوَةَ نَارِ
وَإِذَا رَجَوْتَ ٱلْمُسْتَحِيلَ فَإِنَّمَا ... تَبْنِي ٱلرَّجَاءَ عَلَى شَفِيرٍ هَارِ
فَٱلْعَيْشُ نَوْمٌ وَٱلْمَنِيَّةُ يَقْظَةٌ ... وَٱلْمَرْءُ بَيْنَهُمَا خَيَالٌ سَارِ
وَٱلنَّفْسُ إِنْ رَضِيَتْ بِذَٰلِكَ أَوْ أَبَتْ ... مُنْقَادَةٌ بِأَزِمَّةِ ٱلْأَقْدَارِ
فَٱقْضُوا مَآرِبَكُمْ عِجَالًا إِنَّمَا ... أَعْمَارُكُمْ سَفَرٌ مِنَ ٱلْأَسْفَارِ
وَتَرَاكَضُوا خَيْلَ ٱلشَّبَابِ وَحَاذِرُوا ... أَنْ تُسْتَرَدَّ فَإِنَّهُنَّ عَوَارِ
فَٱلدَّهْرُ يَخْدَعُ بِٱلْمُنَى وَيُغِصُّ إِنْ ... هَنَّا وَيَهْدِمُ مَا بَنَى بِبَوَارِ

لَيْسَ الزَّمَانُ وَإِنْ حَرَصْتَ مُسَالِمًا ... خُلُقُ الزَّمَانِ عَدَاوَةُ الْأَحْرَارِ
يَا كَوْكَبًا مَا كَانَ أَقْصَرَ عُمْرَهُ ... وَكَذَا تَكُونُ كَوَاكِبُ الْأَسْحَارِ
وَهِلَالَ أَيَّامٍ مَضَى لَمْ يَسْتَدِرْ ... بَدْرًا وَلَمْ يُمْهَلْ لِوَقْتِ سَرَارِ
عَجِلَ الْخُسُوفُ إِلَيْهِ قَبْلَ أَوَانِهِ ... فَمَحَاهُ قَبْلَ مَظِنَّةِ الْإِبْدَارِ
فَكَأَنَّ قَلْبِيَ قَبْرُهُ وَكَأَنَّهُ ... فِي طَيِّهِ سِرٌّ مِنَ الْأَسْرَارِ
أَبْكِيهِ ثُمَّ أَقُولُ مُعْتَذِرًا لَهُ ... وَقَفْتُ حِينَ تَرَكْتَ أَلْأَمَ دَارِ
جَاوَرْتُ أَعْدَائِي وَجَاوَرَ رَبَّهُ ... شَتَّانَ بَيْنَ جِوَارِهِ وَجِوَارِي
وَلَقَدْ جَرَيْتَ كَمَا جَرَيْتُ لِغَايَةٍ ... فَبَلَغْتَهَا وَأَبُوكَ فِي الْمِضْمَارِ
فَإِذَا نَطَقْتُ فَأَنْتَ أَوَّلُ مَنْطِقِي ... وَإِذَا سَكَتُّ فَأَنْتَ فِي إِضْمَارِي

٢١٩ رثاء اعرابية لابنها

يَا عَمْرُو مَالِي عَنْكَ مِنْ صَبْرِ ... يَا عَمْرُو يَا أَسَفِي عَلَى عَمْرِو
لِلّٰهِ يَا عَمْرُو وَأَيَّ فَتًى ... كُفِّنْتَ يَوْمَ وُضِعْتَ فِي الْقَبْرِ
أَحْثُو التُّرَابَ عَلَى مَفَارِقِهِ ... وَعَلَى غَضَارَةِ وَجْهِهِ النَّضْرِ
حِينَ اسْتَوَى وَعَلَا الشَّبَابُ بِهِ ... وَبَدَا مُنِيرُ الْوَجْهِ كَالْبَدْرِ
وَرَجَا أَقَارِبُهُ مَنَافِعَهُ ... وَرَأَوْا شَمَائِلَ سَيِّدٍ غَمْرِ
وَأَهَمَّهُ هَمِّي فَسَاوَرَهُ ... وَغَدَا مَعَ الْغَادِينَ فِي السَّفْرِ
رَبَّيْتُهُ دَهْرًا أُنَفِّقُهُ ... فِي الْيُسْرِ أَغْذُوهُ وَفِي الْعُسْرِ
حَتَّى إِذَا التَّأْمِيلُ أَمْكَنَنِي ... فِيهِ وَقُبِّلَ تَلَاحُقُ الثَّغْرِ
وَجَعَلْتُ مِنْ شَغَفِي أُنَقِّلُهُ ... فِي الْأَرْضِ بَيْنَ تَنَائِفٍ غُبْرِ

أَدَعُ الْمَزَارِعَ وَالْحُصُونَ بِهِ ... وَأُحِلُّهُ فِي الْمَهْمَهِ الْقَفْرِ
مَا زِلْتُ أُصْعِدُهُ وَأَحْدُرُهُ ... مِنْ قُتْرِ مَوْمَاةٍ إِلَى قُتْرِ
هَرَبًا بِهِ وَالْمَوْتُ يَطْلُبُهُ ... حَيْثُ انْتَوَيْتُ بِهِ وَلَا أَدْرِي
إِذْ رَاعَنِي صَوْتٌ هَبَيْتُ بِهِ ... وَذُعِرْتُ مِنْهُ أَيَّمَا ذُعْرِ
وَإِذَا مَنِيَّتُهُ تُسَاوِرُهُ ... قَدْ كَدَّحَتْ فِي الْوَجْهِ وَالنَّحْرِ
وَإِذَا لَهُ عَلَقٌ وَحَشْرَجَةٌ ... مِمَّا يُجَشُّ بِهِ مِنَ الصَّدْرِ
وَالْمَوْتُ يَقْبِضُهُ وَيَبْسُطُهُ ... كَالثَّوْبِ عِنْدَ الطَّيِّ وَالنَّشْرِ
فَمَضَى وَأَيُّ فَتًى فُجِعْتُ بِهِ ... جَلَّتْ مُصِيبَتُهُ عَنِ الْقَدْرِ
لَوْ قِيلَ تَفْدِيهِ بَذَلْتُ لَهُ ... مَالِي وَمَا جَمَعْتُ مِنْ وَفْرِ
أَوْ كُنْتُ مُقْتَدِرًا عَلَى عُمْرِي ... آثَرْتُهُ بِالشَّطْرِ مِنْ عُمْرِي
قَدْ كُنْتُ ذَا فَقْرٍ لَهُ فَعَدَا ... وَرَمَى عَلَيَّ وَقَدْ رَأَى فَقْرِي
لَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ مَتَّعَنِي ... بِابْنِي وَشَدَّ بِأَزْرِهِ أَزْرِي
بُنِيَتْ عَلَيْكَ بُنَيَّ أَحْوَجَ مَا ... كُنَّا إِلَيْكَ صَفَائِحُ الصَّخْرِ
لَا يُبْعِدَنْكَ اللّٰهُ يَا عُمْرِي ... إِمَّا مَضَيْتَ فَنَحْنُ بِالْإِثْرِ
هٰذِي سَبِيلُ النَّاسِ كُلِّهِمِ ... لَا بُدَّ سَالِكُهَا عَلَى سَفَرِ

رثاء مشاهير العرب

٢٢٠ قال عبد الله بن همام السلولي يرثي بعض امراء بني حرب

تَعَزَّوْا يَا بَنِي حَرْبٍ بِصَبْرٍ ... فَمَنْ هٰذَا الَّذِي يَرْجُو الْخُلُودَا
لَقَدْ وَارَى قَلِيبُكُمُ بَنَانًا ... وَحَزْمًا لَا كِفَاءً لَهُ وَجُودَا

وَجَدْنَاهُ بَغِيضًا فِي ٱلْأَعَادِي ... حَبِيبًا فِي رَعِيَّتِهِ حَمِيدَا

أَمِينًا مُؤْمَنًا لَمْ يَقْضِ أَمْرًا ... فَيُوجَدُ غِبُّهُ إِلَّا رَشِيدَا

فَقَدْ أَضْحَى ٱلْعَدُوُّ رَخِيَّ بَالٍ ... وَقَدْ أَضْحَى ٱلتَّقِيُّ بِهِ عَمِيدَا

فَعَاضَ ٱللهُ أَهْلَ ٱلدِّينِ مِنْكُمْ ... وَرَدَّ لَكُمْ خِلَافَتَكُمْ جَدِيدَا

مُجَانَبَةَ ٱلْمُحَاقِ وَكُلِّ نَحْسٍ ... مُقَارَبَةَ ٱلْأَيَامِنِ وَٱلسُّعُودَا

خِلَافَةُ رَبِّهِمْ كُونُوا عَلَيْهَا ... كَمَا كُنْتُمْ عَنَابِسَةً أُسُودَا

يُعَلِّمُهَا ٱلْكُهُولُ ٱلْمُرْدَ حَتَّى ... تَذِلَّ بِهَا ٱلْأَكُفُّ وَتَسْتَقِيدَا

إِذَا مَا بَانَ ذُو ثِقَةٍ بَلَوْتُمْ ... أَخَا ثِقَةٍ بِهَا صَنَعًا مُجِيدَا

تَلَقَّفَهَا يَزِيدُ عَنْ أَبِيهِ ... فَخُذْهَا يَا مُعَاوِيَ عَنْ يَزِيدَا

فَإِنْ دُنْيَاكُمُ بِكُمُ ٱطْمَأَنَّتْ ... فَأَوْلُوا أَهْلَهَا خُلُقًا شَدِيدَا

وَإِنْ شَغَبَتْ عَلَيْكُمْ فَٱعْصِبُوهَا ... عِصَابًا يَسْتَدِرُّ بِهَا شَدِيدَا

وَإِنْ لَانَتْ لَكُمْ فَتَلَقَّفُوهَا ... وَلَا تَرْمُوا بِهَا ٱلْغَرَضَ ٱلْبَعِيدَا

٢٢١ قال اشجع بن عمرو السلمي يرثي منصور بن زياد

يَا حُفْرَةَ ٱلْمَلْكِ ٱلْمُؤَمَّلِ رِفْدُهُ ... مَا فِي ثَرَاكِ مِنَ ٱلنَّدَى وَٱلْخَيْرِ

لَا زِلْتِ فِي ظِلَّيْنِ ظِلِّ سَحَابَةٍ ... وَظِفَاءَ دَانِيَةٍ وَظِلِّ حُبُورِ

وَسَقَى ٱلْوَلِيُّ عَلَى ٱلْعِهَادِ عِرَاصَ مَا ... وَالَاكِ مِنْ قَبْرٍ وَمِنْ مَقْبُورِ

يَا يَوْمَ مَنْصُورٍ أَبَحْتَ حِمَى ٱلنَّدَى ... وَفَجَعْتَهُ بِوَلِيِّهِ ٱلْمَذْكُورِ

يَا يَوْمَهُ أَعْرَيْتَ رَاحِلَةَ ٱلنَّدَى ... مِنْ رَبِّهَا وَحَرَمْتَ كُلَّ فَقِيرِ

ذَلَّتْ بِمَصْرَعِهِ ٱلْمَكَارِمُ وَٱلنَّدَى ... وَذُبَابُ كُلِّ مُهَنَّدٍ مَأْثُورِ

أَفَلَتْ نُجُومُ بَنِي زِيَادٍ بَعْدَ مَا ... طَلَعَتْ بِنُورِ أَهِلَّةٍ وَبُدُورِ

لَوْلَا بَقَاءُ مُحَمَّدٍ لَتَصَدَّعَتْ ... أَكْبَادُنَا أَسَفًا عَلَى مَنْصُورِ

أَبْقَى مَكَارِمَ لَا تَبِيدُ صِفَاتُهَا ... وَمَضَى لِوَقْتِ حِمَامِهِ ٱلْمَقْدُورِ

أَصْبَحْتَ مَهْجُورًا بِحُفْرَتِكَ ٱلَّتِي ... بُدِّلْتَهَا مِنْ قَصْرِكَ ٱلْمَعْمُورِ

بَلِيَتْ عِظَامُكَ وَٱلصِّفَاحُ جَدِيدَةٌ ... لَيْسَ ٱلْبِلَى لِمَعَالِكَ ٱلْمَشْهُورِ

إِنْ كُنْتَ سَاكِنَ حُفْرَةٍ فَلَقَدْ تُرَى ... سَكَنًا لِعُودَيْ مِنْبَرٍ وَسَرِيرِ

٢٢٢ لمروان بن أبي حفصة في معن بن زائدة

مَضَى لِسَبِيلِهِ مَعْنٌ وَأَبْقَى ... مَكَارِمَ لَنْ تَبِيدَ وَلَنْ تُنَالَا

كَأَنَّ ٱلشَّمْسَ يَوْمَ أُصِيبَ مَعْنٌ ... مِنَ ٱلْإِظْلَامِ مُلْبِسَةٌ جِلَالَا

هُوَ ٱلْجَبَلُ ٱلَّذِي كَانَتْ نِزَارٌ ... تَهُدُّ مِنَ ٱلْعَدُوِّ بِهِ ٱلْجِبَالَا

وَعُطِّلَتِ ٱلثُّغُورُ لِفَقْدِ مَعْنٍ ... وَقَدْ يُرْوِي بِهَا ٱلْأَسَلَ ٱلنِّهَالَا

وَأَظْلَمَتِ ٱلْعِرَاقُ وَأَوْرَثَتْهَا ... مُصِيبَتُهُ ٱلْمُجَلِّلَةُ ٱعْتِلَالَا

وَظَلَّ ٱلشَّأْمُ يَرْجُفُ جَانِبَاهُ ... لِرُكْنِ ٱلْعِزِّ حِينَ وَهَى فَمَالَا

وَكَادَتْ مِنْ تِهَامَةَ كُلُّ أَرْضٍ ... وَمِنْ نَجْدٍ تَزُولُ غَدَاةَ زَالَا

فَإِنْ يَعْلُ ٱلْبِلَادَ لَهُ خُشُوعٌ ... فَقَدْ كَانَتْ تَطُولُ بِهِ ٱخْتِيَالَا

أَصَابَ ٱلْمَوْتُ يَوْمَ أَصَابَ مَعْنًا ... مِنَ ٱلْأَحْيَاءِ أَكْرَمَهُمْ فَعَالَا

وَكَانَ ٱلنَّاسُ كُلُّهُمُ لِمَعْنٍ ... إِلَى أَنْ زَارَ حُفْرَتَهُ عِيَالَا

وَلَمْ يَكُ طَالِبٌ لِلْعُرْفِ يَنْوِي ... إِلَى غَيْرِ ٱبْنِ زَائِدَةَ ٱرْتِحَالَا

مَضَى مَنْ كَانَ يَحْمِلُ كُلَّ عِبْءٍ ... وَيَسْبِقُ فَضْلُ نَائِلِهِ ٱلسُّؤَالَا

وَمَا عَمَدَ ٱلْوُفُودُ لِمِثْلِ مَعْنٍ ... وَلَا حَطُّوا بِسَاحَتِهِ ٱلرِّحَالَا

وَلَا بَلَغَتْ أَكُفُّ ذَوِي ٱلْعَطَايَا ... يَمِينًا مِنْ يَدَيْهِ وَلَا شِمَالَا

وَمَا كَانَتْ تَجِفُّ لَهُ حِيَاضٌ ... مِنَ ٱلْمَعْرُوفِ مُتْرَعَةٌ سِجَالَا

فَلَيْتَ ٱلشَّامِتِينَ بِهِ فَدَوْهُ ... وَلَيْتَ ٱلْعُمْرَ مُدَّ لَهُ فَطَالَا

وَلَمْ يَكُ كَنْزُهُ ذَهَبًا وَلَكِنْ ... سُيُوفَ ٱلْهِنْدِ وَٱلسُّمُرَ ٱلصِّقَالَا

وَذُخْرًا مِنْ مَحَامِدَ بَاقِيَاتٍ ... وَفَضْلَ تُقًى بِهِ ٱلتَّفْضِيلَ نَالَا

مَضَى لِسَبِيلِهِ مَنْ كُنْتَ تَرْجُو ... بِهِ عَثَرَاتِ دَهْرِكَ أَنْ تُقَالَا

فَأَسْتُ بِمَالِكٍ عَبَرَاتِ عَيْنٍ ... أَبَتْ بِدُمُوعِهَا إِلَّا ٱنْهِمَالَا

فَلَهْفُ أَبِي عَلَيْكَ إِذِ ٱلْيَتَامِي ... غَدَوْا شُعْثًا وَقَدْ أَضْحَوْا سِلَالَا

وَلَهْفُ أَبِي عَلَيْكَ إِذِ ٱلْقَوَافِي ... لِمُمْتَدِحٍ بِهَا ذَهَبَتْ ضَلَالَا

أَقَمْنَا بِٱلْيَمَامَةِ إِذْ يَئِسْنَا ... مُقَامًا لَا نُرِيدُ لَهَا زِيَالَا

وَقُلْنَا أَيْنَ نَرْحَلُ بَعْدَ مَعْنٍ ... وَقَدْ ذَهَبَ ٱلنَّوَالُ فَلَا نَوَالَا

سَيَذْكُرُكَ ٱلْخَلِيفَةُ غَيْرَ قَالٍ ... إِذَا هُوَ فِي ٱلْأُمُورِ بَلَا ٱلرِّجَالَا

وَلَا يَنْسَى وَقَائِعَكَ ٱللَّوَاتِي ... عَلَى أَعْدَائِهِ جُعِلَتْ وَبَالَا

حَبَاكَ أَخُو أُمَيَّةَ بِٱلْمَرَاثِي ... مَعَ ٱلْمَدْحِ ٱلَّذِي قَدْ كَانَ قَالَا

وَأَلْقَى رَحْلَهُ أَسَفًا وَآلَى ... يَمِينًا لَا يَشُدُّ لَهُ حِبَالَا

٢٢٣ رثاء بني برمك لسليمان بن برمك

أُصِبْتُ بِسَادَةٍ كَانُوا عُيُونًا ... بِهِمْ نُسْقَى إِذَا ٱنْقَطَعَ ٱلْغَمَامُ

فَقُلْتُ وَفِي ٱلْفُؤَادِ ضَرِيمُ نَارٍ ... وَلِلْعَبَرَاتِ مِنْ عَيْنِي ٱنْسِجَامُ

عَلَى ٱلْمَعْرُوفِ وَٱلدُّنْيَا جَمِيعًا ... وَدَوْلَةِ آلِ بَرْمَكٍ ٱلسَّلَامُ

جَزِعْتُ عَلَيْكَ يَا فَضْلَ بْنَ يَحْيَى ... وَمَنْ يَجْزَعْ عَلَيْكَ فَلَا يُلَامُ

هَوَتْ بِكَ أَنْجُمُ ٱلْمَعْرُوفِ فِينَا ... وَعَزَّ بِفَقْدِكَ ٱلْقَوْمُ ٱللِّئَامُ

وَلَمْ أَرَ قَبْلَ قَتْلِكَ يَا ٱبْنَ يَحْيَى ... حُسَامًا قَدَّهُ ٱلسَّيْفُ ٱلْحُسَامُ

بَرَيْنَ ٱلْحَادِثَاتُ لَهُ سِهَامًا ... فَغَالَتْهُ ٱلْحَوَادِثُ وَٱلسِّهَامُ

لِيَهْنِ ٱلْحَاسِدِينَ بِأَنَّ يَحْيَى ... أَسِيرٌ لَا يَضِيمُ وَيُسْتَضَامُ

وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بَعْدَ رِدَاءِ عِزٍّ ... غَدَا وَرِدَاؤُهُ ذَالٌ وَلَامُ

وَقَدْ آلَيْتُ مُعْتَذِرًا بِنَذْرٍ ... وَلِي فِيمَا نَذَرْتُ بِهِ ٱعْتِزَامُ

بِأَنْ لَا ذُقْتُ بَعْدَكُمُ مُدَامًا ... وَمَوْتِي أَنْ يُفَارِقَنِي ٱلْمُدَامُ

أَأَلْهُو بَعْدَكُمْ وَأَقِرُّ عَيْنًا ... عَلَيَّ ٱللَّهْوُ بَعْدَكُمْ حَرَامُ

وَكَيْفَ يَطِيبُ لِي عَيْشٌ وَفَضْلٌ ... أَسِيرٌ دُونَهُ ٱلْبَلَدُ ٱلشَّآمُ

وَجَعْفَرُ ثَاوِيًا بِٱلْجِسْرِ أَبْلَتْ ... مَحَاسِنَهُ ٱلسَّمَائِمُ وَٱلْقَتَامُ

أَمُرُّ بِهِ فَيَغْلِبُنِي بُكَائِي ... وَلَكِنَّ ٱلْبُكَاءَ لَهُ ٱكْتِتَامُ

أَقُولُ وَقُمْتُ مُنْتَصِبًا لَدَيْهِ ... إِلَى أَنْ كَادَ يَفْضَحُنِي ٱلْقِيَامُ

أَمَا وَٱللَّهِ لَوْلَا خَوْفُ وَاشٍ ... وَعَيْنٌ لِلْخَلِيفَةِ لَا تَنَامُ

لَطَفْنَا رُكْنَ جِذْعِكَ وَٱسْتَلَمْنَا ... كَمَا لِلنَّاسِ بِٱلْحَجَرِ ٱسْتِلَامُ

٢٢٤ قال محمّد بن محمد القوصي يرثي الامام محمّد المعروف بابن دقيق العيد

سَيَطُولُ بَعْدَكَ فِي ٱلطُّلُولِ وُقُوفِي ... أَرْوِي ٱلثَّرَى مِنْ مَدْمَعِي ٱلْمَذْرُوفِ

لَوْ كَانَ يَقْبَلُ فِيكَ حَتْفُكَ فِدْيَةً ... لَفُدِيتَ مِنْ عُلَمَائِنَا بِأُلُوفِ

أَوْ كَانَ مِنْ حُمْرِ ٱلْمَنَايَا مَانِعٌ ... مَنَعَتْكَ سُمْرُ قَنًا وَبِيضُ سُيُوفِ

يَا طَالِبِي ٱلْمَعْرُوفِ أَيْنَ مَصِيرُكُمْ ... مَاتَ ٱلْفَتَى ٱلْمَعْرُوفُ بِٱلْمَعْرُوفِ

أَلْمُشْتَرِي ٱلْعُلْيَا بِأَعْلَى قِيمَةٍ ... مِنْ غَيْرِ مَا بَخْسٍ وَلَا تَطْفِيفِ

مَا عَنَّفَ ٱلْجُلَسَاءَ قَطُّ وَنَفْسُهُ ... لَمْ يُخْلِهَا يَوْمًا مِنَ ٱلتَّعْنِيفِ

يَا مُرْشِدَ ٱلْفِتْيَانِ إِذْ مَا أَشْكَلَتْ ... طُرُقُ ٱلصَّوَابِ وَمُنْجِدَ ٱلْمَلْهُوفِ

مَنْ لِلضَّعِيفِ يُعِينُهُ أَنَّى أَتَى ... مُسْتَصْرِخًا يَا غَوْثَ كُلِّ ضَعِيفِ

مَنْ لِلْيَتَامَى وَٱلْأَرَامِلِ كَافِلٌ ... يَرْجُونَهُ فِي شَتْوَةٍ وَمَصِيفِ

أَفْنَيْتَ عُمْرَكَ فِي تُقًى وَعِبَادَةٍ ... وَإِفَادَةٍ لِلْعِلْمِ أَوْ تَصْنِيفِ

وَسَبَحْتَ فِي بَحْرِ ٱلْعُلُومِ مُكَابِدًا ... أَمْوَاجَهُ وَٱلنَّاسُ دُونَ سُيُوفِ

وَبَذَلْتَ سَائِرَ مَا حَوَيْتَ وَلَمْ تَدَعْ ... لَكَ مِنْ تَلِيدٍ فِي ٱلْعُلَا وَطَرِيفِ

يَا شَمْسُ مَالَكِ تَطْلُعِينَ أَلَمْ تَرَيْ ... شَمْسَ ٱلْمَعَارِفِ غُيِّبَتْ بِكُسُوفِ

لَهْفِي عَلَى حِبْرٍ بِكُلِّ فَضِيلَةٍ ... قَدْ كَانَ مَرْجُوًّا لِكُلِّ مُخِيفِ

كَانَ ٱلْمَخُوفُ عَلَى تَقِيٍّ مُؤْمِنٍ ... لٰكِنْ عَلَى ٱلْفُجَّارِ غَيْرَ مَخُوفِ

عَمَّ ٱلْمُصَابُ بِهِ ٱلطَّوَائِفَ كُلَّهَا ... لَمَّا أَلَمَّ وَخَصَّ كُلَّ حَنِيفِ

بُشْرَاكَ يَا ٱبْنَ عَلِيِّ ٱلْعَالِي ٱلذُّرَى ... إِذْ بِتَّ ضَيْفًا عِنْدَ خَيْرِ مُضِيفِ

وَلَقَدْ نَزَلْتَ عَلَى كَرِيمٍ غَافِرٍ ... بِٱلنَّازِلِينَ كَمَا عَلِمْتَ رَؤُوفِ

٢٢٥ للحافظ بن حجر في رثاء الحافظ الامام الكبير زين الدين العراقي

مُصَابٌ لَمْ يُنَفِّسْ لِلْخِنَاقِ ... أَصَارَ ٱلدَّمْعَ جَارًا لِلْمَآقِ

فَرَوْضُ ٱلْعِلْمِ بَعْدَ ٱلزَّهْوِ ذَاوٍ ... وَرُوحُ ٱلْفَضْلِ قَدْ بَلَغَ ٱلتَّرَاقِي

فَطَافَ بِأَرْضِ مِصْرٍ كُلُّ عِلْمٍ ... بِكَأْسِ ٱلْحَيْنِ لِلْعُلَمَاءِ سَاقِي

فَيَا أَهْلَ ٱلشَّآمِ وَمِصْرَ فَٱبْكُوا ... عَلَى عَبْدِ ٱلرَّحِيمِ بْنِ ٱلْعِرَاقِي

عَلَى ٱلْحِبْرِ ٱلَّذِي شَهِدَتْ قُرُومٌ ... لَهُ بِٱلِٱنْفِرَادِ عَلَى ٱتِّفَاقِ

وَمَنْ فُتِحَتْ لَهُ قِدَمًا عُلُومٌ ... غَدَتْ عَنْ غَيْرِهِ ذَاتَ ٱنْغِلَاقِ

وَمَنْ سِتِّينَ عَامًا لَمْ يُجَارَى ... وَلَا طَمِعَ ٱلْمُجَارِي فِي ٱللِّحَاقِ

فَأَصْبَحَ بِٱلْكَرَامَةِ فِي ٱصْطِبَاحٍ ... وَبِٱلتُّحَفِ ٱلْكَرِيمَةِ فِي ٱغْتِبَاقِ

فَيَا أَسَفَا وَيَا حُزْنَا عَلَيْهِ ... أَرَقَّ مِنَ ٱلنَّسِيمَاتِ ٱلرِّقَاقِ

وَيَا أَسَفَا لِتَقْيِيدَاتِ عِلْمٍ ... تَوَلَّتْ بَعْدَهُ ذَاتَ ٱنْطِلَاقِ

عَلَيْهِ سَلَامُ رَبِّي كُلَّ حِينٍ ... يُلَاقِيهِ ٱلرِّضَا فِيمَا يُلَاقِي

وَأَسْقَتْ لَحْدَهُ سُحْبُ ٱلْغَوَادِي ... إِذَا ٱنْهَمَلَتْ هَمَتْ ذَاتَ ٱنْطِبَاقِ

وَزَانَتْ رِيَّهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ ... تَحِيَّاتٌ إِلَى يَوْمِ ٱلتَّلَاقِي

٢٢٦ للبرهان القيراطي يرثي جمال الدين عبد الرحيم شيخ الشافعية

نَعَمْ قُبِضَتْ رُوحُ ٱلْعُلَى وَٱلْفَضَائِلِ ... بِمَوْتِ جَمَالِ ٱلدِّينِ صَدْرِ ٱلْأَفَاضِلِ

تَعَطَّلَ مِنْ عَبْدِ ٱلرَّحِيمِ مَكَانُهُ ... وَغُيِّبَ عَنْهُ فَاضِلٌ أَيَّ فَاضِلِ

أَحَقًّا وُجُوهُ ٱلْفِقْهِ زَالَ جَمَالُهَا ... وَحُطَّتْ أَعَالِي هَضْبِهَا لِلْأَسَافِلِ

قِفُوا خَبِّرُونَا مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ ... وَيُوفِضُ فِي مَيْدَانِ كُلِّ مُنَاضِلِ

قِفُوا خَبِّرُونَا هَلْ لَهُ مِنْ مُشَابِهٍ ... قِفُوا خَبِّرُونَا هَلْ لَهُ مِنْ مُمَاثِلِ

فَأَعْظِمْ بِحِبْرٍ كَانَ لِلْعِلْمِ سَاعِيًا ... بِعَزْمٍ صَحِيحٍ لَيْسَ بِٱلْمُتَكَاسِلِ

وَأَعْظِمْ بِهِ يَوْمَ ٱلْجِدَالِ مُنَاظِرًا ... إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرُكْ مَكَانًا لِقَائِلِ

وَأَسْيافُهُ فِي ٱلْبَحْثِ قَاطِعَةُ ٱلظُّبَا ... بِجَوْهَرِهَا لَمْ يَفْتَقِرْ لِلصَّيَاقِلِ
يَقُومُ بِإِيضَاحِ ٱلْمَسَائِلِ مُرْشِدًا ... لِمُسْتَفْهِمٍ أَوْ طَالِبٍ أَوْ مُسَائِلِ
لَهُ قَدَمٌ فِي ٱلْفِقْهِ سَابِقَةُ ٱلْخُطَا ... يُقَصِّرُ عَنْهَا كُلُّ حَافٍ وَنَاعِلِ
تَبَارَكَ مَنْ أَعْطَاهُ فِيهِ مَرَاتِبًا ... يُقِرُّ لَهُ بِٱلْفَضْلِ كُلُّ مُجَادِلِ
فَكَمْ كَانَ يُبْدِي فِيهِ كُلَّ غَرِيبَةٍ ... وَيُظْهِرُ مِنْ أَبْكَارِهِ بِٱلْعَقَائِلِ
أَحَلَّ جَمَالَ ٱلدِّينِ فِي ٱلْخُلْدِ رَبُّهُ ... لِيَحْظَى بِعَفْوٍ مِنْهُ شَافٍ وَشَامِلِ
وَحَيَّاهُ بِٱلرَّيْحَانِ وَٱلرَّوْحِ وَٱلرِّضَا ... إِلٰهُ ٱلْبَرَايَا فِي ٱلضُّحَى وَٱلْأَصَائِلِ
لَقَدْ كَانَ فِي ٱلْأَعْمَالِ وَٱلْعِلْمِ مُخْلِصًا ... لِمَنْ لَمْ يُضَيِّعْ فِي غَدٍ سَعْيَ عَامِلِ
فَلَهْفِي لِأَمْدَاحٍ عَلَيْهِ تَحَوَّلَتْ ... مَرَاثِيَ تَبْكِي بِٱلدُّمُوعِ ٱلْهَوَامِلِ
يُسَاعِدُنِي فِيهِ ٱلْحَمَامُ بِشَجْوِهَا ... وَأَغْلِبُهَا مِنْ لَوْعَتِي بِٱلْبَلَابِلِ
صَرَفْتُ عَلَيْهِ كُنْزَ صَبْرِي وَأَدْمُعِي ... وَأَفْنَيْتُ مِنْ هٰذَا وَهٰذَا حَوَاصِلِي
وَمَا نَحْنُ إِلَّا رَكْبُ مَوْتٍ إِلَى ٱلْبِلَى ... تُسَيِّرُنَا أَيَّامُنَا كَٱلرَّوَاحِلِ
قَطَعْنَا إِلَى نَحْوِ ٱلْقُبُورِ مَرَاحِلًا ... وَمَا بَقِيَتْ إِلَّا أَقَلُّ ٱلْمَرَاحِلِ
وَهٰذَا سَبِيلُ ٱلْعَالَمِينَ جَمِيعِهِمْ ... فَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا رَاحِلٌ بَعْدَ رَاحِلِ

٢٢٧ لبهاء الدين زهير يرثي فتح الدين عثمان والي الاسكندرية

عَلَيْكَ سَلَامُ ٱللهِ يَا قَبْرَ عُثْمَانِ ... وَحَيَّاكَ عَنِّي كُلُّ رَوْحٍ وَرَيْحَانِ
وَمَا زَالَ مُنْهَلًّا عَلَى تُرْبِكَ ٱلْحَيَا ... يُغَادِيكَ مِنْهُ كُلُّ أَوْطَفَ هَتَّانِ
لَقَدْ خُنْتُهُ فِي ٱلْوِدِّ إِذْ عِشْتُ بَعْدَهُ ... وَمَا كَانَ فِي وِدِّ ٱلصَّدِيقِ بِخَوَّانِ
وَعَهْدِي بِصَبْرِي فِي ٱلْخُطُوبِ يُطِيعُنِي ... فَمَا لِي أَرَاهُ ٱلْيَوْمَ أَظْهَرَ عِصْيَانِي

فَيَا ثَاوِيًا قَدْ طَيَّبَ ٱللهُ ذِكْرَهُ ... فَأَضْحَى وَطِيبُ ٱلذِّكْرِ عُمْرٌ لَهُ ثَانِ
وَجَدتَّ ٱلَّذِي أَسْلَاكَ عَنِّي وَإِنَّنِي ... وَحَقِّكَ مَا حَدَّثْتُ نَفْسِيَ بِسُلْوَانِ
لَقَدْ دَفَنَ ٱلْأَقْوَامُ يَوْمَ وَفَاتِهِ ... بَقِيَّةَ مَعْرُوفٍ وَخَيْرٍ وَإِحْسَانِ
يُوَاجِهُنِي فِي كُلِّ يَوْمٍ خَيَالُهُ ... كَمَا كُنْتُ أَلْقَاهُ قَدِيمًا وَيَلْقَانِي
وَأُقْسِمُ لَوْ نَادَيْتُهُ وَهْوَ مَيِّتٌ ... لَجَاوَبَنِي تَحْتَ ٱلتُّرَابِ وَلَبَّانِي
هَنِيئًا لَهُ قَدْ طَابَ حَيًّا وَمَيِّتًا ... فَمَا كَانَ مُحْتَاجًا لِتَطْيِيبِ أَكْفَانِي
صَدِيقِيَ ٱلَّذِي إِذْ مَاتَ مَوْتُ مُهَجْتِي ... فَمَالِيَ لَا أَبْكِيهِ وَٱلرُّزْءُ رُزْآنِ
وَكَانَ أَنِيسِي مُذْ حَظِيتُ بِقُرْبِهِ ... وَكُنْتُ كَأَنِّي بَيْنَ أَهْلِي وَأَوْطَانِي
وَقَدْ كَانَ أَسْلَانِي عَنِ ٱلنَّاسِ كُلِّهِمْ ... وَلَا أَحَدٌ عَنْهُ مِنَ ٱلنَّاسِ أَسْلَانِي
كَرِيمُ ٱلْمُحَيَّا بَاسِمٌ مُتَهَلِّلٌ ... مَتَى جِئْتَهُ لَمْ تَلْقَهُ غَيْرَ جَذْلَانِ
يَمُنُّ لِمَنْ يَرْجُوهُ مِنْ غَيْرِ مِنَّةٍ ... فَإِنْ قُلْتَ مَنَّانٌ فَقُلْ غَيْرَ مَنَّانِ
فَقَدتَّ حَبِيبًا وَٱبْتُلِيتَ بِغُرْبَةٍ ... وَحَسْبُكَ مِنْ هٰذَيْنِ أَمْرَانِ مُرَّانِ
هُوَ ٱلْمَوْتُ مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِصَاحِبٍ ... وَهَيْهَاتِ إِنْسَانٌ يَمُوتُ لِإِنْسَانِ
وَمَا ٱلنَّاسُ إِلَّا رَاحِلٌ بَعْدَ رَاحِلٍ ... إِلَى ٱلْعَالَمِ ٱلْبَاقِي مِنَ ٱلْعَالَمِ ٱلْفَانِي

مرثية أبي الحسن الأنباري للوزير ابي طاهر

٢٢٨ لمَّا استعرت الحرب بين عزّ الدولة بن بُوَيه وابن عمّهِ عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عزّ الدولة ابي طاهر محمد بن بقيّة فسملهُ وشهرهُ وعلى راسهِ برنس . ثم طرحهُ للفيلة فقتلتهُ . ثم صلبهُ عند دارهِ بباب الطاق وعمرهُ نيف وخمسون سنة . ولمَّا صُلب رثاهُ ابو الحسن محمد بن عمران يعقوب الأنباري احد العدول ببغداد بهذه القصيدة الغرَّاء . فلمَّا وقف عليها عضد الدولة قال : وددتُ لو اني المصلوب وتكون هذه القصيدة فيَّ

عُلُوٌّ فِي الْحَيَاةِ وَفِي الْمَمَاتِ ... لَحَقٌّ تِلْكَ إِحْدَى الْمُعْجِزَاتِ

كَأَنَّ النَّاسَ حَوْلَكَ حِينَ قَامُوا ... وُفُودُ نَدَاكَ أَيَّامَ الصِّلَاتِ

كَأَنَّكَ قَائِمٌ فِيهِمْ خَطِيبًا ... وَكُلُّهُمُ قِيَامٌ لِلصَّلَاةِ

مَدَدْتَ يَدَيْكَ نَحْوَهُمُ احْتِفَاءً ... كَمَدِّهِمَا إِلَيْهِمْ بِالْهِبَاتِ

وَلَمَّا ضَاقَ بَطْنُ الْأَرْضِ عَنْ أَنْ ... يَضُمَّ عُلَاكَ مِنْ بَعْدِ الْوَفَاةِ

أَصَارُوا الْجَوَّ قَبْرَكَ وَاسْتَعَاضُوا ... عَنِ الْأَكْفَانِ ثَوْبَ السَّافِيَاتِ

لِعُظْمِكَ فِي النُّفُوسِ بَقِيتَ تُرْعَى ... بِحُرَّاسٍ وَحُفَّاظٍ ثِقَاتِ

وَتُوقَدُ حَوْلَكَ النِّيرَانُ لَيْلًا ... كَذَلِكَ كُنْتَ أَيَّامَ الْحَيَاةِ

رَكِبْتَ مَطِيَّةً مِنْ قَبْلُ زَيْدٌ ... عَلَاهَا فِي السِّنِينَ الْمَاضِيَاتِ

وَتِلْكَ قَضِيَّةٌ فِيهَا تَأَسٍّ ... تُبَاعِدُ عَنْكَ تَعْيِيرَ الْعُدَاةِ

وَلَمْ أَرَ قَبْلَ جِذْعِكَ قَطُّ جِذْعًا ... تَمَكَّنَ مِنْ عِنَاقِ الْمَكْرُمَاتِ

أَسَأْتَ إِلَى النَّوَائِبِ فَاسْتَثَارَتْ ... فَأَنْتَ قَتِيلُ ثَأْرِ النَّائِبَاتِ

وَكُنْتَ تُجِيرُ مِنْ صَرْفِ اللَّيَالِي ... فَصَارَ مُطَالِبًا لَكَ بِالتِّرَاتِ

وَصَيَّرَ دَهْرُكَ الْإِحْسَانَ فِيهِ ... إِلَيْنَا مِنْ عَظِيمِ السَّيِّئَاتِ

وَكُنْتَ لِمَعْشَرٍ سَعْدًا فَلَمَّا ... مَضَيْتَ تَفَرَّقُوا بِالْمُنْحَسَاتِ

غَلِيلٌ بَاطِنٌ لَكَ فِي فُؤَادِي ... يُخَفَّفُ بِالدُّمُوعِ الْجَارِيَاتِ

وَلَوْ أَنِّي قَدَرْتُ عَلَى قِيَامٍ ... بِفَرْضِكَ وَالْحُقُوقِ الْوَاجِبَاتِ

مَلَأْتُ الْأَرْضَ مِنْ نَظْمِ الْقَوَافِي ... وَنُحْتُ بِهَا خِلَافَ النَّائِحَاتِ

وَلَكِنِّي أُصَبِّرُ عَنْكَ نَفْسِي ... مَخَافَةَ أَنْ أُعَدَّ مِنَ الْجُنَاةِ

وَمَالَكَ تُرْبَةٌ فَأَقُولَ تُسْقَى ... لِأَنَّكَ نُصْبُ هَطْلِ الْهَاطِلَاتِ

عَلَيْكَ تَحِيَّةُ الرَّحْمَانِ تَتْرَى ... بِرَحْمَاتٍ غَوَادٍ رَائِحَاتِ

وَقَالَ فِيهِ حِينَ أُنْزِلَ عَنِ الصَّلِيبِ:

لَمْ يُلْحِقُوا بِكَ عَارًا إِذْ صُلِبْتَ بَلَى ... بَاءُوا بِإِثْمِكَ ثُمَّ اسْتَرْجَعُوا نَدَمَا

وَأَيْقَنُوا أَنَّهُمْ فِي فِعْلِهِمْ غَلِطُوا ... وَأَنَّهُمْ نَصَبُوا مِنْ سُؤْدُدٍ عَلَمَا

فَاسْتَرْجَعُوكَ وَوَارَوْا مِنْكَ طَوْدَ عُلًا ... بِدَفْنِهِ دَفَنُوا الْإِفْضَالَ وَالْكَرَمَا

لَئِنْ بَلِيتَ فَلَا يَبْلَى نَدَاكَ وَلَا ... تُنْسَى وَكَمْ هَالِكٍ يُنْسَى إِذَا قَدُمَا

تَقَاسَمَ النَّاسُ حُسْنَ الذِّكْرِ فِيكَ كَمَا ... تَرَكْتَ مَالَكَ بَيْنَ النَّاسِ مُقْتَسَمَا

٢٢٩ قَالَ الْعُقَيْلِيُّ يَرْثِي صَدِيقًا لَهُ صُلِبَ:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَصْبَحْتَ فَوْقَ مُشَذَّبٍ ... طَوِيلٍ تُعَفِّيكَ الرِّيَاحُ مَعَ الْقَطْرِ

لَقَدْ عِشْتَ مَبْسُوطَ الْيَدَيْنِ مُبَرِّزًا ... وَعُوفِيتَ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ ضَغْطَةِ الْقَبْرِ

وَأَفْلَتَّ مِنْ ضِيقِ التُّرَابِ وَغَمِّهِ ... وَلَمْ تَفْقِدِ الدُّنْيَا فَهَلْ لَكَ مِنْ شُكْرِ

فَمَا تَشْتَفِي عَيْنَايَ مِنْ دَائِمِ الْبُكَا ... عَلَيْكَ وَلَوْ أَنِّي بَكَيْتُ إِلَى الْحَشْرِ

فَطُوبَى لِمَنْ يَبْكِي أَخَاهُ مُجَاهِرًا ... وَلَكِنَّنِي أَبْكِي لِفَقْدِكَ فِي سِرِّي

٢٣٠ قَالَ مُصْعَبُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الزُّبَيْرِيُّ يَرْثِي إِسْحَاقَ الْمَوْصِلِيَّ

أَتَدْرِي لِمَنْ تَبْكِي الْعُيُونُ الذَّوَارِفُ ... وَيَنْهَلُّ مِنْهَا وَاكِفٌ ثُمَّ وَاكِفُ

نَعَمْ لِامْرِئٍ لَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ مِثْلُهُ ... مُفِيدٌ لِعِلْمٍ أَوْ صَدِيقٌ مُلَاطِفُ

تَجَهَّزَ إِسْحَاقٌ إِلَى اللهِ غَادِيًا ... فَلِلّٰهِ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْقَفَائِفُ

وَمَا حَمَلَ النَّعْشُ الْمُزَجَّى عَشِيَّةً ... إِلَى الْقَبْرِ إِلَّا دَامِعُ الْعَيْنِ لَاهِفُ

صُدُورُهُمُ مَرْضَى عَلَيْهِ عَمِيدَةٌ ... لَهَا أَزْمَةٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَزَفَازِفُ

تَرَى كُلَّ مَحْزُونٍ تُفِيضُ جُفُونُهُ ... دُمُوعًا عَلَى الْخَدَّيْنِ وَالْوَجْهُ شَاسِفُ

جُزِيتَ جَزَاءَ الْمُحْسِنِينَ مُضَاعَفًا ... كَمَا كَانَ جَدْوَاكَ النَّدَى الْمُتَضَاعِفُ

فَكَمْ لَكَ فِينَا مِنْ خَلَائِقَ جَزْلَةٍ ... سَبَقْتَ بِهَا مِنْهَا حَدِيثٌ وَسَالِفُ

هِيَ الشَّهْدُ أَوْ أَحْلَى إِلَيْنَا حَلَاوَةً ... مِنَ الشَّهْدِ لَمْ يَمْزُجْ بِهِ الْمَاءَ غَارِفُ

ذَهَبْتَ وَخَلَّيْتَ الصَّدِيقَ بِعَوْلَةٍ ... بِهِ أَسَفٌ مِنْ حُزْنِهِ مُتَرَادِفُ

بَكَتْ دَارُهُ مِنْ بُعْدِهِ وَتَنَكَّرَتْ ... مَعَالِمُ مِنْ آفَاتِهَا وَمَعَارِفُ

فَمَا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتُ أَعْتَرِي ... وَإِنِّي بِهَا لَوْلَا افْتِقَادِيكَ عَارِفُ

هِيَ الدَّارُ إِلَّا أَنَّهَا قَدْ تَخَشَّعَتْ ... وَأَظْلَمَ مِنْهَا جَانِبٌ وَهْوَ كَاسِفُ

وَبَانَ الْجَمَالُ وَالْفِعَالُ كِلَاهُمَا ... مِنَ الدَّارِ وَاسْتَنَّتْ عَلَيْهَا الْعَوَاصِفُ

خَلَتْ دَارُهُ مِنْ بَعْدِهِ فَكَأَنَّمَا ... بِعَاقِبَةٍ لَمْ يَغْنَ فِي الدَّارِ طَارِفُ

يَسُرُّ الَّذِي فِيهَا إِذَا مَا بَدَا لَهُ ... وَيَفْتَرُّ مِنْهَا ضَاحِكًا وَهْوَ وَاقِفُ

بِمَا كَانَ مَيْمُونًا عَلَى كُلِّ صَاحِبٍ ... يُعِينُ عَلَى مَا نَابَهُ وَيُكَانِفُ

سَرِيعٌ إِلَى إِخْوَانِهِ بِرِضَائِهِ ... وَعَنْ كُلِّ مَا سَاءَ الْأَخِلَّاءَ صَادِفُ

رثاء الخلفاء والملوك

٢٣١ للمهلبي يرثي المتوكل

لَا حُزْنَ إِلَّا أَرَاهُ دُونَ مَا أَجِدُ ... وَهَلْ كَمَنْ فَقَدَتْ عَيْنَايَ مُفْتَقَدُ

هَلَّا أَتَاهُ مُعَادِيهِ مُجَاهَرَةً ... وَالْحَرْبُ تُسْعِرُ وَالْأَبْطَالُ تَطَّرِدُ

فَخَرَّ فَوْقَ سَرِيرِ الْمُلْكِ مُنْجَدِلًا ... لَمْ يَحْمِهِ مُلْكُهُ لَمَّا انْقَضَى الْأَمَدُ

قَدْ كَانَ أَنْصَارُهُ يَحْمُونَ حَوْزَتَهُ ... وَلِلرَّدَى دُونَ أَرْصَادِ الْقَنَا رَصَدُ

وَأَصْبَحَ النَّاسُ فَوْضَى يَعْجَبُونَ لَهُ ... لَيْثًا صَرِيعًا تَنَزَّى حَوْلَهُ النَّقَدُ

عَلَتْكَ أَسْيَافُ مَنْ لَا دُونَهُ أَحَدٌ ... وَلَيْسَ فَوْقَكَ إِلَّا الْوَاحِدُ الصَّمَدُ

صَبَحَّتْ نِسَاؤُكَ بَعْدَ الْعِزِّ حِينَ رَأَتْ ... خَدًّا كَرِيمًا عَلَيْهِ قَارَتْ جَسِدُ

أَضْحَى شَهِيدُ بَنِي الْعَبَّاسِ مَوْعِظَةً ... لِكُلِّ ذِي عِزَّةٍ فِي رَأْسِهِ صَيَدُ

فَلَوْ جَعَلْتُمْ عَلَى الْأَحْرَارِ نِعْمَتَكُمْ ... حَمَتْكُمُ السَّادَةُ الْمَرْكُوزَةُ الْحُشُدُ

قَوْمٌ هُمُ الْجِذْمُ وَالْأَنْسَابُ تَجْمَعُكُمْ ... وَالْمَجْدُ وَالدِّينُ وَالْأَرْحَامُ وَالْبَلَدُ

من مرثية ابن عبدون الفهري للملوك بني الافطس ٢٣٢

أَلدَّهْرُ يَفْجَعُ بَعْدَ الْعَيْنِ بِالْأَثَرِ ... فَمَا الْبُكَاءُ عَلَى الْأَشْبَاحِ وَالصُّوَرِ

فَلَا تَغُرَّنْكَ مِنْ دُنْيَاكَ نَوْمَتُهَا ... فَمَا صِنَاعَةُ عَيْنَيْهَا سِوَى السَّهَرِ

تَسُرُّ بِالشَّيْءِ لَكِنْ كَيْ تَغُرَّ بِهِ ... كَالْأَيْمِ ثَارَ إِلَى الْجَانِي مِنَ الزَّهَرِ

كَمْ دَوْلَةٍ وَلِيَتْ بِالنَّصْرِ خِدْمَتُهَا ... لَمْ تُبْقِ مِنْهَا وَسَلْ ذِكْرَاكَ عَنْ خَبَرِ

هَوَتْ بِدَارَا وَفَلَّتْ غَرْبَ قَاتِلِهِ ... وَكَانَ عَضْبًا عَلَى الْأَمْلَاكِ ذَا أَثَرِ

وَاسْتَرْجَعَتْ مِنْ بَنِي سَاسَانَ مَا وَهَبَتْ ... وَلَمْ تَدَعْ لِبَنِي يُونَانَ مِنْ أَثَرِ

وَمَا أَقَالَتْ ذَوِي الْهَيْآتِ مِنْ يَمَنٍ ... وَلَا أَجَارَتْ ذَوِي الْغَايَاتِ مِنْ مُضَرِ

وَمَزَّقَتْ سَبَأً فِي كُلِّ قَاصِيَةٍ ... فَمَا الْتَقَى رَائِحٌ مِنْهَا بِمُبْتَكِرِ

وَخَضَّبَتْ شَيْبَ عُثْمَانَ دَمًا وَخَطَتْ ... إِلَى الزُّبَيْرِ وَلَمْ تَسْتَحْيِ مِنْ عُمَرِ

وَأَوْثَقَتْ فِي عُرَاهَا كُلَّ مُعْتَمِدٍ ... وَأَشْرَقَتْ بِقَذَاهَا كُلَّ مُقْتَدِرِ

وَرَوَّعَتْ كُلَّ مَأْمُونٍ وَمُؤْتَمَنٍ ... وَأَسْلَمَتْ كُلَّ مَنْصُورٍ وَمُنْتَصِرِ

سُحْقًا لِيَوْمِكُمُ يَوْمًا وَلَا حَمَلَتْ ... بِمِثْلِهِ لَيْلَةٌ فِي سَالِفِ الْعُمُرِ
مَنْ لِلْأَسِرَّةِ أَوْ مَنْ لِلْأَعِنَّةِ أَوْ ... مَنْ لِلْأَسِنَّةِ يَهْدِيهَا إِلَى الثُّغَرِ
مَنْ لِلْبَرَاعَةِ أَوْ مَنْ لِلْيَرَاعَةِ أَوْ ... مَنْ لِلسَّمَاحَةِ أَوْ لِلنَّفْعِ وَالضَّرَرِ
أَوْ دَفْعِ كَارِثَةٍ أَوْ قَمْعِ آزِفَةٍ ... أَوْ رَدْعِ حَادِثَةٍ تُعْيِي عَلَى الْقَدَرِ
وَيْبَ السَّمَاحِ وَوَيْبَ الْبَأْسِ لَوْ سَلِمَا ... وَاحَسْرَةَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا عَلَى عُمَرِ
سَقَتْ ثَرَى الْفَضْلِ وَالْعَبَّاسِ هَامِيَةٌ ... تُعْزِي إِلَيْهِمْ سَمَاحًا لَا إِلَى الْمَطَرِ
وَمَرَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ أَطْيَبُهُ ... حَتَّى التَّمَتُّعُ بِالْآصَالِ وَالْبُكَرِ
أَيْنَ الْجَلَالُ الَّذِي عَمَّتْ مَهَابَتُهُ ... قُلُوبَنَا وَعُيُونَ الْأَنْجُمِ الزُّهُرِ
أَيْنَ الْإِبَاءُ الَّذِي أَرْسَوْا قَوَاعِدَهُ ... عَلَى دَعَائِمَ مِنْ عِزٍّ وَمِنْ ظَفَرِ
أَيْنَ الْوَفَاءُ فَقَدْ أَصْفَوْا شَرَائِعَهُ ... فَلَمْ يَرِدْ أَحَدٌ مِنْهُمْ عَلَى كَدَرِ
عَلَى الْفَضَائِلِ إِلَّا الصَّبْرَ بَعْدَهُمُ ... سَلَامُ مُرْتَقِبٍ لِلْأَجْرِ مُنْتَظِرِ
يَرْجُو عَسَى وَلَهُ فِي أُخْتِهَا طَمَعٌ ... وَالدَّهْرُ ذُو عُقَبٍ شَتَّى وَذُو غِيَرِ

٢٣٣ لابن النبيه يرثي ولد الناصر احمد امير المؤمنين

أَلنَّاسُ لِلْمَوْتِ كَخَيْلِ الطِّرَادْ ... فَالسَّابِقُ السَّابِقُ مِنْهَا الْجَوَادْ
وَاللهُ لَا يَدْعُو إِلَى دَارِهِ ... إِلَّا مَنِ اسْتَصْلَحَ مِنْ ذِي الْعِبَادْ
وَالْمَوْتُ نَقَّادٌ عَلَى كَفِّهِ ... جَوَاهِرٌ يَخْتَارُ مِنْهَا الْجِيَادْ
وَالْمَرْءُ كَالظِّلِّ وَلَا بُدَّ أَنْ ... يَزُولَ ذَاكَ الظِّلُّ بَعْدَ امْتِدَادْ
لَا تَصْلُحُ الْأَرْوَاحُ إِلَّا إِذَا ... سَرَى إِلَى الْأَجْسَادِ هٰذَا الْفَسَادْ
أَرْغَمْتَ يَا مَوْتُ أُنُوفَ الْقَنَا ... وَدُسْتَ أَعْنَاقَ السُّيُوفِ الْحِدَادْ

كَيْفَ تَحَرَّمْتَ عَلِيًّا وَمَا ... أَنْجَدَهُ كُلُّ طَوِيلِ النِّجَادْ
نَجْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي ... مِنْ خَوْفِهِ يُرْعَدُ قَلْبُ الْجَمَادْ
مُصِيبَةٌ أَذْكَتْ قُلُوبَ الْوَرَى ... كَأَنَّمَا فِي كُلِّ قَلْبٍ زِنَادْ
نَازِلَةٌ جَلَّتْ فَمِنْ أَجْلِهَا ... سَنَّ بَنُو الْعَبَّاسِ لُبْسَ السَّوَادْ
مَأْتَمَةٌ فِي الْأَرْضِ لٰكِنَّهَا ... عُرْسٌ عَلَى السَّبْعِ الطِّبَاقِ الشِّدَادْ
طَرَقْتَ يَا مَوْتُ كَرِيمًا فَلَمْ ... يَقْنَعْ بِغَيْرِ النَّفْسِ لِلضَّيْفِ زَادْ
قَصَفْتَهُ مِنْ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ... غُصْنًا فَشَلَّتْ يَدُ أَهْلِ الْفَسَادْ
يَا ثَالِثَ السِّبْطَيْنِ خَلَّفْتَنِي ... أَهِيمُ مِنْ هَمِّي فِي كُلِّ وَادْ
يَا نَائِمًا فِي غَمَرَاتِ الرَّدَى ... كَحَلْتَ أَجْفَانِي بِمِيلِ السُّهَادْ
وَيَا ضَجِيعَ التُّرْبِ أَقْلَقْتَنِي ... كَأَنَّمَا فَرْشِي شَوْكُ الْقَتَادْ
دُفِنْتَ فِي التُّرْبِ وَلَوْ أَنْصَفُوا ... مَا كُنْتَ إِلَّا فِي صَمِيمِ الْفُؤَادْ
لَوْ لَمْ تَكُنْ أَسْخَنْتَ عَيْنِي سَقَتْ ... مَثْوَاكَ عَيْنَايَ كَصَوْبِ الْعِهَادْ

٢٣٤ لابي بكر بن عبد الصمد يرثي الخليفة المعتمد بالله

مَلِكَ الْمُلُوكِ أَسَامِعٌ فَأُنَادِي ... أَمْ قَدْ عَدَتْكَ عَنِ السَّمَاعِ عَوَادِ
لَمَّا خَلَتْ مِنْكَ الْقُصُورُ وَلَمْ تَكُنْ ... فِيهَا كَمَا قَدْ كُنْتَ فِي الْأَعْيَادِ
أَقْبَلْتُ فِي هٰذَا الثَّرَى لَكَ خَاضِعًا ... وَتَخِذْتُ قَبْرَكَ مَوْضِعَ الْإِنْشَادِ
قَدْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنْ تُبَدِّدَ أَدْمُعِي ... نِيرَانُ حُزْنٍ أُضْرِمَتْ بِفُؤَادِي
فَإِذَا بِدَمْعِي كُلَّمَا أَجْرَيْتُهُ ... زَادَتْ عَلَيَّ حَرَارَةُ الْأَكْبَادِ
فَالْعَيْنُ فِي التَّسْكَابِ وَالتَّهْتَانِ وَا ... أَحْشَاءُ فِي الْإِحْرَاقِ وَالْإِيقَادِ

يَا أَيُّهَا ٱلْقَمَرُ ٱلْمُنِيرُ أَهٰكَذَا ... يُمْحَى ضِيَاءُ ٱلنَّيِّرِ ٱلْوَقَّادِ
أَفْقَدتَّ عَيْنِي مُذْ فُقِدتَّ إِنَارَةً ... لِحِجَابِهَا فِي ظُلْمَةٍ وَسَوَادِ
مَا كَانَ ظَنِّي قَبْلَ مَوْتِكَ أَنْ أَزُرْ ... قَبْرًا يَضُمُّ شَوَامِخَ ٱلْأَطْوَادِ
أَلْهَضْبَةُ ٱلشَّمَّاءُ تَحْتَ ضَرِيحِهِ ... وَٱلْبَحْرُ ذُو ٱلتَّيَّارِ وَٱلْأَزْبَادِ
عَهْدِي بِمَلْكٍ وَهْوَ طَلْقٌ ضَاحِكٌ ... مُتَهَلِّلُ ٱلصَّفَحَاتِ لِلْقُصَّادِ
أَيَّامَ يَخْفِقُ حَوْلَكَ ٱلرَّايَاتُ فَوْ ... قَ كَتَائِبِ ٱلرُّؤَسَاءِ وَٱلْأَجْنَادِ
وَٱلْأَمْرُ أَمْرُكَ وَٱلزَّمَانُ مُبَشِّرٌ ... بِمَمَالِكٍ قَدْ أَذْعَنَتْ وَبِلَادِ
وَٱلْخَيْلُ تَمْرَحُ وَٱلْفَوَارِسُ تَنْحَنِي ... بَيْنَ ٱلصَّوَارِمِ وَٱلْقَنَا ٱلْمُيَّادِ

٢٣٥ للمفتي ابي السعود يرثي السلطان سليمان

أَصَوْتُ صَاعِقَةٍ أَمْ نَفْخَةُ ٱلصُّورِ ... فَٱلْأَرْضُ قَدْ مُلِئَتْ مِنْ نَقْرِ نَاقُورِ
أَصَابَ مِنْهَا ٱلْوَرَى دَهْيَاءَ دَاهِيَةً ... وَذَاقَ مِنْهَا ٱلْبَرَايَا صَعْقَةَ ٱلطُّورِ
تَصَدَّعَتْ قُلَلُ ٱلْأَطْوَادِ وَٱرْتَعَدَتْ ... كَأَنَّهَا قَلْبُ مَرْعُوبٍ وَمَذْعُورِ
أَتَى بِوَجْهِ نَهَارٍ لَا ضِيَاءَ لَهُ ... كَأَنَّهُ غَارَةٌ شُنَّتْ بِدَيْجُورِ
أَمْ ذَاكَ نَعْيُ سُلَيْمَانِ ٱلزَّمَانِ وَمَنْ ... قَضَتْ أَوَامِرُهُ فِي كُلِّ مَأْمُورِ
مَدَارِ سَلْطَنَةِ ٱلدُّنْيَا وَمَرْكَزِهَا ... خَلِيفَةِ ٱللهِ فِي ٱلْآفَاقِ مَذْكُورِ
مُعْلِي مَعَالِمِ دِينِ ٱللهِ مُظْهِرِهَا ... فِي ٱلْعَالَمِينَ بِسَعْيٍ مِنْهُ مَشْكُورِ
وَحُسْنِ رَأْيٍ إِلَى ٱلْخَيْرَاتِ مُنْصَرِفٍ ... وَصِدْقِ عَزْمٍ عَلَى ٱلْأَلْطَافِ مَقْصُورِ
بِآيَةِ ٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ مُمْتَثِلٍ ... بِغَايَةِ ٱلْقِسْطِ وَٱلْإِنْصَافِ مَوْفُورِ
مُجَاهِدٍ فِي سَبِيلِ ٱللهِ مُجْتَهِدٍ ... مُؤَيَّدٍ مِنْ جَنَابِ ٱلْقُدْسِ مَنْصُورِ

بِرَايَةٍ رُفِعَتْ لِلْمَجْدِ خَافِقَةٍ ... تَحْوِي عَلَى عَلَمٍ بِٱلنَّصْرِ مَنْشُورِ
وَعَسْكَرٍ مَلَأَ ٱلْآفَاقَ مُحْتَشِدٍ ... مِنْ كُلِّ قُطْرٍ مِنَ ٱلْأَقْطَارِ مَحْشُورِ
يَا نَفْسُ مَالَكِ فِي ٱلدُّنْيَا مُخَلَّفَةً ... مِنْ بَعْدِ رِحْلَتِهِ عَنْ هٰذِهِ ٱلدُّورِ
وَكَيْفَ تَمْشِينَ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ غَافِلَةً ... أَلَيْسَ جُثْمَانُهُ فِيهَا بِمَقْبُورِ
حَقٌّ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ أَسًى ... لٰكِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ غَيْرُ مَقْدُورِ
يَا نَفْسُ فَٱتَّئِدِي لَا تَهْلِكِي أَسَفًا ... فَأَنْتِ مَنْظُومَةٌ فِي سِلْكِ مَعْذُورِ
إِذْ لَسْتِ مَأْمُورَةً بِٱلْمُسْتَحِيلِ وَلَا ... بِمَا سِوَى بَذْلِ مَجْهُودٍ وَمَيْسُورِ
إِنَّ ٱلْمَنَايَا وَإِنْ عَمَّتْ مُحَرَّمَةٌ ... عَلَى شَهِيدٍ جَمِيلِ ٱلْحَالِ مَبْرُورِ
إِبْتَاعَ سَلْطَنَةَ ٱلْعُقْبَى بِسَلْطَنَةِ ٱلدُّنْيَا فَأَعْظِمْ بِرِبْحٍ غَيْرِ مَحْصُورِ
بَلْ حَازَ كِلْتَيْهِمَا إِذْ حَلَّ مَنْزِلَهُ ... مَنْ لَمْ يُغَايِرْهُ فِي أَمْرٍ وَمَأْمُورِ
فَإِنَّهُ عَيْنُهُ فِي كُلِّ مَأْثُرَةٍ ... وَكُلِّ أَمْرٍ عَظِيمِ ٱلشَّانِ مَأْثُورِ
أَضْحَى بِقَبْضَتِهِ ٱلدُّنْيَا بِرُمَّتِهَا ... مَا كَانَ مِنْ مُجْمَلٍ مِنْهَا وَمَعْمُورِ
سُبْحَانَ مِنْ مَلِكٍ جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ ... عَنِ ٱلْبَيَانِ بِمَنْظُومٍ وَمَنْثُورِ
لَا زَالَ أَحْكَامُهُ بِٱلْعَدْلِ جَارِيَةً ... بَيْنَ ٱلْبَرِيَّةِ حَتَّى نَفْخَةِ ٱلصُّورِ

٢٣٦ لابي البقاء صالح بن شريف الرندي يرثي الاندلس

لِكُلِّ شَيْءٍ إِذَا مَا تَمَّ نُقْصَانُ ... فَلَا يُغَرَّ بِطِيبِ ٱلْعَيْشِ إِنْسَانُ
هِيَ ٱلْأُمُورُ كَمَا شَاهَدْتَهَا دُوَلٌ ... مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءَتْهُ أَزْمَانُ
وَهٰذِهِ ٱلدَّارُ لَا تُبْقِي عَلَى أَحَدٍ ... وَلَا يَدُومُ عَلَى حَالٍ لَهَا شَانُ
يُمَزِّقُ ٱلدَّهْرُ حَتْمًا كُلَّ سَابِغَةٍ ... إِذَا نَبَتْ مَشْرَفِيَّاتٌ وَخُرْصَانُ

وَيَنْتَضِي كُلَّ سَيْفٍ لِلْفَنَاءِ وَلَوْ ... كَانَ ابْنَ ذِي يَزَنٍ وَالْغِمْدُ غُمْدَانُ

أَيْنَ الْمُلُوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ ... وَأَيْنَ مِنْهُمْ أَكَالِيلٌ وَتِيجَانُ

وَأَيْنَ مَا شَادَهُ شَدَّادُ فِي إِرَمٍ ... وَأَيْنَ مَا سَاسَهُ فِي الْفُرْسِ سَاسَانُ

وَأَيْنَ مَا حَازَهُ قَارُونُ مِنْ ذَهَبٍ ... وَأَيْنَ عَادٌ وَشَدَّادٌ وَقَحْطَانُ

أَتَى عَلَى الْكُلِّ أَمْرٌ لَا مَرَدَّ لَهُ ... حَتَّى قَضَوْا فَكَأَنَّ الْقَوْمَ مَا كَانُوا

وَصَارَ مَا كَانَ مِنْ مُلْكٍ وَمِنْ مَلِكٍ ... كَمَا حَكَى عَنْ خَيَالِ الطَّيْفِ وَسْنَانُ

دَارَ الزَّمَانُ عَلَى دَارَا وَقَاتِلِهِ ... وَأَمَّ كِسْرَى فَمَا آوَاهُ إِيوَانُ

كَأَنَّمَا الصَّعْبُ لَمْ يَسْهُلْ لَهُ سَبَبٌ ... يَوْمًا وَلَمْ يَمْلِكِ الدُّنْيَا سُلَيْمَانُ

فَجَائِعُ الدَّهْرِ أَنْوَاعٌ مُنَوَّعَةٌ ... وَلِلزَّمَانِ مَسَرَّاتٌ وَأَحْزَانُ

وَلِلْحَوَادِثِ سُلْوَانٌ يُسَهِّلُهَا ... وَمَا لِمَا حَلَّ بِالْإِسْلَامِ سُلْوَانُ

دَهَى الْجَزِيرَةَ أَمْرٌ لَا عَزَاءَ لَهُ ... هَوَى لَهُ أُحُدٌ وَانْهَدَّ ثَهْلَانُ

أَصَابَهَا الْعَيْنُ فِي الْإِسْلَامِ فَارْتَزَأَتْ ... حَتَّى خَلَتْ مِنْهُ أَقْطَارٌ وَبُلْدَانُ

فَاسْأَلْ بَلَنْسِيَةً مَا شَأْنُ مُرْسِيَةٍ ... وَأَيْنَ شَاطِبَةٌ أَمْ أَيْنَ جَيَّانُ

وَأَيْنَ قُرْطُبَةُ دَارُ الْعُلُومِ فَكَمْ ... مِنْ عَالِمٍ قَدْ سَمَا فِيهَا لَهُ شَانُ

وَأَيْنَ حِمْصُ وَمَا تَحْوِيهِ مِنْ نُزَهٍ ... وَنَهْرُهَا الْعَذْبُ فَيَّاضٌ وَمَلْآنُ

قَوَاعِدٌ كُنَّ أَرْكَانَ الْبِلَادِ فَمَا ... عَسَى الْبَقَاءُ إِذَا لَمْ تَبْقَ أَرْكَانُ

تَبْكِي الْحَنِيفِيَّةُ الْبَيْضَاءُ مِنْ أَسَفٍ ... كَمَا بَكَى لِفِرَاقِ الْإِلْفِ هَيْمَانُ

عَلَى دِيَارٍ مِنَ الْإِسْلَامِ خَالِيَةٍ ... قَدْ أَقْفَرَتْ وَلَهَا بِالْكُفْرِ عُمْرَانُ

حَيْثُ الْمَسَاجِدُ قَدْ صَارَتْ كَنَائِسَ مَا ... فِيهِنَّ إِلَّا نَوَاقِيسٌ وَصُلْبَانُ

حَتَّى الْمَحَارِيبُ تَبْكِي وَهْيَ جَامِدَةٌ ... حَتَّى الْمَنَابِرُ تَرْثِي وَهْيَ عِيدَانُ

يَا غَافِلًا وَلَهُ فِي الدَّهْرِ مَوْعِظَةٌ ... إِنْ كُنْتَ فِي سِنَةٍ فَالدَّهْرُ يَقْظَانُ

وَمَاشِيًا مَرِحًا يُلْهِيهِ مَوْطِنُهُ ... أَبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرُّ الْمَرْءَ أَوْطَانُ

تِلْكَ الْمُصِيبَةُ أَنْسَتْ مَا تَقَدَّمَهَا ... وَمَا لَهَا مَعَ طُولِ الدَّهْرِ نِسْيَانُ

يَا رَاكِبِينَ عِتَاقَ الْخَيْلِ ضَامِرَةً ... كَأَنَّهَا فِي مَجَالِ السَّبْقِ عُقْبَانُ

وَحَامِلِينَ سُيُوفَ الْهِنْدِ مُرْهَفَةً ... كَأَنَّهَا فِي ظَلَامِ النَّقْعِ نِيرَانُ

وَرَاتِعِينَ وَرَاءَ الْبَحْرِ فِي دَعَةٍ ... لَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ عِزٌّ وَسُلْطَانُ

أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ مِنْ أَهْلِ أَنْدَلُسٍ ... فَقَدْ سَرَى بِحَدِيثِ الْقَوْمِ رُكْبَانُ

كَمْ يَسْتَغِيثُ صَنَادِيدُ الرِّجَالِ وَهُمْ ... قَتْلَى وَأَسْرَى فَمَا يَهْتَزُّ إِنْسَانُ

مَاذَا التَّقَاطُعُ فِي الْإِسْلَامِ بَيْنَكُمُ ... وَأَنْتُمُ يَا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانُ

أَلَا نُفُوسٌ أَبِيَّاتٌ لَهَا هِمَمٌ ... أَمَا عَلَى الْخَيْرِ أَنْصَارٌ وَأَعْوَانُ

يَا مَنْ لِذِلَّةِ قَوْمٍ بَعْدَ عِزِّهِمِ ... أَحَالَ حَالَهُمُ جَوْرٌ وَطُغْيَانُ

بِالْأَمْسِ كَانُوا مُلُوكًا فِي مَنَازِلِهِمْ ... وَالْيَوْمَ هُمْ فِي بِلَادِ الْكُفْرِ عُبْدَانُ

فَلَوْ تَرَاهُمْ حَيَارَى لَا دَلِيلَ لَهُمْ ... عَلَيْهِمِ مِنْ ثِيَابِ الذُّلِّ أَلْوَانُ

وَلَوْ رَأَيْتَ بُكَاهُمْ عِنْدَ بَيْعِهِمِ ... لَهَالَكَ الْأَمْرُ وَاسْتَهْوَتْكَ أَحْزَانُ

يَا رُبَّ أُمٍّ وَطِفْلٍ حِيلَ بَيْنَهُمَا ... كَمَا تُفَرَّقُ أَرْوَاحٌ وَأَبْدَانُ

وَطِفْلَةٍ مِثْلِ حُسْنِ الشَّمْسِ إِذْ طَلَعَتْ ... كَأَنَّمَا هِيَ يَاقُوتٌ وَمَرْجَانُ

يَقُودُهَا الْعِلْجُ عِنْدَ السَّبْيِ مُكْرَهَةً ... وَالْعَيْنُ بَاكِيَةٌ وَالْقَلْبُ حَيْرَانُ

لِمِثْلِ هٰذَا يَذُوبُ الْقَلْبُ مِنْ كَمَدٍ ... إِنْ كَانَ فِي الْقَلْبِ إِسْلَامٌ وَإِيمَانُ

أَلْبَابُ الرَّابِعَ عَشَرَ
فِي الْفَخْرِ

٢٣٧ قَالَ الْمُهَلْهِلُ:

إِنَّا بَنُو تَغْلِبٍ شُمٌّ مَعَاطِسُنَا ... بِيضُ الْوُجُوهِ إِذَا مَا أَفْزَعَ الْبَلَدُ
قَوْمٌ إِذَا عَاهَدُوا وَفَّوْا وَإِنْ عَقَدُوا ... شَدُّوا وَإِنْ شَهِدُوا يَوْمَ الْوَغَى اجْتَهَدُوا
وَإِنْ دَعَوْتَهُمُ يَوْمًا لِمَكْرُمَةٍ ... جَاءُوا سِرَاعًا وَإِنْ قَامَ الْحُنَى قَعَدُوا
لَا يَرْقُدُونَ عَلَى وِتْرٍ يَكُونُ لَهُمْ ... وَإِنْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ وِتْرُ الْعِدَى رَقَدُوا

٢٣٨ قَالَ الْحُصَيْنُ بْنُ الْحُمَامِ الْمُرِّيُّ:

تَأَخَّرْتُ أَسْتَبْقِي الْحَيَاةَ فَلَمْ أَجِدْ ... لِنَفْسِي حَيَاةً مِثْلَ أَنْ أَتَقَدَّمَا
فَسَمْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تُدْمَى كُلُومُنَا ... وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدِّمَا
نُفَلِّقُ هَامًا مِنْ رِجَالٍ أَعِزَّةٍ ... عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعَقَّ وَأَظْلَمَا

٢٣٩ قَالَ الطِّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ:

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنَّنِي ... بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ امْرِئٍ غَيْرِ طَائِلِ
وَأَنِّي شَقِيٌّ بِاللِّئَامِ وَلَا تَرَى ... شَقِيًّا بِهِمْ إِلَّا كَرِيمَ الشَّمَائِلِ
إِذَا مَا رَآنِي قَطَّعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ ... وَبَيْنِي فِعْلَ الْعَارِفِ الْمُتَجَاهِلِ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَأَنَّهَا ... مِنَ الضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةُ حَابِلِ
أَكُلُّ امْرِئٍ أَلْقَى أَبَاهُ مُقَصِّرًا ... مُعَادٍ لِأَهْلِ الْمَكْرُمَاتِ الْأَوَائِلِ
إِذَا ذُكِرَتْ مَسْعَاةُ وَالِدِهِ اضْطَغَى ... وَلَا يَضْطَغِي مِنْ شَتْمِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ

وَمَا مُنِعَتْ دَارٌ وَلَا عَزَّ أَهْلُهَا ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا بِالْقَنَا وَالْقَنَابِلِ

٢٤٠ قَالَ الْأَدِيبُ الْأَبِيوَرْدِيُّ فِي الْفَخْرِ:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَبْغِي مَدَايَ وَقَدْ رَأَى ... مَسَاحِبَ ذَيْلِي فَوْقَ هَامِ الْفَرَاقِدِ
وَلِي نَسَبٌ فِي الْحَيِّ عَالٍ يَفَاعُهُ ... رَحِيبُ مَسَارِي الْعِرْقِ زَاكِي الْمَحَافِدِ
وَفِيَّ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي لَوْ ذَكَرْتُهُ ... كَفَانِيَ أَنْ أُزْهَى بِجَدٍّ وَوَالِدِ
وَرِثْنَا الْعُلَى وَهْيَ الَّتِي خُلِقَتْ لَنَا ... وَنَحْنُ خُلِقْنَا لِلْعُلَى وَالْمَحَامِدِ
أَبًا فَأَبًا مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ وَهَكَذَا ... إِلَى آدَمٍ لَمْ يَنْمِنَا غَيْرُ مَاجِدِ

٢٤١ وَقَالَ أَيْضًا:

لَوَيْتُ عَلَى الرُّمْحِ الرُّدَيْنِيِّ مِعْصَمَا ... وَزُرْتُ الْعِدَى وَالْحَرْبُ فَاغِرَةٌ فَمَا
وَقَدْ زَعَمُوا أَنِّي أُلِينُ عَرِيكَتِي ... لَهُمْ إِذْ تَوَسَّطْتُ الْخَصَاصَةَ مُعْدِمَا
أَمَا عَلِمُوا أَنِّي وَإِنْ كُنْتُ مُقْتِرًا ... أُرَوِّي مِنَ الْقِرْنِ الْحُسَامَ الْمُصَمِّمَا
وَيَشْرُقُ وَجْهِي حِينَ يُنْسَبُ وَالِدِي ... وَتَلْقَى عَلَيْهِ لِلسِّيَادَةِ مِيسَمَا
وَإِنْ ذَكَرُوا آبَاءَهُمْ فَوُجُوهُهُمْ ... تُشَبِّهُهَا قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمَا
وَلِلْفَقْرِ خَيْرٌ مِنْ أَبٍ ذِي دَنَاءَةٍ ... إِذَا هُزَّ لِلْفَخْرِ ابْنُهُ عَادَ مُفْحَمَا
مَتَى حَصَلَتْ أَنْسَابُ قَيْسٍ وَخِنْدِفٍ ... فَلِي مِنْ رَوَابِيهِنَّ أَشْرَفُ مُنْتَمَى
وَإِنْ نُشِرَتْ مِنْهَا صَحِيفَةُ نَاسِبٍ ... رَأَيْتَ بُدُورًا مِنْ جُدُودِي وَأَنْجُمَا
لَهُمْ أَوْجُهٌ عِنْدَ الْفَخَارِ يَزِينُهَا ... عَرَانِينُ مَا شَمَّتْ هَوَانًا وَمَرْغَمَا
لِيَقْصِدَ مَسَّ الضَّغْنِ فِينَا بِذَرْعِهِ ... وَلَا يَسْتَثِرْ مِنَّا بِوَادِيهِ ضَيْغَمَا
فَإِنَّ الْمَنَايَا حِينَ يَضْمُرْنَ غُلَّةً ... لَيَلْعَقْنَ مِنْ أَطْرَافِ أَرْمَاحِنَا الدَّمَا

٢٤٢ وقال أيضاً متحمّساً:

أَلنَّاسُ مِنْ خَوْلِي وَالدَّهْرُ مِنْ خَدَمِي ... وَقِمَّةُ النَّجْمِ عِنْدِي مَوْطِئُ الْقَدَمِ

وَلِلْبَيَانِ لِسَانِي وَالنَّدَى خَضِلٌ ... بِهِ يَدِي وَالْعُلَى يُخْلَقْنَ مِنْ شِيَمِي

وَالنَّسْرُ يَتْبَعُ سَيْفِي حِينَ يَلْحَظُهُ ... وَالدَّهْرُ يُنْشِدُ مَا يَهْمِي بِهِ قَلَمِي

فَأَيْنَ مِثْلُ أَبِي فِي الْعُرْبِ قَاطِبَةً ... وَمَنْ كَخَالِي فِي صُيَّابَةِ الْعَجَمِ

لَوْ صِيغَتِ الْأَرْضُ لِي دُونَ الْوَرَى ذَهَبًا ... لَمْ تَرْضَهَا لِمُرَجِّي نَائِلٍ هِمَمِي

وَعَنْ قَلِيلٍ أَرَى فِي مَأْزِقٍ حَرِجٍ ... بِهِ تُشَامُ السُّرَيْجِيَّاتُ فِي اللِّقَمِ

وَالْبِيضُ مُرْدَفَةٌ تَبْدُو خَلَاخِلُهَا ... فِي مَسْلَكٍ وَحِلٍ مِنْ عَبْرَةٍ وَدَمِ

فَالْمَجْدُ فِي صَهَوَاتِ الْخَيْلِ مَطْلَبُهُ ... وَالْعِزُّ فِي ظُبَةِ الصَّمْصَامَةِ الْخَذِمِ

٢٤٣ قال المتنبّئ في صباه على لسان بعض التنوخيّين:

قُضَاعَةُ تَعْلَمُ أَنِّي الْفَتَى الَّذِي ادَّخَرَتْ لِصُرُوفِ الزَّمَانِ

وَمَجْدِي يَدُلُّ بَنِي خِنْدِفٍ ... عَلَى أَنَّ كُلَّ كَرِيمٍ يَمَانِي

أَنَا ابْنُ اللِّقَاءِ أَنَا ابْنُ السَّخَاءِ ... أَنَا ابْنُ الضِّرَابِ أَنَا ابْنُ الطِّعَانِ

أَنَا ابْنُ الْفَيَافِي أَنَا ابْنُ الْقَوَافِي ... أَنَا ابْنُ السُّرُوجِ أَنَا ابْنُ الرِّعَانِ

طَوِيلُ النِّجَادِ طَوِيلُ الْعِمَادِ ... طَوِيلُ الْقَنَاةِ طَوِيلُ السِّنَانِ

حَدِيدُ الْحِفَاظِ حَدِيدُ اللِّحَاظِ ... حَدِيدُ الْحُسَامِ حَدِيدُ الْجَنَانِ

يُسَابِقُ سَيْفِي مَنَايَا الْعِبَادِ ... إِلَيْهِمْ كَأَنَّهُمَا فِي رِهَانِ

يَرَى حَدُّهُ غَامِضَاتِ الْقُلُوبِ ... إِذَا كُنْتُ فِي هَبْوَةٍ لَا أَرَانِي

سَأَجْعَلُهُ حَكَمًا فِي النُّفُوسِ ... وَلَوْ نَابَ عَنْهُ لِسَانِي كَفَانِي

٢٤٤ قال عنترة يتوعّد النعمان بن المنذر ملك العرب ويفتخر بقوله:

لَا يَحْمِلُ الْحِقْدَ مَنْ تَعْلُو بِهِ الرُّتَبُ ... وَلَا يَنَالُ الْعُلَى مَنْ طَبْعُهُ الْغَضَبُ

لِلّٰهِ دَرُّ بَنِي عَبْسٍ لَقَدْ نَسَلُوا ... مِنَ الْأَكَارِمِ مَا قَدْ تَنْسُلُ الْعَرَبُ

قَدْ كُنْتُ فِيمَا مَضَى أَرْعَى جِمَالَهُمُ ... وَالْيَوْمَ أَحْمِي حِمَاهُمْ كُلَّمَا نُكِبُوا

لَئِنْ يَعِيبُوا سَوَادِي فَهْوَ لِي نَسَبٌ ... يَوْمَ النِّزَالِ إِذَا مَا فَاتَنِي النَّسَبُ

إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ يَا نُعْمَانُ أَنَّ يَدِي ... قَصِيرَةٌ عَنْكَ فَالْأَيَّامُ تَنْقَلِبُ

إِنَّ الْأَفَاعِيَ وَإِنْ لَانَتْ مَلَامِسُهَا ... عِنْدَ التَّقَلُّبِ فِي أَنْيَابِهَا الْعَطَبُ

أَلْيَوْمَ تَعْلَمُ يَا نُعْمَانُ أَيُّ فَتًى ... يَلْقَى أَخَاكَ الَّذِي قَدْ غَرَّهُ الْعُصُبُ

فَتًى يَخُوضُ غُبَارَ الْحَرْبِ مُبْتَسِمًا ... وَيَثْنِي وِسِنَانُ الرُّمْحِ مُخْتَضِبُ

إِنْ سَلَّ صَارِمَهُ سَالَتْ مَضَارِبُهُ ... وَأَشْرَقَ الْجَوُّ وَانْشَقَّتْ لَهُ الْحُجُبُ

وَالْخَيْلُ تَشْهَدُ لِي أَنِّي أُكَفْكِفُهَا ... وَالطَّعْنُ مِثْلَ شَرَارِ النَّارِ يَلْتَهِبُ

إِذَا الْتَقَيْتُ الْأَعَادِي يَوْمَ مَعْرَكَةٍ ... تَرَكْتُ جَمْعَهُمُ الْمَغْرُورَ يَلْتَهِبُ

لِيَ النُّفُوسُ وَلِلطَّيْرِ اللُّحُومُ وَلِلْـ ... ـوَحْشِ الْعِظَامُ وَلِلْخَيَّالَةِ السَّلَبُ

لَا أَبْعَدَ اللّٰهُ عَنْ عَيْنِي غَطَارِفَةً ... إِنْسًا إِذَا نَزَلُوا جِنًّا إِذَا رَكِبُوا

أُسُودُ غَابٍ وَلٰكِنْ لَا ثُيُوبَ لَهُمْ ... إِلَّا الْأَسِنَّةُ وَالْهِنْدِيَّةُ الْقُضُبُ

تَعْدُو بِهِمْ أَعْوَجِيَّاتٌ مُضَمَّرَةٌ ... مِثْلَ السَّرَاحِينِ فِي أَعْنَاقِهَا الْقَبَبُ

مَا زِلْتُ أَلْقَى صُدُورَ الْخَيْلِ مُنْدَفِقًا ... بِالطَّعْنِ حَتَّى يَضِجَّ السَّرْجُ وَاللَّبَبُ

فَالْعُمْيُ لَوْ كَانَ فِي أَجْفَانِهِمْ نَظَرُوا ... وَالْخُرْسُ لَوْ كَانَ فِي أَفْوَاهِهِمْ خَطَبُوا

وَالنَّقْعُ يَوْمَ طِرَادِ الْخَيْلِ يَشْهَدُ لِي ... وَالضَّرْبُ وَالطَّعْنُ وَالْأَقْلَامُ وَالْكُتُبُ

٢٤٥ وقال في إغارته على بني حريقة :

حكّم سيوفك في رقاب العذّل ... وإذا نزلت بدار ذلّ فارحل
وإذا الجبان نهاك يوم كريهة ... خوفًا عليك من ازدحام المجفل
فاعص مقالته ولا تحفل بها ... واقدم إذا حقّ اللقا في الأوّل
واختر لنفسك منزلًا تعلو به ... أو مت كريمًا تحت ظلّ القسطل
إن كنت في عدد العبيد فهمّتي ... فوق الثريّا والسماك الأعزل
أو أنكرت فرسان عبس نسبتي ... فسنان رمحي والحسام يقرّ لي
وبذابلي ومهنّدي نلت العلى ... لا بالقرابة والعديد الأجزل
ورميت مهري في العجاج فخاضه ... والنار تقدح من شفار الأنصل
خاض العجاج محجّلًا حتّى إذا ... شهد الوقيعة عاد غير محجّل
ولقد نكبت بني حريقة نكبة ... لمّا طعنت صميم قلب الأخيل
وقتلت فارسهم ربيعة عنوة ... والهيذبان وجابر بن مهلهل
لا تسقني ماء الحياة بذلّة ... بل فاسقني بالعزّ كأس الحنظل
ماء الحياة بذلّة كجهنّم ... وجهنّم بالعزّ أطيب منزل

٢٤٦ وقال أيضًا :

أليوم أسعرها حربًا تذلّ لها ... كلّ الجبابرة الماضين في الحقب
وأترك الدّم يجري من غلاصمهم ... إذا علوت رؤوس القوم بالقضب
كم سيّد إذ رآني حين أطلبه ... ألقى السلاح وغرّ النفس للهرب
أنا الشجاع لنار الحرب أضرمها ... وأرتمي القوم بالإرغام والعطب

والموت يفزع منّي في الهياج إذا ... ثار العجاج وصار النقع كاللهب
وراحتي في لقا الأبطال إن طعنت ... زرق الأسنّة للأقران من كثب
كم قسطل خضته لم أخش غائلة ... وساحة الحرب قصدي وهي لي طلبي
لأفعلنّ فعالًا لا مثال لها ... فعلًا يؤرّخ في الأوراق والكتب
وأصطليها يقينًا والبحار دم ... لأنّ في موجها يزداد لي طربي
وأجعل الجوّ كالليل البهيم إذا ... ثار الغبار على الأقطار كالحجب
وليس لي مؤنس في كلّ معركة ... إلّا الجواد وسيفي يشتكي غضبي

٢٤٧ روى أبو حاتم عن أبي عُبيدة قال : كان عبد الملك بن مروان في سمره مع أهل بيته وولده وخاصّته فقال لهم : ليقل كلّ واحد منكم أحسن ما قيل من الشعر وليفصل رأي تفضيله . فأنشدوا وفضّلوا . فقال بعضهم : النابغة . وقال بعضهم : الأعشى . فلمّا فرغوا قال : أشعر من هولاء الذي يقول . وأنشد لمعن بن أوس :

وذي رحم قلّمت أظفار ضغنه ... بحلمي عنه وهو ليس له حلم
يحاول رغمي لا يحاول غيره ... وكالموت عندي أن يحلّ به الرّغم
فإن أعف عنه أغض عينًا على قذى ... وليس له بالصّفح عن ذنبه علم
وإن أنتصر منه أكن مثل رائش ... سهام عدوّ يستهاض به العظم
صبرت على ما كان بيني وبينه ... وما يستوي حرب الأقارب والسلم
وبادرت منه النّأي والمرء قادر ... على سهمه ما كان يمكنه السّهم
ويشتمني عرضي في مغيبي جاهدًا ... وليس له عندي هوان ولا شتم
إذا سمته وصل القرابة سامني ... قطيعتها تلك السّفاهة والإثم
وإن أدعه للنّصف يأب إجابتي ... ويدع لحكم جائر غيره الحكم

فَلَوْلَا اتِّقَاءُ اللهِ وَالرَّحِمِ الَّتِي ... رِعَايَتُهَا حَقٌّ وَتَعْطِيلُهَا ظُلْمُ
إِذًا لَعَلَاهُ بَارِقٌ وَخَطَمْتُهُ ... بِوَسْمِ شَنَارٍ لَا يُشَابِهُهُ وَسْمُ
وَيَسْعَى إِذَا أَبْنِي لِهَدْمِ مَصَالِحِي ... وَلَيْسَ الَّذِي يَبْنِي كَمَنْ شَأْنُهُ الْهَدْمُ
يَوَدُّ لَوَ انِّي مُعْدِمٌ ذُو خَصَاصَةٍ ... وَأَكْرَهُ جَهْدِي أَنْ يُخَالِطَهُ الْعُدْمُ
فَمَا زِلْتُ فِي لِينِي لَهُ وَتَعَطُّفِي ... عَلَيْهِ كَمَا تَحْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأُمُّ
وَخَفْضِي لَهُ مِنِّي الْجَنَاحَ تَأَلُّفًا ... لِتُدْنِيَهُ مِنِّي الْقَرَابَةُ وَالرَّحْمُ
وَصَبْرِي عَلَى أَشْيَاءَ مِنْهُ تُرِيبُنِي ... وَكَظْمِي عَلَى غَيْظِي وَقَدْ يَنْفَعُ الْكَظْمُ
لِأَسْتَلَّ عَنْهُ الضِّغْنَ حَتَّى سَلَلْتُهُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا ضِغْنٍ يُصَوِّبُهُ الْحَزْمُ
رَأَيْتُ انْثِلَامًا بَيْنَنَا فَرَقَعْتُهُ ... بِرِفْقِي أَحْيَانًا وَقَدْ يُرْقَعُ الثَّلْمُ
وَأَبْرَأْتُ غِلَّ الصَّدْرِ مِنْهُ تَوَسُّعًا ... بِحِلْمِي كَمَا يَشْفِي بِأَدْوِيَةٍ سَقْمُ
فَأَطْفَأْتُ نَارَ الْحَرْبِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ... فَأَصْبَحَ بَعْدَ الْحَرْبِ وَهْوَ لَنَا سِلْمُ

٢٤٨ قَالَ عَنْتَرَةُ:

أَحِنٌّ إِلَى ضَرْبِ السُّيُوفِ الْقَوَاضِبِ ... وَأَصْبُو إِلَى طَعْنِ الرِّمَاحِ اللَّوَاعِبِ
وَأَشْتَاقُ كَاسَاتِ الْمَنُونِ إِذَا صَفَتْ ... وَدَارَتْ عَلَى رَاسِي سِهَامُ الْمَصَائِبِ
وَيُطْرِبُنِي وَالْخَيْلُ تَعْثُرُ بِالْقَنَا ... حُدَاةُ الْمَنَايَا وَارْتِهَاجُ الْمَوَاكِبِ
وَضَرْبٌ وَطَعْنٌ تَحْتَ ظِلِّ عَجَاجَةٍ ... كَفَخِّ الدُّحَى مِنْ وَقْعِ أَيْدِي السَّلَاهِبِ
تَطِيرُ رُؤُوسُ الْقَوْمِ تَحْتَ ظَلَامِهَا ... وَتَنْقَضُّ فِيهَا كَالنُّجُومِ الثَّوَاقِبِ
وَتَلْمَعُ فِيهَا الْبِيضُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ... كَلَمْعِ بُرُوقٍ فِي ظَلَامِ الْغَيَاهِبِ
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَجْدَ وَالْفَخْرَ وَالْعُلَى ... وَنَيْلَ الْأَمَانِي وَارْتِفَاعَ الْمَرَاتِبِ

لِمَنْ يَلْتَقِي أَبْطَالَهَا وَسَرَاتَهَا ... بِقَلْبٍ صَبُورٍ عِنْدَ وَقْعِ الْمَضَارِبِ
وَيَبْنِي بِحَدِّ السَّيْفِ مَجْدًا مُشَيَّدًا ... عَلَى فَلَكِ الْعَلْيَاءِ فَوْقَ الْكَوَاكِبِ
وَمَنْ لَمْ يُرَوِّي رُمْحُهُ مِنْ دَمِ الْعِدَى ... إِذَا اشْتَبَكَتْ سُمْرُ الْقَنَا بِالْقَوَاضِبِ
وَيُعْطِي الْقَنَا الْخَطِّيَّ فِي الْحَرْبِ حَقَّهُ ... وَيَبْرِي بِحَدِّ السَّيْفِ عَرْضَ الْمَنَاكِبِ
يَعِيشُ كَمَا عَاشَ الذَّلِيلُ بِغُصَّةٍ ... وَإِنْ مَاتَ لَا يُجْرِي دُمُوعَ النَّوَادِبِ
فَضَائِلُ عَزْمٍ لَا تُبَاعُ لِضَارِعٍ ... وَأَسْرَارُ حَزْمٍ لَا تُذَاعُ لِعَائِبِ
بَرَزْتُ بِهَا دَهْرًا عَلَى كُلِّ حَادِثٍ ... وَلَا كُحِّلَ إِلَّا مِنْ غُبَارِ الْكَتَائِبِ
إِذَا كَذَبَ الْبَرْقُ اللَّمُوعُ لِشَائِمٍ ... فَبَرْقُ حُسَامِي صَادِقٌ غَيْرُ كَاذِبِ

٢٤٩ قَالَ أَبُو بُجَيْرٍ الْحَارِثُ بْنُ عُبَادٍ:

سَلْ حَيَّ تَغْلِبَ عَنْ بَكْرٍ وَوَقْعَتِهِمْ ... بِالْخِنْوِ إِذْ خَسِرُوا جَهْرًا وَمَا رَشَدُوا
فَأَقْبَلُوا بِجَنَاحَيْهِمْ يَلُفُّهُمَا ... مِنَّا جَنَاحَانِ عِنْدَ الصُّبْحِ فَاطَّرَدُوا
فَأَصْبَحُوا ثَمَّ صُفُّوا دُونَ بَيْضِهِمِ ... وَأَبْرَقُوا سَاعَةً مِنْ بَعْدِ مَا رَعَدُوا
وَأَيْقَنُوا أَنَّ شَيْبَانًا وَإِخْوَتَهُمْ ... قَيْسًا وَذُهْلًا وَتَيْمَ اللَّاتِ قَدْ رَصَدُوا
وَيَشْكُرٌ وَبَنُو عِجْلٍ وَإِخْوَتُهُمْ ... بَنُو حَنِيفَةَ لَا يُحْصَى لَهُمْ عَدَدُ
ثُمَّ الْتَقَيْنَا وَنَارُ الْحَرْبِ سَاطِعَةٌ ... وَسَمْهَرِيُّ الْعَوَالِي بَيْنَنَا قِصَدُ
طَوْرًا نُدِيرُ رَحَانًا ثُمَّ نَطْحَنُهُمْ ... طَحْنًا وَطَوْرًا نُلَاقِيهِمْ فَنَجْتَلِدُ
حَتَّى إِذَا الشَّمْسُ دَارَتْ أَجْفَلُوا هَرَبًا ... عَنَّا وَخَلَّوْا عَنِ الْأَمْوَالِ وَانْجَرَدُوا
فَرُّوا إِلَى النِّمْرِ مِنَّا وَهْوَ عَمُّهُمُ ... فَمَا وَفَى النِّمْرُ إِذْ طَارُوا وَهُمْ مُرُدُ
نَحْنُ الْفَوَارِسُ تَغْشَى النَّاسَ كُلَّهُمُ ... وَنَقْتُلُ النَّاسَ حَتَّى يُوحِشَ الْبَلَدُ

لَقَدْ صَبَّحْنَاهُمُ بِالْبِيضِ صَافِيَةً ... عِنْدَ اللِّقَاءِ وَحَرُّ الْمَوْتِ يَتَّقِدُ
وَالْخَيْلُ تَعْلَمُ أَنِّي مِنْ فَوَارِسِهَا ... يَوْمَ الطِّعَانِ وَقَلْبُ النَّاسِ يَرْتَعِدُ
وَقَدْ حَلَفْتُ يَمِينًا لَا أُصَالِحُهُمْ ... مَا دَامَ مِنَّا وَمِنْهُمْ فِي الْمَلَا أَحَدُ

٢٥٠ قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ أَبِي الزَّوَائِدِ يَفْتَخِرُ:

هَلَّا سَأَلْتَ مَنَازِلًا بِفِزَارِ ... عَمَّنْ عَهِدْتَ بِهِ مِنَ الْأَحْرَارِ
عُدِّي رِجَالَكِ وَاسْمَعِي يَا هِنْدُ ... عَنِّي مَقَالَةَ عَالِمٍ مِفْخَارِ
سَأَعُدُّ سُودَاتٍ لَنَا وَمَكَارِمًا ... وَأُبُوَّةً لَيْسَتْ عَلَيَّ بِعَارِ
قَيْسٌ وَخِنْدِفُ وَالِدَايَ كِلَاهُمَا ... وَالْعَمُّ بَعْدُ رَبِيعَةُ بْنُ نِزَارِ
مَنْ مِثْلُ فَارِسِنَا دُرَيْدٍ فَارِسًا ... فِي كُلِّ يَوْمٍ تَعَانُقٍ وَكِرَارِ
وَبَنُو زِيَادٍ مَنْ لِقَوْمِكَ مِثْلُهُمْ ... أَوْ مِثْلُ عَنْتَرَةَ الْهِزَبْرِ الضَّارِي
وَالْحَيُّ مِنْ سَعْدٍ ذُؤَابَةُ قَوْمِهِمْ ... وَالْفَخْرُ مِنْهُمْ وَالسَّنَامُ الْوَارِي
وَالْمَانِعُونَ مِنَ الْعَدُوِّ ذِمَارَهُمْ ... وَالْمُدْرِكُونَ عَدُوَّهُمْ بِالثَّارِ
وَبَنُو سُلَيْمٍ بِكُلِّ مَنْ عَادَاهُمُ ... وَحَيَا الْعُفَاةِ وَمَعْقِلُ الْفُرَّارِ
لَيْسُوا بِأَنْكَاسٍ إِذَا حَاسَتْهُمُ ... الْمَوْتَ الْعُدَاةُ وَصَمَّمُوا لِمُغَارِ

٢٥١ قَالَ عَمْرُو بْنُ مَعْدِي كَرِبَ يَصِفُ صَبْرَهُ وَجَلَدَهُ فِي الْحَرْبِ:

أَعَاذِلَ عُدَّتِي بَدَنِي وَرُمْحِي ... وَكُلُّ مُقَلِّصٍ سَلِسِ الْقِيَادِ
أَعَاذِلَ إِنَّمَا أَفْنَى شَبَابِي ... إِجَابَتِي الصَّرِيخَ إِلَى الْمُنَادِي
مَعَ الْأَبْطَالِ حَتَّى سَلَّ جِسْمِي ... وَأَقْرَحَ عَاتِقِي حَمْلُ النِّجَادِ
وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي ... وَيَفْنَى بَعْدَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي

وَمِنْ عَجَبٍ عَجِبْتُ لَهُ حَدِيثٌ ... بَدِيعٌ لَيْسَ مِنْ بِدَعِ السَّدَادِ
تَمَنَّى أَنْ يُلَاقِيَنِي قُيَيْسٌ ... وَدِدْتُ وَأَيْنَمَا مِنِّي وَدَادِي
تَمَنَّانِي وَسَابِغَتِي قَمِيصِي ... كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَدَقُ الْجَرَادِ
وَسَيْفٌ لِابْنِ ذِي قِيعَانَ عِنْدِي ... تَخَيَّرَ نَصْلَهُ مِنْ عَهْدِ عَادِ
فَلَوْ لَاقَيْتَنِي لَلَقِيتَ لَيْثًا ... هَصُورًا ذَا ظُبًا وَشَبًا حِدَادِ
وَلَاسْتَيْقَنْتَ أَنَّ الْمَوْتَ حَقٌّ ... وَصَرَّحَ شَحْمُ قَلْبِكَ عَنْ سَوَادِ
أُرِيدُ حِبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي ... عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ

١٥٢ أَنْشَدَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ لِحَاتِمٍ الطَّائِيِّ:

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْلٍ تَلُومُنِي ... وَقَدْ غَابَ عَيُّوقُ الثُّرَيَّا فَعَرَّدَا
تَلُومُ عَلَى إِعْطَائِيَ الْمَالَ ضِلَّةً ... إِذَا ضَنَّ بِالْمَالِ الْبَخِيلُ وَصَرَّدَا
تَقُولُ أَلَا أَمْسِكْ عَلَيْكَ فَإِنَّنِي ... أَرَى الْمَالَ عِنْدَ الْمُمْسِكِينَ مُعَبَّدَا
ذَرِينِي وَحَالِي إِنَّ مَالَكِ وَافِرٌ ... وَكُلُّ امْرِئٍ جَارٍ عَلَى مَا تَعَوَّدَا
أَعَاذِلَ لَا آلُوكِ إِلَّا خَلِيقَتِي ... فَلَا تَجْعَلِي فَوْقِي لِسَانَكِ مِبْرَدَا
ذَرِينِي يَكُنْ مَالِي لِعِرْضِي جُنَّةً ... يَقِي الْمَالُ عِرْضِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
أَرِينِي جَوَادًا مَاتَ هَزْلًا لَعَلَّنِي ... أَرَى مَا تَرَيْنَ أَوْ بَخِيلًا مُخَلَّدَا
وَإِلَّا فَكُفِّي بَعْضَ لَوْمِكِ وَاجْعَلِي ... إِلَى رَأْيِ مَنْ تَلْحِينَ رَأْيَكِ مُسْنَدَا
أَلَمْ تَعْلَمِي أَنِّي إِذَا الضَّيْفُ نَابَنِي ... وَعَزَّ الْقِرَى أَقْرِي السَّدِيفَ الْمُسَرْهَدَا
أُسَوِّدُ سَادَاتِ الْعَشِيرَةِ عَارِفًا ... وَمِنْ دُونِ قَوْمِي فِي الشَّدَائِدِ مِذْوَدَا
وَأُلْفِي لِأَعْرَاضِ الْعَشِيرَةِ حَافِظًا ... وَحَقِّهِمِ حَتَّى أَكُونَ الْمُسَوَّدَا

يَقُولُونَ لِي أَهْلَكْتَ مَالَكَ فَاقْتَصِدْ ... وَمَا كُنْتُ لَوْلَا مَا تَقُولُونَ سَيِّدَا
كُلُوا الْآنَ مِنْ رِزْقِ الْإِلٰهِ وَأَيْسِرُوا ... فَإِنَّ عَلَى الرَّحْمٰنِ رِزْقَكُمُ غَدَا
سَأَذْخَرُ مِنْ مَالِي دِلَاصًا وَسَابِحًا ... وَأَسْمَرَ خَطِّيًّا وَعَضْبًا مُهَنَّدَا
وَذٰلِكَ يَكْفِينِي مِنَ الْمَالِ كُلِّهِ ... مَصُونًا إِذَا مَا كَانَ عِنْدِي مُثَلَّدَا

٢٥٣ وَأَنْشَدَ لَهُ أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ :

مَهْلًا نَوَارُ أَقِلِّي اللَّوْمَ وَالْعَذَلَا ... وَلَا تَقُولِي لِشَيْءٍ فَاتَ مَا فَعَلَا
وَلَا تَقُولِي لِمَالٍ كُنْتُ مُهْلِكَهُ ... مَهْلًا وَإِنْ كُنْتُ أُعْطِي الْبَحْرَ وَالْجَبَلَا
يَرَى الْبَخِيلُ سَبِيلَ الْمَالِ وَاحِدَةً ... إِنَّ الْجَوَادَ يَرَى فِي مَالِهِ سُبُلَا
إِنَّ الْبَخِيلَ إِذَا مَا مَاتَ يَتْبَعُهُ ... سُوءُ الثَّنَاءِ وَيَحْوِي الْوَارِثُ الْإِبِلَا
فَاصْدُقْ حَدِيثَكَ إِنَّ الْمَرْءَ يَتْبَعُهُ ... مَا كَانَ يَبْنِي إِذَا مَا نَعْشُهُ حُمِلَا
لَيْتَ الْبَخِيلَ يَرَاهُ النَّاسُ كُلُّهُمُ ... كَمَا يَرَاهُمْ فَلَا يُقْرَى إِذَا نَزَلَا
لَا تَعْذِلِينِي عَلَى مَالٍ وَصَلْتُ بِهِ ... رَحِمًا وَخَيْرُ سَبِيلِ الْمَالِ مَا وَصَلَا
يَسْعَى الْفَتَى وَحِمَامُ الْمَوْتِ يُدْرِكُهُ ... وَكُلَّ يَوْمٍ يُدَنِّي لِلْفَتَى الْأَجَلَا
إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنِّي سَوْفَ يُدْرِكُنِي ... يَوْمِي وَأُصْبِحُ عَنْ دُنْيَايَ مُشْتَغِلَا

٢٥٤ لصفي الدين الحلي

سَلِي الرِّمَاحَ الْعَوَالِي عَنْ مَعَالِينَا ... وَاسْتَشْهِدِي الْبِيضَ هَلْ خَابَ الرَّجَا فِينَا
وَسَائِلِي الْعُرْبَ وَالْأَتْرَاكَ مَا فَعَلَتْ ... فِي أَرْضِ قَبْرِ عُبَيْدِ اللّٰهِ أَيْدِينَا
لَمَّا سَعَيْنَا فَمَا رَقَّتْ عَزَائِمُنَا ... عَمَّا نَرُومُ وَلَا خَابَتْ مَسَاعِينَا
يَا يَوْمَ وَقْعَةِ زَوْرَاءِ الْعِرَاقِ وَقَدْ ... دِنَّا الْأَعَادِيَ كَمَا كَانُوا يَدِينُونَا

بِضُمَّرٍ مَا رَبَطْنَاهَا مُسَوَّمَةً ... إِلَّا لِنَغْزُوَ بِهَا مَنْ بَاتَ يَغْزُونَا
وَفِتْيَةٍ إِنْ نَقُلْ أَصْغَوْا مَسَامِعَهُمْ ... لِقَوْلِنَا أَوْ دَعَوْنَاهُمْ أَجَابُونَا
قَوْمٌ إِذَا اسْتُخْصِمُوا كَانُوا فَرَاعِنَةً ... يَوْمًا وَإِنْ حُكِّمُوا كَانُوا مَوَازِينَا
تَدَرَّعُوا الْعَقْلَ جِلْبَابًا فَإِنْ حَمِيَتْ ... نَارُ الْوَغَى خِلْتَهُمْ فِيهَا مَجَانِينَا
إِذَا ادُّعُوا جَاءَتِ الدُّنْيَا مُصَدِّقَةً ... وَإِنْ دَعَوْا قَالَتِ الْأَيَّامُ آمِينَا
إِنَّ الزَّرَازِيرَ لَمَّا قَامَ قَائِمُهَا ... تَوَهَّمَتْ أَنَّهَا صَارَتْ شَوَاهِينَا
ظَنَّتْ تَأَنِّي الْبُزَاةِ الشُّهْبِ عَنْ جَزَعٍ ... وَمَا دَرَتْ أَنَّهُ قَدْ كَانَ تَهْوِينَا
ذَلُّوا بِأَسْيَافِنَا طُولَ الزَّمَانِ فَمُذْ ... تَحَكَّمُوا أَظْهَرُوا أَحْقَادَهُمْ فِينَا
لَمْ يُغْنِهِمْ مَالُنَا عَنْ نَهْبِ أَنْفُسِنَا ... كَأَنَّهُمْ فِي أَمَانٍ مِنْ تَقَاضِينَا
ثُمَّ انْثَنَيْنَا وَقَدْ ظَلَّتْ صَوَارِمُنَا ... تَمِيسُ عُجْبًا وَتَهْتَزُّ الْقَنَا لِينَا
وَلِلدِّمَاءِ عَلَى أَثْوَابِنَا عَلَقٌ ... بِنَشْرِهِ عَنْ عَبِيرِ الْمِسْكِ يُغْنِينَا
إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرَفًا ... أَنْ نَبْتَدِيَ بِالْأَذَى مَنْ لَيْسَ يُؤْذِينَا
بِيضٌ صَنَائِعُنَا سُودٌ وَقَائِعُنَا ... خُضْرٌ مَرَابِعُنَا حُمْرٌ مَوَاضِينَا
لَا يَظْهَرُ الْعَجْزُ مِنَّا دُونَ نَيْلِ مُنًى ... وَلَوْ رَأَيْنَا الْمَنَايَا فِي أَمَانِينَا

٢٥٥ قصيدة السموءل في الفخر

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِنَ اللُّؤْمِ عِرْضُهُ ... فَكُلُّ رِدَاءٍ يَرْتَدِيهِ جَمِيلُ
وَإِنْ هُوَ لَمْ يَحْمِلْ عَلَى النَّفْسِ ضَيْمَهَا ... فَلَيْسَ إِلَى حُسْنِ الثَّنَاءِ سَبِيلُ
تُعَيِّرُنَا أَنَّا قَلِيلٌ عَدِيدُنَا ... فَقُلْتُ لَهَا إِنَّ الْكِرَامَ قَلِيلُ
وَمَا قَلَّ مَنْ كَانَتْ بَقَايَاهُ مِثْلَنَا ... شَبَابٌ تَسَامَى لِلْعُلَى وَكُهُولُ

وَمَا ضَرَّنَا أَنَّا قَلِيلٌ وَجَارُنَا ... عَزِيزٌ وَجَارُ الْأَكْثَرِينَ ذَلِيلُ
لَنَا جَبَلٌ يَحْتَلُّهُ مَنْ نُجِيرُهُ ... مَنِيعٌ يَرُدُّ الطَّرْفَ وَهُوَ كَلِيلُ
رَسَا أَصْلُهُ تَحْتَ الثَّرَى وَسَمَا بِهِ ... إِلَى النَّجْمِ فَرْعٌ لَا يُنَالُ طَوِيلُ
هُوَ الْأَبْلَقُ الْفَرْدُ الَّذِي شَاعَ ذِكْرُهُ ... يَعِزُّ عَلَى مَنْ رَامَهُ وَيَطُولُ
وَإِنَّا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً ... إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولُ
يُقَرِّبُ حُبُّ الْمَوْتِ آجَالَنَا لَنَا ... وَتَكْرَهُهُ آجَالُهُمْ فَتَطُولُ
وَمَا مَاتَ مِنَّا سَيِّدٌ حَتْفَ أَنْفِهِ ... وَلَا طَلَّ يَوْمًا حَيْثُ كَانَ قَتِيلُ
تَسِيلُ عَلَى حَدِّ الظُّبَاتِ نُفُوسُنَا ... وَلَيْسَتْ عَلَى غَيْرِ الظُّبَاتِ تَسِيلُ
صَفَوْنَا وَلَمْ نَكْدُرْ وَأَخْلَصَ سِرُّنَا ... إِنَاثٌ أَطَابَتْ حَمْلَنَا وَفُحُولُ
عَلَوْنَا إِلَى خَيْرِ الظُّهُورِ وَحَطَّنَا ... لِوَقْتٍ إِلَى خَيْرِ الْبُطُونِ نُزُولُ
فَنَحْنُ كَمَاءِ الْمُزْنِ مَا فِي نِصَابِنَا ... كَهَامٌ وَلَا فِينَا يُعَدُّ بَخِيلُ
وَنُنْكِرُ إِنْ شِئْنَا عَلَى النَّاسِ قَوْلَهُمْ ... وَلَا يُنْكِرُونَ الْقَوْلَ حِينَ نَقُولُ
إِذَا سَيِّدٌ مِنَّا خَلَا قَامَ سَيِّدٌ ... قَؤُولٌ لِمَا قَالَ الْكِرَامُ فَعُولُ
وَمَا أَخْمَدَتْ نَارٌ لَنَا دُونَ طَارِقٍ ... وَلَا ذَمَّنَا فِي النَّازِلِينَ نَزِيلُ
وَأَيَّامُنَا مَشْهُورَةٌ فِي عَدُوِّنَا ... لَهَا غُرَرٌ مَعْلُومَةٌ وَحُجُولُ
وَأَسْيَافُنَا فِي كُلِّ شَرْقٍ وَمَغْرِبٍ ... بِهَا مِنْ قِرَاعِ الدَّارِعِينَ فُلُولُ
مُعَوَّدَةٌ أَنْ لَا تُسَلَّ نِصَالُهَا ... فَتُغْمَدَ حَتَّى يُسْتَبَاحَ قَبِيلُ
سَلِي إِنْ جَهِلْتِ النَّاسَ عَنَّا وَعَنْهُمُ ... فَلَيْسَ سَوَاءً عَالِمٌ وَجَهُولُ
فَإِنَّ بَنِي الدَّيَّانِ قُطْبٌ لِقَوْمِهِمْ ... تَدُورُ رَحَاهُمْ حَوْلَهُمْ وَتَجُولُ

أَلْبَابُ الْخَامِسَ عَشَرَ
فِي الْمُرَاسَلَاتِ

مراسلات بين الملوك والامراء

كتاب ابي القاسم الحريري الى الوزير سعد. الملك يستغيثهُ على العرب الذين غزوا مدينة البصرة

٢٥٦ لَوِ اطَّلَعَ مَوْلَانَا عَلَى مَا فَاجَأَ الْبَصْرَةَ وَأَهْلَهَا مِنَ الْفَتْكِ وَالْقَهْرِ. وَالنَّهْبِ وَالْأَسْرِ. إِلَى مَا مُنُوا بِهِ مِنَ الشَّتَاتِ. وَافْتِضَاحِ الْخُفَرَاتِ. وَاحْتِرَاقِ الْمَسَاكِنِ وَالْخَانَاتِ. وَانْتِشَارِ الْفَسَادِ. إِلَى قُرَى السَّوَادِ. لَرَأَى مَنْظَرًا يَحْرُقُ الْأَكْبَادَ. وَيُبْكِي الْعَيْنَ الْجَمَادَ. وَقَدْ أَشْرَفَتِ الْبَصْرَةُ عَلَى الْعَفَاءِ. وَاللَّحَاقِ بِالصَّحْرَاءِ. وَأَنْ يُؤَرَّخَ أَنَّهُ رَأْسُهَا فِي هٰذِهِ الدَّوْلَةِ الْغَرَّاءِ. إِذْ كَانَ تَوَالَى عَلَيْهَا مِنَ الْأَحْدَاثِ. فِي هٰذِهِ السِّنِينَ الثَّلَاثِ. مَا يُدَمِّرُ أَعْمَرَ الْبُلْدَانِ وَلَمْ يُعْهَدْ مِثْلُهُ فِي سَالِفِ الزَّمَانِ. فَإِنْ أَنْعَمَ وَعَجَّلَ النَّظَرَ لِلرَّعِيَّةِ. بِتَرْتِيبِ النَّجْدَةِ الْقَوِيَّةِ. وَإِسْقَاطِ مُعَامَلَةِ الذَّرَبِ. فِي الْهَرَبِ مِنَ الْعَرَبِ. وَلَا خَفَاءَ بِمَا فِي تَنْفِيسِ الْكُرَبِ مِنَ الْقُرَبِ

وكتب اليهِ يشكرهُ واصحب كتابهُ بقصيدةٍ

٢٥٧ دَعَا الْعَبْدُ لِلْمَجْلِسِ الْفُلَانِيِّ دَامَتْ جُدُودُهُ سَعِيدَةً. وَسُعُودُهُ جَدِيدَةً. وَعَلْيَاؤُهُ مَحْسُودَةً. وَأَعْدَاؤُهُ مَحْصُودَةً. دُعَاءَ مَنْ يَتَقَرَّبُ بِإِصْدَارِهِ. عَلَى بُعْدِ دَارِهِ. وَيَقْصُرُ عَلَيْهِ سَاعَاتِهِ. مَعَ قُصُورِ مَسْعَاتِهِ.

وشكره للإنعام الذي أوصله إلى التحميل والتأميل . وجمع له بين التنويه والتنويل . شكر من أطلق من أسره . وأذيق طعم اليسر بعد عسره . ولو نهضت به القدمان . وأسعده عون الزمان . لقدم اعتماد الباب المعمور . وأسرع إليه إسراع العبد المأمور . ليؤدي بعض حقوق الإحسان . ويتلو صحف الشكر باللسان . لكن أنى ينهض المقعد . ومن له بأن يصعد فيسعد . ولما قصرت خطوة العبد وحرم حظوة القصد . ولزمه مع وضوح العذر . أن يفصح عن الشكر . خدم بما ينبئ عن فكره المريض . ويشهد بطبع طبعه في القريض . ولولا أن الهدية على حسب مهديها . وبه تتعلق مساويها . لما قدر أن يهدي الورق إلى الشجر . ويبيض شعرا كبياض الشعر . هذا على أن ذنب المعترف مغفور . والمجتهد وإن أخطأ معذور . وهو يرجو أن يلحق بمن نيته خير من عمله . ليبلغ قاصية أمله . وللآراء العلية في تشريف خدمته بالاستعراض . وصون مدحته عن الاعتراض . وتأهيله من مزايا الإيجاب والجواب . بما يميزه على الأحزاب . مزيد العلو (للحريري)

نسخة كتاب من نائب الشام الى نائب حلب يخبره بوفاة الملك الصالح

٢٥٨ . إن المرسوم الشريف زاده الله شرفا ورد على المملوك يتضمن خبرين . هذا ساء وهذا سر . وهذا عق القلوب وهذا بر . وهذا ضر الجوانح وهذا نفع أضعاف ما ضر . أما الأول فيما قضاه الله تعالى وقدره من وفاة أستاذنا السلطان السعيد . وابن أستاذنا السلطان

السعيد الشهيد . الملك الصالح نصر الله شبابه . وأسقى عهد الرضوان عهده وترابه . بمرض كما سمع مولانا لم تنفع فيه الأدوية والرقى . وعرض استولى على ذلك الجوهر الفريد فتركه بعد حركة اللقاء لقى . وارد خطب لم ترده البروج المشيدة والجنود المجندة

وقد فارق الناس الأحبة قبلنا وأعيا دواء الموت كل طبيب

وأما الثاني فبما حباه الله وهناه من جلوس مولانا السلطان الأعظم الملك الكامل سيف الدنيا والدين أبي الفتوح شعبان أخيه خلد الله ملكه على سرير السلطنة الشريفة . سلطانا عادلا . وملكا نشأ في أفق الملك هلالا إلى أن ظهر كاملا . وسيفا تخضع لعزته رقاب ملوك الغرب والشرق . ومتوجا يظهر بإشراق جبينه ما بين الملوك من الفرق . وإن كلمة الإجماع انعقدت على ملكه الرفيع . وإن العزاء المقتضب يجيء بالهناء السريع . وإن الطلعة الشريفة قد أطلعت في أفق الملك المرجب هلال شعبان في ربيع . فسرت السرائر وضربت بعد ضروب الهناء نوب البشائر . وأخذت الأرض زخرفها والمدن زينتها من كل زاه وزاهر . سجعت الخطباء بالاسم الشريف فكادت أن تورق أعواد المنابر . وظهرت بالابتهاج حتى على وجوه الدراهم والدنانير أمائر . وأصبحت أيدي الرجاء بها مليئة . وتسابقت الألسن بحمد الله تعالى على أن جعل هذا البيت الشريف نجوم سماء كلما غاب كوكب تأوي إليه كواكب بهية . وجهز المملوك المثال

الشَّرِيفَ الْمُخْتَصَّ بِمَوْلَانَا لِيَأْخُذَ حَظَّهُ مِنْ هٰذِهِ الْبُشْرَى . وَيَنْشُرَهَا مِنْ طَيِّ الْبُرُوجِ مَعَ نَفَحَاتِ الرَّوْضِ تَتْرَى . فَطَمَحَ الرَّعَايَا مِنْ فَضْلِ الْفِنَاءِ إِلَى أَحْسَنِ الْمَطَامِحِ . وَيَرْضَوْنَ عَنْ بَاقِي الزَّمَانِ وَمَاضِيهِ فَيَصِفُونَهُ بِكَامِلِ وَصْفٍ وَيُثْنُونَ عَلَيْهِ بِصَالِحٍ . وَاللهُ تَعَالَى يَمْلَأُ لَهُ الْبَشَائِرَ أَوْطَارًا وَأَوْطَانًا . وَيَسُرُّ الدِّينَ وَالدُّنْيَا أَبَدًا بِتِلَاوَةِ هٰذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ . وَيَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا آخِرُهُ : وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ وَحْدَهُ (الكنز المدفون للسيوطي)

لابي بكر الخوارزمي الى والي بلاد قومس وقد ورد عليه ابنهُ للقراءة

٢٥٩ وَرَدَ عَلَيَّ كِتَابُ الْفَقِيهِ بَعْدَ نِزَاعٍ كَانَ إِلَيْهِ وَحِرْصٍ عَلَيْهِ . وَبَعْدَ أَنِ اقْتَرَحْتُهُ عَلَى الدَّهْرِ . وَخَلَعْتُ فِيهِ رِبْقَةَ الْعَزَاءِ وَالصَّبْرِ . وَلَمْ أَدْرِ بِأَيِّهِمَا أَنَا أَشَدُّ سُرُورًا أَبِالْكِتَابِ وَهُوَ أَيْسَرُ وَاصِلٍ . أَمْ بِحَامِلِهِ وَهُوَ أَجَلُّ حَامِلٍ . فُلَانٌ وَلَدِي قَدِ اقْتَطَعْتُ لَهُ مِنْ فَرَاغِي فِلْذَةً عَلَى أَنَّنِي لَوْ دَرَّسْتُهُ حَتَّى تَخْفَى الْأَقْلَامُ . وَيَفْنَى الْكَلَامُ . وَتَحْصَرَ الْأَفْهَامُ وَالْأَوْهَامُ . ثُمَّ لَقَّمْتُهُ الْعِلْمَ لُقْمَةً . وَسَبَكْتُ لَهُ الْأَدَبَ فِقْرَةً . وَأَلْهَمْتُهُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ . وَأَفْرَغْتُ فِي خَاطِرِهِ آدَابَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ . وَخَرَجْتُ لَهُ مِنْ حَدِّ الْإِفْهَامِ . إِلَى حَدِّ الْإِلْهَامِ . لَكُنْتُ فِيهِ عَنْ قَضَاءِ حَقٍّ مِنْ حُقُوقِ الْفَقِيهِ قَاصِرًا . وَلَكَانَ وُقُوعِي دُونَ أَدْنَى مَوَاجِبِهِ عَلَيَّ ظَاهِرًا . وَلٰكِنَّ الْإِقْرَارَ عُذْرٌ قَوِيٌّ . كَمَا أَنَّ الْإِنْكَارَ ذَنْبٌ طَوِيٌّ . وَقَدْ كَانَ هٰذَا الْوَلَدُ أَدِيبًا مُجَمَّلًا . فَصَارَ بِحَمْدِ اللهِ تَعَالَى أَدِيبًا مُفَصَّلًا . وَكَانَ أَغَرَّ فَصَارَ أَغَرَّ مُحَجَّلًا . وَأَرْجُو أَنَّ اللهَ يُحْيِي بِهِ مَآثِرَ سَلَفِهِ الصَّالِحِينَ . وَيُعْلِي بِهِ

مَنَازِلَ آبَائِهِ الْأَوَّلِينَ . فَيَكُونَ أَوَّلُهُمْ عِلْمًا وَأَدَبًا . وَهُوَ آخِرُهُمْ مِيلَادًا وَنَسَبًا

في الأشواق وحسن التواصل

كتب ابو النصر العتبي كاتب السلطان محمود الى صديقٍ لهُ

٢٦٠ هٰذَا يَوْمٌ قَدْ رَقَّتْ غَلَائِلُ صَحْوِهِ وَهَبَّتْ شَمَائِلُ خَيْرِهِ . وَضَحِكَتْ ثُغُورُ رِيَاضِهِ . وَاطَّرَدَ وُرُودُ النَّسِيمِ فَوْقَ حِيَاضِهِ . وَفَاحَتْ مَجَامِرُ الْأَزْهَارِ . وَانْتَثَرَتْ قَلَائِدُ الْأَغْصَانِ مِنْ فَرَائِدِ الْأَنْوَارِ . وَقَامَ خُطَبَاءُ الْأَطْيَارِ عَلَى مَنَابِرِ الْأَشْجَارِ . وَدَارَتْ أَفْلَاكُ الْأَيْدِي بِشُمُوسِ الرَّاحِ . فِي بُرُوجِ الْأَقْدَاحِ . فَبِحَقِّ الْقُوَّةِ الَّتِي زَانَ اللهُ بِهَا طَبْعَكَ . وَالْمُرُوءَةِ الَّتِي قُصِرَ عَلَيْهَا أَصْلُكَ وَفَرْعُكَ . إِلَّا مَا تَفَضَّلْتَ عَلَيْنَا بِالْحُضُورِ . وَنَظَمْتَ لَنَا بِكَ عُقُودَ السُّرُورِ (حلبة الكميت للنواجي)

كتب الشيخ البسطامي الى بعض السادة

٢٦١ أَمَّا بَعْدُ فَالْعَبْدُ الْكَلِيمُ . يُنْهِي إِلَى السَّيِّدِ الرَّحِيمِ . مِنْ شَوْقِهِ الَّذِي مَلَكَ قِيَادَهُ . وَعَمَرَ بِفَوَائِدِهِ فُؤَادَهُ . وَمَا بَرِحَ الْعَبْدُ يَدْعُو لِمَوْلَانَا فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ . وَيَنْشُرُ عَلَى بِسَاطِ إِحْسَانِهِ جَوْهَرَ شُكْرِهِ . وَيَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ تَشَوُّقَ السَّاهِرِ إِلَى الْمَنَامِ . وَيُهْدِيهِ مِنْ ثَنَائِهِ أَحْسَنَ مِنْ ضَحِكِ الزَّهْرِ لِبُكَاءِ الْغَمَامِ :

وَالرَّوْضُ يَبْدُو زَهْرُهَا مُتَبَسِّمًا فَكَأَنَّهُ لِبُكَا الْغَمَامِ قَدِ اشْتَفَى

وَقَدْ سَطَّرْتُ هٰذِهِ الْعُبُودِيَّةَ مُظْهِرًا مِنْ إِحْسَانِ مَوْلَانَا مَا لَا يَخْفَى . وَذَاكِرًا مِنْ تَفَضُّلَاتِهِ مَا تَعْجِزُ عَنْهُ الْأَلْسُنُ وَصْفًا . أَلْمَسْؤُولُ مِنْ صَدَقَاتِهِ

حُسْنُ ٱلْوَصِيَّةِ بِوَافِدِ سَلَامِهِ . وَوَارِدِ كَلَامِهِ . فَإِنَّ ٱلْعَبْدَ يَرَى لَهُ حَقًّا فِي أَوَّلِ رِسَالَتِهِ إِلَى ذٰلِكَ ٱلْجَنَابِ ٱلْكَرِيمِ . وَيُؤْثِرُهُ لِوُقُوعِ عَيْنَيْهِ عَلَى ذٰلِكَ ٱلْوَجْهِ ٱلْوَسِيمِ . وَكَانَ يَوَدُّ أَنْ لَوْ كَانَ مَكَانَ هٰذَا ٱلْكِتَابِ . وَسَاعَدَتِ ٱلْأَيَّامُ عَلَى زِيَارَةِ ذٰلِكَ ٱلْجَنَابِ . فَإِنَّ رُؤْيَتَكُمْ مِمَّا تَبْتَهِجُ بِهَا ٱلْخَوَاطِرُ . وَتَنْتَعِشُ بِهَا ٱلْقُلُوبُ ٱنْتِعَاشَ ٱلرَّوْضِ إِذَا بَاكَرَتْهُ ٱلْغُيُومُ ٱلْمَوَاطِرُ . لَا زَالَ مَوْلَانَا وَافِرَ ٱلْإِحْسَانِ . مُتَرَبِّيًا بِأَحْسَنِ مَنَاقِبِ ٱلْإِنْسَانِ (مناهج التوسل لعبد الرحمان البسطامي)

كتب ابو عبد الرحمان محمد بن طاهر الى صاحب قليبرة يستدعي منهُ اقلامًا

٢٦٢ قَدْ عُدِمَتْ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَكَ بِهٰذَا ٱلْقُطْرِ ٱلْأَقْلَامُ . وَبِهَا يَشْخَصُ ٱلْكَلَامُ . وَهِيَ حِلْيَةُ ٱلْبَيَانِ . وَتَرْجُمَانُ ٱللِّسَانِ . عَلَيْهَا تَفَرَّعُ شِعَابُ ٱلْفِكْرِ . وَذِكْرُهَا مُنْزَلٌ فِي مُحْكَمِ ٱلذِّكْرِ . وَمَنَابِتُهَا بِلَدُكَ . وَيَدُكَ فِيهَا يَدُكَ . وَأُرِيدُ أَنْ تَرْتَادَ لِي مِنْهَا سَبْعَةً كَعَدَدِ ٱلْأَقَالِيمِ . حَسَنَةَ ٱلتَّقْلِيمِ . فِضِّيَّةَ ٱلْأَدِيمِ . وَلَا يُعْتَمَدُ مِنْهَا إِلَّا صَلِيبُهَا . ٱلطِّوَالُ أَنَا بِبِيبُهَا . وَإِذَا ٱسْتُمِدَّتْ مِنْ أَنْفَاسِهَا . وَافَاكَ ٱلشُّكْرُ مِنْ أَنْفَاسِهَا (قلائد العقيان)

كتب ابو بكر الخوارزمي الى كاتب

٢٦٣ إِعْتَذَرَ سَيِّدِي مِنْ صِغَرِ ٱلْكِتَابِ وَٱخْتِصَارِهِ . فَقَدْ أَغْنَاهُ ٱللهُ تَعَالَى عَنْ تَكَلُّفِهِ مِنَ ٱعْتِذَارِهِ . وَإِنَّمَا ٱلصَّغِيرُ مَا صَغُرَ قَدْرُهُ . لَا مَا صَغُرَ حَجْمُهُ . فَأَمَّا مَا أَفَادَ . وَجَاوَزَ ٱلْمُرَادَ . فَلَيْسَ بِصَغِيرٍ . بَلْ أَكْبَرُ مِنْ كَبِيرٍ . وَأَمَّا شُكْرُهُ لِي عَلَى تَفْضِيلِي لِكَلَامِهِ . فَإِنِّي مِنْ هٰذَا بَعْدُ فِي مَيْدَانٍ

عَرِيضٍ مَدِيدٍ . وَفِي شَوْطٍ بَعِيدٍ . لَمْ أَبْلُغْ عُشْرَ عُشْرِهِ . وَلَمْ أَقْضِ مِنْهُ أَيْسَرَ يُسْرِهِ . وَٱلْحَقُّ أُبَيٌّ وَإِنِ ٱجْتَهَدْتُ فَأَنِّي غَيْرُ بَالِغٍ مِنْهُ مَا فِي ضِمْنِ ٱلنِّيَّةِ . وَلَا آتٍ عَلَى مَا فِي ٱلْهِمَّةِ وَٱلْأُمْنِيَّةِ . وَلٰكِنِّي سَأَقِفُ عَقْلِي ٱنْتِهَاءَ ٱلطَّاقَةِ . وَأُحَمِّلُ مَجْهُودِي أَقْصَى ٱلْغَايَةِ . وَٱلتَّمَادُحُ بَيْنَنَا بَعْدَ ٱلْحَالِ ٱلَّتِي عَلِمْتَ حَتَّى أَخْلَقْتَ . وَقَدُمْتَ حَتَّى هَرِمْتَ . فَصْلٌ لَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ وَلَا يُعَرَّجُ عَلَيْهِ . وَأَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ أُخُوَّتَنَا مُتَّصِلَةً فِي ٱلدُّنْيَا بِأُخُوَّتِنَا يَوْمَ ٱلدِّينِ . فَإِنَّ ٱلْأَخِلَّاءَ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ

في العتاب واللوم والاعتذار

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى تلميذٍ لهُ

٢٦٤ إِنْ كُنْتَ أَعَزَّكَ ٱللهُ لَا تَرَانَا مَوْضِعًا لِلزِّيَارَةِ . فَنَحْنُ فِي مَوْضِعِ ٱلِٱسْتِزَارَةِ . وَإِنْ كُنْتَ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ قَدِ ٱسْتَوْفَيْتَ مَا كَانَ لَدَيْنَا . فَسَقَطَ حَقُّنَا عَنْكَ وَبَقِيَ حَقُّكَ عَلَيْنَا . فَقَدْ يَزُورُ ٱلصَّحِيحُ ٱلطَّبِيبَ بَعْدَ خُرُوجِهِ مِنْ دَائِهِ . وَٱسْتِغْنَائِهِ عَنْ دَوَائِهِ . وَقَدْ تَجْتَازُ ٱلرَّعِيَّةُ عَلَى بَابِ ٱلْأَمِيرِ ٱلْمَعْزُولِ فَتَتَجَمَّلُ لَهُ وَلَا تُعَيِّرُهُ عَزْلَهُ . وَلَوْ لَمْ تَزُرْنَا إِلَّا لِتُرِيَنَا رُجْحَانَكَ . كَمَا طَالَمَا رَأَيْنَا نُقْصَانَكَ لَكَانَ ذٰلِكَ فِعْلًا صَائِبًا . وَفِي ٱلْقِيَاسِ وَاجِبًا

٢٦٥ لَمَّا أَرَادَ ٱلْمَلِكُ ٱلنَّاصِرُ مُبَايَعَةَ ٱبْنِهِ أَبِي مَرْوَانَ ٱتَّخَذَ لِذٰلِكَ صِنْيَعًا فِي قَصْرِ ٱلزَّهْرَاءِ وَأَرْسَلَ فَٱسْتَدْعَى وُجُوهَ مَمْلَكَتِهِ . فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْ بَيْنِهِمْ إِلَّا أَبُو إِبْرَاهِيمَ مِنْ أَكَابِرِ عُلَمَاءِ ٱلْمَالِكِيَّةِ . فَأَمَرَ ٱلْخَلِيفَةُ وَلِيُّ ٱلْعَهْدِ بِٱلْكِتَابِ إِلَيْهِ وَٱلتَّفْنِيدِ لَهُ فَكَتَبَ إِلَيْهِ رُقْعَةً نُسْخَتُهَا :

بِسْمِ ٱللهِ ٱلرَّحْمٰنِ ٱلرَّحِيمِ حَفِظَكَ ٱللهُ وَتَوَلَّاكَ وَسَدَّدَكَ

وَرَعاكَ . لَمَّا اُمْتُحِنَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَوْلايَ وَسَيِّدِي أَبْقاهُ اللهُ الْأَوْلِيَاءَ الَّذِينَ يَسْتَعِدُّ بِهِمْ وَجَدَكَ مُتَقَدِّمًا فِي الْوِلايَةِ مُتَأَخِّرًا عَنِ الصِّلَةِ . عَلَى أَنَّهُ قَدْ أَنْذَرَكَ أَبْقاهُ اللهُ خُصُوصًا لِلْمُشَارَكَةِ فِي السُّرُورِ الَّذِي كانَ عِنْدَهُ لَا أَعْدَمَهُ اللهُ تَوالِيَ الْمَسَرَّةِ . ثُمَّ أَنْذَرْتَ مِنْ قَبْلُ إِبْلاغًا فِي التَّكْرِمَةِ فَكانَ مِنْكَ عَلَى ذٰلِكَ كُلِّهِ مِنَ التَّخَلُّفِ مَا ضاقَتْ عَلَيْكَ فِيهِ الْمَعْذِرَةُ . وَاسْتَبْلَغَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فِي إِنْكارِهِ وَمُعاتَبَتِكَ عَلَيْهِ فَأَعْيَتْ عَلَيْكَ عَنْكَ الْحُجَّةُ . فَعَرِّفْنِي أَكْرَمَكَ اللهُ مَا الْعُذْرُ الَّذِي أَوْجَبَ تَوَقُّفَكَ عَنْ إِجابَةِ دَعْوَتِهِ وَمُشاهَدَةِ السُّرُورِ الَّذِي سُرَّ بِهِ وَرَغِبَ الْمُشَارَكَةَ فِيهِ . لِنُعَرِّفَهُ أَبْقاهُ اللهُ بِذٰلِكَ فَتَسْكُنَ نَفْسُهُ الْعَزِيزَةُ إِلَيْهِ

٢٦٦ (فَأَجابَهُ أَبُو إِبْرٰهِيمَ) سَلامٌ عَلَى الْأَمِيرِ سَيِّدِي وَرَحْمَةُ اللهِ قَرَأْتُ أَبْقَى اللهُ الْأَمِيرَ سَيِّدِي هٰذَا الْكِتابَ وَفَهِمْتُهُ . وَلَمْ يَكُنْ تَوَقُّفِي لِنَفْسِي إِنَّمَا كانَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ سَيِّدِنَا . لِعِلْمِي بِمَذْهَبِهِ وَسُكُونِي إِلَى تَقْواهُ وَاقْتِفائِهِ لِأَثَرِ سَلَفِهِ الطَّيِّبِ فَإِنَّهُمْ يَسْتَبْقُونَ مِنْ هٰذِهِ الطَّبَقَةِ بَقِيَّةً لَا يَمْتَهِنُونَهَا بِمَا يَشِينُهَا وَلَا بِمَا يَغُضُّ مِنْهَا وَيُطْرِقُ إِلَى تَنْقِيصِهَا . يَسْتَعِدُّونَ بِهَا لِدِينِهِمْ وَيَتَزَيَّنُونَ بِهَا عِنْدَ رَعَايَاهُمْ وَمَنْ يَفِدُ عَلَيْهِمْ مِنْ قُصَّادِهِمْ . فَلِهٰذَا تَخَلَّفْتُ وَلِعِلْمِي بِمَذْهَبِهِ تَوَقَّفْتُ . إِنْ شاءَ اللهُ تَعالَى (للمقري)

٢٦٧ قال السيد عبّاس بن علي الموسوي المكي في صدر كتاب ارسل به الى الأمير ناصر في بندر المخا شاكيًا عليه صاحب السبار وهو اذ ذاك في البندر المذكور:

قُلْ لِلْأَمِيرِ أَدَامَ اللهُ دَوْلَتَهُ ... مَا هٰكَذَا شَرْطُ جارِ الْجَنْبِ بِالْجارِ

قَدِ اسْتَجَرْتُ بِكُمْ مِنْ كافِرٍ دَنِسٍ ... فَظٍّ غَلِيظٍ لَعِينٍ نَسْلِ كُفَّارِ

يُعْطِي السِّبارَ إِلَى مَنْ يَشْتَهِي وَأَنَا ... يُعْطَى سِبارِي بِإِقْتارٍ وَإِعْسارِ

وَالْغَيْرُ يُعْطِيهِ مَا يَهْوَاهُ خاطِرُهُ ... مِنَ الطَّعامِ وَمِنْ بُرٍّ وَدِينارِ

لَوْ أَنَّ لِي غَيْرَ هٰذَا الرِّزْقِ مَا نَظَرَتْ ... عَيْنِي لَهُ قَطُّ فِي سِرِّي وَإِجْهارِي

لٰكِنَّ مَوْلايَ يَدْرِي أَنَّ لَيْسَ لَنَا ... سِوَى السِّبارِ الَّذِي يَأْتِي بِمِقْدارِ

فَكَيْفَ تَغْفُلُ عَنَّا يَا أَمِيرُ وَقَدْ ... أَوْصَى الْمَلِيكُ بِنَا وَالْخالِقُ الْبارِي

فَانْظُرْ بِعَيْنِ كَرامٍ فِي جَواهِرِهِمْ ... وَلَا تَكِلْنِي لِتَعْرِيفٍ وَتَذْكارِ

وَلَا تَدَعْنِي أَقُلْ مَا قِيلَ مِنْ قِدَمٍ ... بَيْتًا غَدَا مَثَلًا بَيْنَ الْمَلَا جارِي

أَلْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ ... كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضاءِ بِالنَّارِ

لعمرو بن بحر الجاحظ في الاعتذار

٢٦٨ أَمَّا بَعْدُ فَنِعْمَ الْبَدِيلُ مِنَ الزَّلَّةِ الْإِعْتِذارُ . وَبِئْسَ الْعِوَضُ مِنَ التَّوْبَةِ الْإِصْرارُ . فَإِنَّهُ لَا عِوَضَ مِنْ إِخائِكَ . وَلَا خَلَفَ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ . وَقَدِ انْتَقَمْتَ مِنِّي فِي زَلَّتِي بِجَفائِكَ . فَأَطْلِقْ أَسِيرَ تَشَوُّقِي إِلَى لِقائِكَ . فَإِنَّنِي بِمَعْرِفَتِي بِبُلُوغِ حِلْمِكَ وَغايَةِ عَفْوِكَ ضَمِنْتُ لِنَفْسِي الْعَفْوَ مِنْ زَلَّتِهَا عِنْدَكَ . (أَمَّا بَعْدُ) فَقَدْ مَسَّنِي مِنَ الْأَلَمِ مَا لَمْ يَشْفِهِ غَيْرُ مُواصَلَتِكَ مَعَ حَبْسِكَ الْإِعْتِذارَ مِنْ هَفْوَتِكَ . وَلٰكِنَّ ذَنْبَكَ تَعْتَفِرُهُ هَفْوَتُكَ . (أَمَّا بَعْدُ) فَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ عِنْدِي بِالصَّفْحِ مَنْ أَسْلَمَهُ إِلَى مُلْكِكَ الْتِماسُ رِضاكَ مِنْ غَيْرِ مَقْدِرَةٍ مِنْكَ عَلَيْهِ (لابن عبد ربه)

كتب أبو بكرٍ الخوارزميّ الى تلميذٍ له قطع في مجلس وكابر واخطأ

٢٦٩ بلغني أنّك ناظرت. فلمّا توجّهت عليك الحجّة كابرت. ولمّا وُضع نير الحقّ على عنقك ضجرت وتضاجرت. وقد كنت أحسب أنّك أعرف بالحقّ من أن تعقّه. وأهيب للحجاب الإنصاف والعدل من أن تشقّه. كأنّك لم تعلم أنّ لسان الضجر ناطق بالعجز. وأنّ وجه الظلم مبرقع بالقبح. وأنّك إذا استدركت على نقد الصيارفة. وتتبّعت خطأ الحكماء والفلاسفة. فقد طرّقت إلى عيبك لعائبك. ونصرت عدوّك على صاحبك. وقد عجبت من حسن ظنّك بك. وأنت إنسان والله المستعان

في المديح

كتاب البسطامي الى بعض الاصحاب

٢٧٠ وصل شريف الكتاب. من رحيم الجناب. أدام الله سعادته. وزاد إقباله وسيادته. وهو بديع المعاني. رفيع المباني. بحلي الروض مسطور. والوشي منثور. بخطّ كالنار أو أزهر. ولفظ كالدرّ أو أنور. وصل فأوصل أنسا كان بعيدا. وملأ قلبا كان الشوق إليه عميدا. فأمّا ما أعارني من فضائله العليّة. وفواضله الجليّة. التي هو موشّح بحليتها. ومتجمّل بحلّتها. فقوبل بصالح الدعاء. وفائح الحمد والثناء. أدام الله لذيذ خطابه بالزلال. وجديد كتابه بالنوال

٢٧١ من لطائف القاضي محمد بن أحمد قوله مجاوبا محمد بن خليل السمرجيّ الجداوي

أزهر الربا أهديت أم لؤلؤ العقد ... أم الزهر جاءت في بديع من السرد

أم الروض لا فالروض ماء وتربة ... وعشب وذا شيء يجلّ عن الحدّ

أم النسمات العاطرات تأرّجت ... بأعبق من مسك فتيق ومن ندّ

وما هي إلّا بنت فكر فريدة ... تبختر من وشي البلاغة في بردِ

نفائس أفكار أتت لم أجد لها ... جزاء سوى الشكر المكلّل بالحمد

ودرّ قريض رمت إدراك شأوه ... فقصّر عنه في تطلّبه كدّي

حلى صاغها من حاز كلّ فضيلة ... بها قد حلي جيد المكارم والمجد

أخو الأدب الغضّ الذي جمعت به ... محاسن حتّى صار يعرف بالفرد

أديب أريب ألمعيّ مهذّب ... ذكيّ سجاياه تجلّ عن الحدّ

له خلق أزهى من الروض باسما ... وذهن دقيق الفكر أمضى من الحدّ

لأنفاسه في الطرس أيّ تضوّع ... تصعّد منه دائما عبق الندّ

فلله ما أهديت يا بدر من يدٍ ... وكم لك أيضا قبلها من يدٍ عندي

أيادٍ توالت منك عجلى كأنّها ... شرار أطارته الأكفّ على الزند

وإنّي في عجزي من الشكر سائل ... مسامحتي فيما أعيد وما أبدي

بما لك في سمعي وطرفي وخاطري ... من الصيت والمرأى المعظّم والودّ

فؤادك في قلبي ألذّ من المنى ... وذكرك أحلى في لساني من الشهد

فدم زينة الآداب بدرا كمالها ... ودرّة تاج العصر واسطة العقد

٢٧٢ قال شرف المدرّسين المفتي عبد الرحمان بن عيسى من قصيدة في صدر كتاب أرسله الى الشيخ أبي العبّاس أحمد المقري المغربي عالم فارس وخطيبه مراجعا:

وافى لنا روض نضير ... أنقى تسامى عن نظير

فَفَضَضْتُهُ فَرَأَيْتُهُ فِي ٱلْحُسْنِ كَٱلدُّرِّ ٱلنَّثِيرْ
وَنَشَقْتُ مِنْ رَيَّاهُ مَا يَسْمُو عَلَى نَشْرِ ٱلْعَبِيرْ
فَكَأَنَّمَا هُوَ رَوْضَةٌ تَهْتَزُّ فِي يَوْمٍ مَطِيرْ
أَزْهَارُهَا كَكَوَاكِبٍ قَدْ زَيَّنَتْ فَلَكَ ٱلْأَثِيرْ
وَافَى فَكَادَ ٱلْقَلْبُ مِنْ فَرْطِ ٱلسُّرُورِ بِهِ يَطِيرْ
إِذْ جَاءَنَا مِنْ جَهْبَذٍ عَلَمٍ مَعَارِفُهُ كَثِيرْ
عَلَّامَةٍ لَمْ يُلْفَ فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ لَهُ نَظِيرْ
إِنْ جَالَ فِي ٱلتَّفْسِيرِ فَٱلتَّيْسِيرُ أَعْسَرُهُ يَسِيرْ
وَإِنِ ٱنْتَحَى لِلنَّحْوِ وَضَّحَهُ بِتَسْهِيلِ ٱلْعَسِيرْ
وَإِلَيْهِ فِي فَنِّ ٱلْبَلَا غَةِ كُلُّ مَسْؤُولٍ يُشِيرْ
وَإِذَا تَعَانَى ٱلشِّعْرَ قُلْـ ـتَ هُوَ ٱلْفَرَزْدَقُ أَمْ جَرِيرْ
يَا مَنْ إِلَيْهِ ٱلْمُنْتَهَى فِي كُلِّ فَنٍّ وَٱلْمَصِيرْ
إِسْلَمْ وَدُمْ مَا دَامَتِ ٱلْـ أَفْلَاكُ فِينَا تَسْتَدِيرْ

في الشكر والتهنئة

فصل لابي الفضل الميكالي الى بعض اخوانه في الشكر

٢٧٣ إِذَا لَمْ يُوْتِ ٱلْمَرْءُ فِي شُكْرِ ٱلْمُنْعِمِ إِلَّا مِنْ عِظَمِ قَدْرِ ٱلْإِنْعَامِ وَٱلِٱصْطِنَاعِ. وَٱسْتِغْرَاقِهِ مِنْهُ قُوَى ٱلِٱسْتِقْلَالِ وَٱلِٱضْطِلَاعِ. فَلَيْسَ عَلَيْهِ فِي ٱلْقُصُورِ عَنْ كُنْهِ وَاجِبِهِ عَتْبٌ. وَلَا تَلْحَقُهُ فِيهِ نَقِيصَةٌ وَلَا عَيْبٌ. وَلَئِنْ ظَهَرَ عَجْزِي عَنْ حَقِّ هٰذِهِ ٱلنِّعْمَةِ فَإِنِّي أَحْمَلُ عَلَى حُسْنِ ٱلثَّنَاءِ عَلَى مَنْ

لَا يُعْجِزُهُ حَمْلُهُ. وَلَا يَؤُودُهُ ثِقْلُهُ. وَلَا يَزْكُو ٱلشُّكْرُ إِلَّا لَدَيْهِ. وَلَا تَصْرِفُ ٱلرَّغْبَةُ إِلَّا إِلَيْهِ. وَٱللهُ يُبْقِيهِ لِمَجْدٍ يُقِيمُ أَعْلَامَهُ وَفَضْلٍ يَقْضِي ذِمَامَهُ. وَعُرْفٍ يُثْبِتُ أَقْسَامَهُ. وَوَلِيٍّ يُوَالِي إِكْرَامَهُ. وَعَدُوٍّ يُدِيمُ قَمْعَهُ وَإِرْغَامَهُ

لابن العميد الى عضد الدولة يهنئه بولدين

٢٧٤ أَطَالَ ٱللهُ بَقَاءَ ٱلْأَمِيرِ ٱلْأَجَلِّ عَضُدِ ٱلدَّوْلَةِ دَامَ عِزُّهُ وَتَأْيِيدُهُ. وَعُلُوُّهُ وَتَمْهِيدُهُ. وَبَسْطَتُهُ وَتَوْطِيدُهُ. وَظَاهَرَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدُهُ. وَهَنَّأَهُ مَا ٱحْتَظَاهُ بِهِ عَلَى قُرْبِ ٱلْبِلَادِ. مِنْ تَوَافُرِ ٱلْأَعْدَادِ وَتَكَثُّرِ ٱلْأَمْدَادِ. وَتَثَمُّرِ ٱلْأَوْلَادِ. وَأَرَاهُ مِنَ ٱلنَّجَابَةِ فِي ٱلْبَنِينَ وَٱلْأَسْبَاطِ مَا أَرَاهُ مِنَ ٱلْكَرَمِ فِي ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَجْدَادِ. وَلَا أَخْلَى عَيْنَهُ مِنْ قُرَّةٍ. وَنَفْسَهُ مِنْ مَسَرَّةٍ. حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَهْلِهِ. وَيَسْتَغْرِقَ نِهَايَةَ أَمَلِهِ. وَيَسْتَوْفِيَ مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ. وَعَرَّفَهُ ٱللهُ ٱلسَّعَادَةَ فِيمَا بَشَّرَ عَبْدَهُ مِنْ طُلُوعِ بَدْرَيْنِ هُمَا ٱنْبِعَاثَا مِنْ نُورِهِ وَٱسْتِنَارَا مِنْ دُورِهِ. وَحَفَّا بِسَرِيرِهِ. وَجَعَلَ وَفْدَهُمَا مُتَلَائِمَيْنِ. وَوُرُودَهُمَا تَوْأَمَيْنِ. بَشِيرَيْنِ بِتَظَاهُرِ ٱلنِّعَمِ. وَتَوَافُرِ ٱلْقِسَمِ. وَمُؤْذِنَيْنِ بِتَرَادُفِ بَنِينَ يَجْمَعُهُمْ مُنْخَرِقُ ٱلْفَضَاءِ. وَيُشْرِقُ بِنُورِهِمْ أُفُقُ ٱلْعَلَاءِ. وَيَنْتَهِي بِهِمْ أَمَدُ ٱلنَّمَاءِ. إِلَى غَايَةٍ تَفُوتُ غَايَةَ ٱلْإِحْصَاءِ. وَلَا زَالَتِ ٱلسُّبُلُ عَامِرَةً. وَٱلْمَنَاهِلُ غَامِرَةً. بِصَفَائِحِ صَادِرِهِمْ بِٱلْبِشْرِ وَآمِلِهِمْ بِٱلنَّيْلِ ٱلْقَاصِدِ

ولبعضهم في التهنئة بالقدوم من سفر

٢٧٥ أُهَنِّئُ سَيِّدِي وَنَفْسِي بِمَا يَسَّرَ ٱللهُ مِنْ قُدُومِهِ سَالِمًا. وَأَشْكُرُ

اللهَ على ذلكَ شكرًا قائمًا. غيبةُ المكارمِ مقرونةٌ بغيبتِكَ. وأوبةُ النعمِ موصولةٌ بأوبتِكَ. فوصلَ اللهُ تعالى قدومَكَ من الكرامةِ بأضعافِ ما قرنَ به مسيرَكَ من السلامةِ. هنّأَ اللهُ إيابَكَ. وبلّغكَ محابَّكَ. ما زلتُ بالنيّةِ مسافرًا. وبأفعالِ الذكرِ والفكرِ لكَ ملاقيًا. إلى أن جمعَ اللهُ شملَ سروري بأوبتِكَ. وسكّنَ نافرَ قلبي بعودتِكَ. فأسعدكَ اللهُ بتقدمِكَ سعادةً تكونُ فيها مقابلًا وبالأمانيِّ ظافرًا. ولا أوحشَ منكَ أوطانَ الفضلِ ورباعَ المجدِ بمنّهِ وكرمِهِ

وكتب الخوارزمي الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته يهنئه

٢٧٦ فهمتُ ما ذكرَهُ الشيخُ من توبةِ الدهرِ إليهِ من ذنبِهِ. وخطيئتِهِ لسلمِهِ بعدَ حربِهِ. فانقشعتْ ضبابةُ المحنةِ.. وهكذا تكونُ أحوالُ المقبلينَ. فإنَّ الأيامَ إذا غلطتْ فجنتْ عليهم. رجعتْ فاعتذرتْ إليهم. والزمانُ إذا حاربهم خطأً سالمهم عمدًا. فيستوفونَ في الحالينِ أجرَ المحنةِ. وزيادةً بشكرِ النعمةِ. والآنَ عرفَ الشيخُ بحقيقتِهِ. ووزنَ بزنتِهِ. ووقفَ السلطانُ والرعيّةُ على تفصيلِهِ وجملتِهِ. هذا وقد صقلتْ هذهِ الفترةُ خلائقَ الشيخِ بالتجاربِ. ووضعتْ في يدِهِ مرآةَ النظرِ في العواقبِ. وهذّبتْ أفعالَهُ من كلِّ شوبٍ. وغسلتْ عنهُ وضرَ كلِّ عيبٍ. على أنهُ لم يزلْ مبرأً من كلِّ رذيلةٍ. ومخصوصًا بكلِّ فضيلةٍ. ولكنَّ الأيامَ عملُها في التعليمِ. وخاصّتُها في بابِ التنبيهِ والتقويمِ. فالحمدُ للهِ الذي ردَّ إلى ذلكَ الأميرِ جمالَهُ

وبهاءَهُ. وعمّرَ بابَهُ وفناءَهُ. وسرَّ شيعتَهُ وأولياءَهُ. وغمَّ حسدتَهُ وأعداءَهُ. ولم يُفجعْهُ بالعلقِ النفيسِ الذي لا يُشترى بالأثمانِ. ولا يُوزنُ بالميزانِ. ولا يُكالُ بالقفزانِ. ولا يُرى مثلُهُ في هذا الزمانِ. كما لم يُرَ في سائرِ الأزمانِ. ثمَّ الحمدُ للهِ الذي حوّلَ كتبي من التعزيةِ إلى التهنئةِ وأخرجَ القاضيَ من ميدانِ الصبرِ. إلى ميدانِ الشكرِ

في التعزية

لابي قاسم في التعزية

٢٧٧ ترامى إلينا خبرُ مصابكَ بفلانٍ. فخلصَ إلينا من الاغتمامِ به ما يحصلُ في مثلِهِ ممّن أطاعَ ووفى وخدمَ ووالى. وعلمنا أنَّ لفقدكَ مثلَهُ لوعةً. وللمصابِ به لذعةً. فآثرنا كتابَنا هذا إليكَ في تعزيتكَ على يقينِنا بأنَّ عقلكَ يُغني عن عظتكَ. ويهدي إلى الأولى بشيمتكَ والأزيدِ في رتبتكَ. فليحسنْ أعزَّكَ اللهُ صبرُكَ على ما أخذَهُ منكَ وشكرُكَ لما أبقى لكَ. وليتمكّنْ من نفسكَ ما وفّرَ لكَ من ثوابِ الصابرينَ. وأجزلَ من ذخرِ المحسنينَ

لابي الفضل الميكالي من كتاب تعزية بالامير ناصر الدين

٢٧٨ أقدارُ اللهِ تعالى في خلقِهِ لم تزلْ تختلفُ بينَ مكروهٍ ومحبوبٍ. وتتصرّفُ بينَ موهوبٍ ومسلوبٍ. عاديةً أحكامُها مرّةً بالمصائبِ والنوائبِ. ورائحةً أقسامُها تارةً بالعطايا والرغائبِ. ولكنْ أحسنُها في العيونِ أثرًا. وأطيبُها في الأسماعِ خبرًا. وأحراها بأن تُكسبَ

ٱلْقُلُوبَ عَزَاءً وَتَصَبُّرًا . مَا إِذَا ٱنْطَوَى نُشِرَ . وَإِذَا ٱنْكَسَرَ جُبِرَ .
وَإِذَا أُخِذَ بِيَدٍ رُدَّ بِأُخْرَى . وَإِذَا وُهِبَ بِيُمْنَى سُلِبَ بِيُسْرَى .
كَٱلْمُصِيبَةِ بِفُلَانٍ ٱلَّتِي قَرَّحَتِ ٱلْأَكْبَادَ . وَأَوْهَنَتِ ٱلْأَعْضَادَ . وَسَوَّدَتْ
وُجُوهَ ٱلْمَكَارِمِ وَٱلْمَعَالِي . وَصَوَّرَتِ ٱلْأَيَّامَ فِي صُوَرِ ٱللَّيَالِي .
وَغَادَرَتِ ٱلْمَجْدَ وَهُوَ يَلْبَسُ حِدَادَهُ . وَٱلْعَدْلَ وَهُوَ يَبْكِي عِمَادَهُ . حَتَّى
إِذَا كَادَ ٱلْيَأْسُ يَغْلِبُ ٱلرَّجَاءَ وَيَرُدُّ ٱلظُّنُونَ مُظْلِمَةَ ٱلنَّوَاحِي وَٱلْأَرْجَاءِ .
قَبَضَ ٱللهُ تَعَالَى مِنَ ٱلْأَمِيرِ ٱلْجَلِيلِ مَنِ ٱجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ ٱلْأَهْوَاءُ . وَرَضِيَتْ
بِهِ ٱلدُّهَمَاءُ . فَآسَى بِهِ حَادِثَ ٱلْكَلْمِ . وَسَدَّ بِمَكَانِهِ عَظِيمَ ٱلثَّلْمِ . وَرَدَّ
ٱلْآمَالَ وَٱلنُّفُوسُ قَدِ ٱسْتَبْدَلَتْ بِٱلْحَيْرَةِ قُوَّةً وَٱبْتِدَارًا . وَصَارَتْ
لِلدَّوْلَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ أَعْوَانًا وَأَنْصَارًا

كتب بديع الزمان الى ابن أُختهِ يعزّيهِ بأَخيهِ

٢٧٩ قَدْ وَرَدَ كِتَابُكَ بِمَا ضَمَّنْتَهُ مِنْ تَظَاهُرِ نِعَمِ ٱللهِ عَلَيْكَ .
وَعَلَى أَبَوَيْكَ فَسَكَنْتُ إِلَى ذٰلِكَ . مِنْ حَالِكَ . وَسَأَلْتُ ٱللهَ بَقَاءَكَ .
وَأَنْ يَرْزُقَنِي لِقَاءَكَ . وَذَكَرْتَ مُصَابَكَ بِأَخِيكَ فَكَأَنَّمَا فَتَّتَ عَضُدِي .
وَطَعَنَتْ فِي كَبِدِي . فَقَدْ كُنْتُ مُعْتَضِدًا بِمَكَانِهِ . وَٱلْقَدَرُ جَارٍ
لِشَانِهِ . وَكَذَا ٱلْمَرْءُ يُدَبِّرُ . وَٱلْقَضَاءُ يُدَمِّرُ . وَٱلْآمَالُ تَتَقَسَّمُ . وَٱلْآجَالُ
تَبْتَسِمُ . وَٱللهُ يَجْعَلُهُ فَرَطًا وَلَا يُرِيَنِي فِيكَ سُوءًا أَبَدًا وَأَنْتَ أَيَّدَكَ
ٱللهُ وَارِثُ عُمْرِهِ . وَسِدَادُ ثَغْرِهِ . وَنِعْمَ ٱلْعِوَضُ بَقَاؤُكَ . وَأَبُوكَ سَيِّدِي
أَيَّدَهُ ٱللهُ وَأَلْهَمَهُ ٱلْجَمِيلَ . وَهُوَ ٱلصَّبْرُ . وَآتَاهُ ٱلْجَزِيلَ . وَهُوَ ٱلْأَجْرُ .

وَأَمْتَعَهُ بِكَ طَوِيلًا . فَمَا سُوِّيَتْ بَدِيلًا . وَٱلسَّلَامُ

وكتب الخوارزمي الى الملك لما أُصيب بابنهِ عن خوارزم شاه

٢٨٠ كَتَبْتُ وَأَنَا مُقَسَّمٌ بَيْنَ فَرْحَةٍ وَتَرْحَةٍ . وَمُرَدَّدٌ بَيْنَ مِحْنَةٍ
وَمِنْحَةٍ . أَشْكُو جَلِيلَ ٱلرَّزِيَّةِ . وَأَشْكُرُ جَزِيلَ ٱلْعَطِيَّةِ وَأَسْأَلُ ٱللهَ تَعَالَى
لِلْأَمِيرِ ٱلْمَاضِي ٱلْغُفْرَانَ وَٱلرَّحْمَةَ . وَلِلْأَمِيرِ ٱلسَّيِّدِ ٱلتَّأْيِيدَ وَٱلنِّعْمَةَ . فَإِنَّ
ٱلْمُصِيبَةَ بِٱلْمَاضِي وَإِنْ كَانَتْ تَسْتَوْعِبُ ٱلصَّبْرَ . فَإِنَّ ٱلْمَوْهِبَةَ فِي ٱلْبَاقِي
تَسْتَنْفِدُ ٱلشُّكْرَ . وَٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي كَسَرَ . ثُمَّ جَبَرَ . وَسَلَبَ . ثُمَّ وَهَبَ .
وَٱبْتَلَى . ثُمَّ أَوْلَى . وَأَخَذَ ثُمَّ أَعْطَى . كَتَبَ عَلَى ٱلْمَشْرِقِ خَاصَّةً . بَلْ
عَلَى ٱلدُّنْيَا كَافَّةً . أَنْ تَطْمُسَ آثَارَهَا . وَتُظْلِمَ أَقْطَارَهَا . وَتَهُبَّ رِيحُ
ٱلْخَرَابِ عَلَيْهَا . وَتَنْظُرَ عَيْنُ ٱلْكَمَالِ إِلَيْهَا . حَتَّى ذَبَلَتْ شَجَرَةُ ٱلْمَمْلَكَةِ .
وَوَهَنَ رُكْنُ ٱلْمِلَّةِ . وَطُرِفَ نَاظِرُ ٱلدَّوْلَةِ . وَٱنْثَلَمَ جَانِبُ ٱلدَّعْوَةِ . ثُمَّ
ٱسْتَدْرَكَ ٱللهُ تَعَالَى بِرَحْمَتِهِ خَلْقَهُ . فَرَدَّ إِلَى ٱلْأَمِيرِ حَقَّهُ . وَقَرَّتِ ٱلدَّوْلَةُ
فِي قَرَارِهَا . وَعَادَتِ ٱلنِّعْمَةُ إِلَى نِصَابِهَا . وَطَلَعَتِ ٱلشَّمْسُ مِنْ مَطْلَعِهَا .
وَوُضِعَتِ ٱلرِّئَاسَةُ فِي مَوْضِعِهَا . فَأَنَا ٱلْآنَ بَيْنَ شِكَايَةِ ٱلْأَيَّامِ وَشُكْرِهَا
وَبَيْنَ حَرْبِ ٱلدَّهْرِ وَسِلْمِهِ . أَبْكِي وَأَنَا ضَاحِكٌ وَأَضْحَكُ وَأَنَا بَاكٍ
ٱلْعَيْنِ . إِلَّا أَنَّ ٱلضَّحِكَ عَلَيَّ أَغْلَبُ . وَٱلْفَرَحَ إِلَيَّ مِنَ ٱلْغَمِّ أَقْرَبُ . لِأَنَّ
ٱلْمُصِيبَةَ مَاضِيَةٌ . وَٱلنِّعْمَةَ بَاقِيَةٌ . رَحِمَ ٱللهُ ٱلْمَاضِيَ رَحْمَةً تَهُونُ عَلَيْنَا
مَصْرَعَهُ . وَتُبَرِّدُ لَهُ مَضْجَعَهُ . وَتُضَاعِفُ حَسَنَاتِهِ . وَتَمْحُو سَيِّئَاتِهِ . وَأَعَانَ
ٱلْأَمِيرَ عَلَى رِعَايَةِ مَا ٱسْتَرْعَاهُ . وَأَلْهَمَهُ شُكْرَ مَا أَعْطَاهُ . وَتَوَلَّاهُ فِيمَا وَلَّاهُ .

ووالاهُ جزيلَ ما أَوْلاهُ . وأَيَّدَ بالهَيْبَةِ سُلْطانَهُ . وثَبَّتَ بالبَقاءِ أَرْكانَهُ .

وكتب الى أبي طاهر وزير أبي علي بن الياس بكرمان

٢٨١ كَتَبْتُ ولَمَّا اتَّصَلَ بي خَبَرُ المُصيبَةِ لَمْ أَملِكْ مِنْ قَلْبي إلَّا ما شَغَلْتُهُ بِها . ولا مِنْ عَيْني إلَّا ما بَكَيْتُ بِهِ لَها . ونَزَلَ بي ما يَنْزِلُ بِمَنْ قارَعَهُ الزَّمانُ عَنْ واحِدِهِ ونازَعَهُ المَوْتُ في بَعْضِ نَفْسِهِ . وزَلَّ عَنْ يَدِهِ الذُّخْرُ الَّذي ادَّخَرَهُ لِصُروفِ الزَّمانِ . وسَلَبَ السَّيْفُ الَّذي لَمْ يَزَلْ يُعِدُّهُ لِلِقاءِ الأَقْرانِ . ثُمَّ تَنَجَّزْتُ مَوْعودَ اللهِ تَعالَى بالصَّبْرِ والعَزاءِ . ولَقَدْ كانَتِ المُصيبَةُ بِفُلانٍ جِراحَةً لا دَواءَ لَها إلَّا الصَّبْرُ . وخُسْرانًا لا جَبْرَ لَهُ إلَّا الأَجْرُ . فَها أَنا أَيَّدَ اللهُ تَعالَى الشَّيْخَ جَريحَ يَدِ الدَّهْرِ ولا طَبيبَ لِمَنْ جَرَحَهُ . وسَليبَ يَدِ المَوْتِ ولا ضامِنَ لِمَنِ اجْتَرَحَهُ . وقَدْ دَفَنْتُ يَدي بِيَدي . وبَكَيْتُ عَلى عَيْني بِعَيْني . وأَفْرَدْتُ في نَفْسي عَنْ نَفْسي والرَّزِيَّةُ بِمِثْلِ فُلانٍ رَزايا . كَما أَنَّ العَطِيَّةَ كانَتْ بِبَقائِهِ عَطايا . ولَكِنْ لا كَثيرَ مِنَ المَصائِبِ مَعَ التَّأَدُّبِ بِأَدَبِ اللهِ تَعالَى . كَما لا قَليلَ مِنَ المَواهِبِ مَعَ الإِيمانِ بِاللهِ تَعالَى . رَحِمَ اللهُ فُلانًا الجامِعَ لِمَحاسِنِ الآدابِ . الشَّيْخَ حِلْمًا وإِنْ كانَ غَضَّ الشَّبابِ . فَلَقَدِ اخْتُضِرَ وهُوَ فَتِيُّ السِّنِّ . واهْتُصِرَ وهُوَ رَطْبُ الغُصْنِ . وكُسُوفُ البَدْرِ عِنْدَ تَمامِهِ أَوْقَعُ . وكَسْرُ العُودِ عِنْدَ اعْتِدالِهِ أَوْجَعُ :

إِنَّ الفَجيعَةَ بِالرِّياضِ نَواضِرًا ... لَأَشَدُّ مِنْها بِالرِّياضِ ذَوابِلا

أَلْبابُ السَّادِسَ عَشَرَ

فِي التَّراجِمِ (*)

فقهاء المسلمين وخطباؤهم

إِبْنُ الْجَوْزِيِّ (٥١٠ ــ ٥٩٧ هجريَّة) (١١١٧ ــ ١٢٠١ مسيحيَّة)

٢٨٢ هو ابو الفرج عبد الرحمان الواعظ الملقَّب جمال الدين الحافظ . كان علَّامة عصرهِ وامام وقتهِ في الحديث وصناعة الوعظ . صنَّف في فنون عديدة منها زاد المسير في علم التفسير اربعة اجزاء أتى فيهِ باشياء غريبة . ولهُ في الحديث تصانيف كثيرة ولهُ المنتظم في التاريخ وهو كبير . ولهُ الموضوعات في اربعة اجزاء ذكر فيها كل حديث موضوع . وكُتُبهُ اكثر من ان تُعدّ وكتب بخطهِ شيئًا كثيرًا والناس يُغالون في ذلك حتى يقولوا انهُ جُمعت الكراريس التي كتبها وحُسبت مدَّة عمرهِ وقُسمت الكراريس على المدَّة فكان ما خصَّ كل يوم تسع كراريس . وهذا شيء عظيم لا يكاد يقبلهُ العقل (لابن خلكان)

أَلسُّهْرَوَرْدِيُّ (٥٣٩ ــ ٦٣٢ هـ) (١١٤٥ ــ ١٢٣٤م)

٢٨٣ هو أبو حفص عُمر بن محمَّد البكري الملقَّب شهاب الدين السُّهْرَورديّ . كان فقيهًا شافعي المذهب شيخًا صالحًا ورِعًا كثير الاجتهاد في العبادة والرياضة . وتخرَّج عليهِ خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة . ولم يكن في آخر عمرهِ في عصرهِ مثلهُ . وصحب عمَّهُ أبا النجيب وعنهُ اخذ التصوُّف والوعظ وانحدر الى البصرة الى الشيخ أبي محمد بن عبد ورأى غيرهم من الشيوخ . وحصَّل طرفًا صالحًا من الفقه والخلاف وقرأ الأدب وعقد مجلس الوعظ سنين . وكان شيخ الشيوخ ببغداد وكان لهُ مجلس وعظ وعلى وعظهِ قبول كثير . ولهُ تآليف حسنة منها كتاب عوارف المعارف وهو اشهرها : ورأيت جماعة ممن حضر مجلسهُ وقعدوا في خلوتهِ وتسلكه كجاري عادة الصوفية . فكانوا يحكون غرائب ممَّا يطرأ عليهم فيها مما يجدونهُ من الاحوال الخارقة . وكان ارباب الطريق من مشايخ عصرهِ يكتبون اليهِ من البلاد صورة فتاوى يسألونهُ عن شيء من احوالهم سمعتُ ان بعضهم كتب اليهِ : يا سيدي ان تركتُ العمل أخلدتُ الى البطالة وان عملت داخلني العُجب فايهما اولى . فكتب جوابهُ : اعمل واستغفر الله تعالى من العجب . ولهُ من هذا شيء كثير . وذكر في كتاب عوارف المعارف ابياتًا لطيفة منها قولهُ فيهِ تعالى :

ان تأمَّلتكم فكلي عيونٌ ... أو تذكَّرتكم فكلي قلوبُ

(*) قد أخلينا هذا الجزء عن ذكر الشعراء وذلك ابتغاء ان نفرد لهم بابًا في الجزء التالي

جَلَالُ ٱلدِّينِ ٱلسُّيُوطِيُّ (٨٤٩ ــ ٩١١ هـ) (١٤٤٥ ــ ١٥٠٥ م)

٢٨٤ هو الامام عبد الرحمان بن الكمال الخُضَيريّ العالم العلّامة الفقيه المحدّث الحافظ المفسّر الاصولي الأديب الجَدَليّ . أخذ عن جماعة من علماء وقتهِ ودرس الفلسفة والرياضيّات فصار أوسع نظرًا وأطول باعًا من مشاهير فضلاء عصرهِ . وكتب في كل مسئلة مصنّفًا باقوالها وأدلّتها النقليّة والقياسيّة . منها المقامات الطبيّة وانيس الجليس وحسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة وبلغت مصنفاتهُ نحوًا من اربعمائة مصنّف . هذا وقد انتهت اليهِ الرئاسة بمصر وكانت الطلبة تشدّ اليهِ الرحال من كل بلدةٍ وتتقاطر اليهِ من كل صقع اذ كان مبرّزًا من أهل النظر والمناظرة واليهِ كانت الرحلة من الغرب والأندلس واضحى ركنًا من اركان الاسلام

أَبُو ٱلْفَتْحِ ٱلشَّهْرَسْتَانِيُّ (٤٦٧ ــ ٥٤٨ هـ) (١٠٧٤ ــ ١١٥٣ م)

٢٨٥ كان اماماً مبرّزًا فقيهًا وبرع في الفقه وتفرّد فيهِ . وصنّف كتاب نهاية الاقدام في علم الكلام . وكتاب المِلل والنِّحَل . وتلخيص الاقسام لمذاهب الانام . وكان كثير المحفوظ حسن المحاورة يعظ الناس ودخل بغداد سنة عشر وخمسمائة وأقام بها ثلاث سنين وظهر لهُ قبول كثير عند العوامّ . ولهُ شعر قليل منهُ قولهُ :

لقد طفتُ في تلك المعاهد كلها ... وسيَّرتُ طرفي بين تلك المعالمِ
فلم أرَ الّا واضعًا كفَّ حائرٍ ... على ذَقَنٍ او قارعًا سنَّ نادمِ

مُوَفَّقُ ٱلدِّينِ عَبْدُ ٱللَّطِيفِ (٥٥٧ ــ ٦٢٩ هـ) (١١٦١ ــ ١٢٣١ م)

٢٨٦ هو الشيخ الإمام الفاضل موفّق الدين البغدادي . كان مشهورًا بالعلوم متحليًا بالفضائل مليح العبارة . كثير التصنيف وكان متميزًا في النحو واللغة عارفًا بعلم الكلام والطبّ . متطرفًا من العلوم العقليّة فكان في صباهُ اشغلهُ والدهُ بالأدب فلم يعرف اللعب واللهو ولم يُخلِّ وقتًا من اوقاتهِ النظرَ في الكتب والتصنيف والكتابة وكان لكثرة مايرى في نفسهِ يستنقص فُضلاء زمانهِ . ومصنفاتهُ عديدة تنيف على المائة والستّين . ورحل الى دمشق واجتمع بتاج الدين الكندي وجرى بينهما مباحثات وكان الكندي شيخًا هيّابًا ذكيًّا مثريًا لهُ جانب من السلطان لكنهُ كان مُعجبًا بنفسهِ فاظهر الله عليهِ عبدَ اللطيف . ثم توجّه الى زيارة القدس بظاهر عكّا ودخل مصر ثم عاد الى القدس ثانيةً بعد ان هادن صلاحُ الدين الفرنج . فدخل على السلطان ورأى بهِ ملكًا عظيمًا يملأ العين روعةً والقلوب محبّةً . ولما حضرهُ وجد مجلسهُ حافلاً باهل العلم يتذاكرون باصناف العلوم . وصلاح الدين يحسن الاستماع والمشاركة . فاكرم صلاح الدين مثواهُ وعيّن لهُ راتبًا لكل شهر . الى ان مات صلاح الدين فانتقل عبد اللطيف الى مصر . فكان في النهار يُقرئُ الناس بالجامع الأزهر وكان في الليل يشتغل على نفسهِ . فصنّف كتاب الافادة والاعتبار في

الامور المعاينة في ارض مصر . ثمّ عاد راجعًا الى بغداد وبها كانت وفاتهُ (لابن ابي أُصيبعة)

أَلْغَزَّالِيُّ (٤٥١ ــ ٥٠٥ هـ) (١٠٥٨ ــ ١١١١ م)

٢٨٧ هو الامام حجّة الاسلام ابو حامد محمد الغزّالي لم ترَ العيون مثلهُ لسانًا وبيانًا وخاطرًا وذكاءً وعلمًا وعملًا . فاق اقرانهُ من تلامذة الحرمَيْن وصار في ايام امام الحرمَيْن مفيدًا مصنفًا والامام يتبجّح بهِ . وكان مجلس نظام الملك مجمع الفضلاء . فوقع لأبي حامد في مجلسهِ ملاقاة الفحول ومناظرة الخصوم في فنون العلوم فاقبل نظام الملك عليهِ . وانتشر ذكرهُ في الآفاق فرسم لهُ تدريس المدرسة النظاميّة ببغداد . وصنّف كُتبًا لم يُصنّف مثلها . ثم حجّ وترك الدنيا واختار الزهد والعبادة وبالغ في تهذيب الأخلاق . ودخل بلاد الشام وصنّف كتبًا كثيرة لم يُسبَق الى مثلها في عدّة فنون منها المتحَل في علم الجَدَل . والتبر المسبوك . واحياء علوم الدين . وهو من أنفس الكتب وأجملها وهو كتاب لا يستغني عنهُ طالب الآخرة . ثم عاد الى خراسان مواظبًا على العبادات الى ان انتقل الى جوار الحق بطوس عن اربع وخمسين سنة (للقزويني)

أَلْمَاوَرْدِيُّ (٣٦٤ ــ ٤٥٠ هـ) (٩٧٤ ــ ١٠٥٩ م)

٢٨٨ هو علي ابن حبيب الامام الجليل القدر الرفيع الشان أبو الحسن الماوردي صاحب الحاوي والاقناع في الفقه وأدب الدنيا والدين والاحكام السلطانيّة وقانون الوزارة وسياسة الملك وغير ذلك . وكان اماماً جليلًا رفيع الشان لهُ اليد الباسطة في المذهب والتفنن التامّ في سائر العلوم . قال الشيخ أبو اسحاق : درس بالبصرة وبغداد سنين كثيرة . ولهُ مصنفات كثيرة في الفقه والتفسير واصول الدين والادب . وجُعل عليهِ القضاء ببلدان كثيرة . وقال ابن خيران : كان رجلًا عظيم القدر متقدماً عند السلطان أحد الائمة . لهُ التصانيف الحسان في كل فنّ . ومن كلام الماوردي الدالّ على دينهِ ومجاهدتهِ لنفسهِ ما ذكرهُ في كتاب أدب الدنيا والدين فقال : ومما انذرك بهِ من حالي انني صنّفت في البيوع كتابًا جمعت لهُ ما استطعت من كتب الناس . واجهدتُ فيهِ نفسي وكدّرت فيهِ خاطري حتى اذا تهذّب واستكمل وكدتُ أُعجب بهِ . وتصوّرت انني اشدّ الناس اضطلاعًا بعلمهِ حضرني وانا في مجلسي اعرابيّان فسألاني عن بيعٍ عقداهُ في البادية على شروط تضمّنت اربع مسائل لم اعرف لشيء منها جوابًا . فاطرقت مفكرًا وبحالي وحالها معتبرًا . فقالا : أما عندك فيما سألناك عنهُ جوابٌ وانت زعيم هذه الجماعة . قلت : لا . فقالا : إيهًا لك . وانصرفا ثم أتيا مَن قد يتقدّمهُ في العلم كثير من اصحابي . فسألاهُ فاجابهما مسرعًا بما اقنعهما فكان ذلك زاجر نصيحة ونذير عظة تذلّل لها قياد النفس وانخفض بها جناح العُجب (*)

(*) ومنهم ناصر الدين البيضاوي (٦٨٥ هـ) قاضي القضاة بشيراز ولهُ الكتاب الموسوم بانوار التنزيل . ومنهم ابو عبد الله البخاري (٢٥٦ هـ) صاحب الجامع الصحيح تفرّد في علم الرواية والحديث

أُدباء المسلمين

أَلْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ (٤٨٠ ـ ٥٣٥ هـ) (١٠٨٧ ـ ١١٤٠ م)

٢٨٩ هو أَبو نصر الفتح بن محمد بن عبيدالله بن خاقان القيسيّ الاشبيلي لهُ عدّة تصانيف منها كتاب قلائد العقيان وقد جمع فيهِ من شعراء المغرب طائفة كثيرة. وتكلّم على ترجمة كل واحد منهم باحسن عبارة والطف اشارة. ولهُ ايضاً كتاب مطمح الأَنفس ومسرح التأنس في مُلح أَهل الأَندلس. وهو ثلاث نسخ كبرى وصغرى ووسطى. وهو كتاب كثير الفائدة وكلامهُ فيهِ يدلّ على غزارة فضلهِ وسعة مادّتهِ. وكان كثير الأَسفار سريع التنقّلات. وقال الحافظ أَبو الخطّاب بن دحية: كان ابن خاقان خليع العذار في دنياهُ. لكن كلامهُ في تآليفهِ كالسحر الحلال. والماء الزلال. قُتل ذبحاً في مسكنهِ بفندق من حاضرة مرّاكش صدر سنة خمس وثلاثين وخمسمائة. وان الذي أَشار بقتلهِ أَمير المسلمين أَبو الحسن عليّ بن يوسف بن تاشفين وهو أَخو أَبي اسحاق ابرهيم بن يوسف بن تاشفين الذي أَلّف لهُ أَبو نصر المذكور قلائد العقيان وقد ذكرهُ في خطبة الكتاب (لابن خلكان)

إِبْنُ عَبْدِ رَبِّهِ (٢٤٦ ـ ٣٢٨ هـ) (٨٦١ ـ ٩٤٠ م)

٢٩٠ هو الفقيه العالم أَبو عُمر أَحمد بن عبد ربّهِ عالم سادَ بالعلم ورأَس. واقتبس من الحظوة ما اقتبس. وشُهر بالأَندلس حتى سار الى المشرق ذكرهُ. واستطار شرر الذكاء فكرهُ. وكانت لهُ عناية بالعلم وثقة ورواية لهُ متّسقة. وأَمّا الأَدب فهو كان حجّتهُ وبهِ غمرت الافهام لجّتهُ. مع صيانةٍ وورع. وديانة ورد ماءها فكرع. ولهُ التأليف المشهور الذي سمّاهُ بالعقد. وحماهُ عن عثرات النقد. لانهُ أَبرزهُ مثقّف القناة. مرهف الشباة. تقصر عنهُ ثواقب الألباب. وتبصر السحر منهُ في كل باب. ولهُ شعر انتهى منتهاهُ. وتجاوز سماك الاحسان سماهُ. وكان ابن عبد ربّهِ من العلماء المكثرين من المحفوظات والاطلاع على اخبار الناس. وكتابهُ العقد الفريد من الكتب الممتّعة حوى من كل معنى شهي وكل نادرة غريبة (نفح الطيب للمقري)

أَبُو ٱلْفَرَجِ ٱلْأَصْبَهَانِيُّ (٢٨٤ ـ ٣٥٦ هـ) (٨٩٧ ـ ٩٦٧ م)

٢٩١ هو علي بن الحسين القرشيّ الأُموي الكاتب صاحب كتاب الأَغاني. وجدُّهُ مروان آخر خلفاء بني أُميّة. وهو أَصبهاني الأَصل بغدادي المنشإ. كان من اعيان ادبائها وأَفراد مصنّفيها. وكان عالماً بايام الناس والانساب والسير. كان يحفظ من الشعر والأَغاني والأَخبار والآثار ما لم يُرَ قطُّ من يحفظ مثلهُ. ويحفظ دون ذلك من علوم أُخر منها اللغة والنحو ونُتَفٌ من الطبّ والنجوم والاشربة وغير ذلك. ولهُ شعر يجمع اتقان العلماء واحسان الظرفاء

والشعراء. ولهُ المصنّفات المستملحة منها كتاب الأَغاني الذي وقع الاتفاق على انهُ لم يعمل في بابهِ مثلهُ. يقال انهُ جمعهُ في خمسين سنةً وحملهُ الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاهُ الف دينار واعتذر اليهِ. وحكي عن الصاحب بن عباد انهُ كان في أَسفارهِ وتنقلاتهِ يستصحب حمل ثلاثين جملاً من كتب الأَدب ليطالعها. فلما وصل اليهِ كتاب الأَغاني لم يكن بعد ذلك يستصحب سواهُ استغناءً بهِ عنها. ومنها كتاب الامماء الشواعر وكتاب الديارات وكتاب الحانات وآداب الغرباء. وحصل لهُ ببلاد الأَندلس كتب صنّفها لبني أُميّة ملوك الأَندلس يوم ذاك وسيّرها اليهم سرًّا وجاءهُ الانعام منهم سرًّا. ومن ذلك كتاب أَيّام العرب الف وسبعمائة يوم وكتاب التعديل والانتصاف في مآثر العرب ومثالبها وغير ذلك. وكان منقطعاً الى الوزير المهلّبي ولهُ فيهِ مدائح منها قولهُ:

ولمّا انتجعنا لائذين بظلّهِ ... أَعان وما عنّى ومنّ وما منّا
وردنا عليهِ مقترين فراشنا ... وردنا نداهُ مجدبين فاخصبنا (لابن خلّكان)

بَدِيعُ ٱلزَّمَانِ (٣٥٣ ـ ٣٩٨ هـ) (٩٦٤ ـ ١٠٠٨ م)

٢٩٢ هو أَبو الفضل احمد بن الحسين الهمذاني مفخر همذان ونادرة الفلك وبكر عُطارد وفريد الدهر وغرّة العصر. ومن لم يُلفَ نظيرهُ في ذكاء القريحة وسرعة الخاطر وشرف الطبع. وصفاء الذهن وقوّة النفس. ولم يدرك قرينهُ في ظرف النثر وملحهِ وغُرر النظم ونكتهِ. ولم يُرو ان أَحدًا بلغ مبلغهُ من لبّ الأَدب وسرّهِ. وجاء بمثل اعجازهِ وسحرهِ. فانهُ كان صاحب عجائب وبدائع وغرائب ولقبهُ بالبديع يدل على قدرهِ. فمنها انهُ كان يُنشَد القصيدة لم يسمعها قطّ وهي اكثر من خمسين بيتًا. فيحفظها كلها ويوردها الى آخرها لا يخرم حرف منها. وينظر في الأَربع والخمس الأَوراق من كتاب لم يعرفهُ ولم يرَهُ نظرةً واحدةً خفيفة ثم يعيدها عن ظهر قلبهِ. هذا ويسردها سردًا. وكان يُقترح عليهِ عمل قصيدة وانشاء رسالة في معنى غريب وباب بديع. فيفرغ منها في الوقت والساعة والجواب عما فيها. وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليهِ فيبتدئ بآخر سطورهِ ثم هلمَّ جرًّا الى الأَوّل ويخرجهُ كاحسن شيء واملحهِ. ويوشح القصيدة الفريدة من قبلهِ بالرسالة الشريفة من انشائهِ. فيقرأ من النظم النثر ومن النثر النظم. فيرتجعهُ في اسرع من الطرف على ريق لا يبلعهُ ونَفَسٍ لا يقطعهُ. وكلامهُ كلهُ عفو الساعة وفيض اليد ومسارقة القلم ومجاراة الخاطر. وكان مع هذا مقبول الصورة خفيف الروح حسن العشرة ناصع الطرف. عظيم الخلق شريف النفس. كريم العهد خالص الودّ. حلو الصداقة مرّ العداوة. فارق همذان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو مقتبل الشبيبة غضّ الحداثة. وقد درس على أَبي الحسين ابن فارس وأَخذ عنهُ جميع ما عندهُ. واستنفد علمهُ وورد حضرة الصاحب أَبي القاسم بن عبّاد.

فتزود من ثمارها وحسن آثارها . وولي نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة . فنشر بها بزّهُ وأظهر طرزهُ واملى اربعمائة مقامة تخالها أبا الفتح الاسكندري في الكدية وغيرها . وضمّنها ما تشتهي الانفس من لفظ انيق . قريب المأخذ بعيد المرام . وسجع رشيق المطلع والمقطع كسجع الحمام . وجِدٍ يروق فيملك القلوب وهزل يشوق فيسحر العقول . ثم ألقى عصاهُ بحراة فعاش فيها عيشة راضية . وحين بلغ اشدهُ وارْبى على اربعين سنة ناداهُ الله فلبّاهُ وفارق دنياهُ . فقامت نوادب الأدب وانثلم حد القلم . وبكاهُ الفضائل والأفاضل . ورثاهُ الاكارم مع المكارم . على انهُ مامات من لم يَمُت ذكرهُ . ولقد خلَد من بقي على الايام نظمهُ ونثرهُ (اليتيمة للثعالبي)

أَبُو مَنْصُورٍ الثَّعَالِبِيُّ (٣٥٠ ـ ٤٢٩ هـ) (٩٦١ ـ ١٠٣٨ م)

٢٩٣ هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي النيسابوري كان في وقتهِ راعي تَلَعات العلم . وجامع اشتات النثر والنظم . وراس المؤلفين في زمانهِ . وامام المصنّفين بحكم قرآنهِ . وسار ذكرهُ سير المثَل . وضربت اليهِ آباط الابل . وطلعت دواوينهُ في المشارق والمغارب . طلوع النجم في الغياهب . تآليفهُ اشهر مواضع . واجهر مطالع . وأكثر راوٍ لها وجامع . من ان يستوفيها حدٌّ أو وصف . او يوفي حقوقها نظم أو رصف . وذكر لهُ طرفٌ من النثر ونورد شيئاً من نظمهِ . فمن ذلك ما كتبهُ الى الأمير أبي الفضل الميكالي :

لك في المفاخر معجزاتٌ حمّةٌ ... أبداً لغيرك في الورى لم تُجمعِ
بحران بحرٌ في البلاغة شابهُ ... شعر الوليد وحسن لفظ الأصمعي
وترسّل الصابي يزين علوّهُ ... خطُّ ابن مقلة ذو المحلّ الأرفعِ
شكراً فكم من فقرةٍ لك كالغنى ... وافى الكريم بُعَيد فقرٍ مدقعِ
واذا تفتّق نَوْرُ شعرك ناضراً ... فالحسن بين مرصّعٍ ومصرّعِ
أرجلتَ فرسان الكلام ورضت افـ ... ـراس البديع وأنت امجد مبدعِ
ونقشتَ في فصّ الزمان بدائعاً ... تزري بآثار الربيع الممرعِ

ولهُ من التآليف يتيمة الدهر . في محاسن أهل العصر . وهو اكبر كتبهِ واحسنها واجمعها . وفيها يقول ابو الفتوح نصر الله بن قلاقس الشاعر الاسكندري المشهور :

أبيات أشعار اليتيمه ... أبكار أفكار قديمه
ماتوا وعاشت بعدهم ... فلذاك سُمّيتِ اليتيمه

ولهُ ايضاً كتاب فقه اللغة وسحر البلاغة وسرّ البراعة . ومونس الوحيد في المحاضرات . جمع فيها أشعار الناس وأخبارهم . وفيها دلالة على كثرة اطلاعهِ (الذخيرة لابن بسام)

أَبُو مُحَمَّدٍ الْحَرِيرِيُّ (٤٤٦ ـ ٥١٦ هـ) (١٠٥٤ ـ ١١٢٢ م)

٢٩٤ هو أبو محمد القاسم بن عليّ الحريري البصري الحراميّ صاحب المقامات . كان احد

ائمّة عصرهِ ورُزِق الحظوة التامّة في عمل المقامات . واشتملت على شيء كثير من كلام العرب من لغاتها وامثالها ورموز اسرار كلامها ومَن عرفها حقّ معرفتها استدلّ بها على فضل هذا الرجل وكثرة اطلاعه وغزارة مادّتهِ . وكان سبب وضعهِ لها ما حكاهُ ولدهُ ابو القاسم عبد الله قال : كان أبي جالساً في مسجد بني حرام فدخل شيخ ذو طمرين عليهِ اهبة السفر . رث الحال فصيح الكلام حسن العبارة . فسألتهُ الجماعة من أين الشيخ . فقال : من سروج . فاستخبروهُ عن كنيتهِ فقال : أبو زيد . فعمل أبي المقامة المعروفة بالحرامية وهي الثامنة والأربعون وعزاها الى أبي زيد المذكور واشتهرت . فبلغ خبرها الوزير شرف الدين أبا نصر أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني وزير الامام المسترشد بالله فلمّا وقف عليها أعجبتهُ وأشار على والدي ان يضمّ اليها غيرها . فاتمّها خمسين مقامة . والى الوزير المذكور أشار الحريري في خطبة المقامات بقولهِ : فاشار مَن إشارتهُ حكم . وطاعتهُ غُنم . الى ان انشئ مقامات اتلو فيها تلو البديع . وان لم يدرك الظالع شأو الضليع . وقد اعتنى بشرحها خلق كثير فنهم من طوّل ومنهم من اختصر . ورأيت في بعض الجاميع ان الحريري لمّا عمل المقامات كان قد عملها اربعين مقامة وحملها من البصرة الى بغداد وادّعاها فلم يصدقهُ في ذلك جماعة من ادباء بغداد . وقالوا : انها ليست من تصنيفهِ بل هي لرجل مغربي من أهل البلاغة مات بالبصرة ووقعت اوراقهُ اليهِ فادّعاها . فاستدعاهُ الوزير الى الديوان واقترح عليهِ إنشاء رسالة في واقعة عيّنها . فاخذ الدواة والورقة ومكث زماناً كثيراً فلم يفتح الله عليهِ بشيء من ذلك . فقام وهو خجلان فقال فيهِ أبو القاسم عليّ بن أفلح :

شيخ لنا من ربيعة الفرسِ ... يتيف عثنونهُ من الهوسِ
انطقهُ الله بالمَشان كما ... رماهُ وسط الديوان بالخرسِ

وكان الحريري يزعم انهُ من ربيعة الفرس . وكان مولعاً بتنف لحيتهِ عند الفكرة وكان يسكن في مَشان البصرة . فلمّا رجع الى بلده عمل عشر مقامات أُخر وسيّرهنّ واعتذر من عيبهِ وحصرهِ في الديوان بما لحقهُ من المهابة . وللحريري تآليف حسان منها درّة الغواص في اوهام الخواص . ومنها ملحة الاعراب المنظومة في النحو ولهُ ايضاً شرحها . ولهُ ديوان رسائل وشعر كثير غير شعرهِ الذي في المقامات . ولهُ قصائد استعمل فيها التجنيس كثيراً . ويحكى انهُ كان دميماً قبيح المنظر . فجاءهُ شخص غريب يزورهُ ويأخذ عنهُ شيئاً فلما رآهُ استزرى شكلهُ ففهم الحريري ذلك منهُ . فلما التمس منهُ ان يملي عليهِ قال لهُ اكتب :

ما أنت أوّل سارٍ غرّهُ قمرُ ... ورائدٍ اعجبتهُ خضرةُ الدمَنِ
فاختر لنفسك غيري انني رجل ... مثل المعيديّ فاسمع بي ولا ترَني

فخجل الرجل منهُ وانصرف . وتوفي الحريري بالبصرة (لابن خلّكان)

٢٩٥ ٱلشَّرِيشِيُّ (٥٥٧ ـ ٦١٩ هـ) (١١٦٣ ـ ١٢٢٢ م)

هو الكمال أبو العبّاس أحمد من أهل شَريش . ولهُ تآليف افاد بما حشد فيها منها جمع مشاهير قصائد العرب وشروح لمقامات الحريري كبير ووسط وصغير وفي الكبير من الآداب ما لا كفء لهُ . لم يترك منها فائدةً الّا استخرجها . ولا فريدةً الّا استدرجها . ولا نكتةً الّا عثّقها . ولا غريبة الّا استحقّها . فجاء شرحهُ يغني عن كل شرحٍ . وكان الشريشي يقرئ العربيّة وأخذ عنهُ جماعةٌ وأقام في بَلَنسية ثم رحل الى إشبيلية وانتقل الى المشرق . وكانت وفاتهُ بشريش بلدهِ

٢٩٦ ٱبْنُ أَبِي ٱلرَّنْدَقَةِ ٱلطَّرْطُوشِيُّ (٤٥١ ـ ٥٢٠ هـ) (١٠٥٩ ـ ١١٢٦ م)

هو الفقيه العالم ابو بكر الفهري الطرطوشي صاحب سراج الملوك وكفى هذا الكتاب دليلاً على فضلهِ . وكان زاهدًا عابدًا متورّعًا متقلّلاً من الدنيا قوّالاً للحق . وكان يقول: اذا عرض لك امر دنيا وأُخرى فبادر بأمر الاخرى يحصل لك امر الدنيا . وصحب بسَرَقُسطة القاضي أبا الوليد وأخذ عنهُ مسائل في الحساب والفرائض . وقرأ الأدب على أبي محمد بن حزم بمدينة اشبيلية ثم رحل الى المشرق سنة ست وسبعين واربعمائة . ودخل بغداد والبصرة فتفقّه هنالك عند أبي بكر الشاشي وأبي محمد الجرجاني وسمع بالبصرة من أبي عليّ التُستُري . وسكن الشام مدّة ودرس بها وكان راضيًا باليسير . قال الصفدي في ترجمة الطرطوشي : ان الأفضل ابن أمير الجيوش انزلهُ في مسجد شقيق الملك بالقرب من الرصد وكان يكرههُ . فلما قُتِل الأفضل ولي بعدهُ المأمون بن البطائحي فاكرم الشيخ اكرامًا كثيرًا ولهُ أَلّف الشيخ سراج الملوك . ومن تآليفهِ مختصر تفسير الثعالبي والكتاب الكبير في مسائل الخلاف . وتوفي بالاسكندريّة وشهرتهُ تغني عن الاطناب فيهِ . وحكي انهُ كتب على سراج الملوك الذي أهداهُ لوليّ الأمر بمصر:

النـاس يهدون على قدرهم ... لكنني اهدي على قدري
يهدون ما يفنى واهدي الذي ... يبقى على الايّام والدهرِ (للقرني)

٢٩٧ بَهَاءُ ٱلدِّينِ ٱلْعَامِلِيُّ (٩٥٣ ـ ١٠٣١ هـ) (١٥٤٧ ـ ١٦٢٢ م)

الشيخ العلامة اللوذعي بهاء الدين بن حسين العاملي هو علَم الائمة الاعلام . وسيّد علماء الاسلام . وبحر العلم المتلاطمة أمواجهُ . ومحل الفضل الناتجة لديهِ أفرادهُ وأزواجهُ . وطود المعارف الراسخ . وفضاؤها الذي لا تُحدّ لهُ فراسخ . وجوادها الذي لا يؤمَّل لهُ لحاق . وبدرها الذي لا يعتريهِ محاق . اليهِ انتهت رئاسة المذهب والملّة . وبهِ قامت قواطع البراهين والأدلّة . جمع فنون العلم فانعقد عليهِ الاجماع وتفرّد بصنوف الفضل فبهر النواظر والاسماع . فما من فنّ الّا ولهُ فيهِ القدم المعلّى . والمورد العذب المحلّى . ان قال لم يدع قولاً لقائل . أو طال لم يأتِ غيرهُ بطائل . ومن مصنفاتهِ التفسير المسمّى بالعروة الوثقى والزبدة في الاصول وخلاصة الحساب

والخلاة والكشكول فيهِ كل نادرة من علوم شتّى وتشريح الافلاك وغير ذلك من الرسائل المختصرة والفوائد المحرّرة . وكان مولدهُ بقزوين ثم خرج من بلدهِ وتنقّلت بهِ الاسفار الى ان وصل الى اصفهان . فوصل خبرهُ الى سلطانها شاه عبّاس فطلبهُ لرئاسة العلماء . فوليها وعظم قدرهُ وارتفع شأنهُ ثم دخل مصر . وامتدح بها الاستاذ ابا الحسن البكري بقصيدةٍ مطلعها :

يا مصر سقيًا لكِ من جنةٍ ... قطوفُها يانعة دانيه

ثم قدم القدس ولزم فناء المسجد الأقصى . وكان متّسمًا بلبس السيّاح مؤنسًا بالوحشة دون الايناس . ثم أقلع الى حلب ورجع الى اصفهان فتوفي فيها (لاحمد المَنيني)

٢٩٨ أَبُو إِسْحَاقَ ٱلْقَيْرَاوَنِيُّ (٣٩٠ ـ ٤٥٣ هـ) (١٠٠٠ ـ ١٠٦١ م)

هو ابو اسحاق ابرهيم بن عليّ بن تميم المعروف بالحصري القيرواني الشاعر المشهور . لهُ ديوان شعر وكتاب زهر الآداب وثمر الألباب جمع فيهِ كل غريبة في ثلاثة اجزاء . وكتاب المصون في سرّ الهوى المكنون . في مجلّد واحد فيهِ مُلح وآداب . ذكرهُ ابن الرشيق في كتابهِ الانموذج وحكى شيئًا من أخبارهِ وأحوالهِ وأنشد جملة من اشعارهِ وقال : كان شبّان القيروان يجتمعون عندهُ ويأخذون عنهُ . ورأس عندهم وشرف لديهم . وسارت تآليفهُ وانثالت عليهِ الصلات من الجهات . وتوفي ابو اسحاق المذكور بقيروان أهل الرواية واللغة من المسلمين

٢٩٩ ٱلْأَصْمَعِيُّ (١٢٣ ـ ٢١٦ هـ) (٧٤١ ـ ٨٣١ م)

هو أبو سعيد عبد الملك الباهلي من ابناء عدنان . وكان عالمًا عارفًا باشعار العرب وآثارها . كثير التطوّف في البوادي لاقتباس علومها وتلقّي اخبارها . فهو صاحب غرائب الأشعار . وعجائب الأخبار . وقدوة الفضلاء . وقبلة الادباء . قد استولى على الغايات في حفظ اللغات وضبط العلوم الأدبيّات . صاحب دين متين . وعقل رصين . وكان خاصًا بالرشيد آخذًا اصلاتهِ . ولهُ من التصانيف كتاب خلق الانسان وكتاب الأجناس وكتاب الانواء وكتاب الخيل وكتاب الانشاء وكتاب الأمثال وكتاب النوادر وكتاب النبات وغير ذلك . وكان هارون الرشيد قد استخلصهُ لمجلسهِ . واجازهُ عليّ ابو يوسف القاضي بجوائز كثيرة وعُمّر نيفًا وتسعين سنة ورثاهُ الحسن بن مالك :

لا دَرَّ دَرُّ نبات الأرض اذ فُجِعتْ ... بالأصمعيّ لقد ابقت لنا أسفا
عِشْ ما بدا لك في الدنيا فلستَ ترى ... في الناس منهُ ولا من علمهِ خَلَفا

٣٠٠ سِيبَوَيْهِ (١٢١ ـ ١٦١ هـ) (٧٣٩ ـ ٧٧٨ م)

هو أبو بشر عمرو الحارثي وسيبويه لقب ومعناهُ بالفارسيّة رائحة التفّاح . وكان من

أهل فارس ومنشاهُ بالبصرة . وكان اعلم المتقدّمين والمتأخرين بالنحو كان أخذهُ عن الخليل. ولم يوضع فيهِ مثل كتابهِ . قال الجاحظ : اردت الخروج الى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء اهديهِ لهُ فلم اجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه . فقال : والله ما اهديت اليَّ شيئاً احبَّ اليَّ منهُ . وكان يقال بالبصرة : قرأ فلان الكتاب . فيعلم انهُ كتاب سيبويه . وكان ابو العبّاس المبرد اذا أراد مريد ان يقرأ عليهِ كتاب سيبويه يقول لهُ : هل ركبت البحر . تعظيماً لكتاب سيبويه واستصعاباً لما فيهِ . وكان أبو عثمان المازني يقول: مَن أراد ان يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحِ . ولمَّا ورد سيبويه الى بغداد من البصرة والكسائي يومئذٍ يعلّم الأمين بن هارون الرشيد فجمع بينهما وتناظرا . وجرى مجلس يطول شرحهُ . وزعم الكسائي ان العرب تقول : كنت اظن الزنبور اشدّ لسعاً من النحلة فاذا هو إيّاها . فقال سيبويه : ليس المثل كذا بل : فاذا هو هي . وتشاجرا طويلاً واتّفقا على مراجعة عربيّ خالص لا يشوب كلامهُ شيء من كلام أهل الحضر . وكان الأمين شديد العناية بالكسائي لكونهِ معلّمهُ . فاستدعى عربياً وسألهُ . فقال كما قال سيبويه . فقال لهُ يُريد ان تقول كما قال الكسائي . فقال : ان لساني لا يطاوعني على ذلك فانهُ ما يسبق الّا الى الصواب . فقرّروا معهُ ان شخصاً يقول : قال سيبويه كذا . وقال الكسائي كذا . فالصواب مع من منهما . فيقول العربي : مع الكسائي . فقال : هذا يمكن . ثم عقد لها المجلس واجتمع ائمّة هذا الشان وحضر العربيّ وقيل لهُ ذلك فقال : الصواب مع الكسائي وهو كلام العرب . فعلم سيبويه انهم تحاملوا عليهِ وتعصّبوا للكسائي فخرج من بغداد وقد حمل في نفسهِ لما جرى عليهِ وقصد فارس فتوفّي بشيراز (ملخص عن نزهة الالبّاء وابن خلكان)

سيّاح المسلمين

إبْنُ بَطُوطَة (٧٠٣ ــ ٧٧٧ هـ) (١٣٠٤ ــ ١٣٧٦ م)

٣٠١ هو أبو عبد الله بن ابرهيم اللواتي الطنجي الملقّب بشمس الدين ابن بطوطة. وهو الذي طاف الارض معتبراً . وطوى الأمصار مختبراً . وباحث فِرَق الامم . وسبر سير العرب والعجم . ثم ألقى عصا التسيار بحاضرة فاس العليا وكان مولدهُ بطنجة سنة ثلاث وسبعمائة . وكان خروجهُ من موطنهِ عام خمسة وعشرين وسبعمائة ولهُ من العمر ثنتان وعشرون سنة . فاخذ يتقلّب في بلاد العراق ومصر والشام واليمن والهند ودخل مدينة دهلي حاضرة ملك الهند وهو السلطان محمد شاه . واتصل بملكها لذلك العهد وهو فيروزجوه . وكان لهُ منهُ مكان واستعملهُ بخُطَّة القضاء بمذهب المالكيّة في عملهِ . ثم ساح في الأقطار الصينيّة والتركية واواسط افريقية في بلاد السودان وفي الأندلس . ثم انقلب الى المغرب واتصل بالسلطان أبي عنان من ملوك بني مرين . وكان يحدّث عن شأن رحلتهِ وما رأى من العجائب بممالك الأرض . ويأتي من أحوالهِ ما يستغربهُ السامعون . فغمرهُ أبو عنان من احسانهِ الجزيل وامتنانهِ الحفيّ الجميل.

ما أنساهُ الماضي بالحال . وأغناهُ عن طول الترحال . فانفذ اليهِ الملك الاشارة بان يملي على محمد بن جُزي الكلبي ما شاهدهُ في رحلتهِ من الأمصار . وما علق بحفظهِ من نوادر الأخبار . فاملى من ذلك ما فيهِ نزهة الخواطر . وبهجة المسامع والنواظر . من كل غريبة أفاد باجتلائها . وعجيبة أطرف بانتحائها . فامتثل ابن جزي ما أُمر بهِ . فضم أطراف ما أملاهُ ابن بطوطة في تصنيف جاء على فوائده مشتملاً . ولنيل مقاصدهِ مكملاً . فوسمهُ بتحفة النظّار . في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (لابن جزيّ)

إبْنُ جُبَيْر (٥٤٠ ــ ٦١٤ هـ) (١١٤٥ ــ ١٢١٧ م)

٣٠٢ هو أبو الحسين الكناني صاحب الرحلة . ولد ببلنسية وعُنِيَ بالأدب فبلغ الغاية فيهِ وتقدّم في صناعة القريض والكتابة . ومن شعرهِ قولهُ وقد دخل الى بغداد فاقتطع غصناً نضيراً من احد بساتينها فذوى في يدهِ :

لا تغتربْ عن وطنٍ ... واذكر تصاريفَ النوى
أما ترى الغصنَ اذا ... ما فارق الأصل ذوى

وقولهُ يخاطب من أهدى لهُ موزًا :

يا مهدي الموز تبقى ... وميمهُ لك فاءُ
وزايهُ عن قريبٍ ... لمن يعاديك تاءُ

ثم رحل الى دمشق ودخل بغداد وانكفأ راجعاً الى المغرب وكان انفصالهُ من غَرناطة ثانيةً بقصد الرحلة الشرقيّة سنة ٥٧٨ . ونزل البر الاسكندري وتحوّل في البلاد ودخل الشام والعراق والجزيرة ورحلتهُ مشهورة بايدي الناس وكانت وفاتهُ بالاسكندريّة

إبْنُ سَعِيد (٦١٠ ــ ٦٧٣ هـ) (١٢١٤ ــ ١٢٧٥ م)

٣٠٣ هو أبو الحسن نور الدين بن سعيد الأديب الرحّالة الطَّرِفة العجيب الشأن في التجوّل في الأقطار ومداخلة الاعيان . المتمتع بالخزائن العلميّة . وتقييد الفوائد المشرقيّة والمغربيّة . أخذ من اعلام اشبيلية وتآليفهُ كثيرة منها المرقصات والمطربات وموضوعان غريبان في اسفارهِ الى المغرب والمشرق . وتعاطى نظم الشعر في حدّ من الشيبة يُعجب فيهِ من ذلك قولهُ في صفة نهر :

كأنّما النهر صفحةٌ كتبت ... أسطرها والنسيم ينشّها
لما ابانت عن حسن منظرها ... مالت عليها الغصون تقرؤها

وقال باقتراح الملك الصالح صاحب حمص ان يكتب بالذهب على تفّاحة عنبر قدّمها لابن عمّهِ الملك الصالح ملك الديار المصريّة :

انا لون الشباب والخال أهديـ ... ـتُ لمن قد كسا الزمان شبابا

ملك العالمين نجم بني أيُّوب لا زال في المعالي مهابا
جئتُ ملأى من الثناء عليهِ مُن شكوري احسانَهُ والثوابا
لستُ ممَّن لهُ خطابٌ ولكن قد كفاني اريج عرفي خطابا

ثم قفل الى مصر ولقي بهاء الدين زهيرًا وجمال الدين بن مطروح . ثم تحوَّل الى دمشق ودخل على السلطان المعظم وحضر مجلس خلوتهِ . ودخل الموصل وبغداد ورحل الى البصرة ودخل ارَّجان ثم عاد الى المغرب . وصنَّف في رحلتهِ مجموعًا سمَّاهُ بالنفحة المسكيَّة . واتَّصل بخدمة الأمير ابي عبد الله المستنصر فنال الدرجة الرفيعة من حظوتهِ الى ان توفي بتُونس

فلاسفة الاسلام واطبَّاؤهم

(إبْنُ رُشْدٍ ٥٩٥ هـ ١١٩٨ م) (أَلرَّازِيُّ ٣١١ هـ ٩٢٣ م)

٣٠٤ ابن رشد هو أبو الوليد المالكي وزير دهرهِ وعظيمهُ وفيلسوف عصرهِ وحكيمهُ . وكان عالمًا بالراي متفنِّنًا للعلوم تولَّى رئاسة الفتاوى في مرَّاكش ثمَّ استوطن إشبيليَة فاشتهر بالتقدُّم في علم الأُول حتى فاق أهل زمانهِ وطار ذكرهُ الى اقطار الاندلس والمغرب فاستدعاهُ سلطان مرَّاكش الى حاضرتهِ ولقي عندهُ حظوة وشملهُ بالصلات والمكارم وكانت وفاتهُ في مرَّاكش ولهُ تآليف جليلة عزيزة الوجود منها الكليَّات في الطبّ وتعريب مصنَّفات ارسطاطاليس وتلخيصها . وأمَّا الرازي فهو ابو بكر بن زكريَّا المشهور اقبل في شبيبتهِ على دراسة كتب الطبّ والفلسفة والكيمياء قرأها قراءَة رجل متعقِّب على مؤلفيها فبلغ من معرفة غوابرها الغاية واضحى امام وقتهِ في الطبّ وعلوم الأوائل والمشار اليهِ في ذلك العصر تشد اليهِ الرحال لاخذها عنهُ وصنَّف فيها الكتب النافعة فمن ذلك كتاب الحاوي وهو عمدة الاطباء في النقل منهُ والرجوع اليهِ عند الاختلاف . ومنها كتاب في اثبات صناعة الكيمياء وتصانيف كثيرة كلُّها يُحتاج اليها . ودبَّر الرازي مارستان الرَّي وبغداد في أيَّام المكتفي وعمي في آخر عمرهِ

إبْنُ زُهْرٍ (٥٠٧ ـ ٥٩٥ هـ) (١١١٤ ـ ١١٩٨ م)

٣٠٥ كان من أهل بيت كلهم علماء روساء حكماء وزراء نالوا المراتب العليَّة وتقدَّموا عند الملوك ونفذت أوامرهم . قال الحافظ : وكان ابن زهر بمكان من اللغة مكين . ومورد من الطب عذب معين كان يحفظ شعر ذي الرمَّة وهو ثلث لغة العرب مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطبّ والمنزلة العليا عند أصحاب المغرب مع سموّ النسب وكثرة الأموال والنشب . ومن شعرهِ قولهُ :

ولي واحدٌ مثل فرخ القطا صغيرٌ تخلَّف قلبي لديهِ
نأت عنهُ داري فيا وحشتا لذاك الشخيص وذاك الوُجيهِ
تشوَّقني وتشوَّقتهُ فيبكي عليَّ وابكي عليهِ

لقد تعب الشوق ما بيننا فمنهُ اليَّ ومني اليهِ

ولهُ وقد شاخ وغلب عليهِ الشيب :

اني نظرتُ الى المرآة اذ جليت فانكرت مقلتاي كل ما رأتا
رأيتُ فيها شُيَيخًا لستُ أعرفهُ وكنتُ اعهدهُ من قبل ذاك فتى
فقلت أين الذي بالأمس كان هنا متى ترحَّل عن هذا المكان متى
فاستضحكت ثم قالت وهي معجبة ان الذي انكرتهُ مقلتاك أتى
كانت سليمى تنادي يا أُخيَّ وقد صارت سليمى تنادي اليوم يا أبتا

وأوصى انهُ اذا مات يكتب على قبرهِ هذه الأبيات وفيها اشارة الى طبّهِ ومعالجتهِ للناس وهي :

تأمَّل بحقك يا واقفًا ولاحظ مكانًا دُفِعنا اليهِ
تراب الضريح على وجنتي كأنيَ لم أمشِ يومًا عليهِ
أُداوي الأنام حذارَ المنونِ وها انا قد صرت رهنًا لديهِ

وتوفي مسخنًا بعلَّة بين كتفيهِ بمدينة قرطبة (لابن خلكان)

إبْنُ سِينَا (٣٧٠ ـ ٤٢٨ هـ) (٩٨٠ ـ ١٠٣٧ م)

٣٠٦ هو أبو عليّ الحسين بن سينا الشيخ الرئيس حكى عن نفسهِ قال : ان أبي كان رجلًا من بلخ . ثم انتقلنا الى بخارى في أيَّام نوح بن منصور واحضرت معلِّم القرآن والأدب . فكملت العشر من العمر وقد أتيت على القرآن وعلى كثير من الأدب حتى كان يُقضى منّي العجب . ثم جاء الى بخارى ابو عبد الله الناتلي وكان يدَّعي الفلسفة فانزلهُ أبي دارنا رجاء تعلي منهُ . فقرأت ظواهر المنطق عليهِ واما دقائقهُ فلم يكن عندهُ منها خُبرة . ثم أخذت اقرأ الكتب على نفسي واطالع الشروح وكذلك كتاب اقليدس فقرأت من اوَّلهِ خمسة أشكال أوستة عليهِ . ثم توليت حلَّ الكتاب باسرهِ . ثم انتقلت الى المجسطي وفارقني الناتلي ثم رغبت في علم الطبّ وصرت اقرأ الكتب المصنفة فيهِ وتعهدت المرضى فانفتح عليَّ من ابواب المعالجات المقتبسة من التجربة ما لايوصف . وانا في هذا الوقت من ابناء ست عشرة سنة . ثم توفرت على القراءة سنة ونصفًا وكلما كنت اتحير في مسألة أو لم اكن اظفر بالحدّ الأوسط في قياس ترددت الى الصلاة وابتهلت الى مبدع الكل حتى فتح لي المغلَق والمتعسّر . وكنت ارجع بالليل الى داري واضع السراج بين يدي واشتغل بالقراءة والكتابة . فمها غلبني النوم او شعرت بضعف عدلت الى شرب قدح من الشراب ربَّما تعود اليَّ قوَّتي . ثم ارجع الى القراءة ومتى أخذني ادنى نوم احلم بتلك المسائل باعيانها . حتى ان كثيرًا منها انفتح لي وجوهها في المنام . ولم أزل كذلك حتى أحكمت علم المنطق والطبيعي والرياضي . ثم عدت الى العلم الالهي وقرأت كتاب ما بعد الطبيعة . فما كنت افهم ما فيهِ والتبس عليَّ غرض واضعهِ . حتى اعدت قراءتهُ اربعين مرَّة وصار لي محفوظًا وانا مع ذلك لا افهمهُ .

وأَيِست من نفسي وقلت : هذا كتاب لا سبيل الى فهمهِ . واذا انا يومًا حضرت وقت العصر في سوق الورَّاقين وبيد دلَّال مجلَّد ينادي عليهِ . فعرضهُ عليَّ فرددتهُ ردَّ متبرِّم معتقد ان لا فائدة في هذا العلم . فقال لي : اشترِ مني هذا فانهُ رخيص ابيعكهُ بثلاثة دراهم وصاحبهُ محتاج الى ثمنهِ فاشتريتهُ فاذا هو كتاب لأَبي نصر الفارابي في اغراض كتاب ما بعد الطبيعة . فرجعت الى بيتي وأَسرعت قراءتهُ فانفتح عليَّ في الوقت اغراض ذلك الكتاب بسبب انهُ قد صار لي على ظهر القلب . وفرحت بذلك وتصدَّقت بشيء على الفقراء شكرًا لله تعالى . فلمَّا بلغت ثماني عشرة سنة من عمري فرغت من هذه العلوم كلها وكنت اذ ذاك للعلم احفظ ولكنهُ اليوم معي انضج والَّا فالعلم واحد لم يتجدَّد لي بعدهُ شيء . ثم مات والدي وتصرَّفت بي الأَحوال وتقلَّدت شيئًا من اعمال السلطان . ودعتني الضرورة الى الارتحال من بخارى والانتقال عنها الى جرجان . وكان قصدي الأَمير قابوس . فاتفق في اثناء هذا أَخذ قابوس وحبسهُ وموتهُ . ثم مضيت الى دهستان ومرضت بها مرضًا صعبًا وعدت الى جرجان (اه) . قال أَبو عُبَيد الجوزَجاني : وصنَّف ابن سينا بجرجان اوَّل القانون ومختصر المجسطي وغير ذلك . ثم انتقل الى الري واتَّصل بخدمة السيدة وابنها مجد الدولة . ثم خرج الى قزوين ومنها الى همذان فاتَّصل بخدمة كربانويه وتولى النظر في اسبابها . ثم سألُوهُ تقلُّد الوزارة فتقلَّدها ثم اتَّفق تشويش العسكر عليهِ واشفاقهم منهُ على انفسهم . فكبسوا دارهُ وأَخذوهُ الى الحبس وأَخذوا جميع ما كان يملكهُ . وساموا الامير شمس الدولة قتلهُ . فامتنع منهُ وعدل الى نفيهِ عن الدولة طلبًا لمرضاتهم . فتوارى الشيخ في دار بعض اصدقائهِ اربعين يومًا فعاد الأَمير طلبهُ وقلَّدهُ الوزارة ثانيًا . ولما توفي شمس الدولة وبويع ابنهُ طلبوا ان يستوزر الشيخ فأبى عليهم وتوارى في دار أَبي غالب العطَّار . وهناك أَتى على جميع الطبيعيَّات والالهيَّات ما خلا كتابَي الحيوان والنبات من كتاب الشفاء وكاتب علاء الدولة سرًّا يطلب المسير اليهِ فاتَّهمهُ تاجُ الملك بمكاتبتهِ وانكر عليهِ ذلك . وحثَّ في طلبهِ فدلَّ عليهِ بعضُ أَعدائهِ فاخذوهُ وأَدَّوهُ الى قلعة يقال لها بردوان وانشأَ هناك قصيدة منها :

دخولي باليقين كما تراهُ ... وكل الشكّ في أَمر الخروجِ

وبقي فيها أَربعة أَشهر ثم اخرجوهُ وحملوهُ الى همذان . ثم خرج منها متنكرًا وانا واخوهُ وغلامان معهُ في زي الصوفيَّة . الى ان وصلنا الى اصفهان فصادف في مجلس علاء الدولة الاكرام والاعزاز الذي يستحقهُ مثلهُ وصنَّف هناك كتبًا كثيرة . وكان سبب موتهِ قولنج عرض لهُ . وكان ينتكس ويبرأ كل وقت ثم قصد علاء الدولة همذان وسار معهُ الشيخ . فعاودتهُ في الطريق تلك العلَّة الى ان وصل الى همذان . وعلم ان قوَّتهُ قد سقطت وانها لا تفي بدفع المرض . فاهمل مداواتهُ نفسهِ وأَخذ يقول المدبِّر الذي كان يدبِّرني قد عجز عن التدبير . والآن فلا تنفع المعالجة وبقي على هذا أَيامًا ثم انتقل الى جوار ربهِ ودُفن بهمذان . وفيهِ قال بعضهم :

ما نفع الرئيسَ من حكمهِ الطـ ... ـبّ ولا حكمهُ على النيّراتِ
ما شفاهُ الشفاء من أَلم الموـ ... ـت ولا نجَّاهُ كتاب النجاةِ

وكفَّر الغزاليُّ ابن سينا في اصولٍ . منها قولهُ الأَجساد لا تحشر وانما المثاب والمعاقب هي الأَرواح وقولهُ بقدم العالم واعتقاد هذا كفر صريح (لابي الفرج الملطيّ)

مؤرِّخو المسلمين

ابنُ الأَثير (٥٥٥ ــ ٦٣٠ هـ) (١١٥٩ ــ ١٢٣٣ م)

٣٠٧ أَبو الحسن عليّ بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأَثير الجزري الملقَّب عزّ الدين . وُلد بالجزيرة ونشأَ بها ثم سار الى الموصل مع والدهِ وأَخويهِ . وسكن الموصل وسمع بها من أَبي الفضل عبد الله بن أَحمد الخطيب الطوسي ومن في طبقتهِ . وقدم بغداد مرارًا حاجًّا ورسولًا من صاحب الموصل . ثم رحل الى الشام والقدس وسمع هناك من جماعة . ثم عاد الى الموصل ولزم بيتهُ منقطعًا الى التوفُّر على النظر في العلم والتصنيف . وكان بيتهُ مجمع الفضل لأَهل الموصل والواردين عليها . وكان إمامًا في حفظ الحديث ومعرفتهِ وما يتعلَّق بهِ وحافظًا للتواريخ المتقدِّمة والمتأَخرة . وخبيرًا بانساب العرب وايامهم ووقائعهم واخبارهم . صنَّف في التاريخ كتابًا كبيرًا سمَّاهُ الكامل ابتدأَ فيهِ من اوَّل الزمان الى آخر سنة ثمان وعشرين وستمائة . وهو من خيار التواريخ واختصر كتاب الانساب لابي سعد عبد الكريم السمعاني . واستدرك عليهِ فيهِ مواضع ونبَّه على اغلاط . وزاد اشياء اهملها . وهو كتاب مفيد جدًّا واكثر ما يوجد اليوم بايدي الناس هذا المختصر . ولهُ كتاب اخبار الصحابة في ست مجلَّدات كبار . وأَقام بحلب بصورة الضيف عند الطواشي شهاب الدين طغريل الخادم اتابك الملك العزيز ابن الملك الظاهر صاحب حلب وكانت فيها وفاتهُ (لابن خلّكان)

ابنُ خَلْدُون (٧٣٢ ــ ٨٠٨ هـ) (١٣٣٢ ــ ١٤٠٦ م)

٣٠٨ هو محمد بن عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي قاضي القضاة ويُنسب سلفهُ الى وائل بن حجر من عرب اليمن . وكانوا نُزلاء اشبيلية فعند الحادثة بالاندلس انتقلوا منها عن نباهة وشهرة واستقرُّوا بتونس . واما المترجَم بهِ فهو رجل فاضل حسن الخلق . جم الفضائل باهر الخصل . رفيع القدر ظاهر الحياء . اصيل المجد وفُور المجلس . خاصّيّ الزيّ عالي الهمَّة . عزوف عن الضيم صعب المقادة . قوي الجاش طامح لفنن الرئاسة . خاطب للحظ متقدِّم في فنون عقليَّة ونقليَّة . متعدِّد المزايا سديد البحث كثير الحفظ صحيح التصوُّر . بارع الخط مرى بالتجلة . جواد حسن العشرة مبذول المشاركة . مقيم لرسم التعين عاكف على رعي خلال الاصالة . مفخر من مفاخر التخوم المغربيَّة . قرأَ القرآن ببلدهِ . وتأَدَّب بابيهِ وانصرف من افريقية منشئهِ

بعد ان تعلّق بالخدمة السلطانيّة على الحداثة واقامتهِ لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة . وعرف فضلهُ وخطبهُ السلطان منفق سوق العلم والأدب أبو عنان فارس ابن علي بن عثمان واستحضرهُ بمجلس المذاكرة . فعرف حقهُ وأوجب فضلهُ واستعملهُ على الكتابة اوائل عام ستة وخمسين . ثم عظم عليهِ حمل الخاصة من طلبة الحضرة لبعده عن حسن التأني وشفوفهِ بثقوب الفهم وجودة الادراك . فاغروا بهِ السلطان . فاصابتهُ شدّة تخلّصهُ منها اجلهُ الى ان افضى الأمر الى السعيد ولدهِ . فاعتبهُ قيم الملك لحينهِ وأعادهُ الى رسمهِ ودالت الدولة الى السلطان أبي سالم وكان لهُ بهِ الاتصال قبل تسوُّغ المحنة بما أكّدحظوتهُ . فقلّدهُ ديوان الانشاء مطلق الجرايات محرّر السهام نبيه الرتبة الى آخر أيامهِ . ولمّا القت الدولة مقادها بعدهُ الى الوزير عُمَر بن عبد الله مدبّر الأمر ولهُ اليهِ وسيلة وفي حليهِ شركة وعندهُ حق رابهُ تقصيرهُ عمّا ارتقى اليهِ أمَلهُ فساء ما بينهما بما آل الى انفصالهِ عن الباب المريني . وورد على الأندلس في أوّل ربيع الأوّل عام أربعة وستين وسبعمائة . واهتزّ لهُ السلطان وأركب خاصّتهُ لتلقيهِ واكرم وفادتهُ . وخلع عليهِ وأجلسهُ بمجلسهِ . ولم يدّخر عنهُ برًّا ومؤاكلة ومراكبة ومطايبة .

ولهُ التاريخ الكبير الذي سمّاهُ ديوان العبر وكتاب المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر . وقد عرّف في آخرهِ بنفسهِ وأطال وذكر انهُ لمّا كان بالأندلس وحظي عند السلطان أبي عبد الله شمّ من وزيرهِ ابن الخطيب رائحة الانقباض فقوّض الرحال ولم يرضَ من الاقامة بحال . ولعب بكُرَتهِ صوالجةُ الاقدار . حتّى حل بالقاهرة المُعزّية واتخذها خير دار . وتولى بها قضاء القضاة . ثم قدم على تمرلنك . فاكرمهُ غاية الاكرام وأعادهُ الى الديار المصرية . وقد كان ابن خلدون هذا من عجائب الزمان . ولهُ من النظم والنثر ما يزري بعقود الجمان . مع الهمة العليّة . والتبحر في العلوم النقليّة والعقلية . وكانت وفاتهُ بالقاهرة . قال الحاجّ خليفة : ومقدمة ابن خلدون المشهورة هي الكتاب الاوّل من تاريخهِ المذكور آنفًا وهي في العمران وما يعرض لهُ . ولابن خلدون نظمٌ رائق منهُ قولهُ يُهنّئ بعض الوزراء :

هنيئًا بصومٍ لا عداهُ قَبولُ ... وبُشرى بعيدٍ انتَ فيهِ مُنيلُ
وهُنّيتها من عزّةٍ وسعادةٍ ... تَتابَعُ اعوامٌ بها وفصولُ
سقى الله دهرًا انت انسان عينهِ ... ولامسَّ رَبْعًا في حماك مُحولُ
فعصرُكَ ما بين الليالي مواسمٌ ... لها غُرَرٌ وضّاحةٌ وحجولُ (للمقري)

أَبُو ٱلْفِدَاء (٦٧٢ ــ ٧٣٢ هـ) (١٢٧٣ ــ ١٣٣١ م)

٣٠٩ اسماعيل بن عليّ بن شاذي الملك المؤيّد عماد الدين أبو الفداء صاحب حماة برع في الفقه والاصول والعربيّة والتاريخ والادب وصار من جملة امراء دمشق الى ان كان الملك الناصر محمد بن قلاوون بالكرك و بالغ في خدمتهِ الى ان وعدهُ الملك الناصر محمد بسلطنة حماة

ثم قام بوعدهِ بعد مدةٍ وجعل ابا الفداء سلطانًا على حماة . واحضرهُ الى القاهرة فاكرمهُ وأركبهُ بشعار السلطنة ومشى الامراء والاكابر في خدمتهِ حتّى مشى الأمير ارغون النائب بالديار المصريّة . وقام لهُ الملك الناصر بكل ما يحتاج اليهِ من التشريف والانعامات على وجوه الدولة والخيول بقماش الذهب وغير ذلك ولقّبهُ بالملك الصالح وأمرهُ بالتوجه الى محلّ سلطنتهِ بحماة . فخرج اليها من ديار مصر بتجمل زائد وعظمة على عادة الملوك . فوصلها في جمادى الاخرة سنة عشر وسبعمائة . ثمّ عن قليل غيّر السلطان لقبهُ ولقّبهُ بالملك المؤيّد وذلك لمّا حجّ معهُ في سنة تسع عشرة وسبعمائة . وعاد معهُ الى القاهرة واذن لهُ ان يخطب باسمهِ بحماة واعمالها على ما كان عليهِ سلفهُ من ملوك حماة . وكان الملك المؤيّد في كل قليل يتوجّه من حماة الى القاهرة ومعهُ أنواع من الهدايا والتحف للملك الناصر محمد بن قلاوون ويعود الى محلّ سلطنتهِ . ثم في كل قليل يتحف الملك الناصر بالاشياء الظريفة الغريبة . قال بعضهم في وصفهِ : هو الملك الجليل . وامامٌ ظلّهُ ظليل . عالم تحفق بالنصر أعلامهُ . وحاكم تجري لصالح الرعيّة أقلامهُ . بيتهُ مشيّد . وملكهُ مؤيّد . وصدرهُ للطالبين مشروح . وبابهُ لأرباب الفضائل مفتوح . كان جوادًا سخيًّا . باسلًا كميًّا . ممدوحًا محمودًا . منتابًا مقصودًا . ذا تدبير وسياسة وحشمة ورئاسة . وفضل ومكارم . وحلم ومراحم وعدل وانصاف . ومعروف وأوقاف . يحبّ أهل العلم والأدب . ويفيض عليهم سحائب القرب والقرب . زاحم بهمّتهِ النجوم . وشارك في عدّة من العلوم . وألّف تاريخًا كثير الفوائد . ونظم الحاوي نظمًا يسخر بالعقود والقلائد . ولهُ مصنّفات معروفة . وقريض بهِ قراضة ذهبهِ موصوفة . باشر النيابة ثم السلطنة بحماة مدّة طويلة . واسدى الى سكان حماها ما استوجب بهِ شكر مناقبهِ الجميلة

وكان لهُ نظم ونثر وتصانيف كثيرة . وكتاب تقويم البلدان هذّبهُ وجدولهُ . وكتاب الموازين . وكانت وفاتهُ بحماة ودُفن في تربتهِ المعروفة بانشائهِ عن ستين سنة . ورثاهُ محمد بن نباتة المصري بعدّة مراثٍ أشهرها قولهُ :

ما للندى لا يلبّي صوت داعيهِ ... اظن ان ابن شاذٍ قام ناعيهِ
ما للرجاء قد استدّت مذاهبهُ ... وللزمان قد اسودّت نواحيهِ
مالي أرى المُلك قد فضّت مواقفهُ ... مالي أرى الوفد قد فاضت مآقيهِ
نعى المؤيّد ناعيهِ فيا أسفًا ... للغيث كيف غدت عنّا غواديهِ
وا روعتا لصباحٍ من رزيتهِ ... اظنّ ان صباح الحشر ثانيهِ
واحسرتاه لنظمي في مدائحهِ ... كيف استحال لنظمي في مراثيهِ
ابكيهِ بالدرّ من جفني ومن كلمي ... والبحر أحسن ما بالدرّ ابكيهِ
أروي بدمعي ثرى ملكٍ لهُ شيمٌ ... قد كان يذكرها الصادي فترويهِ

أُذيل ماء جفوني بعدهُ أسفًا ... لماء وجهي الذي قد كان يحميهِ
جارٍ من الدمع لا ينفكُّ يطلقهُ ... مَن كان يُطلق بالانعام جاريهِ
ومهجة كلما فاهت بلوعتها ... قالت رزيَّة مولاها لها ايهِ
ليت المؤيَّد لا زادت عوارفهُ ... فزاد قلبي المعنَّى من تلظِّيهِ
ليت الأصاغر يُفدَى الاكبرون بها ... فكانت الشهب في الآفاق تفديهِ

أَلطَّبَرِيُّ (٢٢٤ ــ ٣١٠ هـ) (٨٣٩ ــ ٩٢٣ م)

٣١٠ ابو جعفر محمد بن جرير صاحب التفسير الكبير والتاريخ الشهير. كان احد أئمَّة العلماء يحكم بقولهِ ويرجع الى رأيهِ لمعرفتهِ وفضلهِ. وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركهُ فيهِ أحد من أهل عصرهِ. وكان بصيرًا عارفًا بايام الناس. وتاريخهُ أصحّ التواريخ وأثبتها لم يقلّد فيهِ أحدًا. واستوطن الطبري بغداد وأقام فيها حتى توفي. وكان اسمر الادمة اعين نحيف الجسم مديد القامة فصيح اللسان ذكر لهُ ابو اسحاق الشيرازيّ شعرًا:

اذا أعسرتُ لم يعلم شقيقي ... واستغني فيستغني صديقي
حيائي حافظٌ لي ماء وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفيقي
ولو اني سمحتُ ببذل نفسي ... لكنتُ الى الغنى سهل الطريقِ

تَقِيُّ ٱلدِّينِ ٱلْمَقْرِيزِيُّ (٧٦٦ ــ ٨٤٥ هـ) (١٣٦٥ ــ ١٤٤٢ م)

٣١١ هو أحمد بن عبد الصمد المشيخ الامام العالم البارع عمدة المؤرّخين وعين المحدثين تقي الدين المقريزي البعلبكي الأصل المصري الدار والوفاة. نشأ بالقاهرة وتفقّه على مذهب الحنفيَّة. ثم تحوَّل شافعيًا بعد مدَّة طويلة. وتفقّه وبرع وصنَّف التصانيف المفيدة النافعة الجامعة لكل علم. وكان ضابطًا مؤرّخًا مفنّنًا محدثًا معظّمًا في الدول. ولي حسبة القاهرة أوَّل ولايتهِ من قبل الملك الظاهر برقوق عوضًا عن شمس الدين محمد النجاسي ثم عزل بالقاضي بدر الدين العينتابي ثم وليها عنهُ ايضًا وولي عدَّة وظائف دينيَّة. وعرض عليهِ قضاء دمشق في أوائل الدولة الناصريَّة فأبى ان يقبل ذلك. وكان امامًا مفنّنًا كتب الكُتُب الكثيرة بخطهِ وانتقى اشياء وحصل الفوائد. واشتهر ذكرهُ في حياتهِ وبعد موتهِ في التاريخ وغيرهِ. حتى صار بهِ يُضرب المثل. وكان لهُ محاسن شتَّى ومحاضرة جيّدة الى الغاية لاسيما في ذكر السلف من العلماء والملوك وغير ذلك. وكان منقطعًا في دارهِ ملازمًا للعبادة قلَّ ان يتردَّد الى أحدٍ الَّا لضرورة. وقرأت عليهِ كثيرًا من مصنّفاتهِ وكان يرجع الى قولي فيما اذكرهُ لهُ من الصواب ويغيّر ما كتبهُ أوَّلًا في مصنّفاتهِ. وانتفعتُ بهِ واستفدتُ منهُ وكان كثير الكتابة والتصنيف. وصنَّف كتبًا كثيرة من ذلك إمتاع الأسماع في ستة مجلّدات وهو كتاب نفيس ولهُ كتاب

الخبر عن البشر ذكر فيهِ القبائل في اربعة مجلّدات وعمل لهُ مقدّمة في مجلّد. وكتاب السلوك في معرفة دول الملوك في عدَّة مجلّدات يشتمل على ذكر ما وقع من الحوادث الى يوم وفاتهِ. ولهُ تاريخهُ الكبير المقفى في تراجم أهل مصر والواردين اليها ولو كمل هذا التاريخ تجاوز الثمانين مجلّدًا. ولهُ كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار في عدَّة مجلّدات وهو في غاية الحسن. وكتاب مجمع الفوائد ومنبع العوائد كمل منهُ نحو الثمانين مجلدًا كالتذكرة وكتاب شذور العقود وكتاب الأوزان والاكيال الشرعيَّة. وكتاب ازالة التعب والعناء في معرفة الحال في الغناء. وكتاب المقاصد السنيَّة في الأجسام المعدنيَّة. ولهُ عدَّة تصانيف أُخر ولم يزل ضابطًا حافظًا للوقائع والتاريخ الى ان توفي ودُفن بالقاهرة (المنهل الصافي لابي المحاسن)

أَلْوَاقِدِيُّ (١٣٠ ــ ٢٠٧ هـ) (٧٤٧ ــ ٨٢٣ م)

٣١٢ أبو عبد الله محمد الواقدي المدني مولى بني هاشم. كان امامًا عالمًا لهُ التصانيف في المغازي وغيرها. ولهُ كتاب الردَّة ذكر فيهِ ارتداد العرب. ويُعزَى اليهِ تاريخ فتوح الشام والجزيرة وغيرهما. وتولى الواقدي القضاء بشرقي بغداد وكان المأمون يكرم جانبهُ ويبالغ في رعايتهِ. ومن غريب ما أخبر الواقدي عن نفسهِ ما نصهُ قال: كان لي صديقان احدهما هاشمي وكنَّا كنفس واحدة فنالتني ضائقة شديدة وحضر العيد. فقالت امرأتي: امَّا نحن في انفسنا فنصبر على البؤس والشدَّة. واما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي لانهم يرون صبيان الجيران قد تزيَّنوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثَّة فلو احتلتَ في شيء فصرفتهُ في كسوتهم. (قال) فكتبت الى صديقي الهاشمي اسألهُ التوسعة عليَّ بما حضر فوجَّه اليَّ كيسًا مختومًا ذكر ان فيهِ الف درهم. فما استقرَّ قراري حتى كتب اليَّ الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت لي صاحبي الهاشمي. فوجَّهت اليهِ الكيس بختمهِ وخرجت الى المسجد فاقمت فيهِ ليلتي مستحيًا من امرأتي. فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني ولم تعنّفني عليهِ. فبينا انا كذلك اذ وافى صديقي الهاشمي ومعهُ الكيس كهيئتهِ. فقال لي: أَصدِقني عمَّا فعلتهُ فيما وجَّهت بهِ اليك. فعرَّفتهُ الخبر على وجههِ فقال لي: انك وجَّهت اليَّ وما املكُ على الارض الَّا ما بعثتُ بهِ اليك. وكتبت الى صديقنا اسألهُ المواساة فوجَّه كيسي بخاتمي. قال الواقدي: فتواسينا الف درهم فيما بيننا. ونمى الخبر الى المأمون فدعا بي فشرحت لهُ الخبر فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد منَّا ألفي دينار وللمرأة ألف دينار (*) (وفيات الاعيان لابن خلّكان)

(*) وقد اشتهر ايضًا من المؤرّخين المسلمين ابو الحسن المسعودي (٣٤٥ هـ) كان صاحب غرائب وملح ولهُ عدَّة مصنَّفات منها ذخائر العلوم والتاريخ المسمَّى مروج الذهب. ومنهم ابن الوردي (٧٤٩ هـ) وكان متفنّنًا بالعلوم لهُ تتمَّة تاريخ ابي الفداء وخريدة العجائب في تخطيط البلدان. ومنهم شهاب الدين النُّويري (٧٣٢ هـ) صاحب نهاية الأرب في فنون العرب

الباب السابع عشر
في التاريخ

دولة العباسيين

ابتداء دولة بني عباس (٧٥٠) خلافة السفاح (٧٥٠ — ٧٥٤م)

٣١٣ لما اضطرب حبل بني أمية انتقل الملك إلى آل عباس. واعلم أن الدولة العباسية كانت دولة ذات خدع ودهاء وغدر. وكان قسم التحيل والمخادعة فيها أوفر من قسم القوة والشدة خصوصا في أواخرها. فإن المتأخرين منهم بطلوا قوة الشدة والنجدة وركنوا إلى الحيل والخدع. إلا أنها كانت دولة كثيرة المحاسن جمة المكارم أسواق العلوم فيها قائمة. وبضائع الآداب فيها نافقة. وشعائر الدين فيها معظمة. والخيرات فيها دائرة. والدنيا عامرة. والحرمات مرعية. والثغور محصنة. حتى كانت أواخرها فانتشر الجبر واضطرب الأمر

وأول من تولى الخلافة منهم أبو العباس السفاح (١٣٢هـ). وكان كريما وقورا عاقلا كاملا كثير الحياء حسن الأخلاق. وتحول السفاح من الحيرة إلى الأنبار. ولما استوثق له الأمر تتبع بقايا بني أمية ورجالهم فوضع السيف فيهم وأغراه على قتلهم سديف الشاعر فأنشده وسليمان بن عبد الملك حاضر في مجلسه مع سبعين رجلا من بني أمية:

لا يغرنك ما ترى من رجال إن تحت الضلوع داء دويا

فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا

فالتفت أحدهم إلى من بجانبه وقال: قتلنا العبد. ثم أمر بهم السفاح فضربوا بالسيوف حتى قتلوا. وبسط النطوع عليهم وجلس فوقهم فأكل الطعام وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعا. وبالغ بنو العباس في استئصال شأفة بني أمية حتى نبشوا قبورهم بدمشق واستصفوا أموال أصحابهم. ثم لم تطل مدة السفاح حتى مات بالأنبار سنة مئة وست وثلاثين. واستوزر له حفص بن سليمان أبو سلمة الخلال وكان سمحا كريما مطعاما كثير البذل مشغوفا بالتنوق بالسلاح والدواب فصيحا عالما بالأخبار والأشعار والسير والجدل والتفسير حاضر الحجة ذا يسار ومروءة ظاهرة. فلما بويع السفاح استوزره وفوض الأمور إليه وسلم إليه الدواوين ولقب وزير آل محمد. ثم تغير عليه وكتب إلى أبي مسلم يعلمه بما عزم عليه أبو سلمة من نقل الدولة عن بني عباس. فلما قرأ أبو مسلم الكتاب فطن لغرض السفاح فأرسل قوما من أهل خراسان فقتلوا أبا سلمة (الفخري)

ابو جعفر المنصور (٧٥٤ — ٧٧٥)

٣١٤ بويع في سنة مئة وست وثلاثين. وكان المنصور من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم وذوي الآراء الصائبة منهم والتدبيرات السديدة. وقورا شديد الوقار حسن الخلق في الخلوة من أشد الناس احتمالا لما يكون من عبث أو مزاح. وكان يلبس الخشن وربما رقع

قميصه ولم يكن يرى في دار المنصور لهو ولعب. قال يزيد بن هبيرة: ما رأيت رجلا في حرب أو سلم أمكر أو أنكر ولا أشد تيقظا من المنصور. لقد حاصرني تسعة شهور ومعي فرسان العرب فجهدنا كل الجهد حتى نال من عسكره شيئا فما قدرنا لشدة ضبطه له وتيقظه. ورتب القواعد وأقام الناموس. وكان مبجلا يضرب بشيبته الأمثال. فسمي لبخله أبا الدوانيق لمحاسبة العمال والصناع على الدانق والحبة. والصحيح أنه كان رجلا حازما يعطي في موضع العطاء ويمنع في موضع المنع. وكان المنع عليه أغلب. ولما بويع للمنصور قتل أبا مسلم الخراساني وكان سبب قتله أن أبا مسلم كان قد قدم من الحج مع أبي جعفر المنصور فأرسله لقتال عمه عبد الله بن علي. وكان عبد الله بأرض نصيبين. فاقتتلا هو وأبو مسلم عدة دفوع حتى انهزم عبد الله بن علي وظفر بعسكره. فكتب المنصور إلى أبي مسلم بالولاية على مصر والشام وصرفه عن خراسان. فلم يجب أبو مسلم إلى ذلك وتوجه يريد خراسان. فخافه أبو جعفر المنصور وأجمع الرأي وعمل المكايد وهجر النوم إلى أن اقتنصه. فلما دخل على المنصور أقبل عليه يعاتبه ويذكر عثراته. فجعل أبو مسلم يعتذر إليه. فقال: قتلني الله إن لم أقتلك. ثم أومأ إلى حرسه فضربوه بسيوفهم وهو يصرخ ويستأمن ويقول: استبقني لعدوك يا أمير المؤمنين. فقال له المنصور: وأي عدو إلي أعدى منك. وكان أبو مسلم ذا رأي وتدبير وحزم

ومروءة. وكان فتاكا قاسي القلب سوطه سيفه. وفي عهده خرج الراوندية وكان هؤلاء قوما من أتباع أبي مسلم يقولون بالتناسخ. فحبس المنصور نحوا من مائتين منهم فغضب الباقون واجتمعوا وحملوا بينهم نعشا كأنهم في جنازة وجاءوا إلى السجن فرموا بالنعش وأخرجوا أصحابهم. وحملوا على الناس في ستمائة رجل وقصدوا قصر المنصور. فخرج المنصور من القصر ماشيا وجاء معن بن زائدة الشيباني وكان مستخفيا من المنصور لقتاله مع ابن هبيرة وقد اشتد طلب المنصور له. فحضر عنده متلثما هذا اليوم فقاتل بين يديه قتالا شديدا وأبلى بلاء حسنا. وكان المنصور راكبا على بغلة ولجامها في يد الربيع حاجبه فأتى معن وقال: تنح فأنا أحق بهذا اللجام في هذا الوقت. فقال المنصور: صدق. ادفع اللجام إليه. فلم يزل يقاتل حتى انكشفت الحال وظفر بالراوندية فاستنسبه المنصور فقال: طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة. فقال: قد أمنك الله على نفسك ومالك ومثلك يصطنع وأحسن إليه وولاه اليمن (*)

(تاريخ ابن خلدون)

بناء مدينة بغداد

(*) كان المنصور يكره اهل الكوفة ولا يأمن على نفسه منهم فتجافى عن جوارهم وسار الى مكان بغداد اليوم. وجمع من كان هنالك من البطارقة فسألهم عن أحوال مواضعهم في الحر والبرد والمطر والوحل والهوام. واستشارهم فاشاروا عليه بمكانها وقالوا: تجيئك الميرة في السفن من الشام والرقة ومصر والمغرب الى المصرات. ومن الصين والهند والبصرة وواسط وديار بكر والروم والموصل في دجلة. ومن ارمينية وما اتصل بها في تامرا حتى يتصل بالزاب. وانت بين انهار كالخنادق ولا تعبر الا على القناطر والجسور. واذا قطعتها لم يكن لعدوك مطمع

٣١٥ وَفِي أَيَّامِ ٱلْمَنْصُورِ نَبَغَتِ ٱلدَّوْلَةُ ٱلْبَرْمَكِيَّةُ. وَكَانَ ٱلسَّفَّاحُ قَدِ ٱسْتَوْزَرَ بَعْدَ أَبِي سَلَمَةَ خَالِدَ بْنَ بَرْمَكٍ مِنْ رِجَالِ ٱلدَّوْلَةِ ٱلْعَبَّاسِيَّةِ. وَكَانَ خَالِدٌ فَاضِلًا جَلِيلًا كَرِيمًا حَازِمًا يَقِظًا خَفَّ عَلَى قَلْبِ ٱلْخَلِيفَةِ وَكَانَ عَظِيمَ ٱلْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ. فَكَثُرَ ٱلْوَافِدُونَ عَلَى بَابِ خَالِدٍ وَمَدَحَهُ ٱلشُّعَرَاءُ وَٱنْتَجَعَهُ ٱلنَّاسُ. فَلَمَّا تَوَلَّى ٱلْمَنْصُورُ ٱلْخِلَافَةَ أَقَرَّهُ عَلَى وِزَارَتِهِ وَأَكْرَمَهُ وَٱسْتَشَارَهُ. وَكَانَتْ وَفَاةُ ٱلْمَنْصُورِ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ وَمِائَةٍ بِبِيرِ مَيْمُونَةَ عَلَى أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ بِٱلْحَجِّ. وَهُوَ ٱبْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ سَنَةً. وَكَانَ طَوِيلًا أَسْمَرَ نَحِيفًا خَفِيفَ ٱللِّحْيَةِ رَحْبَ ٱلْجَبْهَةِ كَأَنَّ عَيْنَيْهِ لِسَانَانِ نَاطِقَانِ. صَارِمًا مَهِيبًا ذَا جَبَرُوتٍ وَسَطْوَةٍ

وأنت متوسّط بين البصرة والكوفة وواسط والموصل. قريبٌ من البرّ والبحر والجبل. فشرع المنصور في عمارتها وأحضر الصنّاع والفعَلة واختار من ذوي الفضل والعدالة والعفّة والامانة والمعرفة بالهندسة منهم الحجّاج بن ارطاة وأبو حنيفة الفقيه. وأمر بخطّها بالرماد فشكلت ابوابها وفصلانها وطاقاتها ونواحيها. وجُعل على الرماد حبّ القطن فاضرم نارًا ثم نظر اليها وهي تشتعل فعرف رسمها وأمر ان تُحفر الأُسس على ذلك الرسم. ووضع بيده اوّل لبنة وقال: بسم الله والحمد لله والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين. وجعل المدينة مدوّرة وجعل قصرهُ وسطها ليكون الناس منهُ على حدٍّ سواء. وجعل المسجد الجامع بجانب القصر وجعل لها سورين والداخل أعلى من الخارج. وأخرج الاسواق الى ناحية الكرخ لما كان الغرباء يطرقونها ويبيتون فيها. وجعل الطرق أربعين ذراعًا. وكان مقدار النفقة عليها في المسجد والقصر والاسواق والفصلان والخنادق والابواب أربعة آلاف الف وثمانمائة الف وثلاثة وثلاثين الف درهم. وكان هناك موضع يُسمّى بغداد فسُمّيت المدينة باسمهِ. ويقال الزوراء وكان موضعها يُسمّى الزوراء قديمًا. ويقال مدينة المنصور ويقال دار السلام. وقيل انهُ لم يمُت فيها خليفة قطّ. فمدينة المنصور هي بغداد القديمة وهذه بغداد التي هي بالجانب الشرقي استجدّت بعد ذلك

(لابن خلدون بتصرّف)

محمد المهدي (٧٧٥ — ٧٨٥) وابنهُ موسى الهادي (٧٨٥ — ٧٨٦)

٣١٦ ثُمَّ قَامَ بِٱلْأَمْرِ بَعْدَهُ ٱبْنُهُ ٱلْمَهْدِيُّ بِٱللهِ. بُويِعَ لَهُ بِٱلْخِلَافَةِ يَوْمَ وَفَاةِ أَبِيهِ ٱلْمَنْصُورِ بِعَهْدٍ مِنْهُ. وَأَوَّلُ مَنْ بَيَّنَ تَعْزِيَتَهُ وَتَهْنِئَتَهُ أَبُو دُلَامَةَ فَقَالَ:

عَيْنَايَ وَاحِدَةٌ تُرَى مَسْرُورَةً ... بِأَمِيرِهَا جَذْلَى وَأُخْرَى تَذْرِفُ
تَبْكِي وَتَضْحَكُ تَارَةً وَيَسُوءُهَا ... مَا أَنْكَرَتْ وَيَسُرُّهَا مَا تَعْرِفُ
فَيَسُوءُهَا مَوْتُ ٱلْخَلِيفَةِ مُحْرِمًا ... وَيَسُرُّهَا أَنْ قَامَ هٰذَا يَخْلُفُ
مَا إِنْ رَأَيْتُ كَمَا رَأَيْتُ وَلَا أَرَى ... شَعْرًا أُسَرِّحُهُ وَآخَرَ أَنْتِفُ
هٰذَا حَبَاهُ ٱللهُ فَضْلَ خِلَافَةٍ ... وَلِذَاكَ جَنَّاتُ ٱلنَّعِيمِ تُزَخْرَفُ

وَكَانَ ٱلْمَهْدِيُّ شَهْمًا فَطِنًا كَرِيمًا شَدِيدًا عَلَى أَهْلِ ٱلْإِلْحَادِ وَٱلزَّنْدَقَةِ. لَا تَأْخُذُهُ فِي إِهْلَاكِهِمْ لَوْمَةُ لَائِمٍ. وَكَانَتْ أَيَّامُهُ شَبِيهَةً بِأَيَّامِ أَبِيهِ فِي ٱلْفُتُوقِ وَٱلْحَوَادِثِ وَٱلْخَوَارِجِ. وَكَانَ يَجْلِسُ فِي كُلِّ وَقْتٍ لِرَدِّ ٱلْمَظَالِمِ. وَفِي سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّينَ وَمِائَةٍ سَيَّرَ ٱلْمَهْدِيُّ ٱبْنَهُ ٱلرَّشِيدَ لِغَزْوِ ٱلرُّومِ فَسَارَ حَتَّى بَلَغَ خَلِيجَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَصَاحِبُ ٱلرُّومِ وَقْتَئِذٍ يَرِينِي ٱمْرَأَةٌ لَاوُونَ ٱلْمَلِكِ. وَذٰلِكَ أَنَّ ٱبْنَهَا كَانَ صَغِيرًا قَدْ هَلَكَ أَبُوهُ وَهُوَ فِي حُجْرِهَا فَجَزِعَتِ ٱلْمَرْأَةُ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ. وَطَلَبَتِ ٱلصُّلْحَ مِنَ ٱلرَّشِيدِ فَجَرَى ٱلصُّلْحُ بَيْنَهُمْ عَلَى ٱلْفِدْيَةِ. وَمَاتَ ٱلْمَهْدِيُّ بِمَا سَبَذَانَ وَٱخْتُلِفَ فِي مَوْتِهِ وَلَمَّا تُوُفِّيَ ٱلْمَهْدِيُّ كَانَ ٱلرَّشِيدُ مَعَهُ فِي مَا سَبَذَانَ فَكَتَبَ إِلَى ٱلْهَادِي يُعْلِمُهُ بِوَفَاةِ ٱلْمَهْدِيِّ وَٱلْبَيْعَةِ لَهُ. فَنَادَى بِٱلرَّحِيلِ إِلَى بَغْدَادَ وَلَمَّا قَدِمَهَا ٱسْتَوْزَرَ ٱلرَّبِيعَ بْنَ يُونُسَ. وَكَانَ ٱلرَّبِيعُ جَلِيلًا نَبِيلًا مُنْفِذًا لِلْأُمُورِ

مَهيبًا فصيحًا كافيًا حازمًا خبيرًا بالحساب والأعمال، حاذقًا بأمور الملك بصيرًا بما يأتي ويذر محبًا لفعل الخير. وتتبع الهادي الزنادقة ولم تطل مدته. وسبب وفاته أنه لما ولي الخلافة كانت أمه الخيزران تستبد بالأمور دونه وكلمته يومًا في أمر لم يجد إلى إجابتها سبيلًا. فقالت: لا بد من الإجابة إليه. فغضب الهادي وقال: والله لا قضيتها لك. قالت: إذًا لا أسألك حاجة أبدًا. قال: لا أبالي. فقامت مغضبة فقال: مكانك. والله لئن بلغني أنه وقف في بابك أحد من قوادي لأضربن عنقه. ما هذه المواكب التي تغدو وتروح إلى بابك. أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك. فانصرفت وهي لا تعقل ووضعت جواريها عليه لما مرض فقتلنه بالغم وبالجلوس على وجهه فمات. وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر

هارون الرشيد (٧٨٦ — ٨٠٩)

٣١٧ وولي بعد الهادي بعهد من أبيه أخوه هارون الرشيد الخامس من العباسيين سنة سبعين ومئة ومولده في الري. وأمه الخيزران أم الهادي وفيها قال مروان بن أبي حفصة الشاعر:

يا خيزران هناك ثم هناك أمسى يسوس العالمين ابناك

وكان فصيحًا بليغًا أديبًا كثير العبادة كثير الحج. قال فيه شاعر:

فمن يطلب لقاءك أو يرده ففي الحرمين أو أقصى الثغور

وكان يصلي في خلافته كل يوم مائة ركعة لا يتركها إلا لعلة.

ويتصدق كل يوم من صلب ماله بألف درهم. ويحب العلم وأهله ويعظم حرمات الإسلام. ومن غريب ما اتفق لهارون الرشيد أن أخاه موسى الهادي لما ولي الخلافة سأل عن خاتم عظيم القدر كان لأبيه المهدي. فبلغه أن الرشيد أخذه فطلبه منه فامتنع من إعطائه فألح عليه فيه فخنق عليه الرشيد. ومر على جسر بغداد فرماه في الدجلة. فلما مات الهادي وولي الرشيد الخلافة أتى ذلك المكان بعينه ومعه خاتم رصاص. فرماه في ذلك المكان فأمر الغطاسين أن يلتمسوه فغاصوا عليه فاستخرجوا الخاتم الأول. فسر به الرشيد وعد ذلك من سعادته وإبقاء ملكه. وكان الرشيد يبكي على نفسه وعلى إسرافه وذنوبه. وكان قاضيه الإمام أبو يوسف. وكان يعظمه كثيرًا ويمتثل أمره. وله مناقب لا تحصى ومحاسن لا تستقصى وله أخبار في اللهو واللذات سامحه الله. وفي أول خلافته حج بالناس وفرق مالًا كثيرًا. وكان حجه ماشيًا على اللبود تفرش له من منزل إلى منزل. وفي سنة اثنتين وسبعين ومائة بايع الرشيد لعبد الله المأمون بولاية العهد بعد الأمين وولاه خراسان وما يتصل بها إلى همذان ولقبه المأمون وسلمه إلى جعفر بن يحيى البرمكي. وغزا المسلمون بالصائفة فبلغوا أفسس مدينة أصحاب الكهف. واستعمل الرشيد حميد بن معيوب على الأساطيل ممن بسواحل الشام ومصر إلى قبرس فهزم وخرب وسبى من أهلها نحوًا من سبعة عشر ألفًا وجاء بهم إلى الواقعة

فبيعوا بها . وفي سنة سبع وثمانين ومائة خلعت الروم إيريني الملكة وملكوا نيقيفور وكانت إيريني تعظم الرشيد وتبجله وتدر عليه الهدايا . فلما تولى نيقيفور وعاث وتمكن من ملكه كتب إلى الرشيد : من نيقيفور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب . أما بعد فإن الملكة إيريني كانت وضعتك موضع الملوك ووضعت نفسها موضع السوقة . وإني واضعك بغير ذلك الموضع . وعامل على تطرق بلادك والهجوم على أمصارك أو تؤدي إلي ما كانت المرأة تؤدي إليك . والسلام . فلما ورد كتابه على الرشيد استفزه الغضب وكتب إليه : بسم الله الرحمان الرحيم من عبد الله هارون أمير المؤمنين إلى نيقيفور زعيم الروم . فهمت كتابك والجواب ما تراه دون ما تسمعه . ثم نهض من شهره ذلك يؤم بلاد الروم في جمع لم يسمع بمثله وقواد لا يجارون نجدة ورأيا . فلما بلغ ذلك نيقيفور ضاقت عليه الأرض بما رحبت . وجد الرشيد يتوغل بلاد الروم فيقتل ويغنم ويسبي ويخرب الحصون ويعفي الآثار حتى أناخ على هرقلة وهي من أوثق حصن وأعزه جانبا وأمنعه ركنا . فحصر الرشيد أهلها وغمهم وألح بالمجانيق والسهام والعرادات حتى رموا سورها وفتح الأهل الأبواب مستأمنين . وفي هذه السنة ذاتها أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر بن يحيى وكتب إلى العمال في جميع النواحي بالقبض على البرامكة واستصفى مالهم (*)

(*) قال ابن خلدون : انما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدولة واحتجانهم

وفي سنة اثنتين وتسعين ومائة سار الرشيد من الرقة إلى بغداد يريد خراسان لحرب رافع بن الليث وكان ظهر ببلاد ما وراء النهر مخالفا للرشيد بسمرقند . ولما صار الخليفة ببعض الطريق ابتدأت به العلة ولما بلغ جرجان في صفر اشتد مرضه وكان معه ابنه المأمون في مسيره إلى مرو ومعه جماعة من القواد وسار الرشيد إلى طوس فمات ودفن بها سنة ثلاث وتسعين ومائة . وكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة . وكان عمره سبعا وأربعين سنة وكان جميلا أبيض جعدا قد وخطه الشيب . قال النهرواني : اعلم أن مما يتحققه العاقل أن الدنيا دار الأكدار وأن

أموال الجباية حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه فغلبوه على امره وشركوه في سلطانه ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه فعظمت آثارهم وبعد صيتهم وعمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء من ولدهم وصنائعهم واحتازوها عمن سواهم من وزارة وكتابة وقيادة وحجابة وسيف وقلم . يقال انه كان بدار الرشيد من ولد يحيى بن خالد خمسة وعشرون رئيسا من بين صاحب سيف وصاحب قلم زاحموا فيها أهل الدولة بالمناكب ودفعوهم عنها بالراح لمكان أبيهم يحيى من كفالة هارون وليّ عهد وخليفة . حتى شب في حجره ودرج من عشيه وغلبه على أمره وكان يدعوه : يا أبت . فتوجه الإيثار من السلطان اليهم وعظمت الدالة منهم وانبسط الجاه عندهم وانصرفت نحوهم الوجوه وخضعت لهم الرقاب وقصرت عليهم الآمال . وتخطت اليهم من أقصى التخوم هدايا الملوك وتحف الامراء وتسربت الى خزائنهم في سبيل التزلف والاستمالة أموال الجباية . وأفاضوا في رجال الشيعة وعظماء القرابة العطاء وطوقوهم المنن وكسبوا من بيوتات الاشراف المعدم وفكوا العاني ومدحوا بما لم يمدح به خليفتهم . وأسنوا لعفاتهم الجوائز والصلات واستولوا على القرى والضياع من الضواحي والامصار في سائر الممالك حتى آسفوا البطانة وأحقدوا الخاصة وأغصوا أهل الولاية . فكشفت لهم وجوه المنافسة والحسد ودبت الى مهادهم الوثيرة من الدولة عقارب السعاية حتى لقد كان بنو قحطبة أخوال جعفر من أعظم الساعين عليهم لم تعطفهم لما وقر في نفوسهم من الحسد عواطف الرحم ولا وزعتهم أواصر القرابة . وقارن ذلك عند مخدومهم نواشئ الغيرة والاستنكاف من الحجر والانفة وكامن الحقود التي بعثتها منهم صغائر الدالة وانتهى بهم الإصرار على شأنهم الى كبائر المخالفة

أَخَفُّ الْخَلْقِ بَلاءً وَأَلَمًا الْفُقَرَاءُ. وَأَعْظَمُ النَّاسِ تَعَبًا وَهَمًّا وَغَمًّا هُمُ الْمُلُوكُ وَالْأُمَرَاءُ. فَارْضَ بِحَالِ فَقْرِكَ. وَلَا تَتَعَدَّ طَوْرَكَ. إِنَّ هَارُونَ الرَّشِيدَ مِنْ أَعْقَلِ الْخُلَفَاءِ الْعَبَّاسِيِّينَ وَأَكْمَلِهِمْ رَأْيًا وَتَدْبِيرًا وَفِطْنَةً وَقُوَّةً وَاتِّسَاعَ مَمْلَكَةٍ وَكَثْرَةَ خَزَائِنَ بِحَيْثُ كَانَ يَقُولُ لِلسَّحَابَةِ: أَمْطِرِي حَيْثُ شِئْتِ فَإِنَّ خَرَاجَ الْأَرْضِ الَّتِي تُمْطِرِينَ فِيهَا يَجِيءُ إِلَيَّ. وَمَعَ ذٰلِكَ كَانَ أَتْعَبَهُمْ خَاطِرًا وَأَشْغَلَهُمْ قَلْبًا (لابي الفرج الملطي وغيره بتصرف)

الامين بن الرشيد (٨٠٩ — ٨١٣)

٣١٨ إِنْتَهَى الْأَمْرُ إِلَيْهِ بَعْدَ أَبِيهِ. وَكَانَ الْأَمِينُ كَثِيرَ اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ مُنْقَطِعًا إِلَى ذٰلِكَ مُشْتَغِلًا بِهِ عَنْ تَدْبِيرِ مَمْلَكَتِهِ. فَأَقْبَلَ يَنْكُثُ عَهْدَ الْمَأْمُونِ وَسَعَى بِخَلْعِهِ وَالْبَيْعَةِ لِابْنِهِ مُوسَى. فَأَمَرَ لَهُ بِالدُّعَاءِ عَلَى الْمَنَابِرِ وَنَهَى عَنِ الدُّعَاءِ لِلْمَأْمُونِ. وَأَمَرَ بِإِبْطَالِ مَا ضَرَبَ الْمَأْمُونُ مِنَ الدَّرَاهِمِ وَالدَّنَانِيرِ بِخُرَاسَانَ فَنَمَى الشَّرُّ بَيْنَهُمَا. فَجَهَّزَ الْمَأْمُونُ لِقِتَالِهِ طَاهِرَ ابْنَ الْحُسَيْنِ وَهَرْثَمَةَ بْنَ أَعْيَنَ فَسَارَا إِلَيْهِ وَحَاصَرَاهُ بِبَغْدَادَ. وَتَرَامَوْا بِالْمَجَانِيقِ وَأَقَامَ الْحِصَارَ مُدَّةَ سَنَةٍ فَتَضَايَقَ الْأَمْرُ عَلَى الْأَمِينِ وَفَارَقَهُ أَكْثَرُ أَصْحَابِهِ. وَكَتَبَ طَاهِرٌ إِلَى وُجُوهِ أَهْلِ بَغْدَادَ سِرًّا يَعِدُهُمْ إِنْ أَعَانُوهُ وَيَتَوَعَّدُهُمْ إِنْ لَمْ يَدْخُلُوا فِي طَاعَتِهِ. فَأَجَابُوهُ وَصَرَّحُوا بِخَلْعِ الْأَمِينِ فَنَجَا الْأَمِينُ بِنَفْسِهِ وَرَكِبَ حَرَّاقَةً أَعَدَّهَا لَهُ هَرْثَمَةُ. وَكَانَ وَعَدَهُ بِالْأَمَانِ. فَلَمَّا صَارَ الْأَمِينُ فِي الْحَرَّاقَةِ خَرَجَ عَلَيْهِ أَصْحَابُ طَاهِرٍ وَكَانُوا كَمَنُوا لَهُ. فَرَمَوُا الْحَرَّاقَةَ بِالْحِجَارَةِ فَانْكَفَأَتْ بِمَنْ فِيهَا. فَشَقَّ

الْأَمِينُ ثِيَابَهُ وَسَبَحَ إِلَى بُسْتَانٍ فَأَدْرَكُوهُ وَحَمَلُوهُ إِلَى طَاهِرٍ. فَبَعَثَ إِلَيْهِ جَمَاعَةً وَأَمَرَهُمْ بِقَتْلِهِ فَاحْتَزُّوا رَأْسَهُ. فَأَمَرَ طَاهِرٌ بِنَصْبِهِ فَلَمَّا رَآهُ النَّاسُ سَكَنَتِ الْفِتْنَةُ. ثُمَّ جَهَّزَهُ طَاهِرٌ إِلَى الْمَأْمُونِ وَصَحِبَتْهُ خَاتَمُ الْخِلَافَةِ. فَشَكَرَ الْمَأْمُونُ اللهَ عَلَى مَا رَزَقَهُ مِنَ الظَّفَرِ (للدميري)

عبد الله المأمون اخو الامين (٨١٣ — ٨٣٣)

٣١٩ بُويِعَ لَهُ الْبَيْعَةَ الْعَامَّةَ فِي بَغْدَادَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَةٍ. وَكَانَ الْمَأْمُونُ مِنْ أَفَاضِلِ الْخُلَفَاءِ وَعُلَمَائِهِمْ وَحُكَمَائِهِمْ وَحُلَمَائِهِمْ. أَتَمَّ رِجَالِ بَنِي عَبَّاسٍ حَزْمًا وَعَزْمًا وَفِرَاسَةً وَفَهْمًا. وَكَانَ قَدْ أَخَذَ مِنَ الْعُلُومِ بِقِسْطٍ. وَضَرَبَ فِيهَا بِسَهْمٍ. وَتَأَدَّبَ وَتَفَقَّهَ وَبَرَعَ فِي فُنُونِ التَّارِيخِ وَالْأَدَبِ وَالنُّجُومِ وَلَمَّا كَبِرَ اعْتَنَى بِالْفَلْسَفَةِ وَعُلُومِ الْأَوَائِلِ. وَهُوَ الَّذِي اسْتَخْرَجَ كِتَابَ أُقْلِيدُسَ وَأَمَرَ بِتَرْجَمَتِهِ وَتَفْصِيلِهِ. وَعَقَدَ الْمَجَالِسَ فِي خِلَافَتِهِ لِلْمُنَاظَرَةِ فِي الْأَدْيَانِ وَالْمَقَالَاتِ. وَكَانَ الْمَأْمُونُ عَظِيمَ الْعَفْوِ جَوَادًا بِالْمَالِ وَكَانَ يَقُولُ: لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا أَجِدُ فِي الْعَفْوِ مِنَ اللَّذَّةِ لَتَقَرَّبُوا إِلَيَّ بِالذُّنُوبِ وَكَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ مَرْبُوعًا طَوِيلَ اللِّحْيَةِ دَيِّنًا عَارِفًا بِالْعِلْمِ فِيهِ دَهَاءٌ وَسِيَاسَةٌ. وَفِي أَيَّامِهِ خَرَجَ عَلَيْهِ إِبْرٰهِيمُ بْنُ الْمَهْدِيِّ عَمُّهُ فَبَايَعَهُ بَعْضُ بَنِي الْعَبَّاسِ وَخَلَعُوا الْمَأْمُونَ فَجَدَّ الْمَأْمُونُ فِي الْمَسِيرِ إِلَى بَغْدَادَ فَظَفِرَ بِإِبْرٰهِيمَ وَلَمْ يُؤَاخِذْهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ (*). ثُمَّ صَفَا الْمُلْكُ بَعْدَ ذٰلِكَ لِلْمَأْمُونِ وَسَكَنَتِ الْفِتَنُ

(*) راجع الوجه ٢٣٦ من الجزء الرابع حيث أوردنا هذا الخبر

وقام المأمون بأعباء الخلافة وتدبير المملكة فيام حزماء الملوك وفضلائهم. ثم خرج إلى الثغر ودخل بلاد الجزيرة والشام وأقام بها مدة طويلة. ثم غزا الروم وفتح فتوحات كثيرة وأبلى بلاء حسنا. وتوفي في بعض غزواته سنة ثماني عشرة ومائتين وهو ابن تسع وأربعين سنة. وكانت خلافته عشرين سنة ودفن بطرسوس

العلوم في زمانه

٣٢٠ قال القاضي صاعد بن أحمد الأندلسي: إن العرب في صدر الإسلام لم تعن بشيء من العلوم إلا بلغتها ومعرفة أحكام شريعتها حاشا صناعة الطب. فإنها كانت موجودة عند أفراد منهم غير منكورة عند جماهيرهم لحاجة الناس طرا إليها. فهذه كانت حال العرب في الدولة الأموية. فلما أذال الله تعالى للهاشمية وصرف الملك إليهم ثابت الهمم من غفلتها. وهبت الفطن من ميتتها. فكان أول من عني منهم بالعلوم الخليفة الثاني أبو جعفر المنصور. وكان مع براعته في الفقه كلفا في علم الفلسفة وخاصة في علم النجوم. ثم لما أفضت الخلافة فيهم إلى الخليفة السابع عبد الله المأمون بن هارون الرشيد تمم ما بدأ به جده المنصور فأقبل على طلب العلم في مواضعه. وداخل ملوك الروم وسألهم صلته بما لديهم من كتب الفلسفة. فبعثوا إليه منها ما حضرهم. فاستجاد لها مهرة التراجمة وكلفهم إحكام ترجمتها. فترجمت له على غاية ما أمكن ثم حرص الناس على قراءتها

ورغبهم في تعليمها. فكان يخلو بالحكماء ويأنس بمناظرتهم ويلتذ بمذاكراتهم علما منه بأن أهل العلم هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده. إنهم صرفوا عنايتهم إلى نيل فضائل النفس الناطقة وزهدوا فيما يرغب فيه الصين والترك. ومن نزع منزعهم من التنافس في دقة الصنائع العملية. والتباهي بأخلاق النفس والتفاخر بالقوى. إذ علموا أن البهائم تشركهم فيها وتفضلهم في كثير منها. فلهذا السبب كان أهل العلم مصابيح الدجى وسادة البشر وأوحشت الدنيا لفقدهم

اخوة المعتصم بالله (٨٣٣–٨٤٢)

٣٢١ بويع يوم وفاة المأمون ولما بويع له تشغب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فخرج إليهم العباس وقال لهم: قد بايعت عمي فسكنوا. وكان المعتصم سديد الرأي يحمل ألف رطل ويمشي بها. وانتشأ عاميا يكتب كتابة مغشوشة ويقرأ قراءة ضعيفة. وهو أول من أدخل الأتراك الدواوين وكان يتشبه بملوك الأعاجم. وبلغ غلمانه الأتراك ثمانية عشر ألفا. وألبسهم أطواق الذهب والديباج. وكانوا يطردون الخيل في بغداد فضاقت بهم المدينة وتأذى بهم الناس. فبنى المعتصم مدينة سر من رأى بقرب بغداد وانتقل إليها سنة (٢٢٠هـ). وفي سنة ثلاث وعشرين ومائتين خرج توفيل بن ميخائيل ملك الروم إلى بلاد المسلمين فأوقع بأهل زبطرة وعاد إلى ملطية وغيرها فاستباحها قتلا وسبيا. فاستعظمه المعتصم ولما بلغه أن عمورية عين

النصرانية وهي أشرف عندهم من قسطنطينية وأنه لم يتعرض أحد إليها منذ كان الإسلام جهز إليها بما لا يماثله أحد من السلاح والآلة والعدد. وجرى بين المسلمين والروم عليها قتال شديد أفضى إلى فتح عمورية. فهدمت وأحرقت بعد أن حاصرها نحو شهرين فقتل من الروم ثلاثين ألفا وأسر ثلاثين ألفا. وفي سنة سبع وعشرين تغير المعتصم على الأفشين فأمر بقتله وتوفي المعتصم سنة ٢٢٧ وهو أغلظ الخلفاء الذين ألزموا الناس القول بخلق القرآن وجبر علماء الإسلام على ذلك وأذاقهم الهوان وامتحن بذلك أحمد بن حنبل (لأبي الفرج)

هارون الواثق (٨٤٢ — ٨٤٧) المتوكل على الله (٨٤٧ — ٨٦١)

٣٢٢ ثم ملك بعده ابنه هارون الواثق من أفاضل خلفائهم وكان لبيبا فطنا فصيحا شاعرا. وكان يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته. ولما ولي الخلافة أحسن إلى بني عمه الطالبيين وبرهم. ولم يقع في أيامه من الفتوح الكبار والحوادث المشهورة ما يؤثر. وفي عهده غزا المسلمون في البحر جزيرة صقلية وفتحوا مدينة مسينة في عهد الملكة ثاودورا. وكانت ملكت بعد توفيل ملك الروم وابنها ميخائيل بن توفيل وهو صبي. ومات الواثق بداء الاستسقاء وكان عمره اثنتين وثلاثين سنة. وكان أبيض مليحا يعلوه اصفرار حسن اللحية. ثم ولي بعده أخوه جعفر المتوكل على الله وبويع له بالخلافة بسر من رأى. وله من العمر ست وعشرون سنة. فعقد البيعة لبنيه الثلاثة بولاية العهد

وهم المنتصر والمعتز والمؤيد. وفي ثماني وثلاثين ومائتين انتهى الروم إلى دمياط بالأساطيل فأحرقوا وسبوا وساروا إلى مصر ورجعوا ولم يعرض لهم أحد. وفي سنة سبع وأربعين كثر المماليك الأتراك في بغداد فاستولوا على المملكة فصار بيدهم الحل والعقد والولاية والعزل إلى أن حملهم الطغيان على العدوان. وسطوا على الخليفة المتوكل وكان بين المتوكل وابنه المنتصر مباينة. فاتفق مع باغر قائدهم فدخلوا عليه في مجلس أنسه وعنده الوزير الفتح بن خاقان فصاح الفتح: ويلكم هذا سيدكم. ورمى بنفسه فضربهما باغر فماتا جميعا

تتمة أخبار الخلفاء العباسيين

المنتصر بالله (٨٦١) المستعين بالله (٨٦٢) المعتز بالله (٨٦٦)

٣٢٣ ثم خلفه ابنه المنتصر بالله ولم يتهنأ بالخلافة لاستيلاء المماليك الأتراك على المملكة فدسوا الى طبيبه ليسمه ففصده بمبضع مسموم فمات لستة أشهر من مبايعته. ويحكى انه بات ليلة في وعكه وانتبه فزعا وهو يبكي فسألته أمه: ما يبكيك. قال: أفسدت ديني ودنياي رأيت أبي الساعة وهو يقول: قتلتني يا محمد لاجل الخلافة والله لا تتمتع بها إلا أياما ثم مصيرك الى النار. فاستمر موهوما من ذلك المنام فما عاش بعد ذلك الا أياما قلائل. ثم ملك بعده المستعين بالله وهو أحمد بن محمد بن المعتصم بايعه الامراء واكابر المماليك ولم يولوا أحدا من ولد المتوكل لئلا يطالب بدمه. وكانت تلك الايام ايام فتن وحروب وخروج خوارج. واعلم ان المستعين كان مستضعفا في رأيه وعقله وتدبيره. وكانت ايامه شديدة الاضطراب ولم يكن فيه من الخصال المحمودة الا انه كان كريما وهوبا خلع في سنة اثنتين وخمسين ثم قتل بعد ذلك. وملك بعده المعتز بالله وهو أبو عبد الله محمد بن المتوكل بويع بالخلافة سنة اثنتين وخمسين ومائتين عقيب خلع المستعين وكان المعتز جميل الشخص حسن الصورة. ولم يكن بسيرته ورأيه وعقله بأس الا أن الأتراك كانوا قد استولوا منذ قتل المتوكل على المملكة. واستضعفوا الخلفاء فكان الخليفة في يدهم كالأسير ان شاءوا أبقوه وان شاءوا خلعوه وان شاءوا قتلوه. قيل انه لما جلس المعتز على سرير الخلافة قعد خواصه واحضروا المنجمين وقالوا لهم: انظروا كم يعيش

وكم يبقى في الخلافة . وكان بالمجلس بعض الظرفاء فقال : انا أعرفُ من هؤلاء بمقدار عمرهِ وخلافتهِ . فقالوا لهُ : فكم تقول انهُ يعيش وكم يملك . قال : مهما أراد الأتراك . فلم يبقَ في المجلس الّا من ضحك . وفي سنة خمسٍ وخمسين ومائتين صارا لأتراك الى المعتزّ يطلبون أرزاقهم فماطلهم بحقهم . فلما رأوا انهُ لا يُحصل منهُ شيءٌ دخل اليهِ جماعة منهم فجرُّوا برجلهِ الى باب الحجرة وضربوهُ بالدبابيس . ثمَّ أدخلوهُ سرداباً وجصَّصوا عليهِ فمات (للنهرواني)

المهتدي بالله (٨٦٩) المعتمد على الله (٨٧٠) المعتضد بالله (٨٩٢)

٣٢٤ ثمَّ ملك بعدهُ المهتدي بالله وهو أبو عبد الله محمد بن الواثق . كان المهتدي من أحسن الخلفاء مذهباً . وأجملهم طريقةً وسيرةً واظهرهم ورعًا واكثرهم عبادةً . كان يتشبَّه بعُمر بن عبد العزيز ويقول : اني استحي ان يكون في بني أُميَّة مثلهُ ولا يكون مثلهُ في بني العبَّاس . وكان يجلس للظالم فيحكم حكماً يرتضيهِ الناس وكان يتقلَّل في ماكولهِ وملبوسهِ . وكان المهتدي قد اطَّرح الملاهي وحرَّم الغناء والشراب ومنع اصحابهُ من الظلم والتعدّي . وكان سبب موت المهتدي انهُ قتل بعض الموالي فشغب عليهِ الأتراك وهاجوا وأخذوهُ اسيرًا وعذَّبوهُ ليخلع نفسهُ فلم يفعل فقتلوهُ وهو ابن سبعٍ وثلاثين سنةً . ثمَّ ملك بعدهُ المعتمد على الله وكان مستضعفاً وكان أخوهُ الموفَّق طلحة الناصر هو الغالب على أُموره . فللمعتمد الخطبة والسكَّة والتسمّي بامير المؤمنين ولأخيهِ طلحة الأمر والنهي وقود العساكر ومحاربة الأعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء . وكان المعتمد مشغولاً عن ذلك بلذَّاتهِ . وفي أيامهِ خرج أحمد ابن طولون وظفر بحلب وانطاكية وبقيَّة العواصم واستقلَّ بمصر وأخذ خراجها وكانت يومئذٍ عامرة آهلة . ثمَّ توُفي المعتمد وكان اسمر ربعة رقيقاً مدوَّر الوجه مليح العينين صغير اللحية اسرع اليهِ الشيب منهمكاً على اللهو والمسكرات . ثم ملك بعدهُ المعتضد بن الموفَّق وكان شهماً عاقلاً فاضلاً حمدت سيرتهُ ولي والدنيا خراب والثغور مهملة . فقام قياماً مرضياً حتى عمرت مملكتهُ وكثرت الاموال وضُبطت الثغور . وكان قويَّ السياسة شديداً على أهل الفساد حاسماً لموادّ اطماع عساكره عن أذى الرعيَّة . وكانت ايامهُ ايام فتوق وخوارج كثيرين منهم عمرو بن الليث الصفَّار . كان قد عظم شانهُ وفخم أمرهُ واستولى على اكثر بلاد العجم . فآلت عاقبتهُ الى القيد والاسر والذلّ . فقام المعتضد في إصلاح المتشعب من مملكتهِ والعدل في رعيَّتهِ حتى مات . وكان المعتضد سار الى الموصل قاصداً للاعراب والاكراد فاوقع بهم وقتل منهم وخرج الى الجزيرة يريد قلعة ماردين وكانت لحمدان فهدمها وظفر بحمدان ملكها . ومات سنة (٢٨٩) (للفخري)

المكتفي بالله (٩٠٢) المقتدر بالله (٩٠٨) القاهر بالله (٩٣٢)

٣٢٥ أخذ للمكتفي أبوهُ البيعة قبل موتهِ بثلاثة أيَّام . وكان المكتفي من أفاضل الخلفاء وسيماً جميلاً بديع الحسن دُرّيَّ اللون معتدل الطول وكان حسن العقيدة كارهاً لسفك الدماء.

وفي ايَّامهِ ظهر القرامطة وهم قوم من الخوارج خرجوا وقطعوا الدرب على الحاجّ واستأصلوا شأفتهم وقتلوا فيهم مقتلةً عظيمةً . وسرَّح المكتفي اليهم جيوشاً كثيرة فاوقع بهم وقتل بعض زعمائهم . وكانت خلافة المكتفي ستَّ سنين . فانقصف غصن شبابهِ القشيب . ويبس عود جمالهِ النضر الرطيب . فانتقل من دار الفناء الى دار الجزاء والبقاء . ثم قام بالامر بعدهُ أخوهُ أبو الفضل جعفر المقتدر بويع لهُ يوم وفاة أخيهِ وهو ابن ثلاث عشرة سنة . وضعف دست الخلافة في ايَّامهِ . وكان المقتدر سمحاً كثير الانفاق وولي الخلافة ثلاث مرَّات فتغلَّب الجند عليهِ واتَّفقوا على خلعهِ وعقدوا البيعة لأبي العبَّاس بن المعتزّ . وكان ابن المعتزّ اكثر العبَّاسيين فضلاً وأدباً ومعرفة موسيقى وأشعر الشعراء مطلقاً في التشبيهات المبتكرة الغريبة للرقصة التي لا يشقُّ غُبارهُ فيها أحد . فارسل المقتدر وقبض على ابن المعتزّ وقتلهُ في حبسهِ واستقام الأمر للمقتدر بعد الاضمحلال ولاح بدر فلاحهِ بعد الزوال وهذه ولايتهُ الثانية . ثم جرت بين المقتدر وبين مؤنس المظفر امير الجيوش منافرة ادَّت الى خلع المقتدر ومبايعة اخيهِ القاهر . ثم أُعيد المقتدر ثالثةً وحملهُ الجنود على أعناقهم الى دار الخلافة فجلس على السرير وصفح عن أخيهِ القاهر . ثم وقع بينهُ وبين مؤنس حرب فتوغَّل المقتدر في المعركة فضربهُ واحد من البربر فسقط الى الارض فقال لضاربهِ : ويحك انا الخليفة . فقال لهُ : انت المطلوب وذبحهُ بالسيف . وفي ايامهِ نبعت الدولة الفاطميَّة بالمغرب . وولي أخوهُ القاهر بالله مكانهُ فما لبث ان قُهر القاهر المذكور وسُملت عيناهُ فجعل يستعطي في شوارع بغداد (للدميري)

الراضي بالله (٩٣٤) المتقي بالله (٩٤٠) المستكفي بالله (٩٤٤) المطيع لله (٩٤٦)

٣٢٦ وعقبهُ في الخلافة أبو العبَّاس بن المقتدر ولقَّبوهُ الراضي بالله . وفي ايامهِ ضعف امر الخلافة العبَّاسيَّة فكانت فارس في يد ابن بويه . والموصل وديار بكر في يد بني حمدان . ومصر والشام في يد الفاطميين . والأندلس في يد عبد الرحمان الاموي . فلم يبقَ في يد الراضي سوى بغداد وما والاها . فبطلت دواوين المملكة ونقص قدر الخلافة وعمَّ الخراب . ثم تولى بعدهُ ابو اسحاق أخوهُ ولُقّب المتقي بالله لم يكن لهُ من السيرة ما يُؤثَر وقبض عليهِ توزون التركي وسمل عينيهِ سنة (٣٣٣) . وبُويع بعدهُ لابن عمّهِ المستكفي بالله واستمر في خلافتهِ سنة واحدة وأمسكهُ من أُمرائهِ معزّ الدولة بن بويه فسمل عينيهِ وضمَّهُ الى المتَّقي بالله والقاهر بالله فصاروا ثلاثة اثافيّ العمى . وولي الخلافة بعدهُ ابن عمّهِ المطيع لله سنة (٣٣٤) . وفي ايامهِ قويت شوكة آل بويه وتمَّ امرهُ على ضعف الخلافة وطالت ايَّامهُ الى ان خلع نفسهُ

الطائع لله (٩٧٤) القادر بالله (٩٩١) القائم بامر الله (١٠٣١)

٣٢٧ وبُويع لولده عبد الكريم في سنة (٣٦٣) . ولُقّب الطائع لله وكان مغلوباً عليهِ من قبل أُمرائهِ . وما كان لهُ الّا العظمة الظاهرة . وكان شديد القوَّة . في خلقهِ حدَّة كريماً شجاعاً

بطلًا جوادًا سمحًا الّا ان يدهُ كانت قصيرة مع ملوك بني بويه . فقبضوا عليهِ وبايعوا أبا العبّاس احمد القادر بالله (٣٨١) . وكان حسن الطريقة والسمت كثير الخير والدين والمعروف. وفي ايّامهِ تراجع وقار الدولة العبّاسيّة ونمى رونقها وأخذت أُمورها في القوّة . ومكث القادر في الخلافة مدّة طويلة حتى أنافت خلافتهُ على احدى وأربعين سنة . وولي بعدهُ بعهدٍ منهُ ولدهُ أبو جعفر ولُقّب القائم بامر الله وكان خيّرًا دينًا باهر الفضل الّا انهُ مغلوب بيد أُمرائهِ وطالت مدّتهُ مع ذلك . وفي أيّامهِ انقرضت دولة بني بويه وظهرت الدولة السلجوقيّة

القتدي بالله (١٠٧٥) المستظهر بالله (١٠٩٤) المسترشد بالله (١١١٨)

٣٢٨ وتولى بعدهُ بعهدٍ منهُ حفيدهُ أبو القاسم ولُقّب المقتدي بالله . وكان من نجباء بني عبّاس دينًا . ومن جملة صلاحهِ ان السلطان ملكشاه من آل سُبكتكين قصد ان يظهر الحنف والحيف على الخليفة المذكور فارسل اليهِ يقول لهُ : اخرج من بغداد . فتلطّف بهِ المقتدي فأبى . فاستمهلهُ عشرة أيام فامهلهُ . فصار الخليفة يصوم ويتضرّع الى الله فنفذ دعاؤُهُ وهو مظلوم . فهلك السلطان ملكشاه قبل مضي عشرة أيّام وعُدّت هذه كرامةً للخليفة المقتدي . وكانت وفاتهُ سنة (٤٨٧) فجأةً . وتولى بعدهُ ابنهُ أبو العبّاس ولُقّب المستظهر بالله وكان كريم الأخلاق سهل العريكة مهذّب الخلال . وكان قد غلب عليهِ ملوك آل سلجوق . ثمّ خلفهُ ابنهُ أبو منصور ولُقّب المسترشد بالله . وكان شجاعًا دينًا مقدامًا ذا رأي وهمّة عاليـة فاحيا مجد بني عبّاس . وخرج الى قتال السلطان مسعود السلجوقي فاستظهر عليهِ وقتل المسترشد غيلةً (لابي الفرج)

الراشد (١١٣٥) المقتفي لامر الله (١١٣٦) المستنجد بالله (١١٦٠)

٣٢٩ ثم قام بالأمر بعدهُ ابنهُ الراشد ولم تطُل مدّة خلافتهِ فجهّز عسكرًا كثيفًا لمحاربة مسعود فدخل السلطان بغداد واستبدّ بتدبير الامور وخلع الراشد وولّى عمهُ أبا عبد الله ولقّبهُ المقتفي لامر الله وكان عالمًا دمث الأخلاق خليقًا بالامارة كامل السؤدد بيده أزمّة الامور كان لا يجري في خلافتهِ أمرٌ وان صغر الّا بتوقيعهِ . وجرت في أيّامهِ فتن وحروب بينهُ وبين سلاطين العجم كانت الغلبة فيها لهُ . وثار في أيّامهِ العيّارون والمفسدون فنهض بقمعهم أتمّ نهوض . ثم عقبهُ ابنهُ المستنجد وكان شهمًا عارفًا بالامور أزال المكوس والمظالم . وفي ايامهِ ضعفت دولة الفاطميين في مصر . وخنق المستنجدَ في الحمّام اكابرُ دولتهِ عقيب مرضة صعبة

المستضيء بالله (١١٧٠) الناصر لدين الله (١١٨٠) الظاهر بالله (١٢٢٥)

٣٣٠ وتولّى بعدهُ ابنهُ أبو محمد ولُقّب المستضيءَ بالله . وكان حسن السيرة كريم النفس وكثر ثناء الخلق عليهِ لكنهُ لم يكن بسيرتهِ بأس . ثم ملك بعدهُ ابنهُ الناصر لدين الله وكان الناصر من أفاضل الخلفاء وأعيانهم . بصيرًا بالامور متوقد الذكاء والفطنة . وطالت مدّتهُ وصفا لهُ الملك واحبَّ مباشرة أحوال الرعيّة حتى كان يتمشّى في الليل في دروب بغداد ليعرف

أخبار الرعيّة وما يدور بينهم . وفي أيّامهِ كان ظهور صلاح الدين واستيلاؤُهُ على مصر واستخلاصهُ بيت المقدس من أيدي النصارى الافرنج وازالةُ دولة الفاطميين . وتولّى مكانهُ بعد موتهِ ابنهُ محمد الظاهر بامر الله ولم تطُل أيّامهُ ولم يجرِ فيها ما يُسطر لكنهُ اظهر العدل والاحسان . قيل انهُ فرّق ليلة عيد النحر على الفقراء مائة الف دينار . فلامهُ الوزير على ذلك فقال : دعني أفعل الخير فاني لا أدري كم أعيش فلم يلبث ان توفّاهُ الله واثابهُ على عملهِ الصالح

المستنصر بالله (١٢٢٦) المستعصم بالله (١٢٤٢) انتهاء الخلافة (١٢٥٨)

٣٣١ وتولى بعدهُ ولدهُ أبو جعفر ولُقّب المستنصر بالله كان المستنصر شهمًا جوادًا يباري الريح كرمًا وجودًا . وكانت هباتهُ وعطاياهُ اشهر من أن يُدلّ عليها وأعظم من ان تُحصى . ولهُ الآثار الجليلة منها (وهي أعظمها) المستنصريّة وهي أعظم من ان توصف وشهرتها تغني عن وصفها. وكان المستنصر يقول : اني اخاف ان الله لا يثيبني على ما اهبهُ وأُعطيهِ لان الله تعالى يقول : لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبون وأنا والله لا افرق عندي بين التراب والذهب . وكانت ايامهُ طيّبة والدنيا في زمانهِ ساكنةً والخيرات والاعمال عامرةً . وفي أيّامهِ فتحت إربِل ومات المستنصر في سنة اربعين وستمائة . وسلم على ابنهِ المستعصم بالله بالخلافة وهو آخر الخلفاء العبّاسيّين وكانت مدّة دولتهم خمسمائة وأربعًا وعشرين سنة . وكان المستعصم بالله مستضعف الراي قليل الخبرة واهي العزيمة . وكان وزيره ابن العلقمي عدوًّا لهُ يداريهِ في الظاهر ويوافقهُ في الباطن . وكان تدبيره على ازالة الخلافة من بني العبّاس . فاذن للجند بالتفرّق والذهاب أين شاءوا . وعظم الهرج ببغداد . ووقعت الفتن فصار ابن العلقمي يكاتب هولاكو ملك التتر ويستحثّهُ لقصد بغداد ويخبرهُ عن صورة أخذها وضعف الخليفة وانحلال العسكر . فزحف هولاكو بعسكر جرّار الى بغداد والمعتصم ومن معهُ في غفلة عنهُ لاخفاء ابن العلقمي عنهُ سائر الأخبار . الى ان وصل الى بلاد العراق واستأصل مَن بها قتلًا وأسرًا . وتوجّه الى بغداد وأرسل الى الخليفة يطلبهُ اليهِ فاستيقظ الخليفة من نوم الغرور . وندم على غفلتهِ حيث لا ينفعهُ الندم . وجمع مَن قدر عليهِ وبرز لقتالهِ بار بعين الف مقاتل . فثبتوا مع ترافتهم على حدّ السيوف من اقبال الفجر الى ادبار النهار الى ان عجزوا عن الاصطبار وولّوا الأدبار بالإدبار . وأعقبهم التتار . ووضعوا السيف فيهم. وقتلوا من المسلمين في ثلاثة أيّام ما يُنيف على ثلاثمائة وسبعين الف نفس . وسبوا ورموا كتب مدارس بغداد في نهر دجلة فكانت لكثرتها جسرًا يمرُّون عليهِ ركابًا ومشاةً . وكانت هذه الفتنة من أعظم مصائب الاسلام . وأخذوا المستعصم وأولادهُ وجماعتهُ وأتوا بهِ الى هولاكو فاستبقاهُ أيامًا الى ان استصفى أموالهُ ودفائنهُ . ثم رمى رقاب أولادهِ وأتباعهِ وأمر ان يوضع الخليفة في غرارة ويرفس بالارجل الى ان يموت ففعل بهِ ذلك سنة (١٢٥٨م) وانقطعت خلافة بني العبّاس وهم سبعة وثلاثون خليفة اوّلهم السفّاح وآخرهم المستعصم (للنهروالي)

تمّ بحولهِ تعالى

فهرس الجزء الخامس من كتاب مجاني الادب

وجه

الباب الاوّل في التديُّن

عظمة الخالق وجبروتهُ وصفاتهُ ٣
قصيدة البطليوسي في التوحيد ٧
لابن ابي الصلت في الكمالات الالهيَّة ٨
وسيلة الله للبرعي ١٠
قصيدة لهُ في التوحيد ١١
قصيدة عليّ في الابتهال الى الله ١٣
للبرعي في الرجاء والدعاء ١٤

الباب الثاني في الخُطب والمواعظ ١٨

من كتاب اطواق الذهب لعبد المؤمن ١٨
من ديوان خطب الخيَّاط ٢١
من ديوان خطب ابي زكريَّا الانصاري ٢٤
من ديوان خطب ابن نباتة ٢٦
خطبة لابن رندقة الطرطوشي ٢٨
للسان الدين الخطيب في ذمّ الكسل ٣١
خطب للخلفاء خطبة ابي بكر ٣٢
خطبة لعليّ بن ابي طالب ٣٣
خطبة عُمر خطبة المهديّ ٣٦
خطبة هارون الرشيد ٣٨
خطبة المأمون في الفطر ٣٩
خطبة قطري بن الفجاءة التميميّ ٤٠
خطبة للصوم الكبير لروبيل الدنيسري ٤٣
ذكر السيدة مريم العذراء لابي الحليم ٤٦
لعيد السلَّاق (اي الصعود) لهُ ٥٠

الباب الثالث في الامثال ٥٤

نخبة من امثال العرب للميداني ٥٤

وجه

من امثال الميداني وابن نباتة مع شرحها ٥٩

الباب الرابع في المقامات ٧٤

من مقامات الحضرمي المقامة الشعريَّة ٧٤
المقامة الوعظيَّة ٧٧
مقامات بديع الزمان المقامة القريضيَّة ٧٩
المقامة الجرجانيَّة ٨٢
المقامة البصريَّة ٨٤
المقامة القرديَّة ٨٥
المقامة العلميَّة ٨٦
المقامة الملوكيَّة ٨٧
المقامة البخاريَّة ٨٩

الباب الخامس في المناظرة ٩١

مناظرة الازهار للسيوطي ٩١
مناظرة بين فصول العام لابن حبيب ١٠١
البحر والبر ١٠٦
النعمان عند كسرى ١٠٨

الباب السادس في الحكايات واللطائف

الاعرابيّ ومعن بن زائدة ١١٦
الشاعر المتعصّب للعجم ١١٧
البندبيجي والحمامة ١٢٢
الفرزدق والاسير ١٢٣
كتاب ابن التعاويذي الى الناصر ١٢٤

الباب السابع في الفكاهات ١٢٦

بغلة ابي دلامة ١٢٦
الخليفة والاصمعي ١٢٨

وجه

رثاء هرٍّ لابن العلَّاف ١٣٢
رثاء ديكٍ لابن معمعة الحمصيّ ١٣٥
لساور الورَّاق في وصف وليمةٍ ١٣٦
محمد بن بشير والشاة ١٣٨

الباب الثامن في المديح ١٤٠

خلف بن خليفة في قومهِ ١٤٠
محمد بن هانئ في ابن غلبون ١٤١
للمتنبي في شجاع بن محمد الطائي ١٤٢
جمالية ابن نباتة في ابن الشهاب محمود ١٤٣
لابن مطروح في عماد الدين ١٤٤
لابن الحسن القاضي في ابن اضحى ١٤٥
للبحتري في الفتح بن خاقان ١٤٦
لابرهيم بن العباس في ابن سهل ١٤٧
لعمرو بن مسعدة في ابي محمد التميمي ١٤٨
لابن المدبّر في الوزير ابن طاهر ١٤٩
لعنتر في كسرى انوشروان ١٥٠
لشمس الدين القادريّ في السيوطي ١٥١
مديح الخلفاء مديح معاوية ١٥٢
لكثيّر والاحوص في عمر بن عبد العزيز ١٥٣
لابن عبد القدوس في هارون الرشيد ١٥٤
لمحمد اليزيدي في المأمون ١٥٥
لحسين بن الضحَّاك في المعتصم والواثق ١٥٦
لابن عمَّار في المعتضد بالله العبَّادي ١٥٨
للبحتري في المتوكل ١٦١
لابن النبيه في الناصر وفي موسى الاشرف ١٦٢
لابن عُنين في الملك العادل ١٦٨
لابن مطروح في المستنصر بالله ١٦٩
لابن الخطيب في الظافر ١٧١

وجه

لابن رشيد يمدح امير المؤمنين عبد المؤمن ١٧٣
لابن صردُر في السلطان ملكشاه ١٧٤
نخبة من قصائد ابي خلوف في المسعود ١٧٥
لمحيي الدين العليف في بايزيد ١٧٨
للنهراولي في السلطان سليم ١٨٠

الباب التاسع في الهجو ١٨٢

هجو مكران ١٨٣
هجو طيلسان ابن حربٍ ١٨٥
للفرزدق في هجو ابليس ١٨٦
هجو مغنٍّ للحصكفي ١٨٧
هجو دارٍ لابن الاعمى ١٨٩

الباب العاشر في الزهريَّات ١٩١

زهريَّة بديع الزمان زهريَّة عنتر ١٩١
زهريَّة مقري الوحش ١٩٣
زهريَّة ابن الوكيع ١٩٤

الباب الحادي عشر في السيف والقلم ١٩٥

وصف الشعر للناشئ ٢٠٠
لابن الرشيق في الصناعة الشعريَّة ٢٠٢
جرير والفرزدق والاخطل ٢٠٣
وصف التاريخ ٢٠٤

الباب الثاني عشر في الوصف ٢٠٦

وصف حماة لابن حجَّة الحموي ٢٠٨
وصف الخيل ٢٠٩
وصف بركار لابي الفتح كشاجم ٢١١
ولهُ في اسطرلاب وصف روضة صنعاء ٢١٢
صفة نزهة على نهر سرقُسطة ٢١٤

	وجه
صفة الليل صفة عاصفة	٢١٥
صفة انكسار العدو	٢١٨
وصف دار الوزير الصاحب ابن عبّاد	٢٢٠
ذكر عبد الرحمان وغزواته	٢٢٢
الباب الثالث عشر في الرثاء	٢٢٥
رثاء التهامي في ولده	٢٢٧
رثاء مشاهير العرب رثاء معن	٢٢٩
رثاء بني برمك لسليمان بن برمك	٢٣٢
لابي الحسن الانباري في ابي طاهر	٢٣٧
رثاء الخلفاء والملوك للمهلبي يرثي المتوكل	٢٤٠
لابن عبدون في بني افطس	٢٤١
لابن النبيه في ولد الناصر	٢٤٢
لابن عبد الصمد في المعتمد	٢٤٣
لابي السعود في السلطان سليمان	٢٤٤
رثاء الاندلس لابي البقاء الرندي	٢٤٥
الباب الرابع عشر في الفخر	٢٤٨
للابيوردي في الفخر	٢٤٩
نخبة من اقوال عنترة	٢٥١
من اقوال الطائي في الفخر	٢٥٧
لصفي الدين الحلي	٢٥٨
قصيدة السموءل	٢٥٩
الباب الخامس عشر في المراسلات	٢٦١
مراسلات بين الملوك والامراء	٢٦١
في الأشواق وحسن التواصل	٢٦٥
في العتاب واللوم والاعتذار	٢٦٧
في المديح	٢٧٠
في الشكر والتهنئة	٢٧٢

	وجه
في التعزية	٢٧٥
الباب السادس عشر في التراجم	٢٧٩
فقهاء المسلمين	٢٧٩
أدباء المسلمين	٢٨٢
سيّاح المسلمين	٢٨٨
فلاسفة الاسلام واطبّاؤهم	٢٩٠
مؤرّخو المسلمين	٢٩٣
الباب السابع عشر في التاريخ	٢٩٨
دولة العبّاسيين خلافة السفّاح	٢٩٨
ابو جعفر المنصور	٢٩٩
بناء مدينة بغداد	٣٠١
محمد المهدي موسى الهادي	٣٠٣
هارون الرشيد	٣٠٤
الامين بن الرشيد	٣٠٨
عبد الله المأمون اخو الامين	٣٠٩
العلوم في زمانه	٣١٠
اخوه المعتصم بالله	٣١١
هارون الواثق المتوكل على الله	٣١٢
المنتصر بالله المستعين بالله المعتزّ بالله	٣١٣
المهتدي بالله المعتمد على الله المعتضد بالله	٣١٤
المكتفي بالله المقتدر بالله القاهر بالله	٣١٤
الراضي بالله المتقي المستكفي المطيع	٣١٥
الطائع لله القادر بالله القائم بامر الله	٣١٥
المقتدي بالله المستظهر بالله المسترشد بالله	٣١٦
الراشد المقتفي بالله المستنجد بالله	٣١٦
المستضيء بالله الناصر لدين الله الظاهر	٣١٦
المستنصر بالله المستعصم بالله	٣١٧
انتهاء الخلافة	٣١٧